

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
كلية الآداب، اللغات والفنون
جامعة وهران - السانبا.

قسم اللغة العربية وآدابها.



رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات بعنوان

المنهج اللغوي في تفسير الشعراوي

إشراف:

أ.د. عبد الحليم بن عيسى

إعداد الطالب:

عبد الكريم حمو

أعضاء لجنة المناقشة:

بكري عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	(جامعة وهران) رئيساً
بن عيسى عبد الحليم	أستاذ التعليم العالي	(جامعة وهران) مشرفاً ومقرراً
مصطفى اوي عمار	أستاذ محاضر - أ	(جامعة وهران) مناقشاً
سلامي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	(جامعة تلمسان) مناقشاً
مناد ابراهيم	أستاذ محاضر - أ	(جامعة مستغانم) مناقشاً
بن حمو محمد	أستاذ محاضر - أ	(جامعة بشار) مناقشاً

السنة الجامعية: 1433/1434 هـ - 2012/2013 م

مقدمة:

إنَّ الله تعالى يوم خلق الخلق لم يتركهم سُدى، ولم يدعهم يتخبطون في غير هدى، ولكنه سبحانه هداهم بواسطة رسله وكتبه، ولم يزل يرعاهم بلطفه وكرمه أمةً بعد أمة، وجيلاً إثر جيل، فكان ختام المسك محمد صلى الله عليه وسلم الذي ليس له نظير من الرسل، فهو السراج المنير، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ الأحزاب: 45-46،

ومن الكتب ما أنزل الله "القرآن الكريم" فقال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: 01.

ولما كان القرآن خاتم كُتُبِ الله، والمعجزة الخالدة لخاتم رسل الله، كان عطاؤه مستمراً لا ينفذ، وأسراره عجيبة لا تحصى، وأن كل من اتخذ القرآن منهجاً وعملاً وأقبل عليه إقبال المحتاج لا يضل أبداً، قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه: 123-124.

من هنا اجتهد أهل العلم والفقهاء والمفسرون على هذا الكتاب العزيز، واعتكفوا على ضرورة درسه ودراسته، وبحوثاً في ما جاء فيه من هداية وعلوم ومعارف، وأكدوا لزوم ذلك وحتميته، لكل من أراد الإعلاء بالأمة ونهضتها.

فمن أسرار هذا الكتاب الكريم أن يُعنى به المسلمون عبر القرون دراسة وتفقهاً واستنباطاً، واستكشافاً لمعانيه ومقاصده، واتعاضاً بقصصه وأخباره، وعملاً بأحكامه وشرائعه، واستلهاماً لإشاراته ودقائقه.

ولقد اهتم المفسرون بمسائل العربية اهتماماً بليغاً، وذلك لحاجتهم إلى فهم القرآن وبيان آياته، ولهذا جاءت أمهات التفاسير زاخرة بمسائل العربية وعلومها، أما أول المستعنيين باللفظ والشعر العربي في فهم آيات القرآن فهو ابن عباس رضي الله عنه

(ت: 68هـ)، إذ يعد أول من ارتكز على معطيات الاتجاه اللغوي في التفسير، وقد ألح

الزمخشري (ت: 538هـ) وأبو حيان الأندلسي (ت: 775هـ) والطاهر ابن

عاشور(ت:1393هـ) في مقدمات تفاسيرهم على ضرورة معرفة علوم العربية خاصة المشتغلين بمدارسة كلام الله تعالى.

ولذلك كان القرآن الكريم دافعاً لنشأة علوم العربية وتطور دراستها، والعامل الرئيس وراء كل هذا هو صيانة لغة القرآن من كل تحريف أو زيادة بسبب فساد الملكة اللغوية، يضاف إليه الحاجة إلى استكشاف مقاصد القرآن الكريم وتوضيح آياته ومراميه البلاغية والإيمانية، وبموجب هذه الصلة بين القرآن وعلوم اللغة ظهر نوع جديد من التفسير يعرف بـ"التفسير اللغوي للقرآن".

ولما كان هذا النوع من التفسير يستحضر اللغة منهجاً في تبيان مدلول الآيات، فقد اخترنا الحديث عن علم من أعلام العصر الحديث الذي اشتغل على تفسير القرآن الكريم وبيّن مباحث علوم اللغة، ألا وهو الإمام محمد متولي الشعراوي (رحمه الله). ولا شك أن تفسيره زاخر بالقضايا اللغوية والدلالية والبيانية، فهو يعبر عن روح المفسر الواعي الذي حفظ من دروس علماء التفسير الأوائل علوماً وفنوناً ومعارف ووظفها في تفسير كلام الله تعالى.

وقد أقبلنا على هذا التفسير مبرزين مقام هذا المنهج، وبالتالي تحدد عنوان الرسالة بـ:

"المنهج اللغوي في تفسير الإمام الشعراوي"

أما أسباب اختيار الموضوع فأجدها كثيرة ومتنوعة أحص منها ما يلي:

- 1- إبراز المنهج اللغوي العام الذي سار عليه الشعراوي.
- 2- الوقوف على بعض المسائل الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في تفسير الشعراوي.
- 3- الوغى في الاشتغال على كلام الله تعالى وتبيان مقاصده من خلال هذا المنهج الذي تبناه الشعراوي، راجياً المثوبة من الله عز وجل على هذا الجهد.
- 4- ما لوحظ من وجود محاولات طيبة من قبل الشعراوي للتوفيق بين الآراء والمذاهب الفقهية، من خلال الفهم الدقيق للغة وقواعدها، ولا يخفى ما في هذا من التقليل من حدة الخلاف بين المسلمين في هذا الزمن.

5- عناية الشعراوي بالرد على زمرة من المستشرقين الذين يرمون القرآن بالنقص والتناقض.

ولتفكيك هذا الموضوع وتحديد أركانه نطلق من إشكالية نعتقد أنها تثير لنا طريق البحث وهي:

ما المنهج العام الذي سار عليه الشعراوي؟ وكيف كان توظيف علوم اللغة العربية في تبيان مدلول الألفاظ؟ وهل يمكننا تصنيف تفسير الشعراوي ضمن التفاسير اللغوية؟ وما هي الإضافات اللغوية الجديدة التي جاء بها؟

وفيما يتعلق بالمصادر المعتمدة في الوسائل، فبالدرجة الأولى اعتمدت على مدونة البحث وهي: "تفسير الإمام الشعراوي"، وعدد التفاسير القديمة والحديثة، نخض منها: "الكشاف" للزمخشري، و"الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون" للسمين الحلبي، و"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي، و"التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور" ... وغيرهم

كما اعتمدت على معاجم الألفاظ منها: "مفردات ألفاظ القرآن الكريم" للراغب الأصفهاني، و"معجم لسان العرب" لابن منظور... وغيرها.

أما ما يخص الدراسات السابقة، فإلا لم نعثر على مطبوعات أكاديمية تناولت فكر الشعراوي في التفسير، وخاصة من الجانب اللغوي أو الدلالي، ولا أدري سبب هذه القلة في دراسة عطاءات هذا الرجل الأمة، وإن هذه الشخصية ومؤلفاته المتنوعة بحاجة إلى دراسة وتحقيق وتعريية، والاهتمام به واجب لما له من ميراث تفسيري وفقهي وأدبي خصب، واختيارنا لهذا الموضوع هو في نطاق البحث عن الجديد الذي حواه الفكر الشعراوي.

ومن بين المراجع التي سارت معي طوال هذا البحث؛ نجد كتاب "قضايا اللغة في كتب التفسير" لهادي الجطلأوي، وكتاب "علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي" لهر هادي، وكتاب منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث "لعلي زوين، وغيرها من الكتابات التي ساندت هذا البحث.

أما بالنسبة للأهداف من تناول هذا الموضوع فإننا نجداه نتلخص في:

- 1- التعرف على مفسر هو علم من أعلام التفسير في العصر الحديث.
 - 2- التعرف على منهج الإمام الشعراوي في عرضه للسور القرآنية ، وتبيان مظاهر الجدة فيه.
 - 3- إبراز الطريقة التي عرضها والمنهج اللغوي الذي وظفه في تفسير الآيات القرآنية.
 - 4- التأكيد بالجديد الذي أتى به المعارف اللغوية والدلالية التي تناو لها.
- وقد منّ الله علينا بفضل العليم وعطائه الجزيل بأن يستوي هذا العمل العلمي على سوقه، وتدنو جنى قطفه وعدوقه في أربعة فصول ، تسبقها مقدمة شارحة لتفاصيل الرسالة، ومدخل معنون بـ "قضايا المنهج واللغة في تفسير الشعراوي" أبرزنا فيه تعريفاً موجزاً لسيرة الشعراوي بالتركيز على حياته العلمية التي أسهمت في نبوغه، ثم بينا منهج البحث اللغوي عند بعض المفسرين، وذكرنا مصادر التفسير التي اعتمدها الشعراوي خاصة ما يتعلق بكتب التفسير والحديث وكتب اللغة والمعاجم، وكمرحلة أخيرة بينا معالم التفسير اللغوي التي تميز بها الشعراوي.
- أما الفصل الأول فقد خصصناه للتعريف بحقيقة: "المستوى الصوتي وإعجازه في تفسير الشعراوي"، وأبرزنا فيه علاقة الدرس الصوتي بعلم التفسير باعتباره المنطلق الأول في الدراسات اللغوية، ووضحنا نقاط الإعجاز عند اللغويين والمفسرين. ولأنّ الشعراوي كان يلح على دارس القرآن الكريم التمكن من فهم أسرار البحث الصوتي، فوجب علينا التركيز على تبيان مواقع الإعجاز الصوتي والإيقاعي للحرف والكلمة القرآنية في تفسيره.
- كما أشرنا إلى وظيفة الكلمة القرآنية وخصوصية استعمالها ؛ لأنّ هذا البحث هو عين المنهج الذي ارتآه الشعراوي، ثم كشفنا عن قضية الإعجاز الصوتي في القرآن ورؤية الشعراوي في تناسب الفواصل القرآنية، وأخيراً أشرنا إلى ملامح تناسب الحروف والألفاظ والجمل مع السياق القرآني، باعتبار هذا التناسب والتلاؤم يسهم في البناء الصوتي والأدائي للسور والآيات.
- أما فيما يخص الفصل الثاني فقد درسنا فيه طروحات الشعراوي الصرفية وسميانه بـ "المستوى الصرفي في تفسير الشعراوي"، والغرض منه تبيان التلويحات الصرفية التي

تؤدي إلى الاختلاف في التفسير وحتى في التشريع، وركزنا البحث على إبراز دور المصادر وأبنية المشتقات في تأليف الكلام، ما تعلق باسم الفاعل، واسم المفعول، واسم التفضيل، واسم الزمان والمكان. وكمحطة أخيرة تناولنا خاصية الاشتقاق اللغوية التي أبدع فيها الشعراوي في تفسيره وأولاهها اهتماماً كبيراً، لذ يعد هذا المبحث هو عين المنهج اللغوي الذي ارتآه.

أما ما يتعلق بالفصل الثالث فتناولنا فيه القضايا النحوية التي عكف الشعراوي على إبرازها وربطها بالتفسير، وسميناه بـ "المستوى النحوي في تفسير الشعراوي"، ودرسنا فيه ما يتعلق بالاسم وقضاياها، وبالفعل وأنواعه، وما يتصل بالحروف وأسرارها ومعانيها، ودور كل هذا في أداء المعنى، وهذه القضايا برزت جلياً في تفسيره كأحد المعالم الرئيسية في منهجه، وقد أكد الشعراوي على ضرورة دراسة النحو وأصوله لأنه مفتاح التفسير، وكان كثيراً ما يبدأ الآية بعرض المسألة النحوية والصرفية تمهيداً للموضوع، ثم يشرع في التفسير ويورد الآيات والأحاديث وما جادت به قريحته من تحليل وخواطر.

أما الفصل الرابع فعنوانه بـ "المستوى الدلالي في تفسير الشعراوي" وتطرقنا فيه إلى أهمية المعنى في التفسير باعتبار ألفاظ القرآن الكريم لها دلالات معينة سواء في الوضع أو في السياق القرآني، وقد عمدنا إلى إظهار دلالة الألفاظ عند الشعراوي؛ لأن موضوع الدراسة يحتاج من طاقة معجمية وحضوراً دلاليّاً عجبياً في تبيان مراد الكلمات القرآنية، ثم استقصينا اتجاهات التطور الدلالي عند الشعراوي، وبيننا أنواع الدلالات وعلاقتها بالمستويات اللغوية، فيما يتعلق بالصوت والصرف والنحو والدلالة، وذكرنا مظاهر التطور الدلالي للألفاظ، وكمرحلة أخيرة حددنا مظاهر تعدد اللفظ وتعدد المعنى الذي يشترك فيه موضوع المشترك اللفظي والترادف والتضاد.

وكخاتمة لهذا البحث قمنا بإبراز أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال فصول الرسالة.

أما المنهج المعتمد في الرسالة فهو المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستنباط، حيث بينا المسائل اللغوية ما تعلق بالصوت والنحو والصرف والدلالة، ثم عرضنا تعدد

الأقوال في الآية محل الدراسة معتمدين خاصة على كتب المفسرين والنحويين واللغويين كالزمخشري وابن عطية وأبي حيان الأندلسي ، ثم قمناب إدراج قول الإمام الشعراوي وربطه باللاحق بالسابق.

ونحن في هذا المقام نحاول ضبط منهج الشعراوي من خلال ذكر القواعد اللغوية العامة التي تسهم في التفسير عنده، وبالتالي فإننا نعتقد أن هذا المنهج هو الأقرب إلى هذه الدراسة.

وككل بحث هناك صعوبات تثبط من العزائم، ما اشتد عودها وبزغ سعودها، أذكر منها:

1- صعوبة التوثيق، حيث ألفينا النصوص والاستشهادات والاقتراسات الموجودة في التفسير غير موثقة، وطبيعة الموضوع تحتم علينا الضبط والدقة في الشرح والتحليل ، ومزيداً من التأمل وطول المراجعة، والإحاطة بجوانب المقاصد والمرامي التي كان يراها الإمام الشعراوي.

2- تكرار المعلومات وتضاربها في كثير من الأحيان.

3- عدم ضبط المصطلحات خاصة من الجانب الدلالي والفني.

4- استعمال الكلمات العامية.

لكن لم تعقني هذه العراقيل عن مهمتي وعملي، فأقدمت مستصغراً هذه الصعاب لشرف خدمة كتاب الله، وجعلت نصب عيني أن المورد العذب يغري باستسهال الصعب، فاستعنت بالله وهو المعين.

وفي الختام أتقدم بجزيل الامتنان وخالص الشكر لأستاذي العزيز عبد الحليم بن عيسى، وأدعو الله أن يحفظه ويثبت خطاه على ما قدمه لي من إرشادات ، وما قدمه لطلبة العلم بصفة عامة.

وأشكر كل من أسهم في هذا العمل ، وأخص بالذكر لجنة المناقشة الموقرة ، وصلى الله على نبينا ومحمد النبي الأمي العربي، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وهران في 20/10/2012م

الطالب: حمو عبد الكريم

مدخل: قضايا المنهج واللغة في تفسير الشعراوي:

إنّ الحديث عن الشعراوي ورصد علمه ومنهجه ، وتحليل مسالكة في الدعوة إلى الله وعن الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى جيل كامل من العلماء والباحثين ؛ فجهده التفسيري ومرتبته الفقهية وتمكّنه من فهم اللغة العربية وبيان معانيها وأسرارها، كل ذلك أكسبه مرتبة "العالم" بحقول الشريعة الإسلامية والعارف للسانها العربي المبين.

أولاً: التعريف بالإمام محمد متولي الشعراوي:

استوعب الشعراوي مقاصد الشريعة الإسلامية وروح الدين السمح، ولهذا جاءت فتاويه سلسيلاً وشفاءً أنار الطريق أمام الحيارى ، وحلّ الكثير من معضلات الحياة بفقهه الواسع وبصيرته النفاذة، وقد انعقدت له مكارم الأخلاق سخاءً وكرماً وحلماً وعفواً وتواضعاً وفقراً إلى الله، ف«كان مثال التعفف عن الدنيا وزينتها، وكان مثال التلطف والصفح عن مخالفه في الرأي ومعاديه، وكان مثال البذل والعطاء بطلب ومن غير طلب، وتطايرت بوجوده الأخبار على كل لسان، وفي كل مكان»¹، وأكثر من ذلك كان وقافاً عن حدود الله ممتثلاً أوامره ومجتنباً نواهيه.

1- مولده ونشأته:

الشعراوي من أسرة متوسطة الحال طيبة الأصول، يمتد نسبها إلى أهل بيت النبوة، فهو السيّد الشريف محمد بن السيد متولي الشعراوي الحسيني نسباً، والدته اسمها حبيبة ينتهي نسبها من ناحية والدها إلى الإمام الحسين بن علي كرم الله وجهه²، وأجداده

1- براعة الإمام في تحليل بعض حروف القرآن، حلمي عبد المنعم صابر، مكتبة الشروق، القاهرة، 1999، ص 02.

2- ينظر: الإمام الشعراوي مفسراً وداعية، أحمد عمر هاشم، مطبعة أخبار اليوم، القاهرة، (د، ت)، ص 11، وينظر: محمد متولي الشعراوي من القرية إلى العالمية، محمد محجوب، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 1988، ص 9.

جاءوا من السعودية من "مضيق الشعراوي"، ومن تلك المنطقة في السعودية هاجر أجداده إلى مصر.³

ولد محمد متولي الشعراوي في يوم الأحد 17 من ربيع الثاني سنة 1329هـ، الموافق 15 أبريل عام 1911م⁴، بقرية دقادوس⁵ مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية⁶، وقبل ولادته رآه خاله "الحاج عبد العزيز" في المنام على هيئة كتكوت يعتلي منبر هذا المسجد ويخطب في الناس.⁷

وتصدّق رؤيا خال والده ليعتلي الإمام الشعراوي المنبر وهو بعد لم تجاوز الثانية عشر من العمر، يعظ الناس ويعلمهم أمور دينهم ويصبرهم بأمور دنياهم. ويرى الشعراوي أنّ أول عوامل نجاح الزواج هو الاختيار والقبول من الطرفين ، وتعد التربية أساس بناء الأسرة، بالإضافة إلى القدوة الصالحة، فإنّ وُجدت سيأخذها الطفل تقليدًا، وأي حركة عن سلوك سيئ يمكن أن تهدم الكثير.⁸

فالطفل- في نظره- يجب أن يتعلم وأن تُربي فيه مقومات الحياة، فإنّ ما تحركت ملكاته وتهيأت للاستقبال والوعي بما حوله ؛ أي إذا ما تهيأت أذنه للسمع، وعينه

³- ينظر: الشعراوي أنا من سلالة أهل البيت، سعد أبو العينين، مطابع القاهرة، مصر، ط4، 1995، ص 10-6.

⁴- ينظر: محمد متولي الشعراوي شاهد على العصر، عمر بطيشة، دار الفاروق، القاهرة، ط1، 2010، ص 13.

⁵- فهي شبه جزيرة من الناحية الغربية تجد نهر النيل فرع دمياط ومن الناحيتين الشرقية والشمالية، ويرجع اسم الدقادوس وهو تحريف لاسم "دقليديانوس" وكان حاكما من حكام الرومان، وقيل انه كان لها اسم رومي هو "اتوكوتوس" أما اسمها العربي فهو "دقادوس" وفي معجم البلدان باسم "دقادوس" وصارت على اللسان "دقادوس" وينظر: الشعراوي الذي لا نعرفه، سعد أبو العينين، دار أخبار اليوم، القاهرة، 1995، ص 13.

⁶- قرية من قرى مصر القديمة تقع على بعد 10 أمتار من مدينة ميت غمر بمحافظة الدقهلية وسط دلتا النيل ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، مصر، (د، ت)، 522/2.

⁷- ينظر: الشعراوي الذي لا نعرفه، سعد أبو العينين، دار أخبار اليوم، القاهرة، ط4، 1995، ص 6.

- تزوج الشعراوي بعد حصوله على الابتدائية بناء على رغبة والده، وبعد فترة أصبح أباً، كل هذه العوامل⁸ جعلته لا يفكر في الخطأ لأنه لا توجد مبررات للفساد.

للرؤية، وأنفه للشم، وأنامله للمس، ووجب أن تُراعي كل ملكاته بسلوكنا المؤدب معه وأمامه، فنصون أذنه عن كل لفظ قبيح، ونصون عينه عن كل مشهد قبيح.

2- حياته العلمية:

عاش الشعراوي في بيئة ريفية محبة للعلم ومقدرة العلماء، حفظ القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة على يديه الشيخ "عبد المجيد باش"، يقول الشعراوي: «حفظت القرآن وأنا في العاشرة، وعلى الرغم من كبر هذا الشيخ وشيخوخته فقد كنا جميعاً نهابه ونخشى عكازه، وتذكر "الفلكة" التي كان يعلقنا فيها إذا نحن لم نحفظ جيداً، أو لم ننطق نطقاً سليماً، وكان والدي يقول له اضربه واكسر له ضلعاً إذا هو أهمل في شيء»⁹.

وكثيراً ما أخذ نصيبه من هذه "الفلكة" بسبب النطق الخطأ للآية التي تقول: "حم عسق" ولهذا الجملة في القرآن نطق خاص غير كتابتها، فهي تنطق كل حرف مفرداً هكذا: حاميم عين سين قاف¹⁰، وبعد فترة عرف الشعراوي لماذا نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "مسموعاً وليس مكتوباً"؟ وهذا دليل على إعجاز القرآن والرسول "صلى الله عليه وسلم" بعد أن سمعه وهو الأمي من جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ أَهْوَىٰ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾¹¹.

لقد كان الشعراوي يشترط على والده أن يشتري له كميات كبيرة من أمهات الكتب في التراث واللغة وعلوم القرآن والتفاسير وكتب الحديث النبوي الشريف، كنوع من التعجيز حتى يغيظ والده ويعود به إلى القرية، ومن الكتب: «العقد الفريد لابن عبد ربه، وشرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن هبة، ومجمع الأمثال لأحمد بن محمد الميداني، والمزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي، وجميع مؤلفات مصطفى لطفى

⁹- الشعراوي الذي لا نعرفه، سعد أبو العينين، ص14.

¹⁰- ينظر: الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير،

مصر، القاهرة، (د، ت)، ص12.

¹¹- سورة النجم، الآيتان: 3-4.

المفلوطي»¹²، وبالفعل اشتراها والده ظناً منه أنه سوف يقرؤها، وقد قرأها الشعراوي وفقهها.

حينما سُئل الشعراوي عن رصيده العلمي أجاب بأنه ذاب في شخصية أبيه وقال: «يشهد الله أنني أخذت من معلمي 10% من ثقافتي، وأخذت من أبي الرجل الأمي 90% من ثقافتي»¹³.

وقد التحق الشعراوي بكلية اللغة العربية سنة 1937م، وانشغل بالحركة الوطنية والحركة الأزهرية، ولم يكن معهد الزقازيق بعيداً عن قلعة الأزهر الشامخة في القاهرة، فكان الشيخ يزحف هو وزملائه إلى ساحات الأزهر وأروقته، ويلقى بالخطب مما عرضه هذا للاعتقال أكثر من مرة، وكان وقتها رئيساً لاتحاد الطلبة سنة 1934م¹⁴.

تخرج الشيخ عام 1940م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام 1943م، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية، وبعد خبرة طويلة انتقل إلى العمل في السعودية عام 1950م ليشتغل بالتفسير والحديث في كلية الشريعة بمكة المكرمة¹⁵.

ولقد اضطر الشعراوي لأن يُدرس مادة العقائد رغم تخصصه أصلاً في اللغة العربية، وهذا في حد ذاته يشكل صعوبة كبيرة، إلا أن ه استطاع أن يُثبت تفوقه في تدريس هذه المادة لدرجة كبيرة لاقت استحسان وتقدير الجميع.

وفي سنة 1966م سافر إلى الجزائر وصار رئيساً لبعثة الأزهر، ومكث به حوالي سبع سنوات قضاها في التكوين¹⁶، وعاون الحكومة الجزائرية في التخلص من آثار الاحتلال الفرنسي بإشرافه على وضع مناهج دراسية جديدة باللغة العربية، وأثناء وجوده فيها حدثت نكسة يونيو 1967¹⁷، وفي السنة نفسها عاد إلى القاهرة وعُين مديراً لأوقاف

¹² - الشعراوي الذي لا نعرفه، سعد أبو العينين، ص 19.

¹³ - محمد متولي الشعراوي شاهد على العصر، عمر بطيشة، ص 12.

¹⁴ - المرجع نفسه، ص 13.

- ينظر: الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، ص 22.¹⁵

¹⁶ - ينظر: المرجع السابق، ص 09.

¹⁷ - ينظر: الشعراوي تحت قبة البرلمان، محمد المصري، طبعة دار الأحمدي، القاهرة، (د،ت)، ص 38.

محافظة الغربية فترة، ثم وكيلاً للدعوة والفكر، ثم وكيلاً للأزهر ، وفي 1970م عُين أستاذاً زائراً بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ثم رئيساً للدراسات العليا بها حتى 1972م¹⁸.

3- شيوخه:

من شيوخه في الكتاب: الشيخ عبد الرحمان الشهابي¹⁹، والشيخ عبد الحميد باشا . وفي معهد الزقازيق الأزهري: مصطفى الصاوي، والشيخ أحمد مكي شيخ معهد الزقازيق.

وشيوخه بكلية اللغة العربية: إبراهيم حمدوش²⁰ شيخ الكلية، والشيخ محمد محي الدين عبد الحميد²¹ وعبد الغني علي حسن، والشيخ أمين سرور ... وغيرهم ، ومن زملائه: محمد بن مصطفى بن محمد المراغي²²، وطاهر أبو فاشا ، وأحمد عبد المجيد الغزالي ، وأحمد هيكل، ومحمد رجب البيومي.

¹⁸ - ينظر: الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، ص23.

¹⁹ - تعلم القرآن الكريم على يده، وقد كان قاسياً عليه دون غيره، وذلك عملاً بوصية أبيه، وكان لشيخ الكتاب مكانة حسنة بين الناس في ذلك العصر، قتلته الشرطة المصرية سنة 1930م، عندما قاطعت قرية الشعراوي الانتخابات، فقامت الحكومة بإرسال كتيبة أخرجت الناس من بيوتهم وقتلت الشيخ عبد الرحمان لتحريضه على عدم الانتخابات. ينظر: الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات، ص 11، وينظر: مذكرات إمام الدعاة، محمد زايد الناشر، دار الشروق، القاهرة، (د،ت)، ص 33.

²⁰ - ولد بقرية الخوالد التابعة لمركز ايتاي البارود 1880م، وتعلم بالأزهر على يد الشيخ محمد عبده وغيره نال العالمية عام 1906، عين شيخاً للأزهر فدعا إلى الجهاد ومقاومة الاحتلال فغافه الملك من منصبه قبل ثورة يوليو من مؤلفاته (عوامل نمو اللغة) توفي عام 1960م، ينظر: شيوخ الأزهر، عبد المفر خطاب، طبعة الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، (د،ت)، 34/4.

²¹ - من أئمة المجمع اللغوي بالقاهرة ولد بالقاهرة بقرية "الحمام" بالشرقية وتعلم في دمياط وحصل على شهادة الأزهر العالمية سنة 1925م، اشتهر بتصحيح المطبوعات وتحقيقها من تأليفه " التحفة السننية بشرح المقدمة الأجرومية" وله "تصريف الأفعال" وغير ذلك توفي سنة 1323هـ الموافق لـ 1973م، ينظر: الأعلام للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2008، 92/7.

²² - المراغي علماً من أعلام التفسير القرآني وقد تابع دروس الشعراوي بشغف، ولد ببلدة المراغة في 09 مارس 1881م، حفظ القرآن الكريم ثم رحل إلى الأزهر سنة 1897م، ثم تخرج من كلية العلوم سنة 1904م، وحصل على الشهادة العالمية وعين مدرسا في الأزهر، له مؤلفات كثيرة منها "تفسير المراغي"

ومن طلابه محمد صديق المنشاوي، له كتاب ألفه بعد وفاة الشعراوي سماه "الشيخ الشعراوي وحديث الذكريات" ومن أبرز تلاميذه الشيخ الجميلي الذي يعمل صحفياً منتدباً بمجلة الهلال ومحرراً بمجلة منبر الإسلام، وكانت له صداقة قوية مع الشعراوي، وينقل للناس ما يسمعه عنه، وقد أعاد كتاب الفتاوى للشعراوي بعد أن علق عليه²³. ويمكننا اعتبار كل من شاهد وجلس أمام التلفزيون، أو سمع له درساً أو محاضرة له، أو كل من اقتنى له كتاباً هو تلميذ للشيخ محمد متولي الشعراوي.

ولقد تنازعت في نفسية الشيخ عوامل شتى كانت سبباً في نبوغه، فمن البيئة الريفية ضرب لنا أمثالا واقعية في شرح القرآن وتيسيره، ومن البيئة السياسية جعلته خطيباً شائعاً؛ ومن البيئة الصوفية التي أزكت قلبه وروحه ووجدانه، ومن البيئة العلمية حفظ القرآن وقرض الشعر وحضور مجالس أهل العلم والعلماء، كل هذا كان له مفتاح لنجاحه في إلقاء حواطره القرآنية بمساجد القاهرة. فقد كانت للقاهرة مركزاً يجمع منابر الفكر الإسلامي، وتتعمق من خلاله الصلة بين مصر والأقطار العربية الأخرى، ألا وهو "الأزهر الشريف"، وما زال يعمق هذه الصلة ويؤكد على أهمية مصر الدينية في العالم الإسلامي، ومن هذه المنارة العلمية تخرج إمامنا الجليل.

ولقد كانت لشيوخ الكتاتيب قيمة كبيرة عند أهل القرية، فكانوا يقدمونه في صدر المجلس دائماً، حتى العمدة نفسه كان يقول: أين الشيخ؟ فلا يجلسون إلاً بجلوسه ولا يقومون إلا بعد قيامه²⁴.

والشعراوي معتدل في تصوفه يساير الحياة يكد ويجد، ومع ذلك فهو زاهد في الدنيا يملكها في يده ولا تصل إلى قلبه، فهو الذي قال: «إن الحياة أهم من أن تُنسى، ولكنها أقل ما تكون غاية»²⁵.

وعلوم البلاغة" وله "هداية الطالب" ينظر: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله المراغي، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، 204-203/3.

²³- ينظر: الفتاوى، محمد متولي الشعراوي، تقديم: السيد الجميلي، المكتبة التوفيقية، مصر، القاهرة، ط1، 2008.

²⁴- ينظر: الشعراوي الذي لا نعرفه، سعد العينين، ص 16.

فهو دائم التفكير كثير التأمل يتعلم من كل موقف يقابله، يُحِبُّ أن يعرف كل شيء، عن أي مهنة يهتأل ويحقق بكل التفاصيل، متأثراً بالمحيط القروي الذي عاش فيه، لأنه المكان البعيد عن المغويات، ولقد كان يختار أصدقاءه ممن كانوا في أعمار جده أو أبيه؛ لكي يستفيد من مكتسباتهم وتجاربهم، وكان لا يصاحب ولا يجلس إلا مع الملتزمين بالمنهج الرباني.

وقد أفادت هذه الصفات شخصية الشعراوي في تفسيره للقرآن الكريم، فهو يربط تفسير النص القرآني بشؤون الحياة، ويضرب الأمثلة من الواقع مما يدل على اتساع معرفته وخبرته، يقول الشعراوي: «كان أبي فلاحاً ووصاياه أفاد بي كثيراً في حياتي ولا أنسى نصيحته لي حينما دخلت الأزهر، قال لي يا أمين: تعلق في ربنا وحط رجلك زي ما أنت عاوز، ولا أنسى نصيحته الثانية لي: قال يا أمين، خليك في طابور المتواضعين، طابور المتكبرين طويل، ولكن طابور المتواضعين فاضٍ، وبكى الشيخ الشعراوي ليلتها وأبكى كل الحضور»²⁶.

والشعراوي يسجل في ذاكرته كل ما يقال له، ويستفيد من كل شيء، وقد اكتسب التواضع والخضوع لله، «فقد ترك كرسي الوزارة المريح يعلوه الحجر، واكتفى بكرسي من الخيزران المتواضع يجلس عليه، ومكتفياً بترابيزة صغيرة أمامه يوقع عليها الأوراق»²⁷.

4- مؤلفاته:

تجدر الإشارة قبل البدء في عد مؤلفاته إلى التذكير بأن الشعراوي لم يكتب كل هذه المصنفات المذكورة؛ بل كتبها عنه أولاده وتلاميذه ومحبه، ودور النشر المتعاقدة مع مؤسسة الشعراوي، فهذه المؤلفات في عمومها خُطب ودروس وحوارات تلفزيونية ومقالات نشرت في الصحف والمجلات، وفي لقاء تلفزيوني أُجري مع الشعراوي بعنوان "من الألف إلى الياء" قال الشعراوي: «أنا أقرأ قليلاً الصحف، والناس تكتب

²⁵ - الشعراوي إمام شاهد على العصر، عمر بطيشة، ص 15.

²⁶ - قالوا عن الشعراوي بعد رحيله، عبد المنعم خفاجي، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1999، ص14.

²⁷ - حياة الشعراوي، محمود مهدي، جريدة الأهرام، القاهرة، العدد: 90، 1998/06/26، ص 52.

عني، وأنا إذا كتبت أتعب، إني حريص على أن تكون كتابتي كتابة، وليس مجرد كلام عادي»²⁸.

- وقد طغى على هذه المؤلفات كل ما يتعلق بالتفسير القرآني والإعجاز القرآني، والفقہ الإسلامي، والسيرة النبوية، والشمائل المحمدية، وأمور الألوهية والتوحيد، والدروس والمواظع الإيمانية وغيرها. وهي على الشكل التالي:
- تفسير الشعراوي عشرون جزء أخبار اليوم ، الطبعة الأولى، القاهرة ، مصر، 1991م- الإسراء والمعراج، أخبار اليوم، القاهرة - الأدلة المادية على وجود الله، أخبار اليوم القاهرة. 1989م- المختار في تفسير الق رآن، ثلاثة أجزاء ، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة- لا إله إلا الله وإثبات وجود الله مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.
 - شبهات وأباطيل لخصوم الإسلام والرد عليها، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
 - الفتاوى الكبرى، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.
 - الله والكون، دار المسلم للطبع والنشر، القاهرة، 1980م.
 - من صفات الرسول دار المسلم للطبع والنشر القاهرة 1980م.
 - في رحاب الهدى القرآني، دار المسلم للطبع والنشر، القاهرة، 1980م.
 - الشمائل المحمدية ورد شبهات المستشرقين، دار المسلم للطبع والنشر، القاهرة.
 - متشابه القرآن، دار المسلم للطبع والنشر، القاهرة - تفسير النبأ ، دار المسلم للطبع والنشر، القاهرة- معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم- دروس عبر- دار المسلم.
 - الإسلام بين الرأسمالية والشيوعية، دار المسلم.
 - عدالة الله، دار المسلم- الكعبة في حماية الله المختار ، الإسلامي للطباعة والنشر ، القاهرة.
 - أعداء الإسلام، مكتبة القاهرة، 1981م - المرأة كما أرادها الله ، مكتبة القر آن - الإسلام عقيدة، مكتبة القرآن -خطر الكفر والنفاق على المجتمع الإسلامي ، مكتبة القرآن- تفسير سورة القارعة و الكوثر، مكتبة القرآن.
 - الإنسان والشیطان، أخبار اليوم- الرزق، كتاب اليوم- الكهف، مكتبة القرآن.

²⁸- من الألف إلى الياء، طارق حبيب، الرمز العربي الحديث، مطابع مصر، القاهرة، (د، ت)، ص 80.

-الله في الإنسان، الحلال والحرام، السحر والحسد ، يوم القيامة ، القضاء والقدر ، الحياة والموت -معجزات الرسول- إصدارات كتب اليوم -منهاج الصالحين ، دراسة وتحقيق، مركز التراث لخدمة الكتاب والسنة - آراء الشيخ الشعراوي في حرب الخليج، الدار المصرية للنشر 1991م
- الإسلام حداثة وحضارة، دار العودة ، بيروت - الشعراوي والتشريع في الإسلام ، دار ثابت القاهرة- الجهاد في القرآن، دار الشعب، القاهرة، 1986
-من فيض الرحمان، أخبار اليوم-الطريق إلى القرآن، مطبوعات مايو القاهرة.

5- الشعراوي الشاعر:

لقد كانت فطرة الشعراوي سليمة، وكلما وجد كتاباً أمامه قرأه، ومُدْرَسَه عبد الرحمان البياض²⁹ "الفلاح" هو من علمه قراءة الشعر والأدب بالفصحى ، كما ساعده والده في تحصيل هذه المعارف، وكان يذهب إلى المحطة يومياً ، وينتظر إلى أن يأتي القطار ويحضر له الجريدة التي كانت كثيراً ما تنشر قصائد لشوقي ، ويطلب من ه أن يخط كل قصيدة يجدها ، ويغري بإعطائ ريبالاً عن كل قصيدة يخطها ، ووقتها كان الريال في العشرينات - كما يقول الشعراوي- شيئاً كبيراً³⁰.
لقد عشق الشعراوي اللغة العربية وعُرف ببلاغة كلماته وأسلوبه وجمال تعبيره ، وكان له باع طويل مع الشعر يجيده في المواقف والمناسبات المختلفة، وخاصة في التعبير عن آمال الأمة وطموحاتها، وكان يختار الكلمات المناسبة للحدث المناسب القوية والمعبرة، ويتجه في قصائده إلى المعنى المباشر من أقصر طريق.
ولقد استخدم الشعر في تفسير القرآن الكريم وتوضيح معاني الآيات، والمتصفح لتفسيره يجده مملوءاً بالاستشهادات الشعرية القديمة والحديثة، لهذا عرفه الناس شاعراً في بداية حياته، وقد ترك لنا ديواناً شعرياً تناولت مواضيعه مسيرة الإسلام وحياته

²⁹ - مصطفى البياض صديق والد متولي الشعراوي، يعمل في الزراعة، وكان يحفظ قصائد إمام الشعراء احمد شوقي. ينظر: الشعراوي والسلطة، محمد ثابت السيد، دار الروضة، القاهرة، مصر، 1999، ص

³⁰ - ينظر: مذكرات إمام الدعوة، محمد زايد، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط03، 1998، ص 43.

الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحب الكرام...³¹. «فقد وهب الله ملكة واعية وقلباً عامراً بالإيمان ولساناً متدفقاً، وأنت إذا جلست إليه واستمعت له ، فأنت في فيض دافق من العلم ، لأن المعاني تنهال عليه وهو يرسلها في حماس وبلاغة وترسل»³².

ولقد أخذ الإمام نفسه بريضة روحانية وسلوك مع الله لا يعلم مداره إلا الله؛ «وفي بوتقة هذا السلوك انصهرت المواهب الشعراوية فخرج منها صافياً نقياً ، وانطلق الشيخ الداعي إلى الله اطلاقاً كبرى بكل الحب لله ولرسوله الكريم سيدنا محمد بن عبد الله وآل بيته الأكرمين»³³.

والشعراوي فوق كونه شاعراً فهو خطيب موهوب وأديب مطبوع، يكتب محتدياً بلاغة الجاحظ والتوحيد، وله تاريخ سابق مع الشعر، ألهم جذوته شعر المتبني وشعر شوقي، وزجل (بيرم التونسي)، وكان له وهو طالب أرجال كثيرة يقلد فيها بيرم التونسي... وقصائده في الهجرة وفي ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت نمطاً رفيعاً موصولاً بشعر البوصيري؛ وعموماً فإن روح البلاغة العربية وعمودية القصيد، كانت تملأ وجدانه، وتزكي قلبه.

6- وفاته:

ففي يوم الأربعاء الثاني والعشرين من صفر 1419هـ، السابع عشر من يونيو 1998م³⁴، ودعت الأمة الإسلامية بقلوب حزينة وعيون باكية، وأفئدة متأججة عالمها الجليل وفقيدها الكبير، فضيلة الشيخ متولي الشعراوي الذي رفع قيم الإسلام نُسكاً وعملاً وخلقاً وأدباً وبراً وعطاءً.

³¹ - ينظر: ديوان الشعراوي، جمعه: صايم عبد الدايم، مطبوعات الهيئة المصرية، مصر، 2009.

³² - مجلة المصور، مناظرات بين الشيخ الشعراوي وحسين مؤنس، العدد: 2983، 1981/12/11، ص

26.

³³ - محمد متولي الشعراوي من القرية إلى العالمية، محمد محبوب، ص 92.

³⁴ - ينظر: دعوني وربّي- الأيام الأخيرة من حياة الشعراوي- إبراهيم حسن الأشقر، دار الروضة للنشر،

القاهرة، (د، ت)، ص 79.

ثانياً: المنهج واللغة:

لا يوجد علم من العلوم إلا ويحتاج إلى منهج يتأسس عليه، وإن العلوم لا تأخذ مصداقيتها إلا من تجديد مناهجها من جهة، ومن قدرة هذه المناهج على استخلاص المعارف وتقنين الأنساق المنتجة لها من جهة أخرى.

فالمنهج يقوم بدور رئيس إن على صعيد التأسيس تأصيلاً نظرياً ومعرفياً، وإن على صعيد الممارسة دراسة وتحليلاً، وما دام الأمر بهذه الأهمية البالغة، فحري بنا أن نقف على مفهومه، لنعلم كيف تعامل المنهج مع اللغة العربية؟ وكيف اتخذت منه سبيلاً إلى معالجة قضاياها ومسائلها؟

لقد احتلت اللغة العربية مستوى مرموقاً بين اللغات العالمية، وثبتت هذه السنين ولم تمت، ذلك لصلابة منهجها وتأصيل جذورها بنظريات وقواعد حديثة ومتجددة. فـ«اللغة العربية بصفاتها لغة تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية، وتشارك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبة والدلالية)، وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات»³⁵، لا بد أن تكون تسير على منهج علمي، فما هو؟

1- تعريف المنهج:

إذا فتشنا عن لفظة (منهج) في التراث اللغوي العربي وفي المعاجم اللغوية بالتحديد، فإننا نجد جل المعاجم تنفق في تحديد لفظة (منهج) على أنه الطريق الواضح اليّين. أ- لغة:

عرف الخليل (ت: 175هـ) المنهج فقال: "هو من مادة نَهَجَ: وَاسِعٌ وَاضِحٌ، وطرق نَهَجَهُ، وَنَهَجَ الأَمْرَ وَأَنْهَجَ، لغتان؛ أي وَضَحَ، ومنهج الطريق: وَضَحَهُ"³⁶، وفي أساس البلاغة للزمخشري (ت: 538 هـ) جاء أن: "ن هـ ج) أخذ التَّهَجَ، والمَنْهَجَ والمِنْهَاجَ، وطرق نَهَجَهُ، وَنَهَجْتُ الطَّرِيقَ بَيَّنْتُهُ، وَأَنْتَهَجْتُهُ وَأَسْتَبْتُهُ"³⁷.

³⁵ - اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان،

1986، ص 56.

³⁶ - معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد، (د،ت)، 3/3.

³⁷ - ينظر: أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: أحمد عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، (د،ت)، ص

وأَنْهَجَ الطريق: وَضَحَ واستَبَانَ، وصار نَهْجاً واضحاً بيناً، والنَّهْجُ بتسكين الهاء هو الطريق المستقيم³⁸، أما في المعجم الوسيط فهو «الخطبة»، ومنه مناهج الدراسة ومناهج التعليم ونحوهما»³⁹.

ب- اصطلاحاً:

إنَّ إعداد أي خطة، يستدعي وضوح منهج، وإنَّه لا وضوح لهذا السبيل ما لم تكن منطلقاتها وخطواتها محدّدة وبارزة وما لم تكن مراميها معروفة، وما لم تكن الأساليب المعتمدة مقبولة وممكنة، وبعبارة أخرى فمنهج إعداد أي شيء يتحدد بمعرفة ماذا نريد؟ وكيف نحقق ما نريد؟

وكثيراً ما يوظف المنهج على أنه التيار أو المذهب أو المدرسة بهدف الكشف عن الطريق أو الأسلوب لتيار معين أو مدرسة معينة، وعموماً «فإنَّ المعنى العام للمنهج هو الأسلوب الذي يقود إلى هدف معين في البحث والتأليف أو السلوك»⁴⁰.

وفي اللغة الفرنسية هو (méthode)، والقصد من هذا المصطلح هو الطريق أو السبيل أو التقنية المستخدمة لعمل شيء محدد، أو هو العملية الإجرائية المتبعة للحصول على شيء "ما" أو موضوع "ما".

وبالتالي فالمنهج هو إجراء عقلائي، وإجراء منظم للعقل بغية الوصول إلى هدف معين⁴¹.

وخلاصة القول أنَّ المنهج هو الطريقة الخاصة التي تصلح لكل علم على حدة؛ بل لكل موضوع من موضوعات هذا العلم، ويعني مجموعة القواعد العامة التي يتم وضعها

³⁸ - لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، ط 1، بيروت، 1988، 300/14.

³⁹ - ينظر: المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين، مجمع اللغة العربية، دار المعارف، مصر، ط 2،

1973، 957/2.

⁴⁰ - ينظر: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية، الإسكندرية،

مصر، 2000، 284 - 285

⁴¹ - Larousse: Dictionnaire de la langue Française .littré .Paris.1994،

P1149.

بقصد الوصول إلى الحقيقة، إنَّه الطريقة الوحيدة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة لاكتشاف الحقيقة أو الوصول لتحقيق الغاية المراد الوصول إليها.

أما المنهج التفسيري، فهو ما يدل أساساً على الطريقة التي يسلكها المفسر ليحقق غاية الاتجاه الذي يرمي إليه؛ أي إنه الوعاء الذي يحتوي أفكار الاتجاه⁴².

وقد شهد تاريخ التفسير منذ بداياته الأولى اتجاهين مختلفين، وإن شئت (منهجين مختلفين) وهما: اتجاه التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي، واتجاه التفسير بالرأي أو التفسير العقلي، وكلا الاتجاهين يعتمد المنهج التقليدي الذي يقوم على تتبع سور القرآن كما وردت مرتبة في المصحف الكريم، أو يقتصر على بعض الأجزاء والسور فقط، وينعت هذا المنهج عند الباحثين المعاصرين بالمنهج التحليلي مقارنة بالمنهج الموضوعي.

أما في العصر الحديث وبتأثير من الدعوات والمدارس التجديدية السابقة، فإننا نجد مجال التفسير زاحراً باتجاهات وتيارات فرعية متعددة، وقد ظهرت معها مناهج جديدة مازالت موضع التجريب والاجتهاد أو النقد أحياناً، وهذه الاتجاهات والمناهج لم تقطع الصلة كلية بالاتجاهات والمناهج القديمة.

2- منهج البحث اللغوي عند المفسرين:

إنَّ علماء التفسير والمشتغلين على القرآن الكريم يرون أنَّ وجه الإعجاز القرآني كائن في رسمه وأسلوبه، وفي «طرائق نظمه ووجوه تراكيبه، ونسق حروفه في كلماته وفي جملة، ونسق هذه الجمل هو وجه الكمال اللغوي»⁴³.

وقد شكلت مباحثهم منطلقاً جديداً في الدراسات اللغوية، ف تناولوا الحروف وتآلفها، والمفردة القرآنية ودقة اختيارها واستقرارها في موضعها من النظم القرآني، والفاصلة، والمقابلة، والتكرار، والقصة، والمثل القرآني، والمباحث التي شكلت فيما بعد علم البلاغة، كالمعاني النحوية والتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها ؛ وبالتالي أصبح

⁴²- ينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1977، 3، ص 26.

⁴³- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرفاعي، القاهرة، ط3، 1928، ص 214.

للدراستات القرآنية مناهج تقوم عليها وبالأخص المنهج اللغوي الذي لا يستغني عليه
دارس القرآنيات.

والسؤال الذي يطرح في هذا المقام هو: هل للغة العربية نظام تسير عليه؟ وكيف
وظف أهل التفسير اللغة كمنهج في التفسير؟
اللغة العربية كغيرها من اللغات تقوم على نظام مضبوط في التعبير واحتواء الدلالات
المقصودة، و«قد أصبحت دراسة اللغة "علمًا" من العلوم، له ما لأي علم مستقل
موضوعه ومنهجه ووسائله»⁴⁴.

وتكاد تجمع التعريفات الحديثة على أن اللغة نظام، ولكل نظام لغوي عناصره
الأساسية المكونة له بصورة عملية؛ إذ لا بد لكل عنصر لغوي من صورة مادية تمثله،
كما أن له قيمة ودورًا معينًا، فاللغة «نظام يتألف من علامات أو وحدات لغوية
ومتواليات صورية قائمة على أسس صوتية وصرفية ونحوية معينة»⁴⁵.

فاللغة تسير وفقاً لأصول محددة ونظام متفاعل الأجزاء، يتبادل كل نظام فرعي
ضمنه التأثير والتأثر مع الأنظمة الأخرى التي تشكل في مجموعها نظام اللغة المتكامل،
والتكلم بأي لسان كالعربية يصدر سلسلة من الأصوات المتتابعة، إذ أن الصوت
الإنساني هو مادة الكلام أو هو المظهر المادي للغة، وهذه الأصوات تتقاطع أو تتابع
وفق نظام معين يهدف إلى دلالة يقصدها المتكلم، ولا تتحقق هذه الدلالة إلا إذا
تآلفت الأصوات المنطوقة التي نصورها كتاباً بالحروف، وكونت مقاطع، ومن
المقاطع تتكون أبنية أو صيغ نسميها كلمات ترتبط هي الأخرى في علاقات تركيبية
ودلالية نسميها جملاً، وهذا هو تسلسل النظام اللغوي بمستوياته المختلفة.

يقول عبد العزيز مطر: «علم اللغة هو العلم الذي يدرس اللغة أو اللهجة دراسة
موضوعية، غرضها الكشف عن خصائصها، وعن القوانين اللغوية التي تسير عليها
ظواهرها: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والاشتقاقية، والكشف عن العلاقات

⁴⁴ - علم اللغة، محمود السمران، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ت)، ص 11.

⁴⁵ - منطق اللغة، ياسين خليل، جامعة بغداد، 1963، (د،ت)، ص 18.

التي تربط هذه الظواهر بعضها ببعض وتربطها بالظواهر النفسية، وبالمجتمع وبالبيئة الجغرافية»⁴⁶.

والحق أن هذه المستويات تمثل وحدة متكاملة ولحمة مترابطة، تجمع بينها علاقة عضوية، فتتلاحم وتنصهر لتصب في بوتقة النظام اللغوي للعربية وتظهر خصائصه وميزاته، وهذه المستويات - كما نرى - تشمل علوم اللغة العربية جميعها، ف «إن» في القرآن نظاماً محكماً شديد الصرامة، منتشراً في جميع أجزائه، بحيث أن اللفظ - مفردة كان أو حرفاً - والترتيب والتسلسل المعين للألفاظ في كل تركيب هو جزء من هذا النظام، والخطأ في تصوّر شيء منه في أي موضع ، يؤدي إلى الخطأ في تصور فروع كثيرة متصلة بذلك الموضع»⁴⁷.

فاللغة متعددة الأنظمة؛ لها نظامها الصوتي المنهج، بحيث لا يتعارض فيه صوت مع آخر، ولها نظامها التشكيلي المنهج وفق ضوابط في الصيغ المختلفة، ولها نظامها النحوي المنهج، بحيث لا يصطدم فيه باب مع آخر، ولها نظامها المعجمي المنهج في تنوع المعنى وتوليده، ولها نظامها البلاغي المنهج بحيث يراعى فيه صورة اللفظ وتأدية المعنى؛ فهي منظومة من النظم، ويؤدي كل نظام منها وظيفته بالتعاون مع النظم الأخرى.

ولقد دعت الحاجة إلى تفسير القرآن تفسيراً لغوياً يزيل الإبهام ، وكثرت الحاجة إلى معرفة مفردات القرآن ومعانيه، والتفت العرب إلى ديوانهم الشعري لما يحويه من صيغ وتراكيب واستعارة ومجاز تساعد في استنباط ما يحتاجون إليه في فهم كتابهم العزيز. وهكذا قام البحث اللغوي من قبل علماء اللغة مما أدى إلى ابتعاث اللغة ودراساتها دراسة وضحت معاني مفرداتها، ومعالمها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والبيانية، وتعاقب على تلك الدراسة أجيال من الباحثين لجعل اللغة علماً منضبطاً يسهل تعلمها وتعليمها، يحقق علماءها الهدف الذي قامت من أجله دراستهم تلك،

⁴⁶ - علم اللغة وفقه اللغة، تجديد وتوضيح، عبد العزيز مطر، قطر، 1985، ص 102.

⁴⁷ - النظام القرآني، سبيط النيلي، مكتبة بلوتو، ط2، 2003، ص12.

وهو الحفاظ على (القرآن الكريم) من كل تشويه أو لحن ، وبقيت اللغة طوال هذه القرون خادمة للقرآن الكريم بعدما أكسبها التهذيب والفصاحة والديمومة. فلغة القرآن الكريم هي النموذج الأمثل للضبط و للقياس اللغوي، ولم يكن انشغال اللغويين في بداية الأمر من أجل اللغة ذاتها، «بل كانت من أجل التفسير ومصدر الفتوى، ومن ثم كان من الضروري تحقيق أكبر قدر من الضبط والتحديد للدلالة اللغوية»⁴⁸.

وقد تطورت هذه الحركة العلمية اللغوية التي كان مدارها فهم رسالة القرآن الكريم ، على يد علماء الدين، الذين اعكفوا على تلاوة القرآن وتدبر آياته ، المهم عندهم تبليغ مقصود الآيات للناس أجمعين. و«لقد اتصل الدّين باللغة اتصالاً وثيقاً في العصور الإسلامية كلها، وكان الباعث على اهتمام علماء اللغة بجمع الشواهد اللغوية وتقعيد اللغة باعثاً دينياً، وهو ضبط نصوص القرآن الكريم وتعليم الطلاب لغة و جرت مناهج التعليم منذ أقدم العصور الإسلامية على المزج بين المعارف الدينية واللغوية، ومن ثمّ كان اللغوي غالباً رجلاً دينياً، ولا ترى عالماً من علماء اللغة القدامى، إلاّ كان مُقرِّناً أو مفسِّراً أو مُحدِّثاً أو متكلماً أو فقيهاً»⁴⁹.

ولجهود علماء غريب القرآن الأثر البالغ في استقصاء اللفظ القرآني من مضانه الأولى، ولقد بدأت الدراسة في ميادين اللغة بلبحث عن معاني الألفاظ الغريبة وتوضيح معانيها ومراميتها وأساليبها، وتأييد ذلك التفسير والتوضيح بالشواهد من شعر العرب . «بل لقد كان هذا اللون من البحث الذي أقيمت عليه الدراسات اللغوية عندهم بصورة عامة، غداة شرعوا في التماس المعاني الدقيقة لما غمض واشتبه عليهم من ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وأفردوا لهذا الغرض الكتب المطولة التي ما زالت مراجع لا غنى عنه ، للاطمئنان إلى سلامة الدلالة اللغوية وصحتها عند تحري الدقة وصحة الاحتجاج في قضايا الغريب»⁵⁰.

⁴⁸- المرايا المقعرة، عبد العزيز حمودة، مطابع الوطن، الكويت، ط1، 2001، ص 228.

⁴⁹- المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية، عبد المجيد عابدين، مطبعة الشبكيشي،

مصر، ط1، 1951، ص102.

⁵⁰- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، مسعود بوبو، منشورات وزارة الثقافة،

وأيضاً من تناول البحث في غريب القرآن أبان بن تغلب (ت: 141 هـ) الذي قال ف يه ياقوت الحموي (ت: 622هـ) «صنّف [أبان] كتاب الغريب في القرآن ، وذكر شواهده من الشعر»⁵¹، ثم تعاقبت كتب كثيرة في غريب القرآن ومن الذين ألفوا فيه يحيى بن المبارك (ت: 202 هـ)، والنضر بن شميل (ت: 204 هـ)، وأبو عبيدة (ت: 213 هـ)، والأخفش الأوسط (ت: 215 هـ)، والقاسم بن سلام (ت: 224 هـ)، وابن سلام الجمحي (ت: 231 هـ)، وابن قتيبة (ت: 276 هـ)، وثعلب (ت: 291 هـ). كذلك من الذين أثيرَ عنه العمل في مجال تفسير القرآن الكريم الصحابي عبد الله بن عباس (ت: 68 هـ) في كتابه (اللغات في القرآن) ؛ فإبان القرن الأول والثاني الهجريين وجدنا أعمالاً غزيرة عالجت الألفاظ ودلالاتها، ومنهم أيضاً البلخي (ت: 150 هـ) وهشام بن محمد الكلبي (ت: 204 هـ)، والهيثم بن عدي (ت: 209 هـ)، والفراء (ت: 207 هـ) وأبو زيد الأنصاري (ت: 215 هـ) وعبد الملك بن قريب الأصمعي (ت: 216 هـ)... وغيرهم⁵².

وبالتالي فعلم التفسير هو من أهم العلوم التي انصرفت إلى النظر في ألفاظ القرآن الكريم، إلى جانب عنايته بلآيات وما يتعلق بها من معان وتأويلات ، ويهمننا في هذا المقام من اتخذ المنهج اللغوي بساطاً لتفسيره، وأول من قام بتفسير مفردات القرآن الغامضة تفسيراً لغوياً الصحابي عبد الله بن عباس ، وكان يعتمد على الشعر القديم في تفسير عربية القرآن، وفي الإتيان روى أبو عبيدة أن ابن عباس رضي الله عنه قال:

دمشق، 1982، ص 315.

⁵¹ - معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 1/ 38.

⁵² - ينظر: الفهرست، ابن النديم، تحقيق، رضا تجدد، مطبعة مصر، 1971، ص 37- 38، وينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره، حسين نصار، مطبعة مصر، القاهرة، (د،ت)، 75/1.

«إذا أُشكِلَ عليكم الشّيء في القرآن ، فارجعوا فيه إلى الشّعر فإنّه ديوان العرب»
وكان يُسأل عن القرآن فينشد الشعر⁵⁴.

وبالتالي بات تعلم العربية والتبحر في علومها في مقدمة خطوات التفسير، وهو أول شرائط المفسرين، وقد عدّت العلوم اللازمة للمفسر بخمسة عشر علماً، كانت منها ثمانية من علوم العربية، وهي: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات⁵⁵.

يقول محمد رشيد رضا(ت: 1354هـ): «على المدقق أن يُفسر القرآن بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله، والأحسن أن يفهم اللفظ من القرآن نفسه بأن يجمع ما تكرر في مواضع منه وينظر فيه، فرمما استعمل بمعان مختلفة كلفظ "الهداية" وغيره، ويحقق كيف يتفق معناه مع جملة الآية، فيعرف المعنى المطلوب من بين معانيه، وقد قالوا أن القرآن يفسر بعضه بعضاً»⁵⁶، وبالتالي فالمرجع الأول في معرفة مدلول الآية هو القرآن الكريم، ثم السنة النبوية المطهرة.

3 - مسائل اللغة في التفسير:

لقد كانت مباحث اللغة في القرآن الكريم مثار بحث وجدل بين المفسرين والنحويين والبلاغيين، ومن شواهد ذلك ما أورده أبو الخطاب عن أبي العالية، أنّه سئل عن معنى "سَاهُونَ" في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾⁵⁷، فقال: «هو الذي ينصرف عن صلاته ولا يدري عن شفع أو وتر، قال الحسن، مه يا أبا العالية ! ليس هكذا، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، ألا ترى قوله: "عَنْ صَلَاتِهِمْ" فلما لم يتدبر أبو العالية حرف "فِي" و "عَنْ" تنبه له الحسن، إذ لو كان المراد ما فهم أبو

⁵³ - الإِتقان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات الإسلامية، السعودية، (د،ت)، 112/1.

⁵⁴ - ينظر: الفاضل في اللغة والأدب، العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، طبعة

الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1975، ص10.

- ينظر: الإِتقان في علوم القرآن، السيوطي، 1209 / 2⁵⁵

⁵⁶ - تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، ط2، 1947،

22-21/1.

⁵⁷ - سورة الماعون، الآية: 5.

العالية لقال: "فِي صَلَاتِهِمْ"، فلما قال: "عَنْ صَلَاتِهِمْ" دل على أن المراد به الذهاب

عن الوقت، ولذلك قال ابن قتيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ

الرَّحْمَنِ﴾⁵⁸، أنه من عَشَوْتُ، أَعَشُو عَشْوًا: إذا نظرت، وغلطوه في ذلك، وإنما

معناه: يَعْرِضُ، وإنما غلطك لأنه لم يُفَرِّق بين عَشَوْتُ إلى الشَّيْءِ، وَعَشَوْتُ عَنْهُ⁵⁹.
وروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما كنت أدري ما قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾⁶⁰،

حتى سمعت ابنة ذي يَزَنَ الحميري وهي تقول: أَفَاتِحُكَ، يعني أَفَاضِيكَ، وفي قوله

تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁶¹، يعني

متى هذا القضاء⁶².

ومن جملة العلوم التي يحتاجها المفسر في تبيان خواص اللفظ والمعنى "علم المعاني والبيان
والبديع"، ويعطي الزركشي الأهمية الكبرى لعلوم البلاغة فيقول: «واعلم أن معرفة
هذه الصناعة بأوضاعها هي عمدة التفسير المطع على عجائب كلام الله وهي قاعدة
الفصاحة وواسطة عقد البلاغة»⁶³.

فالقرآن الكريم هو معجزة اللغة العربية الخالدة، وقد جاء بأفصح الكلم وأبلغ النظم،
فكان لزاماً على المفسر من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز من الحقيقة والمجاز، والتقديم
والتأخير، واللف والنشر وغيرها من القضايا البلاغية التي تخدم النظم وتألّف الكلام.

⁵⁸ - سورة الزخرف، الآية: 36.

⁵⁹ - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث،

مصر، القاهرة، 1/ 294-295.

⁶⁰ - الأعراف، الآية: 89.

⁶¹ - سورة السجدة، الآية: 28.

⁶² - ينظر: البرهان، الزركشي، 1/ 298.

⁶³ - الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، 1/ 312.

ففي باب الحقيقة والمجاز مثلاً يرفض الطبري حمل لفظة "الميزان" على المجاز وذلك في

قوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾⁶⁴.

فهو يرى الصواب من القول ما ذكره عمرو بن دينار من أن ذلك هو "الميزان"

المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها

والسيئات⁶⁵، وقد وردت روايات بأن الوزن هو الكتاب الذي فيه أعمال الخلق، قال

بجاهد: الميزان هو الحسنات والسيئات بأعيانها، وعنه أيضاً والضحاك والأعمش:

الوزن والميزان بمعنى العدل والقضاء⁶⁶.

ويعتمد المفسرون ضمن منهج التفسير اللغوي على المرويات من رسول صلى الله عليه

وسلم في تبيان دلالة الألفاظ وغريبها، فهاهو القرطبي (ت): 671 هـ) يستشهد

بالحديث النبوي الشريف في قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ

أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾⁶⁷، فبين أن البعولة جمع البعل ومعناه الزوج، فالرجل بعل

المرأة، والمرأة بعلته، وباعل مباعلة إذا باشرها، والبعل: الجماع⁶⁸، ويستشهد بقول

النبي عليه السلام: في أيام التشريق: «إِنَّهَا أَيَّامٌ أَكَلٍ وَشُرْبٍ وَبِعَالٍ»⁶⁹.

⁶⁴ - سورة الأعراف، الآية: 8.

⁶⁵ - ينظر: جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق، عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار

هجر، جيزة، ط1، 2001، 69/10.

⁶⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر،

185/1938، 7.

- سورة البقرة، الآية: 228. ⁶⁷

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الانصاري القرطبي، 129-128/3. ⁶⁸

- الحديث ليس متفقاً عليه بل تفرد به مسلم عن البخاري. ينظر: تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، ⁶⁹

يوسف المزي أبو الحجاج جمال الدين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999، رقم: 11587، 6/9.

كما نجد استقصاءاً لقضايا اللغة من مضامها الأولى، كأن يعتمد المفسر إلى توسيع المعاني البلاغية والبيانية للآيات انطلاقاً من المعنى اللغوي، ذلك عند تفسير قوله

تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾⁷⁰، يقول

الزمخشري: «والذي يصح منه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء، ومنه قول الشاعر:

وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَلِكٍ وَالْبَحْرُ دُونَكَ زِدْتَنِي نَعْمًا

وسمعت سروريةً مُستَحْديةً بمكة وقت الظهر حين يُعلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم، تقول: "عَيَّنِي نُؤَيِّظِرَةٌ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ"؛ والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربه»⁷¹، غير أن للسمين الحلبي (ت: 756هـ) رأياً مخالفاً لما قدمه الزمخشري من أن "ناظرة" بمعنى "منتظرة"، وقال: «ودخول "إلى" مع النظر يدل على أنه نظر العين، وليس الانتظار، ولو كان من الانتظار لم تدخل معه "إلى"، فمن قال أن "ناظرة" بمعنى منتظرة فقد أخطأ في المعنى وفي الإعراب، ووضع الكلام في غير موضعه»⁷².

إن مثل هذا التحليل الذي يمارسه المفسرون في فهم السور والآيات، يجعلنا نقول أن اللغة العربية تأخذ حيزاً كبيراً في تبيان المعاني، وأن المنهج الغالب الذي أتبع في التفسير هو المنهج اللغوي الذي لا مناص منه، ويبقى على المفسر إعمال عقله واجتهاده وفهمه في طرحه لقضايا اللغة على النحو الذي يرتضيه.

⁷⁰ - سورة القيامة، الآية: 22-23.

⁷¹ - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، تحقيق:

عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998،

.270/6

⁷² - الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم،

دمشق، (د، ت)، 577/10.

كما نجد مناقشات لغوية مختلفة في تفسير بعض الألفاظ القرآنية، واختلافاتهم في هذا

الباب كثيرة، من ذلك قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁷³، حيث

ذكر المبرد والطبري إلى أن الحمد والشكر سواء، «فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب من الحكم لقول القائل: الحمد لله شكراً... لأنَّ الشُّكر لو لم يكن بمعنى الحمد، كان خطأ أن يُصدر من الحمد غير معناه وغير لفظه»⁷⁴.

ويرد القرطبي على هذا الرأي ويخالفه مستعيناً بموارد استعمال الكلمة لبيان معناها فيقول: «إنَّ الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غير سَبَقٍ إحسان، والشكر ثناء على المشكور بما أولى من الإحسان، وعلى هذا الحد قال علماءنا: الحمد أعم من الشكر، لأنَّ الحمد يقع على الثناء وعلى التحميد وعلى الشكر، والجزء مخصوص إنَّما يكون مكافأة لمن أولاك معروفاً، فصار الحمد أعم في الآية، لأنَّه يزيد على الشكر، ويذكرُ الحمدُ بمعنى الرضا، يقال: بَلَوْتَهُ، فَحَمِدْتُهُ؛ أي: رَضِيْتُهُ»⁷⁵.

إنَّ إبراز منهج اللغة في التفسير القرآني والبحث في مشاغل المفسرين اللغويين أمثال الطبري(ت:310 هـ) والزخشري (ت 538هـ) وابن عطية(541هـ) والقرطبي وأبو حيان (ت:745 هـ)... وغيرهم، لأمر جدير بالاهتمام والملاحظة، فما قدموه من جهد فكري في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية لا ينكره إلاَّ جاحد، فغايتهم ترشيد الناس إلى هذا الكتاب العزيز وإبراز أسرار إعجازه وعظيم بيانه ومعانيه.

وفي العصر الحالي وجدنا الشعراوي الذي لا يقل أهمية عن سلفه الذين اشتغلوا بـ "التفسير"، وما رأيناه أجدر بأن يوصف "بالتفسير اللغوي" لما فيه من ملاحظات تشير إلى أهمية اللغة، وإلى أوجه استغلاله لثقافته المعجمية في تفسير غريب الألفاظ، وتوظيف علمه الدقيق وحسه المرهف في تبيان إعجاز القرآن والرد على الطاعنين في فصاحته.

⁷³ - سورة الفاتحة، 02.

⁷⁴ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 138/1.

⁷⁵ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 207/1.

وهو كغيره من المفسرين بذل جهداً كبيراً في إبراز المنهج اللغوي في الآيات القرآنية، فيخرج معاني الألفاظ من الغموض إلى الوضوح؛ فقد تكون الآية مبهمة لسبب نحوي فيرتفع بها بيان حدود النحو فيها ويبرز أداؤها الوظيفي، وقد تكون مفردات الآية غامضة فيرتفع لفك غريبها ومجهولها، أو تكون الآية غير معروفة بلاغياً فيرتفع بيان ما في التركيب من مجاز أو دلالات بلاغية في الخبر والإنشاء وغير ذلك، ولا شك أن هذا الشكل من الاستثمار في المباحث اللغوية هو عين المنهج الذي سار عليه الشعراوي.

والمنهج اللغوي عند الشعراوي ليس مطلوباً لذاته بقدر ما هو آلة يتوسل بها إلى تقريب معاني القرآن الكريم وبيان أسرارها البيانية والإعجازية، يقول الشعراوي في هذا الصدد «وثقافتني عربية يعني بلاغة وأدب وصرف ونحو، والعلوم العربية موضوعة من أجل القرآن الكريم، فإذا وقفت عند العلوم العربية فقط، يبقى وقفت عند الوسيلة وأهملت الغاية، فكان لزاماً استغلال ما عرفته في خدمة القرآن الكريم»⁷⁶.

فجميع العلوم المستحدثة التي أسسها العرب بعد نزول القرآن الكريم وخاصة العلوم الإسلامية والعلوم العربية كان مُتَطَلِّقاً للقرآن، ويجب أن تكون في خدمته ووفق ما دعا إليه. يقول الزرقاني (ت: 1367هـ): «إن علماء النحو إنما استمدوا قواعده من كتاب الله تعالى وكلام رسوله وكلام العرب، فإذا ثبت قرآنية القر أن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحكم على علماء النحو ، وما قعدوا من قواعد ، ووجب أن يراجعوهم بقواعدهم إليه لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة لحكمها فيه ، وإلا كان ذلك عكساً للآية وإهمالاً للأصل في وجوب الرعاية»⁷⁷.

وبالتالي فإنَّ القرآن إمَّا شاهداً على القاعدة الصوتية أو الصرفية أو النحوية، وإمَّا شاهداً على مترع في اللغة يتزع إليه واضع المتن والشارح، وإمَّا ضبطاً في تأليف الكلام ونظمه. وسوف نعرض لاحقاً ملازمة الشعراوي للمنهج اللغوي ونحاول تبيان ما جاء في تفسيره من معارف صوتية ونحوية ودلالية وبلاغية.

⁷⁶- من الألف إلى الياء، طارق حبيب، ص 95.

⁷⁷- مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، القاهرة، ط3،

ثالثاً: نظرة عامة في تفسير الشعراوي:

إن الناظر في تفسير الشعراوي يجده لم يُدون تفسيره بيده وإنما كُتب عنه، فلقد قدّم حلقات تلفزيونية فسّر فيها القرآن الكريم ابتداءً في برنامج "نور على نور" الذي قدمه أحمد فراج عام 1973م، وقد نال إعجاب الجماهير المصرية ثم الملايين الشعبية العربية والمسلمة.

بدأ الشعراوي بمقدمة حول التفسير، ثم شرع في تفسير سورة الفاتحة وانتهى عند أواخر سورة الحشر وأوائل سورة الصف، وحالت وفاته دون أن يُفسر القرآن الكريم كاملاً، إلا أن ابنه عبد الرحيم الشعراوي⁷⁸ قال لنا أنه يوجد تسجيلاً صوتياً للشعراوي يحتوي على تفسير جزء عم (الجزء الثلاثون).

وإن التفسير الذي اشتغل عليه هو من مطبوعات دار أخبار اليوم، راجع أصله وخرج أحاديثه أحمد عمر هاشم، طبع بتاريخ 1991م؛ أي قبل وفاته رحمه الله بست سنوات، والأکید أنه اطلع عليه ورضيه تفسيراً، كما اعتمدت على الصوتيات السمعية المسجلة⁷⁹.

فقد كان يلجأ إلى العامية حتى لا يكون بينه وبين المستمعين حائل، «وليتمكن من أن يَحْتَلِبَ العقول اختلاباً، وإذا أضفنا إلى العامية الحركات والسكنات والإشارات ودرجات الصوت، فإنها في النهاية تُثمر "الديماخوجية"؛ أي كَسْب الجماهير العريضة بالدق على الأوتار الحساسة، وليس بمخاطبة العقل أو هداية النفس»⁸⁰.
والتأمل في - تفسير الشعراوي - يجده ملتزماً بمواصفات وأدوات المفسر للقرآن الكريم المعروفة والتي منها: مالك لناصرية علوم اللغة العربية، وعالم بأسباب نزول الآيات ومواطن نزولها، والناسخ والمنسوخ وعلم القراءات؛ وله دراية بقصص الأنبياء وقارئاً

⁷⁸- في لقائي مع ابنه عبد الرحيم في شهر جويلية 2011 بالقاهرة، قال لي أن والده محمد متولي الشعراوي فسّر القرآن الكريم كله، وأن الأجزاء الأخيرة من تفسيره موجودة في إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية.

⁷⁹- أقراص مضغوطة على شكل DVD سمعية وبصرية مع مشاهدة الشعراوي وهو يفسر القرآن الكريم. - تفسير القرآن الكريم، بين القدامى والمحدثين، جمال البناء، دار الشروق، مصر، ط1، 2007، ص

لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسير الصحب الكرام، ومطلعاً على جُلِّ التفاسير السابقة، فهذه الشروط كلها وجدناها في شخص الشعراوي بالإضافة لورعه وزهده ووجه للعرب والمسلمين عامة.

من هنا وجب علينا وصف ما قدمه "تفسيراً قرآنياً"، وأما قوله "خواطر" ف أراد بذلك رحمه الله أن يتّزع عن نفسه العُجب والتجرؤ في فهم وتأويل كتاب الله، وهو عبد مأمور قد يركبه النقص لا طاقة له من الله إلا له.

فهو من أحسن التفاسير لما فيه من قيمة إيمانية وتفاعلية وانتباهية؛ وقد صنفه محمد أمين إبراهيم التندي ضمن قائمة مفسري المدرسة الاجتماعية⁸¹، وذكر أن الشعراوي كثيراً ما يتعرض للنظريات العلمية ليربطها بالقرآن الكريم مبيناً أنه لا تناقض مطلقاً بين القرآن الكريم والحقائق العلمية، لكنه يحذر أن يخضع القرآن الكريم للتفسيرات العلمية دائماً، خاصة النظريات العلمية التي قد تتغير من زمان إلى زمان، وبالترقي العلمي.

فالشعراوي «مجدد ومجتهد في التفسير، كما أن الشيخ ينبذ التقليد ولا يتأثر بالتفسيرات السابقة عليه، ومثله في ذلك مثل العلماء المثقفين المتبحرين في العلم من أمثال الإمام محمد عبده وتلاميذه، وهو عالم مجتهد يسير في طريق الفقهاء السابقين المجددين من أمثال ابن تيمية وابن القيم، وقد يكون تأثره بهم وبغيرهم»⁸².

وإذا نظرنا إلى تفسيره بالتدقيق نجده يتماشى مع الترتيب المصحفي للسور والآيات، ويذكر بعض الأحيان سبب نزول الآية وعلاقتها بما قبلها وبما بعدها، ويسرد الرأي الفقهي من غير أن يدخل في المناقشات الفقهية، كما نلاحظ أنه مُطلع

⁸¹ - نشأت هذه المدرسة من ناحيتها الإصلاحية الاجتماعية في مطلع القرن العشرين مع الإمام محمد عبده وتلاه تلاميذه محمد رشيد رضا. ولقد حدد الذهبي منهجها في التفسير، فقال: "فالذي نحمده لهذه المدرسة: أنها نظرت للقرآن نظرة بعيدة عن التأثير بمذهب من المذاهب، فلم يكن منها ما كان من كثير من المفسرين من التأثير بالمذهب إلى الدرجة التي تجعل القرآن تابعاً لمذهبه، فيؤول القرآن بما يتفق معه، وإن كان تأويلاً متكلفاً وبعيداً... كذلك لم تغتر هذه المدرسة بما اعتر به كثير من المفسرين من الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي كان لها أثر سيء في تفسير القرآن الكريم" ينظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط7، 2000، 401/2.

⁸² - أضواء على خواطر الشعراوي ومنهجه في تفسير القرآن، محمد أمين إبراهيم التندي، مكتبة التراث،

الإسلامي، القاهرة، ط1، 1990، ص 13.

على كم هائل من التفاسير ولهذا جاء تفسيره موضوعي، لأن حاسة الشيخ اللغوية تدفعه إلى مراجعة المفردة القرآنية في مقالاتها المتنوعة في مختلف سور القرآن متى وردت لأول مرة في القرآن، مراجعاً ومدققاً ومبسّطاً لجمهوره بحيث يفهمه المتعلم وغير المتعلم. «وأكبر ما يأسر النفس في تفسير الشعراوي سلاسة الأسلوب في كل اتجاه نحوي أو تشريعي أو فلسفي أو اجتماعي»⁸³.

ولهذا حاول الشعراوي إبراز معجزة القرآن العلمية واللغوية والبلاغية⁸⁴، وأن يُثبت العقيدة في نفوس المؤمنين، ويهتم بالإعجاز البياني للقرآن⁸⁵، والرد على مزاعم المستشرقين، مستعملاً أسلوب الاستفهام والسؤال، عبر حلق وجماعات دائرية في المسجد، يُشرك جمهوره لا على سبيل الامتحان، ولكن لاكتساب الاهتمام والمتابعة التي تظهر على وجوه مستمعيه.

ويعتقد الشعراوي أن أحسن طريقة لتبليغ مقصود كلام الله من الآيات القرآنية هو التعليم المباشر، أي أن الشيخ يلقي درسه مباشرة مع جمهوره ومستمعيه، وعليهم أن يسألوه ويحاوروه، وهو رحمه الله كان يسألهم دوماً ويشاركهم في خطابه، وهذه الطريقة هي من سنن الأولين، فيها التحصيل والوعي والتثقيف، أما وإن يعتكف كل فرد على قراءة كتب التفسير لوحده، فهذا لعمر كبطي المرام، إذ يُشاكله الخلط والنسيان وضرب الكلام مع بعضه، فأحسن طريقة في فهم الشريعة الإسلامية ومقصود الآيات أن تسند رُكبتك إلى شيخ عالم عارف بالأحكام والحدود. فمنهج الشعراوي هو ترسيخ معاني القرآن وتعاليمه في صفوف المصلين والمريدين،

جاعلاً نصب عينيه قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا

⁸³- محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الفسيح، محمد رجب البيومي، مكتبة دار التراث الإسلامي،

القاهرة، ص 1999، ص 70.

⁸⁴- بسط الشعراوي في مؤلفه- معجزة القرآن- عشرة مجلدات، طرح أفكارا تتعلق بالمعجزة، معجزة الرسول(ص)، معجزة الإسراء والمعراج، معجزة الخلق، الأمثال في القرآن، والإعجاز البلاغي والبياني... الخ.

⁸⁵- ينظر، معجزة القرآن، متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، 1993م، 33/1.

نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ⁸⁶، وممثلاً أيضاً قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا

نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا

قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ⁸⁷، فيقدم الآية القرآنية

ثم يليها بسؤال، ثم يعلل ما استطاع إلى ذلك، ويأتي بنظائرها من القرآن لتجميعها كي يفهمها السامع والمتلقي في جو إيماني صافٍ بمنطق متسلسل وبأسلوب بسيط، مازجاً في حديثه بين اللغة العربية واللهجة المصرية، «ولا يكتفي بالحديث بل إن كل جسمه يتحدث، فذراعه ورأسه وجسمه يميل بحيث تسهم هذه الحركات والسكنات في التأثير على سامعيه كما يؤثر الممثل في متفرجيه»⁸⁸، مؤمناً بأن الإصلاح والتذكرة تنفع المؤمنين، ولا صلاح لهذه الأمة إلا بالقرآن الكريم.

1- مصادر التفسير عند الشعراوي:

يجب أن نتفق ابتداءً أن الشعراوي حافظ لكلام الله تعالى ومطلع على كتب الأحاديث النبوية الشريعة، ودارس لمتون العربية سواء ما تعلق بمتون النحو والصرف أو الفقه أو العقيدة أو علم الأصول وغيرها، وفوق كل ذلك فهو شاعر نضج معه قول الشعر⁸⁹. وقد تأثر الشعراوي بالأسلوب الخطابي للشيخ حسن البنا⁹⁰، تأثر به في إمامه بالسيرة النبوية وفي حسن عرضها وكيف كان يستميل السامعين بقوة إقناعه، يقول

⁸⁶- سورة النحل، الآية: 44.

⁸⁷- سورة النحل، الآية: 44.

⁸⁸- تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا، ص157.

⁸⁹- للشعراوي ديوان شعري، جمعه الأستاذ صايم عبد الدايم، جمع فيه كل قصائد وأشعار الشعراوي

منذ طفولته إلى وفاته، مطبوعات الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، 2009.

- حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي ولد بالقاهرة في 14 أكتوبر 1906 وتوفي 12

⁹⁰فبراير 1949م،

مؤسس حركة الإخوان المسلمين سنة 1928م. ينظر: شخصيات لها تاريخ، محمد عمارة، دار السلام،

القاهرة، ط1، 2008، ص201.

الشعراوي: «فكانت تأتيني المعلومة تلو الأخرى فأتركها لثمر، فلا أتعجلها للخروج ولا أستعجل ثمرتها، بل أتركها لتكون مع بقية معارفي نسيجاً متناسقاً، فتكون جديرة بأن تخرج إلى النور بعيداً عن التناقض»⁹¹.

وللشعراوي طريقة خاصة به، فقبل أن يلقي تفسيره يرجع إلى التفاسير المختلفة وينظر ماذا قال أصحابها بدليل ذكره لبعض أراء المفسرين أمثال: جار الله الزمخشري(ت: 538هـ) وفخر الدين الرازي(ت: 606هـ)، والنسفي(ت: 710هـ)، والألوسي(ت: 1270هـ)، وسيد قطب (ت: 1386هـ) وغيرهم، واستعان بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن لفؤاد عبد الباقي (ت: 1388هـ)، والأكيد أنه استعان بالمعجم اللغوية مثل: معجم مختار الصحاح لأبي بكر الرازي، ومعجم لسان العرب لابن منظور، واستأنس أيضاً بالدواوين الشعرية. وتأثر أيضاً بجهود اللغويين أمثال: سيويه(ت: 180هـ)، وابن جني(ت: 392هـ)⁹²، وابن مالك صاحب الألفية (ت: 672هـ)⁹³، كما تأثر بشيخه موسى شريف⁹⁴، وبالشيخ عبد الجليل عيسى (ت: 1981هـ)⁹⁵، وبالأستاذ بمصطفى العقاد(ت: 2005هـ)⁹⁶.

⁹¹ - الشعراوي والسلطة، محمد ثابت السيد، ص 21.

⁹² - تفسير الشعراوي، 3315/6.

⁹³ - يستشهد الشعراوي كثيرا بألفية ابن مالك في النحو، مثل قوله:

بَالْبَا اسْتَعْنِ وَعَدَّ عَوْضُ الصِّقِّ وَمِثْلُ مَعٍ وَمِنْ وَعَنْ بِهَا انْطِقَ.

ينظر: تفسير الشعراوي، 2952/5 و3311/6.

⁹⁴ - وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ هُمْ فَأُولَئِكَ أَلفَايِرُونَ﴾ سورة

النور: الآية 58. ينظر: تفسير الشعراوي، 10309/17.

⁹⁵ - وذلك في تفسير قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ سورة الرعد: الآية: 02. ينظر:

تفسير الشعراوي، 7158 / 2.

⁹⁶ - وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ السجدة: 08. ينظر: تفسير

الشعراوي، 10805 / 16.

كما استعان رحمه الله بالأحاديث النبوية في فهم النص القرآني، واستشهداته بأقوال الصلحاء، وكما يسميهم-أهل الإشراق- وبعد ذلك يجلس وحده ويتفكر في هذه الآيات ليرى ماذا يفيض الله عليه من فتوحات. «فقد سئل الشيخ متى تقرأ؟» فأجاب عندما لا أكون نائماً أو ليس لدي أحد، ولذلك أحبُّ أوقاتي التي عندما أكون بمفردي أقرأ وأنا مستلقي وأنا ماشي وأنا جالس⁹⁷. فهذه المعارف جميعها كانت مادة معرفية جعلت منه عالماً بشرع الله وحدوده، وهو ما أثمر عن "تفسير قرآني" إلى يوم الدين، ومن بين هذه المعارف نجد:

أ- المفسرون:

كثيراً ما نجد الشعراوي يتحدث عن المفسرين ويقول اختلف المفسرون.. أو رأى المفسرون.. وييسط رأيه أخيراً، ومن استشهداته بالمفسرين ما نجد.

• تأثره بالزمخشري صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ

عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ
فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ⁹⁸، يقول الشعراوي: «لأنَّ للعرف في تحديد ألفاظ الشارع مدخلاً، فإذا

حلفت ألا تأكل لحماً وأكلت سمكا فهل تحنث؟ لا تحنث، ويمينك صادقة⁹⁹، وهو ما ذكره الزمخشري في هذه المسألة¹⁰⁰، والحديث مروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «لَوْ حَلَفْتَ أَلَّا تَأْكُلَ اللَّحْمَ وَأَكَلْتَ السَّمَكَ فَاجْمَعْ الْعُلَمَاءَ عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَحْنُثْ فِي يَمِينِكَ»¹⁰¹.

⁹⁷ - من الألف إلى الياء، طارق حبيب، ص 80/79.

⁹⁸ - سورة البقرة، الآية: 173.

⁹⁹ - تفسير الشعراوي، 715/1. وينظر: 9582 /15.

¹⁰⁰ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 359/1.

¹⁰¹ - قال الرسول (ص): قال: "أَحَلَّتْ لِي مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْجَرَادُ وَالْحَوْتُ، وَأَمَّا الدَّمَانُ:

- تأثره بالإمام الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ

الصَّيْحَةَ¹⁰²، وهم قوم نوح وفرعون، وهذه وسائل أربع لإهلاك المكذبين،

النار في الحصباء، والهواء في الصيحة، والتراب في الخسف، ثم الماء في الإغراق. ورحم الله الفخر الرازي حين قال هذه الآية «جمعت العناصر التي بها وجود الإنسان والعناصر الأساسية أربعة: الماء والنار والتراب والهواء»¹⁰³، والمعنى نفسه في التفسير الكبير¹⁰⁴.

- تأثره بالإمام النسفي¹⁰⁵ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا

كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا¹⁰⁶، يقول الشعراوي: «قرية كذا

سيحدث لها كذا، وقد جاء الواقع على وفق ما قال، إلى أن ذكر "مصر" وقال عنها كلاماً طويلاً أظن أنه يُمثّل ما أصاب مصر منذ سنة 1952م، وكان مما قال

فَالطَّحَالُ وَالْكَبِدُ"، حديث صحيح أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب: الكبد والطحال، (1102/2)، رقم (3314).

¹⁰² - سورة العنكبوت، الآية: 40.

¹⁰³ - تفسير الشعراوي، 11167/19. وينظر: 7728 /13. وينظر: 7731/13.

- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1،¹⁰⁴ 1981، 68/25.

- فقد جاء هذا القول في تفسير النسفي: ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبي البركات عبد الله¹⁰⁵ بن محمود النسفي، تحقيق: سيد زكريا، مكتبة مصطفى الباز، (د،ت)، 318/2، وساق ما قاله بن أحمد الشيخ الشعراوي بنصه.

¹⁰⁶ - سورة الإسراء، الآية: 58.

عنها: ويدخل مصر رجل من جهينة فويل لأهلها، وويل لأهل الشام، وويل لأهل أفريقيا، وويل لأهل الرملة، ولا يدخل بيت المقدس»¹⁰⁷.

• تأثره بالإمام الألويسي في تفسير قوله تعالى ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾

رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ¹⁰⁸. يقول الشعراوي: «لم يقل الله

"سَأَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي" وهذا يدل على أن الكبار يحتاجون لوقت أكبر من وقت الشباب؛ لذلك أجل "يعقوب" عليه السلام الاستغفار لما بعد¹⁰⁹، وهو موافق لما ذكره الشيخ الألويسي في تفسيره، ذلك لأن مطلوبات البر من الأخ لأخوته غير مطلوبات البر من ابن لأبيه؛ ولأن الأخ ليس له نفس حق الأب؛ لذلك يكون غضب الأب أشد من غضب الأخ¹¹⁰.

كما استفاد الشعراوي كثيراً بتفسير الإمام القرطبي (ت: 671هـ)¹¹¹، وابن كثير (774هـ)¹¹²، والسيوطي (911هـ)¹¹³... وغيرهم كثير.

ب- المعاجم العربية:

ككل مشتغل بتفسير كلام الله والمفسر له يجب أن يستأنس بالمعاجم العربية، ونجد الشعراوي سلك المسلك نفسه، حيث اعتمد معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن

¹⁰⁷ - تفسير الشعراوي، 8634/14.

¹⁰⁸ - سورة يوسف، الآية: 98.

¹⁰⁹ - تفسير الشعراوي، 7074/12.

¹¹⁰ - ينظر: روح المعاني، محمود شكري الألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د، ت)، 56/13.

¹¹¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 3322/5.

¹¹² - ينظر: التفسير العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، 2، 1999، 313/8.

¹¹³ - الدرر المنتور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر، المهندسين، مصر، ط1، 2003، 132/5.

فارس(ت: 395هـ)، وعلى معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني
(ت: 502هـ)، ومعجم لسان العرب لابن منظور(ت: 711هـ)...

﴿وَالَّذِينَ﴾

• أيضا استشهد بمعجم مقاييس اللغة في تفسير قوله تعالى

يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ

أَعْيُنٍ ﴿١١٤﴾، (قُرَّة) تأتي بمعنى اللزوم والثبات من قَرَّ في المكان يعني: لزمه

وثبت فيه، وتأني بمعنى السرور؛ والقُرُّ يعني أيضاً: شدة البرودة¹¹⁵.

وفي (مقاييس اللغة) مادة قر: القاف والراء أصلان صحيحان، يدلُّ أحدهما على برد،
والآخر على تمكُّن. فالأوَّل القُرُّ وهو البرد، ويومٌ قارٌّ وقَرٌّ¹¹⁶.

• كما استشهد بمعجم ألفاظ القرآن الكريم في تفسير قوله تعالى:

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾¹¹⁷، يقول الشعراوي: «احتنك الجراد الزرع؛

أي: أتى عليه كله واستأصله، والآخر: بمعنى القهر على التصرف، مأخوذ من
اللجام الذي يوضع في حنك الفرس، ويسمونه (الحنكة) وبها تستطيع أن تُوجِّه
الفرس يمينا أو يسارا أو تُوقفه¹¹⁸»، ونفس التعريف ذكر في مختار الصحاح
فمادة (ح ن ك): حنك الفرس جعل في فيه الرّسن ، وبابه نصّر وضرب وكذا
احتنكهُ واحتنك الجراد الأرض أكل ما عليها، وأتى على نبتها وقوله تعالى حاكياً
عن إبليس {لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ}، قال الفراء: لأستولين عليهم¹¹⁹.

¹¹⁴ - سورة الفرقان، الآية: 74.

¹¹⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 10521/17.

- ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة، مصر، ¹¹⁶

.70 /5

¹¹⁷ - سورة الإسراء، الآية: 62.

¹¹⁸ - تفسير الشعراوي، 8661 /14.

¹¹⁹ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، دار النشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، 147/1.

- كما استفاد الشعراوي من معجم لسان العرب، وهذا ما لمسناه في تعريف

للمفردات القرآنية، مثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ﴾

﴿وَجُوهًا﴾¹²⁰، يقول الشعراوي: «ومعنى الطمس هنا: إخفاء معالم تلك

الوجوه؛ فتكون قطعة واحدة بلا جبهة أو حواجب أو عينين أو أنف أو شفاه أو ذقن؛ إذن: فالطمس هو إهلاك الصورة التي بها الشيء»¹²¹، وهو نفس الكلام الذي ذهب إليه ابن منظور إلى أن طَمَسَ الطريقُ وطَسَمَ يَطْمِسُ وَيَطْمُسُ طُمُوسًا: دَرَسَ وَاَمَحَى أَثْرَهُ؛ وتَأْوِيلَ طَمَسِ الشَّيْءِ: ذَهَابُهُ عَنْ صُورَتِهِ ، وفي الآية: أَي نَجَعَلَ وَجُوهَهُمْ كَأَقْفَانِهِمْ¹²².

- كما تأثر بمحمد فؤاد عبد الباقي في طريقة رسم المصاحف، وأثناء تفسير قوله

تعالى: ﴿لِيَتَمَتَّعُوا﴾¹²³، فنجد تحت اللام كسرة مع أنها ساكنة، وهذا يعني أن

كتاب الله غالب وليس هناك محصٍ له¹²⁴، ويذكر الشعراوي أن الشيخ عبد الباقي أعدَّ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وحاول أن يُحصي ألفاظه لا سيما لفظ الجلالة (الله) الذي من أجله أعدَّ هذا الكتاب، ومع ذلك نسي لفظ الجلالة في

البسملة، وبدأ من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹²⁵

لذلك نقص العدد عنده واحداً، وما ذلك إلا لأن كتاب الله أعظم وأكبر من أن يُحاط به¹²⁶.

¹²⁰ - سورة النساء، الآية: 47.

¹²¹ - تفسير الشعراوي، 4/ 2286-2287.

¹²² - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ، 29/ 2703.

¹²³ - سورة العنكبوت، الآية: 66.

¹²⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 19/ 11269.

¹²⁵ - سورة الفاتحة، الآية: 02.

¹²⁶ - ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، 1945،

ج- الأحاديث النبوية:

جاءت الأحاديث لتوضيح بعض ما جمَّله القرآن الكريم من تشريع، باعتبار أن السنة النبوية مُكمِّلة للقرآن الكريم؛ فالحديث الشريف يأتي في المقام الثاني بعد إيراد الآيات القرآنية التي تُخدم المعنى والموضوع، وهو حجة لا يجب إغفالها لدى المفسرين. وقد ظهرت عناية الشعراوي بالحديث في تفسيره، بل جعله ركيزة في علم التفسير، وكان يحشد الأحاديث المتشابهة في الموضوع الواحد، إذا كان الأمر يمثل مقصداً عاماً من مقاصد الشريعة، أو ملمحاً عاماً من ملامحها، ففي تفسير قوله تعالى:

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾¹²⁷،

ذكر الشعراوي أن الحق سبحانه لا يغلق باب التوبة أمام العاصي، حتى المصير على المعصية¹²⁸، وأورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال: "اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ"¹²⁹.

وقد أورد الشعراوي شواهد كثيرة من الأحاديث ما تعلق ذلك بالحديث القدسي أو بالحديث الصحيح¹³¹، أو بالحديث الضعيف، أو كاعتماده على مسند الإمام

¹²⁷- سورة هود، الآية: 90.

¹²⁸- ينظر: تفسير الشعراوي، 6625/11.

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربية، كتاب، 1955، القاهرة، مصر، التوبة، رقم: 93/8 7061، وجاء في البخاري: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ أَخْبَرَنَا حَبَّانُ حَدَّثَنَا هَمَّامٌ حَدَّثَنَا قَتَادَةُ حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ". ينظر: صحيح البخاري، إسماعيل البخاري، لكتاب الدعوات، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2002، رقم: 6309، 84/8.

¹³⁰- ينظر: تفسير الشعراوي، 6626/11.

¹³¹- المصدر نفسه، 6625/11.

أحمد(ت: 241هـ)¹³²، أو صحيح مسلم(ت: 261هـ)¹³³، أمسنن الترمذي (ت: 279هـ)¹³⁴... وغيرهم.

د- الشعر العربي:

يعد الشاهد الشعري من أبرز الشواهد التي استعان بها المفسرون في مجال ضبط المعنى والدلالة، وليس أدل على ذلك من حضورها في تفسير ابن عباس رضي الله عنه، وكذلك أغلب المفسرين كالطبري والزمخشري وأبوحيان... وتأني الاستشهادات الشعرية في المقام الثالث عند الشعراوي، سواء ما تعلق بالشعر العربي القديم أو الحديث، أو في المدح أو الهجاء. «فالشعر ديوان العرب، وبه حُفظت الأنساب وعُرفت المآثر، ومنه تُعلمت اللغة، وهو حُجة فيما أشكَل من غريب كتاب الله جل ثناؤه وغريب حديث رسول الله وحديث صحابته والتابعين»¹³⁵.

وقد ألح الطاهر ابن عاشور على اعتماد الشعر العربي في إيضاح المعاني واقناع السامع، فقال: «إنه لم يكن غني للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية ببيت من الشعر، أو بشيء من كلام العرب، لتكميل ما عنده من الذوق عند خفاء المعنى وإقناع السامع والمتعلم اللذين لم يكمل لهما الذوق في المشكلات»¹³⁶.

وما استشهد به الشعراوي في تفسيره، شعر أبي العتاهية (ت: وفاته 213 هـ)، وشعر النابغة الذبياني (ولد سنة 230 قبل الهجرة)، وشعر المتنبي¹³⁷ (ت: 354 هـ)، وشعر أبي العلاء المعري (ت: 449 هـ)، وشعر امرئ القيس (ت: 540 م)، ومن المعاصرين:

¹³² - المصدر نفسه، 7956/13.

¹³³ - المصدر نفسه، 8822/14.

¹³⁴ - المصدر السابق، 8880/14.

- الصاحبى في فقه اللغة، ابن فارس، تعليق، أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 212.

- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 21/1.¹³⁶

¹³⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 10712/17.

إسماعيل صبري (ت: 1923م)، وأحمد شوقي¹³⁸ (ت: 14 أكتوبر 1932)، وحافظ إبراهيم (ت: 1932م)... والقائمة طويلة.

يقول محمد عبد المنعم خفاجي: «كُنَّا فِي مَعْهَدِ الزَّقَازِيقِ طَالِبِينَ مَعًا، مَذَاكَرْنَا وَسَهْرَاتِنَا وَنَدَوَاتِنَا مَعًا، وَمِيُولْنَا وَمِشَارِبْنَا السِّيَاسِيَّةَ وَالْعِلْمِيَّةَ وَالْأَزْهَرِيَّةَ وَاحِدَةً، وَانْتِمَاءَاتِنَا لِمَدْرَسَةِ شَوْقِي وَحَافِظِ انْتِمَاءَاتِ مَشْرُوكَةٍ، وَقِرَاءَاتِنَا لِشَعْرِ الدِّيَوَانِيِّينَ وَالْأَبُولِيِّينَ وَالْمَهْجَرِيِّينَ، وَلِلْمَجَلَّاتِ الْأَدْبِيَّةِ الْكَبِيرَةِ مِثْلِ السِّيَاسَةِ الْأَسْبُوعِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْعَصُورِ وَالْمَقْتَطَفِ وَالْمُهَلَّلِ، بَلْ وَلِلصَّحْفِ اليَوْمِيَّةِ وَبِخَاصَّةِ صَحْفِ الْوَفْدِ كَالْجِهَادِ وَالْبَلَاحِ وَغَيْرِهِمَا»¹³⁹.

وما لامسناه أنَّ الشعراوي يُورد الأبيات الشعرية بدون أن يُخبر من قائلها، أو في أي ديوان شعري موجودة، وهذا نهجه رحمه الله في الاقتباسات والاستدلالات النحوية والشعرية، وسار به هذا الخطة في كامل التفسير، ومما استشهد به في

الشعر¹⁴⁰ بيت لأبي العتاهية أثناء تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾

فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ¹⁴¹.

يقول الشاعر¹⁴²:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ

ويقول الشاعر¹⁴³:

¹³⁸ - المصدر السابق، 9908/16.

¹³⁹ - الشيخ الشعراوي شاعراً، محمد عبد المنعم خفاجي، مجلة الأهرام، العدد: 741، 1998/6/23، ص

52.

¹⁴⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4547/08.

¹⁴¹ - سورة الأعراف، الآية: 204.

¹⁴² - ديوان أبو العتاهية، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1986، ص 120.

- أبو محمد، عمارة بن علي بن زيدان الحكمي المذحجي، الشاعر، صاحب "الديوان" المشهور، ولد

¹⁴³ سنة

لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَدْتُو لِي فَأَنْظِمِهَا عَقُودَ مَدْحٍ فَلَا أَرْضَى لَهُ كَلْمِي

كما يستدل بـ "الفند الزماني" ¹⁴⁴ في تفسير قوله ¹⁴⁵: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ

لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ¹⁴⁶.

يقول الشاعر ¹⁴⁷:

صَفَحْنَا عَنْ بَنِي ذُهَلٍ وَقُلْنَا الْقَوْمُ إِخْوَانُ عَسَى الْأَيَّامُ أَنْ يَرْجِعَنَّ قَوْمًا
كَالَّذِي كَانُوا فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ مَشِينًا مَشِيَّةً
الليثُ غدا والليثُ غضبانُ بضربٍ فيه توهينٌ وتخضيعٌ وإقرانُ
وطعنٍ كَفَمِ الزَّقِّ غَدَاً وَالزَّقِّ مَلَانُ وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِينَ لَا
يُنْجِيكَ إِحْسَانُ وَبَعْضُ الْحَلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

كما استشهد بأبيات شعرية ¹⁴⁸ من دون ذكر قائلها وذلك في تفسير قوله

تعالى: ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَآ

كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾ ¹⁴⁹. قال الشاعر ¹⁵⁰:

خمس عشرة وخمسمائة وتفقه بزبيد مدة، وحج سنة تسع وأربعين، ونفذه أمير مكة قاسم بن فليته رسولا

إلى الفائز بمصر، فامتدحه بهذه الأبيات. ينظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،

مؤسسة الرسالة، 2001، 593/20.

¹⁴⁴- اسمه شهل بن شيبان، شاعر جاهلي من أهل اليمامة، سمي الفند لعظم خلفته، تشببها بفند الجبل،

وهوز القطعة منه، توفي نحو 70 قبل الهجرة. ينظر: الأعلام، للزركلي، 179/2.

¹⁴⁵- ينظر: تفسير الشعراوي: 13/ 7771.

¹⁴⁶- سورة الحجر، الآية: 88.

- ينظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد ¹⁴⁷

هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1997، 451/1.

¹⁴⁸- ينظر: تفسير الشعراوي، 16/ 10107.

¹⁴⁹- سورة القصص، الآية: 75.

زَعَمَ النَجْمُ والطَّيِّبُ كلاهما لا تُبَعَثُ الأَجْسَادُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا

كذلك وظف أشعاراً معاصرة، مثل قول الشاعر إسماعيل صبري¹⁵¹:

وَلَمَّا التَّقِينَا قَرَّبَ الشَّوْقُ جَهْدَهُ خَلِيلَيْنِ ذَابَا لَوْعَةً وَعِتَابًا
كَأَنَّ خَلِيلًا فِي خِلَالِ خَلِيلِهِ تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا

152

كما أورد قصصاً من التراث العربي يقوي بها طروحاته التفسيرية¹⁵³، ويستشهد بأهل الكرامات أو كما يسميهم "أهل الإشراق" أو "أهل المعرفة"¹⁵⁴ كرابعة العدوية¹⁵⁵، وابن عربي مثلاً.

2- منهج ية الشعراوي في التفسير القرآني:

ظل الشعراوي يقرأ ويُحقق ويدرس ويفكر ويستوعب ويُحلل قبل أن يخرج إلى الناس وينقل إليهم عصارة فكره، وقد مكث خمسين عاماً من الجهد المستمر في الدراسة قبل أن يأخذ مكانه وسط المسلمين، وتصيح له هذه الجاذبية المثيرة التي تجعل مستمعيه يطربون ويهتزون نشوة وانتعاشاً، وهو يَعْرِفُ بفكره وعلمه من كنوز

وَقَالَ- الأبيات منسوبة إلى الإمام كرم الله وجهه، أوردها الطاهر ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: ﴿

العنكبوت، حَطَبِيئُهُمْ مِنْ يَحْمَلِينَ هُمْ وَمَا حَطَبِيئِكُمْ وَلَنْحَمِلَ سَبِيلَنَا آتَّبِعُوا ءَامَنُوا لِلَّذِينَ كَفَرُوا الَّذِينَ

الآية:12. ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، 219/20.
- ولد الشاعر إسماعيل صبري في 1854-1923م بالقاهرة و أكمل دراسته فيها حيث درس في¹⁵¹
المدرسة

التجهيزية ثم سافر إلى فرنسا، وبعد أن نال الإجازة في الحقوق في 1879م وعاد إلى مصر وعمل في القضاء في وزارة العدل(الحقانية)، وفي 1896 عين محافظاً للإسكندرية ثم عاد بعد ذلك إلى عمله في القضاء، واعتزل أخيراً المناصب الحكومية في 1907 وهو في سن الستين كي يزاوّل النشاطات الأدبية، مال في أواخر حياته إلى الزهد ونظم الأشعار الزهدية حتى توفي في القاهرة. ينظر: في الأدب الحديث،

عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2000، 319/2.

152- ينظر: تفسير الشعراوي، 10426/17.

153- المصدر نفسه، 4666/08 و7646/12 و9561/15.

154- المصدر نفسه، 9033/15.

155- المصدر نفسه، 8822/14.

الخالق، يملأ عقولهم وقلوبهم وأفئدتهم بهدي القرآن الكريم، فهو في تفسيره يتوخى صميم القول ولب المعنى القرآني العدل، الذي يسطع نوره سطوعاً، فيُبهر المنصتين الذين لا يملكون إزاءه إلاَّ اهتافاً بالتكبير المتوالي، وما عهد الناس في عصرنا هذا من مُتصد لتفسير كتاب الله ينال هذا القدر من الإعجاب، أو يثير تلك النشوة الفكرية الدينية التي تبدو واضحة على وجوه المريدين، وتنبض بها جوانحهم، إنَّها اصطفايات الله الذي يضيفه على من أحسن إبلاغ بلاغة أو أحسن تبيان بيان.

فقد أسر قلوب المستمعين بصوته الندي وتحليله الجلي، قال عنه أحمد بمجت: «يصعد من أسلوب الاقتراب اللغوي إلى المعنى الذي تضمه العبارة، ثم يبدأ صُعوده من المعاني حتى ينتهي إلى ذروة جديدة، واعترف أنني أحس بخشوع وأنا استمع إليه، وقد فوجئت بهذه الجواهر الروحية التي يكشفها حديثه كما مضى فيه، ويتحدث الشيخ بأسلوب قديم ومعاصر معاً، فهو يتكلم في رواق مثلما كان العلماء القدامى يفعلون، وهو يتحدث إلى جمهوره ليحس بالصلة الحية بينه وبين جمهوره، وهذا الأسلوب القديم الحديث يُغني عن كثير من الجهد بالنسبة للمتعلم، ولكنه يضع على كاهل الأستاذ صعوبته إلى أن الشيخ يقوم به بيسر»¹⁵⁶.

والشعراوي يعتمد على منهجية واضحة، لعنا نلخصها في ما يلي:
أ- يعتمد على الأسلوب الاستقرائي؛ فلقد قرأ للكثير من الكتاب والأدباء، قرأ لظه حسين "حديث الأربعاء"، وقرأ لنجيب محفوظ، وقرأ لتوفيق الحكيم ويوسف إدريس، ولجميع الأدباء القريين والبعيد من منطلق أنه يجب أن يعرف الداء ليعالجه، وكان يحتفظ بمكتبة تجمع بين المتناقضات لأنَّه - كما يقول - أعيش مع المتناقضات لأنَّهما لا ينفكان - هذا هو الشيخ كان أعجوبة زمانه.

وبعد عملية النظر والتفكير والتحليل والاستنباط من كلام الله، يقوم الشعراوي بتسلسل الأفكار وفق نظام متزن، فيبدأ بأبسط الأمور ويتدرج فيها حتى يصل إلى ما يريد، فغالباً ما يبدأ باللغة العامية وينتهي بها في جمل أكثر تركيباً في منظومة كلامية

¹⁵⁶ - عالم عصره في عيون معاصريه، محمد يس جزر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، (د،ت)، ص 33-

رشيقة تنير الفكر وترضي الوجدان، ويلاحظ أن تفسيره قد أوجد فيه ملامح متجددة ضمت العلوم الحديثة وحلولاً لمشكلات المجتمع، كما ضم تفسيره الدفاع عن الإسلام ضد الشبهات التي أثارها علماء الغرب، وإن كان أهم ما يميز تفسيره الاهتمام باللغة وتفسير القرآن بالقرآن، والاهتمام بالآيات التي تمس العقيدة.

ب- كذلك يعتمد على البراهين العقلية في إثبات أمور العقائد؛ مثلما جاء في إثبات

وجود الله عقلاً ونقلاً في تفسير قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِمْ وَيَقُولُونَ
نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ

سَبِيلًا¹⁵⁷، يثبت الشعراوي أن الكفر دليل على وجود الله، فيقول: «نحن نعلم

أن "كفر" معناها "ستر". والستر - كما نعلم - يقتضي شيئاً تستره، والشيء الذي يتم ستره موجود قبل الستر لا بعد الستر، والذي يكفر بوجود الله هو من يستر وجود الله؛ فكأن وجود الله قد سبق الكفر به؛ إذن: فكلمة الكفر بالله دليل على وجود الله، ونقول للكافر: ماذا سترت بكُفرك؟ وستكون إجابته هي: "الله"؛ أي أنه آمن بالله أولاً¹⁵⁸.

وهكذا نجد أن العقل يدرك ويختار السلوك الملائم لكل موقف، بل إن العقل يدعو الإنسان إلى الإيمان حتى في مرحلة ما قبل التكليف، فحين يتأمل الإنسان بعقله هذا الكون لا بُدَّ أن يقوده التأمل إلى الاعتراف بجميل صنيع الخالق سبحانه وتعالى.

ت- يحاول الشيخ أن يربط بين الآيات التي تتحدث عن الموحدين في القرآن كله، ويتخذ منهج "تفسير القرآن بالقرآن" منهجاً، وهو منهج أغلب المفسرين، مثلما

¹⁵⁷ - سورة النساء، الآية: 150.

¹⁵⁸ - تفسير الشعراوي، 2769/05.

ذكر ابن كثير فقال: «والقرآن يُفسر بعضه بعضاً ، وهذا أولى ما يفسر به ، ثم الأحاديث الصحيحة، ثم الآثار»¹⁵⁹.

ومن ثم فهو يرى أن القرآن كله وحدة لا تتجزأ وكل لا يتبعض، وأن الأصل في ه أنه مبني على الوصل لا على الفصل، وأن القصة القرآنية تُقسم على فصول متعددة في سورة مختلفة، تظهر كل سورة جزءاً معيناً بالتفصيل مع ما يتناسب مع جو السورة

العام، مثل قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا

فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾¹⁶⁰،

فقد أجمال الشعراوي كل الآيات التي تتحدث عن الخلق في مواضيعها المختلفة وفي سورها المختلفة.

فالله ذكر لنا غيب الخلق في القرآن الكريم فقال جل جلاله أنه خلق الإنسان من

تراب ومن طين ومن حمأ مسنون ثم نفخ فيه من روحه¹⁶¹، وقول الحق: ﴿يَأْتِيهَا

النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ

مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ

مُخَلَّقَةٍ﴾¹⁶²، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ

طِينٍ﴾¹⁶³، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾¹⁶⁴، وقوله

¹⁵⁹ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 477/17.

¹⁶⁰ - سورة البقرة، الآية: 28.

¹⁶¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 225/1.

¹⁶² - سورة الحج، الآية: 5.

¹⁶³ - سورة المؤمنون، الآية: 12.

¹⁶⁴ - سورة الصافات، الآية: 11.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾¹⁶⁵،

وقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

166 ﴿

ث- اهتمامه بأسباب التزول واختيار أصح المرويات وأقوى الأسانيد مثل قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾¹⁶⁷، وهذه الآية

نزلت في الأحنس ابن شريق الثقفي، واسمه أبي ولقب بالأحنس لأنه خنس ورجع يوم بدر، فلم يقاتل المسلمين مع قريش واعتذر لهم بأن العير قد نجت من المسلمين وعادت إليهم، وكان ساعة يقابل رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر إسلامه ويلين القول للرسول ويدعي أنه يجبه، ولكنه بعد أن خرج من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، مرّ بزرع وحُمُر لقوم من المسلمين فأحرق الزرع وقتل الحمر، والآية وإن نزلت في الأحنس فهي تشمل كل مُناقق¹⁶⁸، وقد جاء هذا التفسير موافقاً لما ذكره الطبري وابن كثير¹⁷⁰، والقرطبي¹⁷¹.

ج- كما كان للتفسير بالمأثور- أي الرجوع للآثار وأقوال السلف- نصيب من الاستشهاد، وقد أطال فيه الشعراوي، كما فعل الطبري وابن كثير بذكر أقوال

المتقدمين في أكثر المواضع، نجد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾

165- سورة الحجر، الآية: 26

166- سورة ص، الآية: 72.

167- سورة البقرة، الآية: 204.

168- ينظر: تفسير الشعراوي، 865/1.

- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 581/3، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،¹⁶⁹

381/3. وينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 561/1.

170- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 129/6.

171- ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 133/2.

إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ^ط حَتَّى^آ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ
وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ^ج مِّنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ
الْدُنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ^{هـ} ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ
لِيَبْتَلِيَكُمْ^ط وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ^ط وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَيَّ

الْمُؤْمِنِينَ¹⁷²، حيث استشهد بقول ابن مسعود رضي الله عنه، يقول

الشعراوي: «جماعة قالت: نزل كما أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم،
وجماعة قالت نذهب إلى الغنائم، وقالت جماعة: لتمسك بمواقعنا؛ إذن فالذي أراد
مواصلة القتال إنما يريد الآخرة ولم تلهه الغنائم، والقسم الذي أراد الدنيا قال: نذهب
إلى الغنائم، وفي هذه المسألة قال ابن مسعود رضي الله عنه: والله ما كنت أعلم أن
أحداً من صحابة رسول الله يريد الدنيا حتى نزل فينا ما نزل يوم أحد»¹⁷³.
ح- كان الشيخ الشعراوي داعياً مشغولاً بدعوة الإسلام، فم ن واجباته أن يعرف
ويهتم بمسائل الفقه والأحكام الشرعية، ولأن المسلمين يسألون كثيراً عن أمور دينهم،
فقد قدّم الشعراوي تفسيراً للمجتمع الإسلامي في عمومته، فيجب أن يلاحظ مسائل
الفقه فيه، ولكن مع كونه فقيهاً متميزاً لم يذكر مواطن خلاف العلماء في هذا
الموضع، فإذا جاء إلى المسألة الفقهية وأبان رأيه وقدم ما يعتقده صحيحاً، فإذا سأله
الناس عن مسألة في الفقه أجاب الشعراوي بمذهبه دون ذكر الأقوال الأخرى فيه

من أمثلة ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ

جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً

¹⁷² - سورة آل عمران، الآية: 152.

¹⁷³ - تفسير الشعراوي، 3/1819.

فَتَيْمُّوا صَعِيدًا طَيِّبًا¹⁷⁴ ، فقد أجاب الشعراوي في مسألة التيمم

فقال: «فإن كان الإنسان مريضاً لا يقدر على استعمال الماء، أو كان على سفر ولا يجد الماء؛ أو جاء أحد من الغائط؛ أي من قضاء الحاجة في مكان غويط وهو الوطء المنخفض من الأرض.. وحتى بعد ملامسة النساء ، إن لم يجد الإنسان بعدها ماء فالتيمم هو البديل، وإياكم أن تقولوا إن الماء هو الوسيلة الوحيدة للتطهر، فقد جعل للماء أيضاً خليفة وهو التراب ، والتراب أوسع دائرة من الماء، فكأنه سبحانه يريد أن يديم علينا نعمة البقاء به، ولكي يديم علينا نعمة اللقاء به جعل للماء -الذي يكون محصوراً- خليفة وهو التراب وهو غير محصور.. فاللمس لا يقتضي المفاعلة، أما الملامسة فتقتضي المفاعلة، واقتضاء المفاعلة ينقل المسألة من مجرد اللمس إلى معنى آخر هو الجماع»¹⁷⁵.

فقد أظهر رأيه في مسألة لمس المرأة، ثم أقرّ وجود الاختلاف فيه مع الإبعاد عن هذا الخلاف، ونعرف أن الشعراوي أشار ميله إلى المذهب الشافعي؛ أي ببطلان الوضوء بلمس المرأة في أي حال، أما الحنفية فذهبوا إلى معنى الجماع، وذهب المالكية والحنابلة إلى لمس المرأة بشرط وجود الشهوة¹⁷⁶.

خ- ضرب الأمثلة المحسوسة والتنبيهات التي تقرب المعنى البعيد؛ فهو كثير الإفادة من كل شي وذلك لا يكون إلا بالتأمل والتدقيق، وقد أفادت هذه الصفة الشعراوي في تفسيره، فهو يربط النص القرآني بشؤون الحياة ويضرب الأمثلة من الواقع مما يدل على اتساع تجربته الحياتية وخبرته الاجتماعية.

د- الجمع بين التفسير بالرأي والتفسير بالمأثور؛ فيورد الآيات والأحاديث وأقوال الصحابة والتابعين وسلف الأمة؛ بمنهج معتدل وسطي فلا تعصب ولا تطرف ولا غموض في الدين، مما جعل دروسه مادة طيبة في التربية والسلوك الاجتماعي، وهذا التوجه استمدته من منطق القرآن الذي يدعو إلى الوسطية، ويرى أن المتبع للمنهج

¹⁷⁴ - سورة المائدة، الآية: 6.

¹⁷⁵ - تفسير الشعراوي، 2960/5.

¹⁷⁶ - ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط3، 1989، 222/1.

القرآني يجده يُقدّم لنا الأقوم والأعدل والأوسط في كل شيء؛ في العقائد وفي الأحكام وفي القصص؛ ففي العقائد مثلاً جاء الإسلام ليحابه مجتمعاً متناقضاً بين مَنْ يُنكر وجود إله في الكون، وبين مَنْ يقول بتعدد الآلهة، فجاء الإسلام وَسَطاً بين الطرفين، جاء بالأقوم في هذه المسألة، جاء ليقول بإله واحد لا شريك له، فإذا ما تحدّث عن صفات هذا الإله سبحانه اختار أيضاً ما هو أقوم وأوسط¹⁷⁷.

ذ- يستعمل الشعراوي المنطق والفلسفة والقياس فيما استعمله الأقدمون، وكان يمضي في استنتاجها إلى نهايتها مادام مطمئناً إلى وسائله ومقدماته؛ وما صيحات الاستحسان المتكررة التي تنطلق من أفواه المصلين الله! الله! لدليل على إقناعهم واقتناعهم، «فالعقل حين يُقنّع يسكتُ أو على حد التعبير الصحيح يُفحم، أما أن يصل الإقناع إلى حد انطلاق كلمة الله من الأفواه فذلك شيء لم نعرفه إلاّ في لقاءات الإمام من المؤمنين»¹⁷⁸.

ر- يعتمد على احترام حدود القرآن، ويتعامل مع الواقع بعقل منفتح ، وربط التفسير بمفاهيم العصر والتصدي للقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تشغل ذهن المجتمع في وقته الحاضر ، وعندما سُئل الشعراوي هل الدعوة الإسلامية تحتاج إلى الأديب الداعية أم الداعية الأديب؟ أجاب فضيلته: «الدعوة الإسلامية تحتاج إلى الداعية الأديب؛ لأنّه يميل الناس إلى الدعوة، ويستحسن عرض المطلوب الديني بالأدب المستميل المطرب، والمعجب المقنع والممتع»¹⁷⁹.

ز- ما يمتاز به الشعراوي في منهجه، حسن العرض الذي يدل على قدرته الفائقة في

إقناع القارئ والسّامع مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَىٰ

¹⁷⁷ - ينظر تفسير الشعراوي، 8381/14.

- الأهمية التاريخية للشعراوي، عبد العظيم رمضان، جريدة الأهرام ، القاهرة، العدد: 125، ¹⁷⁸

يونيو 1998، ص122.

¹⁷⁹ - حوار مع الشعراوي، عبد العاطي العالي، مجلة الأدب الإسلامي، القاهرة، العدد: 1، 1996، ص 62.

الْكِتَابِ¹⁸⁰، ونحن إذا سمعنا بكلمة "ثُمَّ" نعلم أنّها من حروف العطف وإيتاء

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ موسى الكتاب كان قبل أن يأتي قوله:

عَلَيْكُمْ¹⁸¹، فالتوراة جاءت ثم الإنجيل، ثم القرآن ككتاب خاتم، فوظيفة "ثُمَّ"

لترتيب أفعال وأحداث، وهنا جاءت لترتيب أخبار؛ إذن فأنت تقوم بترتيب أخبار وتتصاعد فيها، وترقى.

ولذلك قال الشاعر العربي¹⁸²:

قُلْ لِمَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ.

فالسيادة جاءت أولاً للجد، ثم للأب، ثم انتقلت للابن، و"ثُمَّ" في هذه الحالة ليست لترتيب الأحداث، وإنما جاءت لترتيب الإخباري¹⁸³.

فمنهجية الشعراوي تقوم على التبسيط والوضوح والاستدلال، ثم العرض الأدبي السهل الخال من التعقيد، والمُشيد بالشاهد الشعري الذي جاء ليؤكد مضمون ما يريد دون تكلف.

س- مزج النَّصِّ المفسر بالفكاهة وروح المرح، فأسلوبه يشع خفة وحركة بما يذكره

في ثنايا موضوعه من النوادر والحكايات مثل تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا

تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾¹⁸⁴، يقول الشعراوي: «واللغة ظاهرة اجتماعية، بمعنى أن

الإنسان يحتاج للغة؛ لأنّه في مجتمع يريد أن يتفاهم معه ليعطيه ما عنده من أفكار

¹⁸⁰ - سورة الأنعام، الآية: 154.

¹⁸¹ - سورة الأنعام، الآية: 151.

¹⁸² - البيت للشاعر: أبي نواس الحسن بن هانئ، وهو من سبعة أبيات مدح بها العباس بن عبيد الله بن

أبي جعفر، وهو عم هارون الرشيد، ينظر: ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق، بهجة الحديثي، دار

الرسالة، بغداد، 1980، ص 380.

¹⁸³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 7/ 4004.

¹⁸⁴ - سورة الإسراء، الآية: 44.

ويسمع ما عنده من أفكار، فقد يتكلم العربي بنفس لغتك ولا تفهم عنه ما يقول كما حدث مع أبي علقمة النحوي¹⁸⁵، وكان يتقعر في كلامه ويأتي بألفاظ شاذة غير مشتهرة، وقد أتعب بذلك مَنْ حوله، وخاصة غلامه الذي ضاق به ذرعاً لكثرة ما سمع منه من هذا التقعر. ويُروى أنه في ذات ليلة قال أبو علقمة لغلامه: (أصقعت العتاريف)؟ فردّ عليه الغلام قائلاً: (زققيلم)، وكانت المرة الأولى التي يستفهم فيها أبو علقمة عن كلمة، فقال: يا بني وما (زققيلم)؟ قال: وما (صقعت العتاريف)؟ قال: أردت: أصاحت الديكة؟ فقال الغلام: وأنا أردتُ لم تصح¹⁸⁶.

ش- مزج خطابه بين الفصحى والعامية، فهذا الأسلوب بين النوعين لتبسيط الفهم وجلب الاهتمام؛ ولأنّ تفسيره كان موجهاً بصفة كبيرة إلى عامة الناس بمستوياتهم المختلفة، فقد غلبت عليه مصريته الميل إلى المرح والدعابة، ويندر أن خلا حديث للشيخ من دعابة أو طرفة أو ملحّة أو نادرة يشيع جوا من الألفة والمودة بينه وبين جمهوره، وتخفف من جفاف العلم ودسامة الحديث وتربط بينه وبين الناس برباط إنسان حميم.

وقد أجاب عن هذا التساؤل فقال: «إنّ التفسير موجه إلى العامة، ومن ثمّ أراعي مقتضى الحال من ناحية المخاطبين مع الارتفاع لمستوى من لا يعلمون ما أمكن ذلك، والمستفيد في الحالتين هو من يهيب نفسه للأمر»¹⁸⁷؛ إذن فالأساس في استخدام العامية هو الإحساس بالصدق، وإنّ بعض الكلمات والتعبيرات العامية أصدق من الدلالة على ما أريد قوله من نظراتها بالفصحى، على أنّ للمسألة وجهاً آخر فنياً يدركه العقل.

رابعاً: التفسير اللغوي عند الشعراوي:

¹⁸⁵- هو أبو علقمة النُميري النحوي، من المتقعرين في اللغة يستخدم في حديثه حُوشي الكلام وغريب اللفظ، كان موجوداً في سنة سبع وثمانين وأربعمائة وهو من شعراء بدر. ينظر: الوافي بالوافيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2000، 48/20.

¹⁸⁶- تفسير الشعراوي، 8562/14.

¹⁸⁷- مجلة منبر الإسلام، متولي محمد الشعراوي، منشورات القاهرة، مصر، نوفمبر 1994، عدد: 116،

يتوقف الشعراوي عند المسألة اللغوية ويقدم سؤالاً لمستمعيه ثم يجيب بشرح القاعدة اللغوية في حدود ما يخدم النص المفسر غالباً، وكان يتحفظ في الوجه الذي عليه أسلوب القرآن، فليس كل ما يجوز في العربية يجوز في كلام الله. وكان يعرض آراءه وأفكاره اتباعاً في تسلسل لا خلل فيه، مُتَّبِعاً ملامح وجوه المستمعين بالرضى والإقبال، فهو بالإضافة إلى أنه مالك لخاصية اللغة العربية فإنه يعرف حالات المخاطبين وطبقاتهم، وقد أعاب ابن تيمية (ت: 768هـ) في مقدمة تفسيره للذين يقتحمون التفسير دون النظر إلى مختصاته فقال: «قومٌ فسروا القرآن بمجرد ما يسوغُ أن يُريد بكلامه مَنْ كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمتزل عليه والمخاطب به... راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم»¹⁸⁸.

وكان الشعراوي دائماً يؤمن بأنه لا زيادة في القرآن ولا تكرار ولا تناقض فيه، وسوف نسرد أهم ملامح التفسير اللغوي التي امتاز بها الشعراوي وهي على النحو التالي:

1- يعتمد الشعراوي على التحليل اللغوي للكلمة وبيان مشتقاتها ومعانيها وبيان

﴿وَالْخَيْلِ﴾

المعنى المراد في سياق الآية التي يشرحها مثل قوله تعالى:

الْمُسَوَّمَةِ¹⁸⁹، فاللفظ الواحد يشع في مجالات متعددة من المعاني، فمسوَّمة من

سامها يسوِّمها، ومعنى ذلك أن لهذه الخيل مراعي تأكل منها كما تريد، وليست خيلاً مربوطة تأكل ما يُقدم لها فقط، ومسوَّمة أيضاً تعني أن لهذا الخيل علامات، فهذا حصان أغرّ، وذلك أدهم وذاك أشقر. ومسوَّمة أيضاً أن تكون مروضة ومدربة وتم تعليمها، فالأصل في الخيل أنها لم تكن مُستأنسة بل مُتوحشة، ولذلك لا بُد من

¹⁸⁸ - مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ابن تيمية)، تحقيق: عدنان زرزور، دمشق،

ط2، 1972، ص 81.

¹⁸⁹ - سورة آل عمران، الآية: 14.

ترويضها حتى ينتفع بها الإنسان¹⁹⁰، فكم معنى إذن أعطته لما كلمة "مُسَوِّمَةٌ"، وهذا يدل على سعة ثقافته اللغوية والمعجمية، وهذا الجانب هو خط المنهج اللغوي الذي سار عليه في كامل التفسير.

2- يقوم بشرح معاني الآيات ونشرها وتبسيطها، بحيث تستوعب المعنى العميق كل

من العالم والأمي والمتقف والبدوي؛ وذلك عند تفسير أية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ﴾¹⁹¹، والهداية نوعان: هداية دلالة وهداية معونة، هداية الدلالة هي

للناس جميعاً، وهداية المعونة هي للمؤمنين فقط المتبعين لمنهج الله فلو أن الله سبحانه وتعالى أرادنا جميعاً مهديين.. ما استطاع واحد من خلقه أن يخرج على مشيئته... ولكنه جل جلاله خلقنا مختارين لنأتيه عن حب ورغبة، بدلاً من أن يقهرنا على الطاعة¹⁹².

فهو لا يترك القضية حتى يطرقها من كل جانب، ويحيط بأطرافها ويُلَمِّم ما يثور حولها من فرعيات، ويناقش كل ذلك في موضوعية مقنعة فتتسلسل له القضية ويصل القارئ إلى منتهى الاقتناع بها.

3- إن تفسير الشعراوي يندرج ضمن التفاسير الموضوعية التي تقوم بتجميع الشاهد القرآني في موضوع واحد؛ فهو عندما يشرح أي آية يأتي بنظائرها وما يتفق معها في الموضوع، ثم يقف كاشفاً عن الأسرار النحوية والبلاغية التي تكمن في التفسير في هذا اللفظ في هذا الموضوع، مرجعاً ذلك إلى النظم وأسرار التركيب القرآني، يقول الشعراوي: «لأبد لنا أن نأخذ القرآن جُملة واحدة، ونأتي بكل الآيات التي تتعلق بالموضوع لفهم المقصود تماماً»¹⁹³.

¹⁹⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1314/3. و ينظر: 6414/10. وينظر: 3306/6.

¹⁹¹ - سورة الفاتحة، الآية:6.

¹⁹² - ينظر: تفسير الشعراوي، 84/1.

¹⁹³ - تفسير الشعراوي، 837/1.

ففي قوله تعالى: ﴿وَأَنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا

بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ¹⁹⁴، يُبين لنا الشعراوي أن هؤلاء الذين يتخذون من دون الله أنداداً لا

يعتمدون على منطق ولا عقل، ولكنهم يعتمدون على شهوات دنيوية عاجلة، أراد أن يأتي بالتحدي بالنسبة للقرآن الكريم — المعجزة الخالدة لرسول الله — حتى يثبت لهم أن الله إذا كان قد جعل خلق الكون إعجازاً محسناً، فإن القرآن منهج معجز إعجازاً

قيماً¹⁹⁵، وتصل هذه الآية بالآية الموالية بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ

تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ¹⁹⁶، وهكذا

نجد الربط في الآيات بين الأول والثاني وبين اللاحق والسابق.

4- تشبعه بمبادئ الإسلام وبالواقع الثقافي والأدبي الذي عايشته مصر، فقد اعترض على الأديب توفيق الحكيم على بعض كتاباته وأفكاره التي طرحها، في مجموعة من المقالات بعنوان "حديث مع الله" تروي قصة رجل يعاني موت زوجته وابنه، فراح يحادث لفظ الجلالة المكتوب في لوحة جميلة وكأنه يحدث الله، والله يحادثه، فاستنكر الشعراوي وقال: "كَيْفَ يُكَلِّمُ بَشَرَ الْمَوْلَىٰ عَزَّ وَجَلَّ؟ واعتبر هذا تعدياً على الذات الإلهية"¹⁹⁷.

194- سورة البقرة، الآية: 23.

195- ينظر: تفسير الشعراوي، 1/192.

196- سورة البقرة، الآية: 24.

197- ولم تهدأ نار معركة الحكيم بمرور الوقت وطالت أغلب الفعاليات في مصر، وعقدت جريدة اللواء الإسلامي ندوة مع توفيق الحكيم عن مقالاته حول "حديث مع الله" واستمرت الندوة أربع ساعات كاملة، واشترك فيها كل من الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، والدكتور الحسيني هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية آنذاك، والدكتور موسى شاهين لاشين أستاذ التفسير والحديث بجامعة الأزهر، والدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ الحديث بجامعة الأزهر، وقد وافق محمد متولي الشعراوي بالرد على ما

5- توظيف الشعر العربي في تفسير الآيات القرآنية وفي بيان دلالتها؛ فلقد كان يستجمع كل ما أوتي من قوة أدبية وشعرية ، ويتخذ من قدراته الفنية ومحصلاته المعرفية، وإمكانياته اللغوية منطلقاً لتفسير النص القرآني، وقراءاته لمختلف كتب الدين والأدب والشعر تكاد تكون واحدة، وانتماءاته لمدرسة شوقي وحافظ و قراءات ه لشعر الدواوين وجماعة أبولو والمهجرين وللمجالات الأدبية الكبيرة مثل السياسة الأسبوعية، والرسالة والثقافة والعصور والمقتطف والهلل؛ بل والصحف اليومية كل ذلك ساعدته منهجياً في تلوين تفسيره بالمدد الشعري والأدبي الهام. « فقد كان الإمام يحفظ مائة ألف بيت شعري، فضلاً عن تجويده للقرآن، وبراعته في تناول سير الأنبياء وقصص الصالحين والعلماء»¹⁹⁸.

ويرى الشعراوي أن الأدب الإسلامي أدب رفيع، وأن مقومات الشخصية الإسلامية في الفنون الأدبية تتجلى بوضوح حين نبرز فيها الفضائل ولا تغذي الرذائل، ومثلاً لننظر ونحلل قول (أحمد شوقي): أساطين الفن أربعة: «شاعرٌ سارَ بيته، ومُصوِّرٌ نطقَ زَيْته، وممثّلٌ ضحكَ حَجْرُه ومُوسِقيٌّ بكى وتره»، فقوله: شاعرٌ سارَ بيته معقولاً ومقبولاً؛ وأما ممثّلٌ ضحكَ حَجْرُه فهذا لا نريده، وأما بكى وتره لا نريده، لأنّه يدغدغ العواطف ويشعرنا بالضعف والانهزام، وأقول: أريد أن يحتفظ الفن بجماله فلا تجعلوه يُورثنا قبحاً¹⁹⁹.

6- مزج العلم بالأدب، فقد جعل من الأدب علماً ومن العلم أدباً، فالعلم يخاطب العقل والأديب يخاطب العاطفة أو يخاطبهما معاً؛ فالعالم يلتزم بالتسلسل المنطقي والأديب يلتزم بالترتيب الوجداني دون مراعاة للنسق المنطقي، والعالم يلتزم بالموضوعية، والأديب ينحو إلى التلقائية، والسياق في العلم يرتبط بنتائج معلّميه، أمّا

أثاره الحكيم في الندوة وفي مقالاته من آراء تمس العقيدة الإسلامية، ينظر: الشعراوي والسلطة، محمد

ثابت، دار الروضة، القاهرة، (د،ت)، ص 30.

¹⁹⁸ - روحانيات وذكريات، أحمد فرغلي، ص 06.

¹⁹⁹ - ينظر: مجلة الأدب الإسلامي، محمد متولي الشعراوي، منشورات القاهرة، مصر، العدد: 11، 1997،

ص 60.

السِّيَاق في الأدب فَإِنَّهُ يَرْتَبِط بِالْأَدِيبِ الَّذِي يَتَرَجَّم عَنِ الْوَاقِعِ وَالْمُجْتَمَعِ مِنْ خِلَالِ نَفْسِهِ وَمَشَاعِرِهِ.

ومن النماذج التي ارتفع بها في الأسلوب من مرتبة الإقناع إلى مرتبة الإبداع تفسير

قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾²⁰⁰، كأنَّ الإنسان في نظر-

الشعراوي- قد ملك المال وبعد ذلك "آتاه"، وعندما نقول: "آتيتُ" فهي تعني أعطيت، وهي تختلف عن "آتيتُ" التي تعني "جئتُ"، والآية يمكن أن نفهمها على أنه يعطي المال وهو يحب المال، ويحتمل أن نفهمها على أنه يؤتي المال لأنه يحب أن يعطي مما يحبه من المال، ويمكن أن نُصعِّد المعنى فيصير "وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّ الْإِيْتَاءِ أَيْ الْإِعْطَاءِ"؛ أي يُحِبُّ الْإِعْطَاءَ وَتَرْتَاخَ نَفْسَهُ لِلْإِعْطَاءِ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ تَصْعِيدُهَا تَصْعِيداً آخَرَ يَشْمَلُ كُلَّ مَا سَبَقَ فَيَصْبِحُ الْمَعْنَى: "وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّ اللَّهِ الَّذِي شَرَعَ لَهُ ذَلِكَ"، وكل هذه المعاني محتملة؛ إذن فالآية تعطينا إما مترلة إخراجاً من الملك، وإما مترلة إخراجاً من القلب الذي يحبه²⁰¹.

7- براعة الاستطراد، وهذا النوع سمة من سمات المنهج الأدبي، وهو في استطرادات ه لا يخرج عن الموضوع، بل يُوثق كل ما صلة بالموضوع ويُلملم المتفرقات التي تجعل من الجزئيات كلاً متكاملًا فنفهم الصورة كاملة من خلال جزئياتها، ولم يأت الاستطراد عبثاً، وإنما قصد إليه قصداً.

يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾²⁰²، وكلمة "يَقْدُمُ" هي من مادة "القَاف" و"الدَّال"

و"المِيم". وعند استخدام هذه المادة في التعبير قولاً أو كتابة فهي تدل على الإقبال بالمواجهة؛ فيقال: "قَدِمَ فُلَانٌ" دليل إقباله عليك مواجهة. وإذا قيل: "أَقْبَلَ فُلَانٌ" فهذا

²⁰⁰- سورة البقرة، الآية: 177.

²⁰¹- ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 731-732.

²⁰²- سورة هود، الآية: 98.

يعني الإقبال بشيءٍ من العزم، و"قَدِمَ الْقَوْمُ يَقْدُمُهُمْ"؛ أي: أنهم يتقدمون في اتجاه واحد

ومن يَتُودُهُمْ يتقدم، ويأتي القرآن بآياتٍ ويبيِّنُها، مثل قول الحق:

﴿فَوَرَبِّكَ

لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾²⁰³،

ويقول تعالى:

﴿وَإِنْ مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا

مَقْضِيًّا﴾²⁰⁴، ولم يقل: "وإن منهم إلا واردة". وبذلك عمم الخطاب للكل، أو

أنه يستحضر الكفار ويترك المؤمنين بمعزل، وهنا يقول:

﴿فَأُورِدَهُمُ النَّارَ

وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾²⁰⁵؛ أي: إنهم يشعرون بالبؤس لحظة أن يروا ماء

جهنم ويشربون منه؛ إذن: فكلمة "الورد" تطلق على عملية الشرب من الماء، وقد

تطلق على ذات الورداءين مثل قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ

وَرْدًا﴾²⁰⁶، وقد قال الشاعر²⁰⁷ الجاهلي زهير بن أبي سلمى في معلقته²⁰⁸:

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخِيمِ

ولأن حاسة الشيخ اللغوية تدفعه إلى مراجعة الكلمة القرآنية في مختلف السور متى

وردت لأول مرة في النص المشروح، وبذلك يكون الموضوع متماسكاً أمام القارئ لا

يكاد يفلت منه شيء، فهو لا يكاد يأتي بلفظ قرآني في أية كريمة إلا ذكر مثيله في

²⁰³- سورة مريم، الآية: 68.

²⁰⁴- سورة مريم، الآية: 71.

²⁰⁵- سورة هود، الآية: 98.

²⁰⁶- سورة مريم، الآية: 86.

- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1980، ص13.

207

²⁰⁸- ينظر: تفسير الشعراوي، 6660/11.

الآيات الأخرى رابطاً بين الآيات بسلسلة وثيقة من المعاني فيقدم لسامعه تفسيراً رائعاً
ثم الدرر؛ «إنه بذل فوق المستطاع حتى جذب إلى روضة القرآن نفوساً لم تكن
تُفكر في أن تجلس مجلس المستفيد من كتاب الله لعوامل في تكوينها العلمي، باعدت
بينها وبين الدارسات السابقة فإذا انجذبت إلى تفسير الشعراوي هذا الانجذاب؛ فمعنى
ذلك أن الرجل قد امتلك من أزمة الإمتاع وأعنة التوجيه ما جعل تأثيره ذا سطوع
نفاذ»²⁰⁹.

8- العناية بالقراءات القرآنية²¹⁰ والحكم عليها، أهي شاذة أم صحيحة؟ وفي كثير من
الأحيان لا يذكر نسبها، وهو يعتبر أن القراءات حجة في العربية، مثل ما جاء في قوله
تعالى: ﴿وَلتَسْتَبِينَ سبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾²¹¹، ونقرأ "سَبِيلُ" في بعض القراءات

مرفوعة؛ أي أن سبيل المجرمين يظهر ويستبين ويتضح، وتقرأ في بعض القراءات
منصوبة، أي إنك يا محمد تستبين أنت السبيل الذي سيسلكه المجرمون²¹².
فقد وردت "سَبِيلُ" بالرفع في قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وحفص عن
عاصم ويعقوب واليزيدي وابن محيصن والحسن، ووردت "سَبِيلُ" بالنصب في قراءة
نافع وأبي جعفر وزيد عن يعقوب²¹³.

²⁰⁹ - محمد متولي الشعراوي جولة في فكره الفسيح، محمود رجب البيومي، ص 75.

²¹⁰ - هو علم يعرف منه اتفاهم واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والفصل والوصل من
حيث النقل. ينظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان،
عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1972، 170/1.

²¹¹ - سورة الأنعام، الآية: 55.

²¹² - ينظر تفسير الشعراوي، 6424/10.

²¹³ - ينظر: معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1،

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا

مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾²¹⁴، يرى الشعراوي أن هناك قراءة شاذة تقول: "مِنْ أَنفُسِهِمْ"

بفتح الفاء؛ أي من أشرفهم لأنه من بني هاشم وهو أفضل قريش²¹⁵، وهي قراءة فاطمة وعائشة والضحاك وأبي الجوزاء²¹⁶.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾²¹⁷، يلاحظ الشعراوي أن همزة

"إِن" في إحدى قراءتي الآية تكون مكسورة وفي قراءة أخرى تكون مفتوحة؛ أما في القراءة بالكسر فتعني أن نوحاً عليه السلام قد جاء بالرسالة فبلغ عن قومه، وأما القراءة الثانية تحدد مضمون الرسالة²¹⁸.

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي "أَنِّي" بالفتح، أي: "أَرْسَلْنَاكَ أَنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ"²¹⁹، وقراءة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والأعمش "إِنِّي" بكسر الهمزة على إضمار القول²²⁰.

وقراءة القرآن توقيفية وإتباعاً للوحي الذي نزل به جبريل -عليه السلام- من عند الله على رسوله -صلى الله عليه وسلم- ولا يصح لأحد أن يقرأ القرآن حسب ما يراه ، وإن كانت صورة الكلمة تقبل ذلك وتتسع له ولا تمنعه ، وقد قدّم الشعراوي قواعد القراءة الصحيحة²²¹ المستوحاة من صاحب طيبة النشر (ابن الجزري)²²² وهي²²³:

²¹⁴- سورة آل عمران، الآية: 164.

²¹⁵- ينظر تفسير الشعراوي، 1854/3.

²¹⁶- ينظر: معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، 613/1.

²¹⁷- سورة هود، الآية: 25.

²¹⁸- ينظر تفسير الشعراوي: 6425/10.

²¹⁹- ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها و حججها، مكي بن أبي طالب الأندلسي، تحقيق:

محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، 1974، 526/1.

²²⁰- معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، 31/4.

²²¹- ينظر تفسير الشعراوي، 2560/5.

فَكُلُّ مَا وَاَفَقَ وَجْهَ نَحْوٍ وَكَانَ لِلرَّسْمِ اِحْتِمَالًا يَخْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ.

فكل من التزم بهذه الشروط التالية:

أ- أن تكون مُوافقة لوجه من وجوه اللغة العربية.

ب- أن تكون مُوافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية.

ت- أن يصح إسنادها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطريق يقيني متواتر لا يحتمل الشك، يكون قد التزم بمنهج القراءة الصحيحة، وكل من افتقد واحد من هذه الشروط في القراءة حكم عليها بأنها شاذة، أو ضعيفة أو باطلة.

9- الاهتمام باللهجات العربية في توضيح الآيات؛ لأن القرآن الكريم نزل باللغة

القرشية، فجاءت بعض الألفاظ على لهجات العرب المختلفة، للدلالة على أن القرآن ليس لقريش وحدها، وإنما لأنها تنطوي على زبدة فصاحات لغات الجزيرة كلها مثلما

جاء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾²²⁴، فتكون اللام بمعنى

"إلا" كأنك قلت: "مَا هَذَا إِلَّا سَاحِرَانِ"، وتأتي هنا بمعنى "إلا" إذا اختلفنا مثلاً على

شيء، كل واحد مِّنَّا يدَّعيه لنفسه، فيأتي الحكم يقول: لَزِيدٌ أَحَقُّ بِهِ، كأنه قال: ما

هذا الشَّيْءُ إِلَّا لِزَيْدٍ.

²²² - طيبة النشر في القراءات العشر لابن الجزري: هو محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري، ولد يوم الجمعة ليلة السبت 25 رمضان سنة 751 هـ الموافق 30 نوفمبر 1350م داخل خط القصاصين بين السورين بدمشق الشام، ونسب إلى الجزري نسبة إلى جزيرة ابن عمر شمال سورية (حالياً في تركيا)، شيخ الإقراء في زمانه، ألف في التفسير والحديث والفقهاء وغيرها.. توفي ضحوة يوم الجمعة 5 ربيع الأول سنة 833 هـ بمنزله بسوق الإسكافيين بمدينة شيراز، ودفن بدار القرآن التي أنشأها بها عن 82 سنة. ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء، بن محمد علي بن الجزري، تحقيق: ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، 247/2.

²²³ - النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: محمد علي الصباغ، دار الفكر، (د،ت)، 9/1

²²⁴ - سورة طه، الآية: 63.

وعلى القراءة الثانية بالتشديد (إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ) فَإِنَّ حَرْفَ نَاسِخٍ يَنْصَبُ الْمَبْتَدَأَ ويرفع الخبر، فقد جاء اسم إِنَّ هَذَانِ بالرفع بالألف؛ لأنه مثنى، والقاعدة تقتضي أن نقول (هذين)²²⁵، فكيف يتم توجيهه إِنَّ المشددة الناسخة وبعدها الاسم المرفوع؟ فهذه لغة كنانة إحدى قبائل العرب، «وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب أن هذه لغة بني كنانة، وحكى غيره أنها لغة لختعم»²²⁶.

فالمعلوم أن لكل قبيلة لهجتها الخاصة ولغتها المشهورة فيقولون: جَعَجَعَةَ خُرَاعَةَ، وَطُمُطُمَانِيَّةَ حِمِيرٍ، وَتَلْتَلَةَ بَهْرَاءِ، وَفَحْفَحَةَ هَذِيلٍ.. الخ.

فإن في هذه المسألة مما أُنشِئَتْ على كثير من الباحثين ، فلم تواتر من لغة العرب أن الاسم المثنى يعرب في حال النَّصْبِ والخفض بالياء، وفي حال الرفع بالألف ، وقد ذكر العلماء فيها عدة أقوال وأوجهها أن "هذين" اسم إنَّ وقد جاء الألف هنا بدلاً من الياء على لغة من يبدل الياء الساكنة بعد الفتح ألفاً ، وهي لغة خثعم وكنانة بن زيد وبني الحارث بن كعب وزبيد، وقد حكاها الفراء والكسائي والأخفش وأبو زيد الأنصاري شيخ سيويه²²⁷.

10- وكنقطة أخيرة في ملامح التفسير اللغوي عند الشعراوي، فقد وجدنا بعض الملاحظات التي يجب أن تستدرك وتذكر، وهي:

أ- عدم تخريج الأحاديث الصحيحة وورود بعضها بلفظ غير لفظها المقالة به، وبدون

الملاحظة إلى درجة صحتها مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

وَالدَّمَّ وَلَحْمَ الْخِزْيِرِ﴾²²⁸، وفسر الآية فقال: «والآية صريحة في أن كل ميتة

²²⁵ - تفسير الشعراوي، 9307/15-9308.

²²⁶ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 210/11.

²²⁷ - ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 100-99/2.

²²⁸ - سورة البقرة، الآية: 173.

حرام، ومادامت ميتة فقد كان فيها حياة وروح ثم خرجت، لكننا نأكل السمك وهو ميت، وذلك تخصيص من السنة لعموم القرآن»²²⁹.

وأورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أَجَلٌ لَكُمْ مَيْتَانِ السَّمَكِ وَالْجَرَادُ، وَدَمَانُ: فَالطُّحَالُ وَالْكَبِدُ»²³⁰، ولم يذكر الشعراوي سند الحديث فيها، ففي كثير من الأحيان يتبع الشعراوي هذا النهج ولا يبالي في ذكر التخريجات، المهم عنده إيصال المعنى المباشر، والأمثلة تطول لا يسع المقام لذكرها كلها.

ب- استعمال الكلمات العامة بشكل كبير، مما وجد صعوبة في فهم بعض المفردات، ووجد كثير من الأكاديميين صعوبة في فهم أفكاره وتحليل آراءه، ولا حاجة لسرد هذه المفردات الدارجة.

ت- توظيف بعض الأحاديث الضعيفة مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «للسَّائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى فَرَسٍ»، فقد ذكر الربيع عن الإمام أحمد أنه قال: «حديثان يدوران في الأسواق ولا أصل لهما؛ وأورد هذا الحديث»²³¹، وحديث:

«مَنْ أَصَابَ مَالاً مِنْ نَهَاوَشٍ أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَاوَرٍ»²³²، فقد أوردهم الشعراوي ولم

يذكر صحتهما. وحديث ذكره الشعراوي «أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ بِيَدَا أُنِّي مِنْ قَرِيشٍ»، فهذا الحديث أورده أصحاب الغرائب ولا يعلم من أخرجه ولا إسناده²³³. وحديث:

«فِيئَةُ لَوْلَا شَيْوُخٌ رُكَّعٌ، وَشَبَابٌ خُشَّعٌ، وَأَطْفَالٌ رُضَّعٌ، وَبَهَائِمٌ رُتَّعٌ، لَصَبَّ عَلَيْكُمْ

²²⁹ - تفسير الشعراوي، 715/1.

²³⁰ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمود فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د،ت)، كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، رقم: 3314، 1102/2.

²³¹ - حديث ضعيف. ينظر: مسند الشهاب أبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1985، 271/1-273.

²³² - ينظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ملا علي القاري، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1985م، ص159.

²³³ - ينظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، اسماعيل بن محمد العجلوني، تحقيق: حسام الدين المقدسي، مكتبة القدس، القاهرة، مصر، 1932، ص200.

الْعَذَابَ صَبًّا» قال الهيثمي فيه إبراهيم بن خصعم وعبد الرحمان بن سعد وهما
ضعيفان²³⁴.

ث- إيراد بعض الآراء والتفسيرات غير المنطقية في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ

يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا﴾²³⁵، فهذه الآية قال فيها: ما من عبد طلب في جنته فقد أشرك، إن الجنة

أحد، فلا تشرك بعبادة الله شيئاً، ولو كان هذا الشيء هو الجنة، فعليك أن تَسْمُوَ
بغياتك، لا إلى الجنة بل إلى لقاء ربها وخالقها والمنعم بها عليك. وقد ضربنا لذلك
مثلاً بالرجل الذي أعدَّ وليمة عظيمة فيها أطيب الطعام والشراب، ودعا إليها أحبابه
فلما دخلوا شغلهم الطعام إلا واحداً لم يهتم بالطعام والشراب، وسأل عن صاحب
الوليمة يُسَلِّم عليه ويأنس به²³⁶، وما أصدق ما قالته رابعة العدوية(ت): (180هـ)
237.

كُلُّهُمْ يَعْبُدُونَ مِنْ خَوْفِ نَارٍ وَيُرُونَ النَّجَاةَ حَظًّا جَزِيلاً
أَوْ بَأَن يَسْكُنُوا الْجِنَانَ فَيَحْظُوا بِقُصُورٍ وَيَشْرَبُوا سَلْسَبِيلاً
لَيْسَ لِي بِالْجِنَانِ وَالنَّارِ حَظٌّ أَنَا لَا ابْتَغِي بَحْبِي بَدِيلاً.

فلم يذهب المفسرون إلى هذا المنحى وحملوا الآية على أنه من يأمل لقاء ربه، ولا
يشرك بالعبادة، ولا يتخذ الرياء والسمعة سبيلاً، فسوف يلقي رضاه وغفرانه سبحانه
وتعالى²³⁸، واجتهاد الشعراوي يبقى منفرداً في هذه الآية وفي هذه الجزئية.

²³⁴- ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين المقدسي، دار

الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د،ت)، 227/5.

²³⁵- سورة الكهف، الآية: 110.

²³⁶- ينظر: تفسير الشعراوي، 9012/.

²³⁷- ينظر: اتحاف السادة المتقين، الزبيدي، طبعة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1994، 277/9.

²³⁸- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 440/15، وينظر: الكشاف، الزمخشري،

619/13، وينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، 178/21.

الفصل الأول: المستوى الصوتي وإعجازه في تفسير الشعراوي:

القرآن الكريم هو مصدر الأمة الإسلامية تشريعاً وأخلاقاً وإعجازاً ، ولقد اعتبر أهل العربية أن آياته وسوره هي أساس الدراسات الصوتية لما تحويه من بيان ونظم ؛ إن على مستوى الحرف أو المفردة أو الجملة.

ولأن اللغة العربية تستمد أصولها من القرآن فبقى أصولها ثابتة معه ، وبذلك تضمن النطق الصحيح لجملة اللغة العربية، وأولويات هذه الأصول هي الأصوات ، لأن الأصوات هي أصل اللغات، يقول أحمد مطلوب: «إن من أهم خصائص العربية ثبات أصوات الحروف فيها، لأن جوهر الصوت العربي بقي واضحاً، وهو ما يتمثل في قراءة القرآن الكريم وإخراج الحروف الصامتة إخراجاً يكاد يكون واحداً»²³⁹. فلا عجب إذا تم استقراء معالم الدرس الصوتي من النص القرآني ومن عمق التراث العربي والإسلامي، وهذا سبب بقائها كل هذه السنين لما تتمتع به من مميزات جهازها الصوتي الذي لا نجده في لغة أخرى، فكم من لغة تلاشت وعمّها الدخيل وذابت وخمد شعاعها وانقضت أجلها، إلا العربية فقد مدّدها القرآن وهذبها، وأكسبها الديمومة والتنوع اللغوي والدلالي الذي لا ينضب.

فقد نال الدرس الصوتي اهتماماً واسعاً من قبل علماء اللغة والقراءات وأهل التفسير، ومن الأعلام البارزين الذين اشتغلوا بإظهار الصوت في القرآن : علي بن عيسى الرماني(ت: 386هـ)، وأبو بكر الباقلاني(ت: 403هـ) ، وأبو عمر و الداني(ت: 444هـ)، ومحمد بن الحسن الطوسي(ت: 460هـ) ، وجار الله الزمخشري(ت: 538هـ)، وأبو علي الطبرسي(ت: 548هـ) ، وإبراهيم بن عمر الجعبري(ت: 732هـ) وبدر الدين الزركشي(ت: 794هـ) ، وجلال الدين السيوطي(ت: 911هـ)... وغيرهم

أما من جانب الدراسات البلاغية التي اشتملت على خصائص ال صوت العربي، فقد بحثت على أيدي علماء أمثال: ال شريف الرضي(ت: 406هـ) ، وعبد القاهر

²³⁹ - بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1987، ص 27.

الجرجاني (ت: 471هـ)، وابن سنان الخفاجي(ت: 466 هـ) ، وأبو يعقوب السكاكي (ت: 626 هـ).

وسوف نسوق في هذا المقام بعضاً من أقوال هؤلاء الذين ذُكروا أنفاً، مدركين أن البحث في الإعجاز هو ما ينشده الدارس في الصوت والنحو والبلاغة، وهو الباب الذي تتجلى فيه قدسية القرآن الكريم، وهو ما طرحه الشعراوي في تفسيره وحرص عليه.

أولاً: حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم:

تكلم العلماء عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم فحصروها في وجوه عدة منها الإعجاز اللغوي، والعلمي، والتشريعي، و التأثيري وغيرها، وكان من أبرز هذه الوجوه هو ما ظهر من فصاحته وبلاغته، فهو خطاب الله إلى الخلق أجمعين على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأزمانهم إلى يوم الدين، عندما علمه المؤمنون وجدوا فيه المتعة والجادبية، فأمنوا أنه الحق من ربهم؛ وعملوا بمقتضى آياته، وأصبحوا خير أمة أخرجت للناس. وإن الذين تناولوا الإعجاز في القرآن كثر، ونكتفي في هذا المقام ببعض من اشتهر منهم أمثال:

1- الخطابي:

حيث أكد أن الإعجاز القرآني كائن في نظمه فقال: «واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف متضمناً أصح المعاني»²⁴⁰. وفي موضع آخر يتحدث عن بلاغة القرآن في حروفه ولفظه وتراكيبه؛ فيقول: «وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا نرى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً من نظمه، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل، إنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى الدرجات الفضل في نوعها وصفاته»²⁴¹.

²⁴⁰- بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي و الجرجاني، تحقيق:

²⁴⁰محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1976، ص 26.

- المصدر السابق، ص 27.

فقد استوعب الخطابي أساليب اللغة العربية ومعانيها، لهذا جاء بحثه من صميم الدرس الإعجازي، غير أنه يوجد من انتقد هذه الطريقة في الطرح واعتبر أن هذه الاطلاقا العامة في النظم القرآني غير مستندة إلى أمثلة تطبيقية تشد عضدها.

2- الرماني:

فقد حصر وجوه الإعجاز القرآني في سبعة وجوه، وهي ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدّة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة²⁴².
وجعل القرآن أعلى رتبة من مراتب البلاغة، إذ نراه يُقسم البلاغة إلى ثلاث طبقات: «منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسط بين أعلي طبقة وأدنى طبقة، فما كان في أعلى طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من النَّاس²⁴³»، وبالتالي فإن سرّ الإعجاز القرآني عند الرّماني يكمن في البديع، وفي وجوه البلاغة.
فالعرب أعجزهم القرآن عن معارضته، رغم التحدي الذي طرق سمعهم وأقلق مضجعهم، وبهذا ندرك أن التحدي كان بالجانب اللغوي والبياني والبلاغي الذي اشتهر به العرب يوم نزول القرآن؛ بل إن كل متأمل في كتاب الله يظهر له منها ما يظهر لغيره، من أجل ذلك وجدناهم قد أفاضوا في ذكر هذه الوجوه، حتى رأينا السيوطي يصرح بقوله: «إنّ القرآن لانهاية لوجوه إعجازه²⁴⁴»، وجميعها تدل على عظمة الله سبحانه، وتُقر بقدرته القادرة التي لا يحيطها شيء.
«والرماني ببحثه هذا مهد السبيل وأشار إلى طرق البحث، ويسر المؤنة على من جاء من العلماء الذين أفادوا منه، واعترفوا من فضله وكانوا عالة عليه في كثير من أقواله

²⁴² - بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني، ص 75.

²⁴³ - المرجع نفسه، ص 75.

²⁴⁴ - معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، 35/1.

وشواهد»²⁴⁵، وهكذا نجده يذهب إلى أن الإعجاز القرآني حاصل في نظمه وبيانه، واستطاع أن يجعل من دراسته مصدراً لكثير من العلماء.

3- الباقلاني:

اعتبر كتابه "إعجاز القرآن" واجباً دينياً إلى جانب كونه عملاً علمياً، لذلك لم يدخر وسعاً وهو بصدد تحريره من أن يعمق فيه البحث ويتطرق إلى الكثير من القضايا التي تمهه وتم المسلمون، وفي الوقت نفسه تَرَدُّ على مظان الظانين، وتبطل أقوال الطاعنين. ولقد دار الكتاب على قضايا متعددة منها: بيان شرف القرآن الكريم، والإخبار عن الغيب وأمّية الرسول صلى الله عليه وسلم التي تؤكد أنه لم يكن يعرف شيئاً عن كتب الأولين، والإنباء عن قصصهم وسيرهم، وذكر براعة نظم القرآن وبديع تأليفه وتناهيه في البلاغة²⁴⁶.

ثم يعلق الباقلاني في سر التحدي الذي اختص به القرآن الكريم فيقول: «وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي، لأنَّ من الناس من لا يعرف كونه معجزاً، فإنما يُعرف أولاً إعجازه بطرق، لأنَّ الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه، وصورته، وإنَّما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى من معرفة كونه معجزاً»²⁴⁷.
فالباقلاني يتفق مع الرُّماني عندما جعل النَّاحية البلاغية وجهاً من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، وقد اعتبر أنَّ من يعرف أساليب البلاغة وآليات اللسان العربي وفنونها يدرك مقاصد القرآن الكريم وحواراته المتنوعة، وقال: «فأما من كان قد تنهى في معرفة اللسان العربي، ووقف على طرقها ومذاهبه - فهو يعرف القدر الذي ينتهي إليه وُسْعُ المتكلم من الفصاحة، ويعرف ما يخرج عن الوُسْع، ويتجاوز حدود القدرة - فليس يخفى عليه إعجاز القرآن، كما يميز بين جنس الخطب والرسائل والشعر»²⁴⁸.

²⁴⁵ - البيان في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1977، ص 31.

²⁴⁶ - ينظر: إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ص 47.

²⁴⁷ - إعجاز القرآن، الباقلاني، ص 496.

²⁴⁸ - المرجع نفسه، ص 286.

وبالتالي فأبرز شيء في إعجاز القرآن هو ما يظهر فيه جانب الفصاحة والبلاغة والبيان، وروعة ضبط المعاني ودقة ورود الألفاظ وانسجامها في مبانيتها، وتنسيقها تنسيقاً يتناسب مع عذوبة الأسلوب، ثم إحكامها في الربط، بحيث تستولي على قلوب السامعين والمنصتين لهذا القرآن الكريم.

أما موقفه من البديع فإنه يرى أنه لا يصلح أن يكون وجهاً إعجازياً في القرآن الكريم، إلا أنه لا يغفل قيمته الفنية ودوره الجمالي في تحسين الكلام، وإيصال المعنى إلى الأفهام، فقال: «لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادّعوه في الشعر ووصفوه فيه، وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يخرج العادة ويخرج عن العرف ؛ بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له ، كقول الشعر ورصف الخطب وصناعة الرسالة والحدق في البلاغة ، وله طريق يُسلك ووجه يقصد وسلم يُرتقى فيه إليه... فأما شأؤ نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه، ولا إمام يقتدى به، ولا يصح وقوع مثله-يعنى في غير القرآن-اتفاقاً»²⁴⁹.

وبالتالي فالإعجاز قائم على النظم؛ أي الترابط القائم بين أجزاء السورة والآيات، وليس البديع دخل فيه، ويرى أن لكل سورة وحدة موضوعية مترابطة وذلك على مدار القرآن كله كموضوع القصص مثلاً.

4- الجرجاني:

فقد ألف كتابين في الإعجاز "الرسالة الشافية" و"دلائل الإعجاز"، وقد أعطى لفكرة النظم في القرآن صورة جديدة، ولعلها أروع صورة في تاريخ الإعجاز، بل هو مؤسس علم الإعجاز مستفيداً مما سمعه من سابقه ومستدركاً عما كتب في البلاغة وفي إعجاز القرآن الكريم.

ولقد عمد الجرجاني إلى البحث في البلاغة ووجوهها وأساليبها للارتقاء بالذوق البلاغي عند القارئ، ومن ثم ليضع يده على مواطن البلاغة في كل كلام بليغ، سواء كان هذا الكلام شعراً أو نثراً أو خطبة، ويبرز وجه الحُسن في الكلام من خلال أمثلة مختارة، مُبيناً قضية اللفظ وخواص النظم الذي فيهما شحذٌ للبصيرة، وزيادة كشف

²⁴⁹- المرجع نفسه، ص69.

عما فيها من السريرة، وبعد ذلك يلتفت من خلال تلك المقدمات، والأمثلة إلى تبيان إعجاز القرآن الكريم²⁵⁰.

وقد انحصرت آراء الجرجاني في الإعجاز القرآني ضمن ثلاثة محاور هي:
أ- أن القرآن الكريم معجز ببلاغته.

ب- أن النظم هو الوجه الوحيد الذي حصل الإعجاز من جهته.

ج- بيان طبيعة النظم والتأليف وماهيتهما²⁵¹.

ولم يكن عبد القاهر أول من جعل النظم وجهاً لإعجاز القرآن، وإنما هناك من سبقه إلى ذلك؛ وقد نفى أن يكون الإعجاز في الكلمات المفردة أو في ترتيب الحركات والسكنات أو المقاطع والفواصل أو في الاستعارة تمهيداً لبيان أن الإعجاز قائم في النظم.

وفي ذلك يقول: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تريغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها»²⁵².

ويولي عبد القاهر للنحو أهمية كبيرة في ترتيب الألفاظ والجمل مما يساعد في النظم، وفي هذا الشأن يقول: «هذا وأمر النظم في أنه ليس شيئاً غير توحي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنت ترتب المعاني أولاً في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك»²⁵³.

وقد نفى الجرجاني أن يكون الإعجاز في الإخبار عن الغيب، أو في الصرفة، أو في الألفاظ، أو في المعاني، أو في الفواصل والايقاع، أو في خفة الحروف، أو في الاستعارات... ليصل إلى القول بأن الإعجاز كامن في نظمه، «وإذا امتنعت هذه

²⁵⁰ - ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،

مصر، (د،ت)، ص 249.

²⁵¹ - ينظر: الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره، عبدالغني محمد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1989، ص 65.

²⁵² - ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 55.

²⁵³ - المصدر نفسه، ص 284.

الأسباب أن تكون أصلاً في الإعجاز، لم يبق إلا أن يكون في النظم والتأليف، لأنه ليس بعد ما أبطلنا أن يكون فيه إلا النظم»²⁵⁴.

ثم يرد الجرجاني ادعاء من زعم أن عجز العرب لم يكن لأجل أنهم لا يستطيعون أن يأتيوا بمثل نظم القرآن، ولكن العجز ظهر فيهم لأنهم تحدوا بأن يأتيوا بنظم في مثل نظم القرآن، ومعلوم أن هذا غير متمكن لديهم، ولا يصح التحدي إلا بما يتصور وجوده، وما يدخل في حيز الممكن، ويورد الجرجاني شواهد كثيرة من الشعر والنثر تؤيد وجهة نظره وتوضح هدفه، بعد ذلك يقول: «وإذا كان الأمر كذلك، لم يمتنع أن يكون سبيل لفظ القرآن ونظمه هذا السبيل، وأن يكون عجزهم على أن يأتيوا بمثله عن طريق العجز عما ذكرنا ومثلنا»²⁵⁵.

وبهذا تكون قد اتضحت فكرة الجرجاني ومفهومه للإعجاز القرآني، الذي بناه على أساس النظم وجعله وجهاً يعلوا كل الوجوه، وبني عليه كل آرائه؛ بل جعله محور تأليفه وتصانيفه التي خصصها لدراسة البلاغة العربية عامة، والقرآنية خاصة.

أما أهل التفسير فقد تناولوا مسألة الإعجاز القرآني في تفاسيرهم باعتبار أن القرآن معجزة من وجوه مختلفة، بعضها خاص بالعرب الذين درسوا اللغة العربية وتذوقوا بلاغتها، وبعضها الأخر عام يدركه العقلاء من الناس على اختلاف أجناسهم، فأما ما كان للعرب من ذلك فهو بديع نظمته وحسن تأليفه وسمو بلاغته إلى الحد الذي يعجز الإتيان بمثله.

وقد وضع الأستاذ شيخون أوجه الإعجاز وحدّها في:

أ- ما فيه من الأخبار عن المغيبات.

ب- ما فيه من الأخبار عن الماضي السحيق من حين خلق آدم إلى مبعث محمد عليه السلام.

ج- ما يتضمنه هذا الكتاب من التشريع العظيم الدقيق²⁵⁶.

²⁵⁴ - المصدر نفسه، ص 85.

²⁵⁵ - ينظر: المصدر السابق، ص 141.

²⁵⁶ - ينظر: الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ط1،

فمن المفسرين من تناول أساليب الإعجاز القرآني في آيات التّحدي مثلاً في سورة البقرة وسورة العنكبوت وسورة الزخرف... وغيرها، وقد اجتهدوا في بيان وجوه الإعجاز البياني والبلاغي والأسلوبي؛ كذلك عملوا على إبراز قيمة الحرف والمفردة والجملة في السياق القرآني، وهم في ذلك بين مطب في عرضها ومقتصد، ومن أبرز هؤلاء: الزمخشري في "الكشاف"²⁵⁷، وأبو حيان الأندلسي في "البحر المحيط"، وأبو السعود في "إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم"...

ومن المفسرين من أفرد في مقدمة تفسيره موضوعات تتعلق باللغة العربية والإعجاز القرآني، نذكر منهم: تفسير ابن عطية في "المحرر الوجيز" في تفسير الكتاب العزيز²⁵⁸،

- نال الزمخشري شهرة كبيرة بتأليف تفسيره "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، حيث استطاع أن يقدمه في صورة جديدة، موظفاً أساليب البلاغة والبيان وشواهد العرب من الشعر والنثر، وارتبط مفهوم النظم عنده بعلمي البيان والمعاني؛ حيث أبان عن استحالة قراءة النص القرآني إلا بهما، وعلى المتصدي للنص المعجز أن يتزود بأدواتهما للوقوف عند طرائق التعبير في هذا النص وللوصول إلى الحقائق الجمالية المؤسسة للإعجاز في النص القرآني، «كما يعنيه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياساً دقيقاً وما يطوى فيه من كمال وجلال، وهو من هذه الناحية ليس له قرين سابق ولا لاحق في تاريخ التفسير، بل لقد بدأ الأوائل والأواخر، حتى لنرى أهل السنة يشيدون به وبتفسيره، على الرغم من اعتزاله، ومخالفتهم له في عقيدته الاعتزالية»، ينظر: البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، ص 219- 220

- يرى ابن عطية أن إعجاز القرآن هو في نظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وهو بهذا الرأي²⁵⁸ يجمع وجوهاً من آراء سابقيه من العلماء، فليس النظم وحده هو وجه الإعجاز كما يرى الجاحظ، وليس صحة المعاني وتوالي فصاحة الألفاظ وحدها هي وجه إعجاز كما يرى عبد القاهر الجرجاني، وإنما هو يجمع هذه الأمور ويجعلها وجهاً واحداً للإعجاز، وقد قال ابن عطية في مقدمة تفسيره «إنّ الله قد أحاط بكل شيء علماً، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن، علم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحداً من البشر لا يحيط بذلك، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من قال: إنّ العرب كان في قدرتهم الاتيان بمثله فصرفوا عن ذلك، والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط... وقامت الحجة علي العالم بالعرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة ومظنة المعارضة»، ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبدالحق بن غالب ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 52/1.

وتفسير القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن"، وتفسير "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" لجلال الدين السيوطي...

أما في العصر الحديث فقد اهتم علماء التفسير بقضية الإعجاز نذكر منهم مصطفى صادق الرافعي، وسيد قطب، ومحمد عبد الله دراز، والإمام الشعراوي، وهم على التوالي:

5- الرافعي:

يبدأ في حديثه عن الإعجاز بالحمل على جهود السابقيين ممن أثاروا إشكالية الإعجاز، فقد أشار إلى «أنهم أطالوا الخصومة وفخموا ما شاءوا ومضغوا من الكلام ما ملأ أفواههم وجاءوا بفلسفة ومنطق... بيد أنهم في كل ذلك إنما توافوا على صنيع واحد من الرد بعضهم على بعض، فمن فلج بحجته فقطع خصمه عن المعارضة، وأفحمه دون المناضلة، وكان الرأي في الإعجاز ما رآه هو، وكان أكبر برهان على صوابه عجز خصمه عن تخطئته»²⁵⁹.

ويرى الرافعي أن نطاق الإعجاز في القرآن يتحدد في المعنى، فيقول: «وأما الذي عندنا في وجه الإعجاز وما حققناه بعد البحث -وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وما استخرجنا من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه- إن القرآن مُعجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفي الإمكان بالعجز غير الممكن، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً»²⁶⁰.

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني ومعجز كذلك في حقائقه، ويحدد الرافعي خصائص الأسلوب القرآني في وجوه ثلاث هي: أ- إن الأسلوب القرآني مبين بنفسه لكل ما عرف من أساليب البلغاء في خطابهم، حيث نراه يجيء على نمط واحد من الدقة والإحكام، لا تلمس فيه تفاوتاً بين موضع وموضع، ولا تحس فيه فتوراً ولا خللاً، فكأنه قطعة واحدة مع طول القرآن.

²⁵⁹ - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص 99.

²⁶⁰ - المرجع نفسه، ص 156.

ب- إنَّ الأسلوب القرآني فيه من اللين والمطاوعة على التقليل والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتفاوتة على اختلاف العصور، فهو يفسر في كل عصر حسب ما يتهيأ لأبناء هذا العصر من قدرة على الفهم.

ت- انسجام الأسلوب القرآني وخلوه من الغرابة، فهو يسيل بسهولة، وهذه السهولة في كثير من الكلام، وكثير من أغراضه تقتضي الابتدال، ولكنها في القرآن كله وعلى تنوع أغراضه لا تقتضي إلا بالإعجاز، إنَّها سهولة الأوضاع الإلهية التي يعرفها كل الناس ويعجز عنها كل الناس²⁶¹.

فكلما كان الأسلوب بليغاً ويراعي أحوال المخاطبين كان مؤثراً فيهم، والخطاب القرآني هو خطاب الله تعالى إلى الخلق أجمعين على اختلاف أجناسهم وأزمانهم، لأنه يعلو على سائر الكلام ولا يُعلى عليه، وفي النهاية سارع المؤمنون للدخول فيه عن علمٍ ويقين، وأدركوا السرَّ الجمالي والتناسقي في أساليبه البيانية، وهذا ما جعلهم يخضعون له ويعترفون أنه المعجزة الخالدة إلى يوم الدين.

6- سيد قطب:

تدور فكرة الإعجاز عنده في جمالية الأسلوب والتصوير الفني في القرآن، وقد تحدث عن التصوير فقال: «إنَّه تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع»²⁶². ولقد أثرت آيات القرآن في نفس سيد قطب وأعجب بحلاوته وطلاوته وفصاحته، لما له من سطوة على النفوس وما له من روعة في القلوب، والقرآن ينفذ بسلطانه إلى العقل والروح كما يقول: «إنَّ في هذا القرآن سرّاً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً، قبل أن يبحث في مواضع الإعجاز فيها، إنَّه يشعر بسلطان خاص في عبارات هذا القرآن، يشعر أنَّ هناك شيئاً ما وراء المعاني التي يدركها العقل في التعبير، وأنَّ هناك عنصراً ما ينسكب في الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن، يدركه بعض الناس واضحاً، ويدركه بعض الناس غامضاً، ولكنه في كل حال موجود، هذا العنصر الذي ينسكب في الحس يصعب تحديد مصدره، أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن

²⁶¹ - المرجع السابق، ص 205.

²⁶² - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط16، 2002، ص 102.

فيها؟ أهو الصور والظلال التي تشعها؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهى هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم إنَّها لشيء آخر وراءها غير محمود؟»²⁶³.

فالفضل يعود للأديب سيد قطب في اكتشافه لقاعدة أساسية في أسلوب القرآن الكريم وهي قضية "التصوير الفني"، «فلم تكن مفردات القرآن وحدها شاغلة له بموسيقاها، ولا تراكيب القرآن مستأثرة باهتمامه بتناسقها وترابطها، وإنَّما كان نظره مركزاً في الأداة المفضلة للتعبير في كتاب الله، ولقد وجدها في التصوير، وراح يتحدث عنها بأسلوب شعري يستهوي النفوس ويهديها بحق إلى جمال القرآن»²⁶⁴، وبالتالي فالإعجاز الصوتي والإيقاع القرآني، كان حاضراً في كتابات سيد قطب خاصة عندما يتناول اللفظ القرآني وعلاقته بالنظم.

7- محمد عبد الله دراز:

يرى أن الإعجاز القرآني له ثلاثة وجوه: منها ما هو تشريعي، ومنها ما هو لغوي، ومنها ما هو علمي، ويبرز "دراز" أن خصائص القرآن البيانية تتضمن أربع مراتب. أ- القرآن في قطعة منه، وذكر من أوجه الإعجاز فيها القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى، وخطاب العامة وخطاب الخاصة، وإقناع العقل وإمتاع العاطفة والبيان والإجمال، والإيجاز بالحذف مع الوضوح والطلاوة.

ب- القرآن في سورة منه، وذكر الانتقال من معنى إلى معنى أشق منه، وفي التنقل بين أجزاء المعنى الواحد، ونزول القرآن مفزقاً على تباعد زمني وتنوع موضوعي، ومع تلك العوامل جاء القرآن في قمة الترابط.

ج- القرآن فيما بين السور.

د- القرآن في جملة²⁶⁵.

²⁶³- في ضلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، 2002، 605/7.

²⁶⁴- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان زوزو، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،

1998، ص 169.

²⁶⁵- ينظر: النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، 1984، ص 138-

8- الإمام الشعراوي:

بذل الإمام جهداً كبيراً في إبراز جوانب الإعجاز في القرآن، ورأى أنه يحوى إعجازات كثيرة ومتنوعة، والإعجاز عنده ليس إعجازاً في البلاغة فقط، ولكنه «يحوي إعجازاً في كل ما يمكن للعقل البشري أن يحوم حوله، فكل مفكر متدبر في كلام الله يجد إعجازاً، فالذي درس البلاغة رأى الإعجاز البلاغي، والذي تعلم الطب وجد إعجازاً طبيياً في القرآن الكريم، وعالم النباتات رأى إعجازاً في آيات القرآن الكريم، وكذلك عالم الفلك»²⁶⁶.

ويبدو أن الشعراوي سار على نهج سلفه الذين رأوا تنوع مصادر الإعجاز في القرآن، فلم يُصادر أراءهم، وإنما سار على خطاهم وأثبت الإعجاز وألّف في ذلك مؤلفات منها "معجزة القرآن"؛ فنظرته شمولية اتسعت تقريباً كل أجزاء الإعجاز خاصة منها الإعجاز اللغوي والبلاغي، حتى أصبح تفسيره يُنعت بالتفسير اللغوي والبلاغي لكثرة طروحاته اللغوية والبيانية والفنية والبديعية.

إنّ دراسات الشعراوي اللغوية والبلاغية لم تخرج عن جهود المفسرين الذين سبقوه، حيث يشترط الشعراوي في المعجزة شرطين يجب أن يتحققا:
أ- أن تكون خرقاً لقوانين البشر ولا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى الذي وضع هذه القوانين.

ب- أن تكون مما ينبغ فيه قوم النبي أو الرسول الذي ظهرت على يديه، حتى يكون التّحدي نابغاً وقوياً وإثباتاً على قدرة الله سبحانه وتعالى²⁶⁷، وإلى المنحى نفسه ذكر هذا الزمخشري في الكشف إذ رأى أن الإعجاز في القرآن على وجهين:

1- من جهة إعجاز نظمه.

2- من جهة نافية من الإخبار بالغيب²⁶⁸.

²⁶⁶ - تفسير الشعراوي، مراجعة: أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، 1991، 106/1.

²⁶⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6375 / 10.

²⁶⁸ - ينظر: الكشف، الزمخشري، 138 / 3.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا

وقد ذكر الزمخشري أثناء تفسير قوله تعالى

بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَاْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾²⁶⁹، أنه أنزل متلبساً بما لم يعلمه إلا الله من نظم

معجز للخلق، وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه²⁷⁰.

فالإعجاز الموجود في القرآن هو في الأسلوب وفي حقائق القرآن، وفي الآيات وفيما رُوِيَ لنا من قصص الأنبياء السابقين، وفيما صحح من التوراة والإنجيل، وفيما أتى به من علم لم تكن تعلمه البشرية، وما زالت حتى الآن لا تعلمه، كل ذلك يجعل القرآن لا ريب فيه، لأنه لو اجتمعت الإنس والجن ما استطاعوا أن يأتوا بآية واحدة من آيات القرآن، ولذلك كلما تأملنا في القرآن وفي أسلوبه، وجدنا أنه بحق لا ريب فيه، لأنه لا أحد يستطيع أن يأتي بآية، فما بالك بالقرآن.

ومن هذا المنظور، ما هي أسس الإعجاز اللغوي عند الشعراوي؟

ثانياً: أسس الإعجاز اللغوي عند الشعراوي: يقوم الإعجاز اللغوي عند الشعراوي على خمسة أسس هي²⁷¹:

1- دقة اللفظ القرآني، فما يُلاحظ عن الشعراوي التزامه بالتدقيق اللغوي في تفسير الآيات القرآنية، حيث من صفة المفسر الضبط والوضوح في التعبير، واستخدام اللغة يزيد في جمال الأسلوب الذي يمكن في جمال عرض الحروف والكلمات والجمل، وفي

²⁶⁹ - سورة يونس، الآية: 39.

²⁷⁰ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 262 / 2.

²⁷¹ - فقد قدم محمد عمر باحداق في كتابه "أسلوب القرآن بين الهداية والإعجاز البياني" رؤية الإمام الشعراوي في إعجاز القرآن الكريم، حيث امتاز القرآن الكريم بثلاث مزايا دون غيره من الكتب المنزلة، منها:

- إن معجز القرآن معجزة عقلية باقية خالدة.

- إن المعجزة القرآنية معجزة منهج ودستور.

- إن معجزة النبي عليه الصلاة والسلام صفة من صفات رب العزة والجلال، وهي صفة الكلام، والصفة باقية ببقاء الموصوف، وهو عظيم الجاه. ينظر: أسلوب القرآن الكريم بين الهداية والإعجاز البياني، محمد عمر باحداق، دار المأمون للتراث، السعودية، الرياض، ط1، 1994، ص 56-57.

تناسق أفكارها وتسلسل معانيها، ولهذا يقول: «فإننا لا بد أن نتناو ل دقة اللفظ، أو دقة التعبير في القرآن الكريم، وكلام الله يجب أن يكون في غاية الدقة، بحيث يعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً، فلا تجد حرفاً زائداً بلا معناً»²⁷².

وهذا ما ذكره الجرجاني في شرح دلائل الإعجاز فقال: «واعلم أن من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه والحسن، كالأجزاء من الصنغ تتلاحق وينظم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تُكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحدق والأستاذية وسعة الذرع وشدة المنّة، حتى تستوفي القطعة، ومنه ما أنت ترى الحسن يهجم عليك دفعة ويأتيك ما يملأ العين غرابة»²⁷³.

ومن الأمثلة التي أوردها الشعراوي في التّدقيق القرآني قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ^ط قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ^ط عِلْمِ الْغَيْبِ^ط لَا

يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ

مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ²⁷⁴، ومرة يقول تعالى:

﴿وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ²⁷⁵،

ففي الآية الأولى أتى الله بالسّموات أولاً، وفي الثانية جاء بالأرض أولاً، وهو في الآيتين يتكلم عن علمه للغيّب، فيأتي بمِثْقَالِ الذرة ويقدم السماء، ثم يأتي بما هو أقل من الذرة ويقدم الأرض، وهذا كله من إعجاز أساليب القرآن.

²⁷² - معجزة القرآن، متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، ط1، 1993، 46 / 1.

²⁷³ - دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 124.

²⁷⁴ - سورة سبأ، الآية: 03.

²⁷⁵ - سورة يونس، الآية: 61.

يقول الشعراوي: «ففي الآية الثانية قَدَّم الأرض لَأَنَّهُ يتكلم عن أهل الأرض، وجاء أيضاً بالسَّماء، وهي السَّماء الدنيا التي يراها أهل الأرض، أما الآية الأولى الكلام هنا عن السَّاعة وعلمها عند الله، ولم تنزل من السَّموات إلى السَّماء الدنيا حتى نقول للمكلفين في الأرض: قوموا هاهي الساعة، وهكذا جاء كل أسلوب لا بإجمال المعنى، ولكن بدقة جزئياته»²⁷⁶.

فالدقة في اختيار اللفظ المناسب هو من خاصية القرآن الكريم، مراعيًا أبعادها الصوتية والنحوية والصرفية والبيانية، ثم في توظيفها بعد ذلك في السياق التركيبي، ولذا فالكلمة القرآنية في هذا الإطار تتمتع بكل عناية واهتمام منذ لحظة الانتقاء إلى لحظة التوظيف النَّصي، ولقد انتبه الشعراوي إلى هذا السر وأعطى للمفردة حقها من الدراسة والتحليل.

فهو يقرأ القرآن ليلمس بذوقه الأدبي وحسه الوجداني ما لم يتح لغيره من فتوحات ربانية، فقد رُزق ذوقاً حساساً رهيفاً يؤيده إيمان مكين بالقدرة الخارقة على هذا الإعجاز، فبعض الكُتَّاب يُخْلِبُك بالتحليل الذوقي اختلاباً، ولكنَّه لا تلمس في نفسك ما يجذبك إلى قوله هذا الجذاب الأخاذ، و لأنَّ انبثاق النور من قلب الشعراوي قد هداه إلى سبيل بعيدة لم يسر فيها غير الأفذاذ وهم قليلون.

2- التمثيل الكاشف، وهذا الجانب من أبرز ما برع فيه الشعراوي، فلا يقف دوره عند استخراج الصورة البلاغية من النَّصِّ القرآني ليجليها للمستمع والمتابع، ثم ينتهي دوره عند هذا الحد كغيره من المفسرين اعتماداً على إدراك المتلقي أو طالب العلم، ولكنَّ الشعراوي يُقرب الصُّورة البيانية بمثال حي مجسد ليسطه لطوائف النَّاس، ويتأكد عند المتعلمين. إذ كان «يلجأ إلى المشاهد الملموسة ليكون الاعتراف بواقعية المشاهد دليلاً على صحة ما جاء التمثيل من أجله»²⁷⁷.

²⁷⁶ - تفسير الشعراوي، 6021/10.

²⁷⁷ - مع بيان الشيخ الشعراوي، عبد الوارث حداد، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة، عدد 3 مارس

ويستعرض الشعراوي الآية التالية ويقدم الصورة إجمالاً للمقارنة والموازنة بين أهل

النار وأهل الجنة، يقول الله في أهل النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي

الْمُجْرِمِينَ﴾²⁷⁸، فالآية تعرض لنا سورة المكذبين بالله وجزائهم، يقول

الشعراوي: «فهم لن يدخلوا الجنة وعلى ذلك فقد سلب منهم نفعاً، ولا يتوقف الأمر
على ذلك، ولكنهم يدخلون النار، إذن فهنا أمران: سلب النافع وهو دخولهم الجنة،
إنه سبحانه حرّمهم ومنعهم ذلك النعيم، وذلك جزاء إجرامهم. وبعد ذلك كان

إدخالهم النار، وفي قول الحق: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ

غَوَاشٍ ۗ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾²⁷⁹، فكأن الإجماع كان سبباً في

ألا يدخلوا الجنة، والظلم كان سبباً في أن يكون من فوقهم غواش، لهم من جهنم
مهاد، وهم في النار يحيطهم سرداقها»²⁸⁰.

فهذه الصورة العجيبة توحى بكم هائل من الدلالات والصور والمشاهدات، وكأنّ
القاري والسامع تتكشف أمامه صورة للمكذب العنيد ومصيره المنتظر.

وقد فسر لنا سيد قطب هذه الصورة الفنية التي يتركها المشهد القرآني فقال:

«التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يُعبر بالصورة الحسية المتخيلة عن
المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج
الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاحصة أو

²⁷⁸ - سورة الأعراف، الآية: 40.

²⁷⁹ - سورة الأعراف، الآية: 41.

²⁸⁰ - تفسير الشعراوي، 7 / 4138-4139.

الحركة المتجددة، فإذا المعنى هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، وأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر شاخصة حاضرة، فيها الحياة وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها عناصر التخيل»²⁸¹.

3- مراعاة أحوال جميع المخاطبين وطبقاتهم، فإن من مظاهر إعجاز النَّظم القرآني هو مراعاته لأحوال جميع المخاطبين وإحاطته بالحالات النفسية لكل مخاطب، ومخاطبته أيضاً للملكات الإنسانية الموجودة داخله في آنٍ واحد، وهو ما يُسمى في علم البلاغة بـ: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال".

ونجد من هذه الناحية قد تخطى كل شروط البلاغة في أنه مطابق لكل أحوال البشر على اختلاف ظروفهم، ولذلك تحير الكفار في هذا الإعجاز في مخاطبة الناس جميعاً. فقالوا ساحر سحر الناس بكلامه، لأنه لا يمكن لبشر عادي أياً كان أن يأتي بكلام يطابق كل الأحوال، ولو أخذنا أبلغ بلغاء العصر، وجدوا أن القرآن يخاطب المتعلم وغير المتعلم والعبد والسيد والرجل العادي والحاكم.

يؤكد الشعراوي مسألة خطاب النَّظم القرآني لنفسيات مختلفة بمثال جاء في قوله

تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ^ج وَمَا تُنْفِقُوا

مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ²⁸²﴾. فكلام الله يخاطب ملكات إنسانية خلقها

هو، إذن فلا بُد أن يُغذي هذا الكلام كل الملكات المخلوقة لله، فلو كان الخالق للملكات غير المتكلم لكان من الممكن ألا ينسجم الكلام مع الملكات، وهذه الملكات متشابهة تشابكاً دقيقاً، فتستطيع حين تخاطب ملكة سمعية أن تحرك مواجيد وجدانية، فإن لم يكن العالم بالملكات عليماً بها لما أمكن أن يجيء المنطق موافقاً لملكة سمعية، وموافقاً لملكات وجدانية قد تتأتى بها طبيعة تداعي المعاني، ومعنى "تداعي المعاني" أن

²⁸¹ - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص 38.

²⁸² - سورة آل عمران، الآية: 92.

الإنسان يستقبل معنى من المعاني، فيشير ذلك المعنى إلى معانٍ خبيثةٍ يستدعيها لتحضر في الذهن؛ أي أن المعنى يدعو المعنى²⁸³.

فالله وحده هو الذي انتهت إليه الإحاطة بجميع أحوال الخلق من إنس وجن، من أول خلق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد ذكر عبد العظيم الزرقاني (ت: 1367هـ) في مناهل العرفان: «أن الله هو القادر وحده على تضمين كلامه كل المناسبات التي اقتضتها تلك الأحوال الكثيرة، التي لم يحط ولن يحيط بها سواه، وأنت خير بأن القرآن هو كتاب الساعة... فلا غرو أن يضمه مُترله كل ما تحتاج إليه الأمم على اختلاف أجيالها من المناسبات الملائمة لأحوالهم، وليس ذلك في قدرة أحد إلاّ العليم بأسرار الخلق وخفيات السموات والأرض»²⁸⁴.

4- الانتقال بين أنواع الكلام دون شعور بذلك ، فمن خاصية القرآن الكريم الانتقال من شيءٍ منشورٍ إلى شيءٍ منظوم، ثم من شيءٍ منظومٍ إلى شيءٍ منشور؛ وهذا كما يراه هو وغيره ضرب من ضروب الإعجاز القرآني، ويستشهد على ذلك من

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ^ط عَنْ

نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ^ط وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا^ط أَمَرُهُ لَيُصْجَنَنَّ^ط وَلَيَكُونًا

مِّنَ الصَّغِيرِينَ^ط﴾²⁸⁵، فالكلام مرة يكون نثراً لا يجمعه وزن أو قافية؛ وقد يكون

نثراً مسجوعاً أو مُرسلاً، ومرة يكون الكلام شعراً محكوماً بوزن وقافية... ونحن إذا سمعنا أو قرأنا كلاماً؛ فأذننا تأخذ منه على قدر سُمُو أسلوبه، لكنك إن انتقلنا من

أسلوب إلى أسلوب، فأذننا تلتقط الفارق بين الأسلوبين، فقوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ^ط﴾

²⁸³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1610-1609/3.

²⁸⁴ - مناهل العرفان في علوم القرآن، عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي،

بيروت، لبنان، 1995، 330/2.

- يوسف، الآية: 31. ²⁸⁵

الَّذِي لَمْتَنِي ﴿286﴾، هي موزونه من بحر البسيط، ولكنك لا تشعر أنك انتقلت
من نثر إلى شعر ²⁸⁷.

وكذلك في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ﴾ ²⁸⁸، وأيضاً قوله تعالى: ﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ

الرَّحِيمُ﴾ ²⁸⁹، ووزنها من بحر المُجْتَث ولكنها تأتي وَسَطَ آيات من قبلها ومن

بعدها، فلا تشعر بالفارق، ولا تشعر أنك انتقلت من نثر إلى شعر، ومن شعر إلى نثر؛
لأن تضامن المعاني مع جمال الأسلوب يعطينا جلال التأثير المعجز، وتلك من أسرار
عظمة القرآن الكريم.

5- تحدي الله البشر بنفس الحروف والكلمات، يكشف الشعراوي عن وجه آخر
من الإعجاز فيقول: «والقرآن مادته ليست من جنس أعلى من مادة البشر؛ بل هي
من جنس كلام البشر، الحروف هي الحروف والكلمات هي الكلمات هي التي
تنطقون بها، هي نفس الكلمات المستخدمة، وجاء بكلمات الحروف كأسماء يستطيع
أن ينطق بها الجاهل والمتعلم ومُسميات يستطيع أن ينطق بها المتعلم وحده» ²⁹⁰.
فلم يستطع المعاندون أن يأتوا بمثل ما أتى به الله، وهذا دليل على أن الصانع هو
المختلف، ومن هنا كان التحدي عجباً، ولأن هناك فرق بين قدرة الله وبين قدرة
البشر «فقد وضع الله فيه أسماء الحروف كإعجاز لأن الموحى إليه وهو النبي، أُمي لا

²⁸⁶ - يوسف، الآية: 31.

²⁸⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6938/11.

²⁸⁸ - سورة النور، الآية: 46.

²⁸⁹ - سورة الحجر، الآية: 49.

²⁹⁰ - معجزة القرآن، متولي الشعراوي، 42 / 1.

يقرأ ولا يكتب، على أن الإعجاز في القرآن لا ينتهي إلى هذا الحد، وإنما يمتد إلى دقة اللفظ والتعبير التي يعجز عنها البشر»²⁹¹.

فالقرآن جاء من الحروف نفسها التي تحدث بها العرب، وشاء الله لحكمة يعلمها أن يجعل حروف وكلمات وآيات وأساليب القرآن غير قابلة للتقليد، وبهذا جاءت عظمة القرآن لا من ناحية المادة الخام التي تبني منها الكلمات وهي "الحروف"؛ بل المعاني والنسق الذي جاءت به الحروف، فالمادة الخام واحدة، وصار القرآن معجزة؛ لأن المتكلم هو الله، والحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية نوعاً آخرًا من التحدي، حيث يرى الشعراوي أنه لا يجب أن نجهد أذهاننا لفهم هذه الحروف. ومن منظور الشعراوي أن حياة البشر تقتضي منا في بعض الأحيان أن نضع كلمات لا معنى لها بالنسبة لغيرنا، وإذا كانت تمثل هذه الحروف أشياء ضرورية بالنسبة لنا، فكلمة السر التي تستخدمها الجيوش لا معنى لها إذا سمعتها، ولكن بالنسبة لمن وضعها ثمنها الحياة أو الموت²⁹².

فسر الحروف المقطعة التي جاءت لتثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى القرآن من الملائكة الأعلى، لأنه أمي لم يتعلم شيئاً، لكنّه عرف أسماء الحروف، ومعرفة أسماء الحروف لا يعرفها إلا المتعلم، وقد علمه الذي علم بالقلم وعلم الإنسان ما لم يعلم.

ثالثاً: رؤية الشعراوي للإعجاز الصوتي:

اهتم الشعراوي بالمفردة القرآنية واقتفى أثر علماء التفسير الذين اعتنوا بدراسة المفردات والكشف عن دلالاتها، حيث أن «أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن الكريم العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة»²⁹³. ولا يستغني المفسر عن القرآن وعن ديوان العرب لأنه لا يوجد أفصح منهما، بما تُعرف دلالات الأصوات والكلمات، كما كانت لهم الدقة في الملاحظة وسلامة الحس الفطري في تذوق الأصوات، يقول إبراهيم أنيس: «لقد كان للقدماء من علماء

²⁹¹ - المرجع السابق، 43/1.

²⁹² - ينظر تفسير الشعراوي، 4035/7.

²⁹³ - المفردات، الراغب الأصفهاني، دار النشر و دار القلم، دمشق، (د،ت)، 48 /1.

العربية بحوث في الأصوات اللغوية، وشهد المحدثون الأوروبيون أنّها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والنطق العربي ولاسيما في الترتيل القرآني، ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية وإيصالهم بفصحاء العرب ، كانوا مرهفي الحسّ دقيق الملاحظة، فوصفوا لنا الصوت العربي وصفاً أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم»²⁹⁴.

وقد أدرك الشعراوي أدرك مملكته العربية وفصاحته البلاغية قيمة المفردة وأنها «أصل في التعبير والوضوح في المعنى والصدق في الدلالة، لأنّ الكلمة إذا تمكنت في موضعها دلت على المعنى كله فإذا حُشِرَتْ حَشْرًا أو قُسِرَتْ قَسْرًا دَلَّتْ على بعض المعنى، أو أَلْجأت إلى غيره»²⁹⁵.

وباعتبار أنّ الكلمة هي مجموعة من أصوات، وكل صوت يُؤدي وظيفته الخاصة به، مع العلم أنّ الصوت القرآني له تركيبة مميزة في نظمه ووصفه، وهذا هو سر الإعجاز الصوتي للقرآن، فلو نزعنا حرفاً من القرآن الكريم، وأدرت اللغة من ألفها إلى يائها لما سد مسده حرف آخر.

وهذا الجانب تناوله الشعراوي باعتباره اللبنة الأولى لتشكيل البناء اللغوي، كما ذكر أنّ «للصوت بصمة تختلف من شخص لآخر كبصمة الأصابع، بل بصمة الصوت أوضح دلالة من بصمة اليد، ورأينا لذلك خزائن تُضبط على بصمة صوت صاحبها، فساعة يُصدر لها صوتاً تفتح له»²⁹⁶، وتطرق في تفسيره أيضاً إلى: الحروف المقطعة، والفواصل القرآنية، وملائمة اللفظ للسياق القرآني ، وتناسب السورة ما قبلها وما بعدها... وغيرها من النماذج التي أسهمت في إدراك الإعجاز الصوتي.

ومن نحن نقصد بالإعجاز الصوتي للقرآن مجيئه على هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي، أو التشكيل الصوتي سواء لمفرداته أو جملة أو آياته، أو على المستوى

²⁹⁴ - الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، ص 45، وينظر: الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، كاصد ياسر حسين الزبيدي، مجلة آداب الرفادين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، العدد: 9، 1978، ص 12.

²⁹⁵ - دفاع عن البلاغة، أحمد حسن الزيات، مطبعة النهضة، مصر، 1967، ص 4.

²⁹⁶ - تفسير الشعراوي، 11365/18.

الموسيقي أو الإيقاعي في السورة بأسرها، ومدى موافقة ذلك واتساقه مع المعاني والمقاصد التي تقصد إليها السورة، على نحو من الملاءمة والتناسق والبيان. ولقد كانت مباحث الشعراوي مُنصبة إلى فهم المعنى القرآني وإرشاد الناس إلى فهم دلالة ألفاظ القرآن قصد الهداية ونيل الرضوان، فهو يرى ما يراه أسلافه من أن ألفاظ القرآن الكريم لها تصميم خاص بها، وإن الفصاحة موجودة في كل فاصلة وجملة، ولا يوجد ما يسمى التعقيد اللفظي أو التنافر الصوتي، فالقرآن هو الطبقة العليا من الكلام والخطاب في تناسقه وتركيبه وتلائمه. «ولما كانت أصوات القرآن على أتم ما يكون من التجانس، كان القرآن الكريم كله متلائماً من الطبقة العليا، وذلك بين لمن تأمله»²⁹⁷.

أما ما يتعلق بالأصوات ومخارجها ومحاسنها فإنَّ الشعراوي يرى فيها وجهين: الأول: ألا يكون بين الحروف تنافر مثل أن تكون الكلمة هيع... هيع..²⁹⁸، وقد ذكر الصوتيون أن التنافر حاصل بين البعد الشديد أو القرب الشديد للأصوات، وقد نسب الرُّماني هذا الرأي إلى الخليل إذ قال: «وذلك أنه إذا بع د الشديد كان بمترلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمترلة مشي المقيد، لأنه بمترلة رفع اللسان ورده إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسَّهولة من ذلك في الاعتدال، ولذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال»²⁹⁹.

ويرى ابن سنان الخفاجي (ت: 466 هـ) أنَّ التنافر بين الأصوات يحصل في قرب المخارج فقط. فيقول: «ولا أرى التنافر في بعد ما بين مخارج الحروف وإنَّ م ا هو في القرب، ويدل على صحة ذلك الاعتبار، فإنَّ هذه الكلمة "ألم" غير متنافرة، وهي مع ذلك مبنية من حروف متباعدة المخارج ، لأنَّ الهمزة من أقصى الحلق والميم من الشفتين، واللام متوسطة بينهما، فأما الإدغام والإبدال فشاهدان على أنَّ التنافر في

²⁹⁷ - النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص 94.

²⁹⁸ - ينظر: معجزة القرآن، متولي الشعراوي، 43/1.

²⁹⁹ - النكت في إعجاز القرآن، الرماني، ص 96.

قرب الحروف دون بعدها، لأنهما لا يكادان يردان في الكلام إلا فراراً من تقارب الحروف، وهذا الذي يجب عندي اعتماده لأنّ التبع والتأمل قاضيان بصحته»³⁰⁰.

الثاني: أن تكون الكلمات مُنسجمة ولا تأتي مخالفة لقانون اللغة، ولا تكون غريبة على الأذن، فعندما تستوفي الكلمة هذه الشروط وتوضع في جملة يشترط أن تكون مُنسجمة مع الكلمة الأخرى، خاضعة لقواعد اللغة وليس فيها تعقيد³⁰¹.

فالتأليف بين الكلمات والاتساق بين الجمل من خواص النظم، ولا حدوث لهذا إلا وفق سنن اللغة العربية المعروف، والقرآن الكريم هو من قياسات الكلام العربي الذي أعجز الأولين والآخرين من العرب والعجم، على أنه مركب من جنس حروف العرب، وهذا أدلّ على الإعجاز باعتباره مشاكلاً لكلامهم، وعلى سنن تراكيبيهم، يقول الطبرسي (ت: 548هـ): «إنّ الحروف مباني كتب الله المترلة بالألسنة المختلفة، وأصول كلام الأمم»³⁰²، ولهذا إنّ مخالفة قانون اللغة العربية في البناء وفي الأقيسة لا يحقق شرط الفصاحة والنظم.

رابعاً: فواتح السور القرآنية في نظر الشعراوي:

أطال الشعراوي في توصيف فواتح السور، وكلما افتتح بسورة من القرآن الكريم، إلا وذكر أسباب ورود هذه الحروف المقطعة وأسرارها وعلاقتها بالمفردات وبالسياق الذي جاءت فيه. فما هو السرّ في ذلك إذن؟

ابتداءً لا بد لنا أن نعرف نظرة الشعراوي حول الحروف المقطعة؛ فهو يراها توقيفية من عند الله تعالى، وسُميت مقطعة لأنّ كل حرف ينطق بمفرده، ولم تأت هذه الأحرف على نسق واحد، بل جاءت بحرف وحرفين وثلاثة أحرف وأربعة أحرف وخمسة أحرف، وجاءت مرتبطة بالسياق الذي نزلت به، وبال دلالة التي أرادها الله لها، وسوف نبرز رأي الشعراوي فيها:

³⁰⁰ - سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة،

1969، ص 91.

³⁰¹ - ينظر: معجزة القرآن، متولي الشعراوي، 43/1.

³⁰² - مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلى للمطبوعات،

بيروت، لبنان، ط 1، 1995، 33/1.

1- إنَّ الحروف جاءت مُشكَّلة من كل المخارج، ومبنية على نمط التعديد، يقول الشعراوي: «فمنها حروف مهجورة، وحروف مهموسة، وحروف رقيقة، وحروف رخوة، وقد حدث هذا التقسيم بعد أن نزل القرآن، وبالاستقراء تجد الأربعة عشر حرفاً التي تأتي في فواتح السور تمثل كل أنواع الحروف من: رقيق، ومفخم، ومجهور، ومستعل ومهموس، وبدأ الله بها على أشكال مختلفة»³⁰³.

فالمعلوم عند العربي أنَّ الحرف الذي بني عليه كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السور التي ذكر فيها الحروف المقطعة ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف هو أربعة عشر حرفاً. يقول الزمخشري: «اعلم أنَّك إذا تأملت ما أورده الله عزَّ سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء ، وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء، وهي: الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم، ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف»³⁰⁴.

فإذا نظرنا إلى الأربعة عشر حرفاً وجدناها تمثل نصف الحروف الأبجدية، وهذا النصف فيه نصف أحكام الحروف، فبعضها منشور ومهموس ومخفي ومستعل، ومن كل نوع تجد النصف، مما يدل على أنَّها موضوعة بحساب دقيق وبنظام عجيب، لأنَّ

قائلها هو رب العالمين العالم بأسرار خلقه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا

أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي

³⁰³ - تفسير الشعراوي، 5631/9.

³⁰⁴ - الكشاف، الزمخشري، 138/1.

ءَاذَانِهِمْ وَقَرَّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمَّى أَوْلَاتِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ

بَعِيدٍ ﴿٣٠٥﴾ .

ولقد جاءت هذه الأحرف مرة بحرف واحد مثل ﴿ص﴾³⁰⁶ وفي ﴿ق﴾³⁰⁷ ،

وفي ﴿ن﴾³⁰⁸ ؛ إذن: فثلاث سور ابتدأت بحرف واحد، وهناك عشر سور

ابتدأت بحرفين اثنين مثل: ﴿طه﴾³⁰⁹ و﴿يس﴾³¹⁰ و﴿طس﴾³¹¹ و﴿حم﴾³¹² ،

وهناك سور بدئت بثلاثة حروف: {الم} مثلما بدأت سورة البقرة، وآل عمران،

والعنكبوت والروم، ولقمان والسجدة، وهناك سور قد بدئت بـ {الر}، وثلاث

سور تتفق في الألف واللام، وتختلف في "الميم والراء"، و{الر} في أول سورة يونس،

ويوسف، وهود، وإبراهيم، والحجر، وهناك سورة قد بدئت بأربعة أحرف

مثل: ﴿الْمَصَّ﴾³¹³ ، وكذلك: ﴿الْمَرَّ﴾³¹⁴ ، وسورتان بدأت بـ

﴿طسّم﴾³¹⁵ ، وسور قد بدأت بخمسة حروف مثل: ﴿كهيعص﴾³¹⁶ ،

³⁰⁵ - سورة فصلت، الآية: 44.

³⁰⁶ - سورة ص، الآية: 1.

³⁰⁷ - سورة ق، الآية: 1.

³⁰⁸ - سورة القلم، الآية: 1.

³⁰⁹ - سورة طه، الآية: 1.

³¹⁰ - سورة يس، الآية: 1.

³¹¹ - سورة النمل، الآية: 1.

³¹² - سورة غافر، الآية: 1. وسورة فصلت، الآية: 1. وسورة الشورى، الآية: 1، وسورة الزخرف، الآية:

1. وسورة الدخان، الآية: 1. وسورة الجاثية، الآية: 1. وسورة الأحقاف، الآية: 1.

³¹³ - سورة الأعراف، الآية: 1.

³¹⁴ - سورة الرعد، الآية: 1.

³¹⁵ - سورة الشعراء، الآية: 1. وسورة القصص، الآية: 1.

وكذلك ﴿حَمَّ عَسَقَ﴾³¹⁷، ومرة يطلق الحرف أو الحرفان في أول السورة ولا

تعتبر آية وحدها؛ بل جزءاً من آية، وهناك سورتان تبدآن بأحرف وتعتبر آية مثل {طه} و{يس} ÷ أما في سورة النمل فهي تبدأ بـ {طس} ولا تعتبر آية وحدها³¹⁸.

إن هذه الحروف التي تتقدم السور عندما نسمعها تجعلنا ننتبه ونركز في القول الذي سوف يقال، وهي توحى بمعان ودلالات لا تعد ولا تحصى، أقل بما يقال عنها أنها تكتسي نظاماً صوتياً فريداً.

ويرى الخطابي أن قوله: ﴿الْمَ﴾³¹⁹ جاء مناسباً للسورة فيقول: «لأن الألف المبدوءة

بها هي أقصاها مطلقاً، واللام متوسطة، والميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفة، فنبه بذكرها على غيرها من الحروف، وبيّن أنه إنما أتاهم بكلام منظوم مما يتعارفون من الحروف التي تردد بين هذين الطرفين»³²⁰.

2- فواتح السور المكونة من حروف هي مبنية على الوقف، والقرآن مبني على

﴿وَهُوَ﴾

الوصل دائماً، وليس على الوقف، فإذا قرأت مثلاً في آخر سورة يونس:

﴿خَيْرُ الْحَكِيمِينَ﴾³²¹ لا تجد النون عليها سكون، بل تجد عليها فتحة موصولة

بقول الله "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، ولو كانت غير موصولة لوجدت عليها سكوناً، فلا تقرأ في أول سورة البقرة: {الم} والميم عليها ضمة، بل تقرأ ألفاً عليها سكون،

316- سورة مريم، الآية: 1.

317- سورة الشورى، الآية: 1-2.

318- ينظر: تفسير الشعراوي، 9 / 5632-5633.

319- سورة البقرة، الآية: 1.

320- إعجاز القرآن، الباقلائي، 68 - 69.

- سورة يونس، الآية: 109.³²¹

ولاماً عليها سكون، وميماً عليها سكون، كحرف منفرد بوقف، مع أن الوقف لا يوجد في ختام السور ولا في القرآن الكريم كله³²².

فمناسبة فاتحة السورة بخاتمة التي قبلها، وقد أشار الى هذا المعنى الطوسي في التبيان فقال: «وأجمع النحويون على أن هذه الحروف مبنية على الوقف لا تعرب، كما بني العدد على الوقف، ولأجل ذلك جاز أن يجمع بين ساكنين، كما جاز ذلك في العدد»³²³.

فالشعراوي وغيره من المفسرين³²⁴ يرى أن القرآن كله وحدة لا تتجزأ وكل لا يتبعض، وأن القصة القرآنية تُقسم على فصول متعددة في سورة مختلفة، تُظهر كل سورة جزءاً معيناً بالتفصيل مع ما يتناسب مع جو السورة العام، بيد أنها لا تغفل عن الإشارة عن مجمل السورة ولو بشكل مختصر.

3- نُطق فواتح السور بأسمائها؛ أي أن هذه الحروف تُنطق كنطق الأصوات ولا تُلفظ كلفظ الحروف، يقول الشعراوي: «ونجد في فواتح السور التي تبدأ بأسماء الحروف تنطق الحروف بأسمائها، وتجد الكلمة نفسها في آية أخرى تنطق بمسمياتها، فـ "الم" في أول سورة البقرة نطقها بأسماء الحروف ألف لام ميم، بينما تنطقها

بمسميات الحروف في شرح السورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ

صَدْرَكَ﴾³²⁵، ما الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينطق {الم} في

سورة البقرة بأسماء الحروف، وينطقها في سورتي الشرح والفيل بمسميات الحروف، لا بد أنه سمعها من الله كما نقلها جبريل عليه السلام إليه»³²⁶.

³²² - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 104.

³²³ - التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب القصير، المطبعة

العلمية، النجف الأشرف، 1957، 1/ 50.

³²⁴ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 2/ 316.

³²⁵ - سورة الانشراح، الآية: 1.

³²⁶ - تفسير الشعراوي، 1/ 105.

فالقرآن أصله السَّماع كما سمعه رسول الله وحفظه، ولا بد لقارئ القرآن أن يسمع حروف وكلمات القرآن من قارئ لكي يفقه رسمه، لأنه مرة يأتي باسم الحرف، ومرة يأتي بمسميات الحرف، ولا يمكننا معرفة هذا إلا إذا استمعنا لقارئ يقرأ القرآن، «فكلها تنطق بأسماء تلك الحروف أصواتاً، لا بأشكالها الهجائية المرسومة، مما يقرب منها البعد الصوتي المتوخى» في حين أنها كتبت في المصاحف على صورة الحرف لا صورة الأصوات»³²⁷.

وللزمخشري كلام جميل ذكره أثناء تفسير فواتيح سورة البقرة، فقال في: {أَلَمْ} «اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء، مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها رُكبت الكلم، فقولك: - ضاد- اسم سمي به: "ضَه" من ضَرَبَ إذا تهجته، وكذلك: "را، با" اسمان، لقولك: "ره، به". وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة، وهي أن المسميات لما كانت ألفاظاً كاساميتها، وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة، اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا على المسمى، فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم كما ترى»³²⁸.

4- يرى الشعراوي أن السؤال عن الحروف المقطعة في القرآن خطأ، فهو مرفوض؛ لأن الحرف لا يُسأل عن معناه في اللغة إلا إن كان حرف معنى، والحروف نوعان: حرف مَبْنَى وحرف معنى؛ حرف المبني لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط، أما حروف المعاني فهي مثل في. ومن.. وعلى، (في) تدل على الظرفية، و(من) تدل على الابتداء و(إلى) تدل على الانتهاء، و(على) تدل على الاستعلاء، هذه كلها حروف معنى»³²⁹.

فموقف الشعراوي يقضي بعدم إجهاد أنفسنا بالبحث عن سر هذه الحروف، فحياة البشر تقتضي منا في بعض الأحيان أن نضع كلمات لا معنى لها بالنسبة لغيرنا، وإن كانت تمثل أشياء ضرورية بالنسبة لنا.

³²⁷ - رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، 2003، 132.

³²⁸ - الكشف، الزمخشري، 1/ 128.

³²⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 106.

ككلمة السر التي تستخدمها الجيوش لا معنى لها إذا سمعناها، ولكن بالنسبة لمن وضعها يكون ثمنها الحياة أو الموت، وهو الرأي الذي قال به الطبري(ت: 310ه) في

معرض حديثه عن "آلم" في أول سورة البقرة؛ وبعد أن سرد الآراء المتعددة في ذلك، بأنهم: فواتح ما افتتح بهم من سور القرآن، وهنَّ اسم الله الأعظم، وهنَّ مما أقسم بهم، وهنَّ من حروف حساب الجمل، وهنَّ للسور التي افتتحت بهم شعار وأسماء. ثم قال: «فَذَلِكَ يَحْوِي مَعَانِي جَمِيعَ مَا وَصَفْنَا مِمَّا بَيْنَنَا مِنْ وُجُوهِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ لَوْ أَرَادَ بِذَلِكَ أَوْ بِشَيْءٍ مِنْهُ الدَّلَالََةَ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مِمَّا يَحْتَمِلُهُ ذَلِكَ دُونَ سَائِرِ الْمَعَانِي غَيْرِهِ، لِأَبَانِ ذَلِكَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِبَانَةَ غَيْرِ مُشْكَلَةٍ»³³⁰.

5- معجزة القرآن في نسق حروفه المقطعة، يرى الشعراوي أن القرآن كلام الله، وكلام الله صفته، وصفته لا تتناهى في الكمال، فإن عرفت كل مدلولاتها، تكون قد حددت الكمال بعلم، لكن القرآن لا نهاية له³³¹.

فالمقصود من قول الشعراوي والذي فهمناه، أن لكل حَرْفٍ مِنْهُ دَالٌّ عَلَى مَعَانٍ شَتَّى ، مُعْجَزٌ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمَثَلِهِ، شَامِلٌ جَمِيعَهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَاتِهِ.

وقد وجدنا لهذا الرأي تفسير رواه الإمام الطبري قال: «وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: ذَلِكَ حُرُوفٌ مُقَطَّعَةٌ بَعْضُهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَعْضُهَا مِنْ صِفَاتِهِ ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَى الْحَرْفِ الْآخَرَ، فَإِنَّهُمْ نَحَوًا بِتَأْوِيلِهِمْ ذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ³³²:

قُلْنَا لَهَا فِي لَنَا قَالَتْ قَافٍ لَأَ تَحْسِبِي أَنَا نَسِينَا الْإِيحَافِ

يعني بقوله: قَالَتْ قَافٍ. قالت: وَقَفْتُ، فَذَكَتْ بِإِظْهَارِ "القَافِ" مِنْ "وقفتُ" على مُرَادِهَا مِنْ تَمَامِ الْكَلِمَةِ، فَصَرَفُوا قَوْلَهُ: "آلم" وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ إِلَى نَحْوِ هَذَا الْمَعْنَى³³³.

فقد شاء الله أن يجعل حروف القرآن وكلماته وآياته وأساليبه غير قابلة للتقليد؛ لأنَّ المتكلم مختلف، وبهذا جاءت عظمة القرآن لا من ناحية الحروف؛ بل المعاني والنسق الذي جاءت به الحروف، وصار بها القرآن معجزة. وقد ذكر ابن كثير في معرض

³³⁰ - جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، 225/1.

³³¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 5640/9.

³³² - شعر الرجز للوليد بن عقبة، ذكر في شرح شواهد الشافية، ابن الحاجب، 271/4.

³³³ - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، 216/1.

حديثه عن سر الحروف التي في أوائل السور القرآنية فقال : «إِنَّمَا ذُكِرَتْ هَذِهِ
الْحُرُوفُ فِي أَوَائِلِ السُّورِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا بَيِّنَاتٌ لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، وَأَنَّ الْخَلْقَ عَاجِزُونَ
عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ هَذَا ، مَعَ أَنَّهُ مُرَكَّبٌ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقْتَطَعَةِ الَّتِي يَتَخَاطَبُونَ
بِهَا ، وَقَدْ حَكَى هَذَا الْمَذْهَبَ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ عَنِ الْمُبَرِّدِ ، وَجَمَعَ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ
وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْفَرَّاءِ وَقَطْرُبٍ نَحْوِ هَذَا ، وَقَرَّرَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ فِي كَشَافِهِ وَنَصَرَهُ
أَتَمَّ نَصْرًا وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَمَاءُ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ، وَشَيْخُنَا الْحَافِظُ
الْمُحْتَمِدُ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَزِّيُّ ، وَحَكَاهُ لِي عَنْ ابْنِ تَيْمِيَّةَ»³³⁴ .

فالشيخ الشعراوي يقول إن هذه الأحرف توقيفية وأما إعجاز من الله، وفي الوقت
نفسه يبرز مدلولاتها التي جاءت من أجلها، وكأن الشيخ التبس عليه الأمر، كيف؟؟

أولاً: عند تفسير قوله تعالى: ﴿طه﴾³³⁵ ، يفسر الآية بأن لا مانع أن تدل هذه

الحروف على اسم من الأسماء، فتكون (طه) اسماً من أسماء الرسول صلى الله عليه

وسلم خاصة، وأن بعدها: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾³³⁶ ، لكن

الملاحظ الفارق في النطق، فنطق الطاء والهاء بدون الهمزة، مع أنها حروف مقطعة
مثل (ألف لام ميم)، فلم يُنطق الحرف كاملاً لأنهم كانوا يستثقلون الهمز فيخففونها،
كما في ذئب يقولون: ذئب وفي بئر، يقولون: بئر، وهذا النطق يُرجح القول بأنها
اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم³³⁷ .

ثانياً: يعلل الشعراوي أن سبب ورود هذه الأحرف في بداية السورة جاءت لإيقاظ
السامع وتهيئ الأذهان حتى نسمع، ثم تأتي الآيات الحاملة للمنهج من بعد ذلك،
فيقول: «وقد فهم العربي القديم عن الحروف التوقيفية في أوائل بعض السور أشياء،

³³⁴ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض

، السعودية، ط2، 1999، 36/1.

³³⁵ - سورة طه، الآية: 1.

³³⁶ - سورة طه، الآية: 2.

³³⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 15 / 9017.

وللغته فيها نظائر؛ لأنه مثلاً حين يقرأ الشعر، ويلتفت إلى شاعر عمرو بن كلثوم في قوله³³⁹:

أَلَا هَبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأُنْدَرِينَا
وفي قوله³⁴⁰:

أَلَا لَا يَجْهَلُنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا
فما معنى ألا هنا، ولماذا جاءت؟

فالمعنى واضح بدونها، لكن العربي القديم قد نطق هذا البيت، وعرف أن الكلام وسيلة إفهام وفهم بين المتكلم والسامع، والمتكلم هو مالك الزمام في أن يتكلم أو لا يتكلم، والسامع مفاجأ بالكلام، فإذا ما ألقى الكلام إلى السامع؛ قد يكون في ذهنه مشغولاً، وإلى أن ينتبه لكلماتك، قد تفوته جزئية من جزئيات الكلام؛ فتنبه أنت إلى ما قلت، فيتنبه³⁴¹.

وفي معرض آخر يؤكد الشعراوي أن هذه الحروف وُضِعَتْ في اللغة أدوات للتنبه، إن أردت الكلام في شيء مهم تخشى أن يفوت منه شيء تُنبّه السامع، ومن ذلك قول امرؤ القيس³⁴²:

أَلَا عِمَّ صَبَاحاً أَيُّهَا الظَّلُّ البَالِي وَهَلْ يَعْمَنُ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي

³³⁸ - هو عمرو بن كلثوم أبو الأسود، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في شمال جزيرة العرب، ساد قومه تغلب وهو فتى، وعمر طويلاً، توفي نحو عام 40 قبل الهجرة، من أشهر شعره، معلقته. ينظر:

الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002، 84/5.

³³⁹ - ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق: إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1991، 1، ص64.

³⁴⁰ - المصدر السابق، ص78.

³⁴¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 9018 / 15.

³⁴² - هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر من كندة، ولد سنة 500م، وهو من قبيلة كندة، نشأ امرؤ القيس في بيت ملك واسع الجاه، أخذ يقول الشعر ويصور به عواطفه وأحلامه، ودفن في انقره سنة 540م، من ألقابه: الملك الضليل، ذا القروح. وهذه القصيدة يتغزل ويصف مغامراته ووصيده وسعيه إلى المجد، ينظر: ديوان امرؤ القيس، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2،

2004، ص135.

إذن: (ألا) هنا أداة للتنبيه فقط يعني: اسمعوا وانتبهوا لما أقول³⁴³.

وذهب الزمخشري إلى أن هذه الأسماء لم تعدد بأجمعها في أول القرآن، بل جاءت مفرقة على السور، لأن إعادة التنبيه على أن التحدي به مؤلف منها لا غير، وتجديده في غير موضع واحد أوصل إلى الغرض، وأقر له في الأسماع والقلوب من أن يفرد ذكره مرة واحدة³⁴⁴.

فقد يكون من أغراض هذه الحروف المقطعة التنبيه والايقاظ، لأنهم أعرضوا عن القرآن، وردوا إلى عدم استماعه، ومن ثم قال بعضهم ابْتَدَيْتَ بِذَلِكَ أَوَائِلُ السُّورِ لِيَفْتَحَ لِاسْتِمَاعِهِ أَسْمَاعَ الْمُشْرِكِينَ - إِذْ تَوَاصَوْا بِالْإِعْرَاضِ عَنِ الْقُرْآنِ - حَتَّى إِذَا اسْتَمَعُوا لَهُ، تُلِيَ عَلَيْهِمُ الْمُؤَلَّفُ مِنْهُ³⁴⁵.

والحق أن استقرار مرادات هذه الحروف المقطعة - وإن لم ندرك أسرارها إلى الآن - لا يخرجها عن حقيقة واقعها الصوتي في الأسماع، ولا جوهرها الإنصاتي في الأذهان، فهي من جنس أصوات العرب في لغتهم، ومن نسيج حروف معجمهم، ومن روح أصداء لغة القرآن العظيم، ولا يمانع هذا الاستقرار على اختلاف وجهات النظر فيه من ثموخ الصوت اللغوي في أضوائها، وبروز ملح الموسيقى والأداء الإيقاعي في مكنوناتها.

وتبقى التفسيرات ساجدة في تيارات هذه الحروف المتلاطمة، أما علمها عن الخير

العليم قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

³⁴³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 15/ 9489.

³⁴⁴ - ينظر: النظم القرآني في تفسير الكشاف للزمخشري، درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1969، ص 17. وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 33/1، وينظر: بحر العلوم، السمرقندي، 4/1، وينظر: مجمع وينظر: البيان الطبرسي، 33/1، وينظر: التبيان، الطوسي، 43/1 - 48، وينظر: إرشاد ذوي العقل السليم، أبي السعود، 6/1 - 13، وينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 168/173، وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 2/11، وينظر: البحر المحيط، أبو حيان، 21/1 - 25، وينظر: الإتيقان في علوم القرآن، السيوطي، 27/2.

- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، 217/1.³⁴⁵

يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ³⁴⁶

والشعراوي كغيره من المفسرين طرق هذا الباب وقدم رأيه المتواضع ، ولا يمنع ذلك من كشف سيل الحكم والإشارات والتوجيهات والملاحم اللغوية التي أفادنا بها، بل البحث متواصل والدراسات الصوتية الإعجازية المتخصصة متواصلة، فهو ليس تفسيراً لها بملاحظ أن التفسير هو الكشف عن مراد الله تعالى من قرآنه المجيد ؛ بقدر ما هو إشعاع من لمحاتها وقبس من أضوائها ودلالات عن إيحاءاتها، الذي سلكه السالكون أمثال الشعراوي وغيره، وبهذا المنهج قد وضح لنا أسرار الإعجاز الصوتي في فواتح السور القرآنية، وعرض لنا نظرتة فيها، بحيث جاءت آرائه موافقة لما قدمه المفسرون والبلاغيون ولم يخرج عن النطاق العام في هذه المسائل.

خامساً: الكلمة القرآنية وخصوصية استعمالها في نظر الشعراوي:

إن التأمل في استعمال المفردة في النص القرآني يخرج بتصورات منها ما يتصل بإيقاعها الصوتي، ومنها ما يتصل بخصوصية توظيفها القرآني ، ولا شك أن للكلمة والجملة والمقطع في القرآن قيمة بليغة، فهو من جهة يتصل بالمعنى ويتممه، ومن جهة أخرى يتصل بنظام الفواصل وينسقها على نحو من الملائمة والمطابقة العجيبة التي يستبعد وقوعها في كلام البشر، وهذه هي خاصية النظم القرآني.

وقد عبر الباقلائي عن هذا فقال: «ونظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل المسجع، ثم إلى معدل

³⁴⁶ - سورة آل عمران، الآية: 7.

غير مسجع، ثم إلى ما يرسل إرسالاً، وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه ومباين لهذه الطرق»³⁴⁷.

ولقد اتخذ القرآن الكريم منهجاً فريداً في انتقاء اللفظة القرآنية، مراعيًا أبعادها الصوتية والاشتقاقية والدلالية، ثم في توظيفها في السياق التركيبي، ولذا فاللفظة القرآنية في هذا الإطار تتمتع بكل عناية واهتمام منذ لحظة اختيارها وتوظيفها، ومن ثم فكل مشهد وقصة فيه، وفي كل مطلع منه وختام نجد أسلوباً إيقاعياً فنيًا متميزاً، «كما أن وضع الكلمة في الآية واختيار موقعها والتثامها مع جاراتها، له الأثر الكبير في إعطاء هذا الجرس الخاص والإيقاع المؤثر في نفس السامع»³⁴⁸.

فالعربية لغة شاعرية موسيقية، والقرآن يسير على سنن ها وعلى نمطها في التعبير ، وبذلك تميز أسلوبه بالإيقاع المعجز، والجرس المحير للأذهان والعقول، والإيقاع القرآني أنموذج للتناسق الفني، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه، وآية من آيات الإعجاز الذي يتجلى في نمط أسلوبه. فـ«كثيراً ما نجد الكلمة القرآنية توحى بمعنى يضاف إلى معناها المعجمي أو العرفي، من خلال جرس أصواتها التي تحاكي الحدث ، فترسم صورة الحدث في ذهن المتلقي أو القارئ، وذلك غير ما أشارت إليه الدراسات اللغوية منذ عصر الإغريق التي قالت برمزية الأصوات»³⁴⁹.

ولقد عني علماء اللغة القدماء بالصيغ الصوتية ومناسبتها للمعاني التي وضعت لها، ومنهم ابن جني(ت: 392 هـ) الذي اهتم بدراسة الدلالة الصوتية في باب "إمساس الألفاظ أشباه المعاني" حيث قال: «فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلئب عند عارفيه مأموم، وذلك إنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها فيعدلونها ويحتذونها وذلك أكثر مما تقدره وأضعاف ما نستشعره»³⁵⁰.

³⁴⁷- إعجاز القرآن، الباقلائي، ص 35.

³⁴⁸- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1988، ص 145.

³⁴⁹- الكلمة القرآنية وخصوصية استعمالها، زهير غازي زاهد، مجلة ينبع، عد: 30/29، 2008، ص

³⁵⁰- الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت، 157/2.

ونحن في هذا المقام لا نبحث في أصل معاني الألفاظ عند واضع اللغة ، إنما يهمننا إبراز المعاني والدلالات المكتسبة من حكاية الأصوات وتناسبها ، وما تضيفه وتوحيه صفاتها المؤلفة من ظلال المعاني إلى المعنى المعجمي ، فالتكرار الصوتي والمقطعي يوحى بتكرار الحدث، والتشديد يوحى بالمبالغة والكثرة، وانسجام أصوات الكلمات في سياقها يوحى بالسلاسة والرقّة ، وهذه معاني تضاف إلى معانيها المعجمية ، وبالتالي تكتسب المفردة خصوصية متنوعة في الوضع والدلالة.

ولقد استعمل القرآن الكريم ألفاظاً ذات أصوات تحمل طاقة إيجابية توحى بمعانٍ تضاف إلى معناها العرفي، فقد تولّد مع اني التضخيم والمبالغة والشدة في الصوت، والصوت هو الذي يحاكي السياق الكائن فيه، مثل ما توحى الكلمات التالية: "الصاخّة، الحاقّة، الطامّة، سجّيل، عتلّ ، زقوم " ، فكل هذه الكلمات في سياقاتها المختلفة من الآيات تتولد منها معانٍ إيجابية تضاف إلى المعنى المعجمي، فأصواتها وبنيتها توحى بظلال وافر من الدلالات والمعاني.

وقد عبّر الرافعي عن بلاغة الصوت في الأداء الصوتي فقال: «وليس بخفي أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنوع الصوت بما يخرج فيه مدّاً أو غنةً أو ليناً أو شدةً، وبما يُهبئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع أو الإطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى»³⁵¹ ، أما الشعراوي فقد أولى عناية كبيرة لوقع المفردة في السياق القرآني وذكر أنّ كل حرف وكل مقطع صوتي جاء في سياقه المناسب، وما جاء في تفسيره ما يلي:

1- مناسبة تكرار المقطع:

تلجأ اللغة العربية إلى إثراء سياقاتها بإنتاج صيغ جديدة ، وذلك يتم باعتماد تكرار المقاطع داخل بنية الكلمة رغبة في إثراء دلالة هذه الكلمة، وبالتالي كلما تكرر الحرف يتكرر معه الصوت على حد قول ابن جني، من اعتبار الحرف صوت يعبر عن غرض

- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص65. ³⁵¹

معين، فتكرار الحروف في الفعل الثلاثي مثلاً يكون على وجه واحد بتضعيف الحرف الثاني (أي تكراره) ليصير الثاني والثالث في الكلمة من جنس واحد كما في (مدّ، وشدّ، وردّ، وضلّ).

وقد ذكر ابن جني في حديثه عن التكرار والتضعيف في الفعل (جرّ) أنّهم؛ أي - العرب - «قدّموا الجيم لأنّها حرف شديد، وأول الجر بمشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثمّ عقبوا ذلك بالراء وهو حرف مكرر، وكررها مع ذلك في نفسها، وذلك لأنّ الشيء إذا جرّ على الأرض في غالب الأمر اهتز عليها واضطرب صاعداً عنها، ونازلاً إليها، وتكرر ذلك منه على ما فيه من التعتة والقلق، فكانت الراء لما فيها من التكرير، ولأنّها أيضاً قد كرّرت في نفسها، في جرّ وجرّرت، أوفق لهذا المعنى من جميع الحروف غيرها»³⁵².

وقد عبر الشعراوي عن تكرار الصوت في المفردة بـ "تعبير الصوت عن واقعية

الحركة " في مثل كلمة "الزلزلة" في قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ

زُلْزَالَهَا﴾³⁵³، وهذه الكلمة لها مقطعان هما "زَلْ، زَلْ" و"زَلْ"؛ أي سقط عن مكانه

أو وقع من مكانه، والثانية لها المعنى نفسه أيضاً، أي وقع من مكانه، فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر: وقوع أول، ووقوع ثانٍ، والوقوع الثاني ليس امتداداً للوقوع الأول؛ ولكنه في اتجاه معاكس، فلو كانت في اتجاه واحد لجاءت رتيبة، إنّ الزلّة الثانية تأتي عكس الزلّة الأولى في الاتجاه، فكأنّها سقوط جهة اليمين مرة، وجهة الشمال مرة أخرى.

وهكذا "الزلزلة" تحمل داخلها تغير الاتجاه الذي يُسمى في الحركة بالقصور الذاتي ، و{وَزُلْزِلُوا} يعني أصابتهم الفاجعة الكبرى، الملهية المتكررة، وهي لا تتكرر على نمط واحد، إنّما يتعدد تكرارها، فمرة يأخذها الإيمان، ثمّ تأخذها المصائب والأحداث³⁵⁴.

³⁵² - الخصائص، ابن جني، 2 / 166.

³⁵³ - سورة الزلزلة، الآية: 1.

³⁵⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1 / 915.

فالكلمة تُحاكي حركة الزلزلة وتوظيفها في الآية مناسب لا بهيئة النطق «وإنما من جهة أن التركيب الصوتي للكلمة "زَلْزَل" بما فيها من تكرار وتتابع يحاكي بصورة تركيبه لا بجرسه ولا بهيئة نطقه، وذلك لأن الزلزلة ليس لها صوت يحاكي وإنما لها صورة، وهي الاهتزاز والتتابع، ومن ثم وقع التناسب بين صورة اللفظ وصورة الفعل»³⁵⁵.

ونجد أيضا في قوله تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ هُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا

وَدْرِي عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ اتَّهَمَا﴾³⁵⁶، فلقد جاءت لفظة "وَسَّوَسَ" ملائمة

للسياق المنطوقة فيه ومناسبة لجو السورة، والشعراوي يقول: «إن كلمة "وَسَّوَسَ" تدل على الهمس في الإغواء، وهي مأخوذة من الصوت المغربي، لأنَّ الوَسَّوَسَةَ هي صوت رنين الذهب والحلي، إذن فما قاله الشيطان لآدم وزوجه هو كلام مغرٍ ليلفتهما عن أوامر رب حكيم، والآية تعطينا حيثيات البراءة لحواء»³⁵⁷.
 فلفظة "وَسَّوَسَ" المذكورة بتشكيلها الصوتي وما تدل عليه من الوقائع والأفعال، توضح حقيقة الحدث المغربي، «والكلمة بما فيها من تضعيف وتكرير لهذا المقطع (وَسَّ) الذي يشتمل على هذه الأحرف التي تصدر أصواتاً غائمة مشوشة هو أشبه شيء بهذه الوسوسة الغائمة الخفية»³⁵⁸، وبالتالي حدوث الأصوات وتكرارها مناسب للسياق العام الذي جاءت فيه.

وفي موضع آخر يذكر الشعراوي سر تكرار المقطع "كَبَّ" في قوله

تعالى: ﴿فَكَبَّكُوبًا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾³⁵⁹، فاللفظ "كَبَّ" يأتي مُنْسَجِمًا

- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2004، 355 ص73.

³⁵⁶ - سورة آل عمران، الآية: 20.

³⁵⁷ - تفسير الشعراوي، 7 / 4081.

³⁵⁸ - الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، عبد الحميد هنداوي، ص 63.

³⁵⁹ - الشعراء، الآية: 94.

تمام الانسجام مع سياق العذاب، والفعل يحاكي الحدث الواقع، حيث تسمع هذه الجملة وكأنك ترى العصاة يلقون في النار بهذا الوصف الذي أراده الله، يقول الشعراوي: «والفعل كَبَّكَب، يعني: كبّوا مرة بعد أخرى على وجوههم، فهي تعني تكرار الكبّ، فكلما قام كُبَّ على وجهه مرة أخرى، وهي على وزن "فَعَّلَلَّة" الدال على التكرار كما تقول: زقزقة العصفير، ونقنقة الضفادع، والمراد هنا الأصنام تكبّ على وجوهها»³⁶⁰. ويرى الزمخشري أنّ الكبّ كَبَّ كَبَّ كَبَّ، أي جعل التكرير في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى، كأنه إذا ألقى في جهنم ينكب مرة بعد مرة، حتى يستقر في قعرها³⁶¹. غير أن ابن عطية اعتبر «الكبكة والكب إلقاء لمرة واحدة و "كَبَّكَب" مضاعف من "كَب" لأنّ معناه واحد»³⁶².

فالتعبير بهذه اللفظة مُنْسَجَم والسِّيَاق المنضوية فيه، واللفظة تصور يجرسها معناها المقصود، وتعبير الشعراوي موافق للزمخشري وهو رأي سيد قطب أيضاً، فرأى أنّ: «صوتهم يكاد يسمع من جرس اللفظ، صوت تدافعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، صوت الكركبة الناشئ من الكبكة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف»³⁶³.

وقد تناول محمد حسين علي الصغير في كتابه: "الصوت اللغوي في القرآن الكريم" مجيئ صيغتين من صيغ العربية تدلان على الحدث الصوتي من جانبيين: أ- صيغة "فَعَّال" وتستعمل في جزء كبير منها للدلالة على الأصوات والضوضاء مثل: صرّاخ.

³⁶⁰ - تفسير الشعراوي: 3/ 1609.

³⁶¹ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 4/ 400.

³⁶² - المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، 4/ 236.

³⁶³ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/ 2605.

ب- صيغة "فَعَلَّة"، فإنها تستعمل في العربية في جزء كبير منها للدلالة على حكايات الأصوات مثل: «العَرغَرَة» فإنَّ صوتها من جنس تشكيل حروفها لفظياً، وإنَّ معناها صدى من أصداء صوتها³⁶⁴.

وبهذا التحليل نرى أنَّ تكرار المقطع في السورة القرآنية يعطينا أداءً مختلفاً من الايقاع، ورموزاً متنوعة الدلالات، وذلك حسب السياق، وبالتالي نجد الشعراوي يُقر مثل ما أقره ابن جني من قبل في أنَّ الصوت المكرر في اللفظة الواحدة دلالة على التكرار، وأنَّ مكان هذه الدلالة تتجلى في المصدر الرباعي للفعل، لا في الفعل الثلاثي المضاعف.

2- التجانس الصوتي في توثيق المعنى:

نتبه الشعراوي إلى الدلالة الصوتية وهي القيمة التعبيرية التي يستشعرها الإنسان من مجموع حروف (أصوات) الكلمة، حيث يمكن أن يستشف منها معنى قريباً من معناها

الحقيقي كما في كلمة (أَرَكْ سَ) في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ

وَاللَّهُ أَرَكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾³⁶⁵، و{أَرَكَسَهُمْ} مأخوذة من "رَكَسَهُمْ" ومعناها

"رَدَّهُمْ"، كأنهم كانوا على شيء ثم تركوه ثم ردهم الله إلى الشيء الأول، و هي مأخوذة من شيء اسمه "الرَّكْسُ" -بفتح الراء- وهو رد الشيء مقلوباً ومنه "الرَّكْسُ" بكسر الراء هو الرجيع الذي يرجع من معدة الإنسان قبل أن يتمثل الطعام ، ويكون الرَّكْسُ أن تجعل رأسه في مكان قدمه وقدمه في مكان رأسه³⁶⁶.

فلاحظ أنَّ كلمة "الرَّكْسُ" جاءت موافقة لحال المنافقين، أي أنَّهم ارتدوا من قبل أن ينتفعوا بأي شيء من الإيمان ، وجاء عن الزجاج أن: «أَرَكَسَهُمْ» بمعنى تَكْسَهُمْ

³⁶⁴ - الصوت اللغوي في القرآن الكريم، محمد الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1، (د،ت)،

وردهم»³⁶⁷، وقد فرق الراغب الأصفهاني بين الرَّكْسُ والنَّكْسُ فقال: «الرَّكْسُ أبلغ من النَّكْسِ، لأنَّ النَّكْسَ ما جعل أسفله أعلاه، والرَّكْسُ أصله ما جعله رجيعاً»³⁶⁸. وبالتالي نرى أن التجانس الصوتي لهذه الكلمة أكسبها مدلولاً جديداً وساهم في تجانس الصوت مع معناها المراد.

ومن أمثلة التجانس الصوتي للحرف ما نجد في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ

فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ

قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ﴾³⁶⁹ هنا يشبهه المولى ما ينفقه هؤلاء

الكافرون بريح فيها "صر"؛ أي شدة، فمادة "الصَّاد والرَّاء" تدل على الشدَّة والضجة والصَّخب، والريح الصرصر هي التي تحمل الصقيع ولها صوت مسموع ؛ أي أن الريح جعلت البرد شائعاً وشديداً، فالبرد قد يكون في منطقة لا ريح فيها، ويظل باقياً في منطقتة تلك، وعندما تأتي الريح فإنها تنقل هذا البرد من مكان إلى مكان آخر، فتتسع دائرة الضرر به³⁷⁰.

وقد صور سيد قطب مرارة العذاب الذي يتلاقاه هؤلاء المنافقين، وأبرز قيمة لفظه "صِرٌّ" فقال: «واللفظة ذاتها كأنها مقذوف يلقي بعنف ، فيصور معناه بجرسه النفاذ ، وإذا الحرث كله مُدمر خراب! إنها لحظة يتم فيها كل شيء، يتم فيها الدمار والهلاك ، وإذا الحرث كله يباب!»³⁷¹، فهذه اللفظة "صِرٌّ" عبّرت عن حالة هؤلاء المنافقين وقد صورت واقعهم إتباعاً وأضافت صورة حقيقة المُعرِّض عن الله.

- معاني القرآن، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988، 88/2. ³⁶⁷

³⁶⁸ - تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق: عادل بن علي الشدي، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية،

ط1، 2003، 1373/2.

³⁶⁹ - سورة آل عمران، الآية: 117.

³⁷⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1696/3.

³⁷¹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 451/1.

ومثل ذلك في كلمة "صریح" في الآية: ﴿وَأِنْ نُّشَأْ نُغْرِقَهُمْ فَلَا صَرَیحَ لَهُمْ

وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ﴾³⁷²، فاجتماع الصاد والخاء مفخمین في الكلمة جعلها

القرآن في سياقها توحی بصراخ المستغیث ، یقول الشعراوی: «الصریح هو الذي تستصرخه وتستنجد به لينقذك ويأخذ بيدك، ويُخرجك من المأزق الذي أنت فيه ، وفي الآية امتنع المُصرخ وامتنع عنهم أيضاً المنقذ الذي يتطوَّع فينقذهم، وهذا قطع للأمل في النجاة، فإن أراد الله الإهلاك فلا سبيلَ للنجاة أبداً، إلا بإذنه تعالى ورحمته»³⁷³. فقد نفى عنهم أولاً الصریخ وهو خاص، ثم نفى ثانياً انقاذهم بصریح وغيره³⁷⁴.

وجاء في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ

صَالِحًا﴾³⁷⁵، فقد اجتمع في كلمة "يَصْطَرِخُونَ" ثلاثة أصوات مفخمة: الصاد،

والطاء المنقلبة عن تاء افتعل، والخاء ، فلُصِّح الفعل يحاكي أصداء صراخهم من دوي وصخب عال أوحى به التفخيم في أصوات الفعل³⁷⁶.

فكلمة "يَصْطَرِخُونَ" مناسبة للحالة التي يعيشها الكفار فهم في نار جهنم في اضطراب وعذاب متلازم، وجاءت معبرة عن السياق العام الذي فيه أهل النار.

وقد بين سيد قطب مدى القيمة الدلالية لهذه الكلمة، بحيث لا يعبر عن تلك القيمة تشكيلاً آخر ولو كان من نفس مادة الكلمة. فقال: «نرى القلق والاضطراب وعدم

الاستقرار على حال، حتى الراحة بالعذاب لا تنال، ثم ها نحن أولاً يطرق أسماعنا صوت محشرٍ مُجْتَلِطِ الأصداء متناوح من شتى الإرجاء، إنَّه صوت المنبوذين في جهنم

³⁷²- سورة يس، الآية: 43.

³⁷³- تفسير الشعراوي، 12671/20.

³⁷⁴- ينظر، البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، 324/7.

³⁷⁵- سورة فاطر، الآية: 37.

³⁷⁶- ينظر: تفسير الشعراوي، 12526 /20.

-وجرس اللفظ نفسه يلقي في الحس هذه المعاني جميعاً- فلنتبين من ذلك الصوت الغليظ المختلط ماذا يقول: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً" إِنَّهُ الْإِنَابَةُ وَالاعْتِرَافُ والندم... والجرس اللين والإيقاع الرتيب، يقابلها الجرس الغليظ والإيقاع العنيف، فيتم التقابل ويتم التناسق في الجزئيات وفي الكليات سواء»³⁷⁷.

فناسب صوت "الصاد" المفخمة الذي يحمل الصوت العالي حالة استغاثتهم التي يعيشون فيها طالبين العون من الله وقد انكروه من قبل، «فأصوات الصغير في وضوحها وأصداؤها في أزيها، جعل لها وقعاً متميزاً ما بين الأصوات الصوامت ، نتيجة التصاقها في مخرج الصوت واصطكاكها في جهاز السمع، ووقعها الحاصل ما بين هذا الالتصاق وذلك الاصطكاك، هذه الأصوات ذات الجرس الصارخ هي: الزاي، السين، الصاد، يلحظ لدى استعراضها أنها تؤدي مهمة الإعلان الصريح عن المراد في تأكيد الحقيقة، وهي بذلك تعبر عن الشدة حيناً، وعن العناية بالأمر حيناً آخر، مما يشكل نغماً صارماً في الصوت، وأزيراً مشدداً لدى السمع، يخلصان إلى دلالة اللفظ في إرادته الاستعمالية، ومؤداه عند إطلاقه في مظان المعنى»³⁷⁸.

وكذلك مثل ما توحيه كلمة (ضيزى) من المبالغة في عدم العدالة في الآية: ﴿تَلْكَ

إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾³⁷⁹، وهكذا ما يوحيه التشديد ، ونذكر في هذا المجال ما يوحيه تكرار المقطع اللغوي بتكرار المعنى في مواضع من النص القرآني.

يقول الشعراوي: «كلمة {ضِيزَى}؛ أي: جائزة ظالمة، وتجدها كلمة غريبة في تركيبها وفي نقطها، ولم تتكرر في مفردات القرآن، جاءت هكذا عجيبة لتدل على أن فعلهم غريب، لأنهم نسبوا لله تعالى وهو الخالق الجنس الأدنى؛ أي: في نظرهم هم»³⁸⁰.

³⁷⁷- مشاهد يوم القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط14، القاهرة، 2002، ص 119-120.

³⁷⁸- مظاهر الدلالة الصوتية، محمد حسين الصغير، مقال الكتروني ينظر:

<http://www.tebyan.net/>

³⁷⁹- سورة النجم، الآية: 22.

- تفسير الشعراوي، شريط سمعي، رقم 06.³⁸⁰

فقد كرهوا أن يقولوا: «ضُوزَى، فتصير واواً، وهي من الياء، وإنما قضيت على أولها بالضم لأنَّ الثُّعوث للمؤنث تأتي إما: بفتح وإمّا بضم»³⁸¹، والكلمة في أصواتها تناسب المقال، ولو وضعت مفردة غيرها لما ناسبت ذلك، وبين الطبري أن مدلولها «يعني جائزة عن العدل خارجة عن الصواب، مائلة عن الحق ، يقال: ضَازَ في الحكم أي جار، وضَازَ حقّه يُضَيِّزه ضَيِّراً»³⁸².

وفي اختيار الصوت "ص" في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَِّ فَصَكَّتْ

وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾³⁸³، إنها هنا أتت وجاءت بضجيج؛ لأنها

عجوز وعقيم ويستحيل عادة أن تلد ، ومثل قوله الحق: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا

بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾³⁸⁴، والريح الصرصر هي التي تحمل الصقيع ولها صوت مسموع³⁸⁵.

ويرى الزمخشري أن: الصرّ هي الريح الباردة نحو الصرّصر، وفيه أوجه: أحدها: أن الصرّ في صفة الريح بمعنى الباردة، فوصف بها القرّة بمعنى فيها قرّة صر، كما تقول: برّد بارد على المبالغة.

والثاني: أن يكون الصرّ مصدرًا في الأصل بمعنى البرد فيجيء به على أصله.

والثالث: أن يكون شبه ما كانوا ينفقون بالزرع الذي جسّه البرد فذهب حطاماً³⁸⁶.

³⁸¹ - معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983، 99/3. وينظر: معاني القرآن، الزجاج،

.73/5

³⁸² - جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، 51/22.

³⁸³ - سورة الذاريات، الآية: 29.

³⁸⁴ - سورة الحاقة، الآية: 6.

³⁸⁵ - تفسير الشعراوي، 1696/3.

³⁸⁶ - ينظر: الزمخشري، الكشاف، 613-612/1.

فدلالة الكلمة الصوتية جزء من دلالتها المعنوية، ودلالة أصوات الحروف تدخل في دلالة الكلمة وهو ما يعرف بالقيمة التعبيرية للحرف المفرد ، و«كلمة "صَرَصَرَ" في اللغة من "صَرََّ البَابُ يَصُرُّ" وكل صوت شبه ذلك فهو "صَرِيرٌ" إذا امتد، ومنه "صَرِيرُ الجُنْدُبِ" فإذا كان فيه تخفيف وترجيع في إعادة ضوعف، كقولك: "صَرَصَرَ الأَخْطَبُ صَرَصَرَةً" كأنهم قدروا في صوت الجندب المد، وفي صوت الأخطب الترجيع فحكوه على ذلك، والصرَصَرَ "هي الريح المدمرة"³⁸⁷.

والصرصر وصف مخصوص بالريح المرسله للعذاب، وقد اختير وصفا لها لما فيه من امتداد الصوت وتكريره وترجيعة، «فصوت الصاد بصغيره مجتمعاً مع الراء المتكررة ولّد تقطيعاً صوتياً يوحى بشدة الريح وتلاحقها وطول زمنها، وكان اصطكاك الأسنان في نطق الصاد مع ذبذبات نطق الراء يولد صغيراً ودوياً يشبه صوت الريح، وهذا ما يسمى بالمناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى لدلالة جرس الكلمة على معناها»³⁸⁸.

فلنص القرآن يُحقق مشروع الضبط الدلالي للألفاظ في سياقاتها المختلفة، ليكون كل لفظ في القرآن الكريم مناسب لمكانه وموضعه من الآية أو العبارة أو الجملة بصورة محددة، بحيث أن غيره لا يسد مسدّه بداهة وذلك معلّم من معالم الإعجاز البياني في القرآن، يقول عبد الفتاح لاشين: «وهكذا نجد أن التعبير القرآني إذا وضع اسماً معرفة في مكان أو نكرة في موضع فإنما لحكمة يعلمها الله، وسر تقتضيه اللغة، وهدف يقصده في المعنى، ولو حاولنا وضع أحدهما مكان الآخر لاختل التناسق في الآية وزال الانسجام المطلوب في التركيب»³⁸⁹، وقد نجح الشعراوي في هذا الباب وقد قدم مكتسباته الصوتية في النص القرآني، وبين علاقة الصوت بالمعنى في تحقيق الإعجاز.

3- تكرار الكلمة:

³⁸⁷ - لسان العرب، ابن منظور، 1978، مادة "صرر".

³⁸⁸ - فقه اللغة العربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972، ص 104.

³⁸⁹ - من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، 1982، ص 43.

اللغة العربية تقبل كل أشكال التكرار، فهي تقبل تكرار الحرف والكلمة والجملة³⁹⁰، وذلك في ضوء الارتباط بالأغراض المحددة لمثل هذه التكرارات في توظيفاتها السياقية، ذلك لأنَّ النمط المُكرَّر له قيمته التعبيرية الخاصة به التي لا توجد إلا بوجوده. و«التكرار واحد من الظواهر اللغوية التي نجدُها في الألفاظ والتراكيب والمعاني لتحقيق البلاغة في التعبير، والتأكيد للكلام، والجمال في الأداء اللغوي، والدلالة على العناية بالشيء الذي كرر فيه الكلام»³⁹¹.

فقد تكررت لفظة "القارعة" ثلاث مرات في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾³⁹²، فالقارعة جاءت من القرع، وهو ضرب الشيء

بشيء فيحصل به صوت شديد.

وسميت بهذا الاسم لأنها تفرع القلوب والأسماع، فلفظة القارعة بحروفها المجهورة:

"القاف" بقلقلتها الكبرى، و"الراء" بذبذباتها المتكررة، و"العين" المضخمة جرسها

المدوي في الأذن يُوحى بالعنف والشدة.

وقد قال الخليل في اجتماع "العين والقاف": «إنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً،

وإذا ما دخلتا في بناء حسن البناء لصناعتهما»³⁹³، وقرع الشيء يقرعه قرعاً

والقارعة من شذائد الدهر، وهي الداهية والنَّازلة الشديدة، تزل عليهم بأمر عظيم

³⁹⁰ - فقد تناولت كتب اللغة العربية ظاهرة التكرار في القرآن الكريم، ومن بين هذه الدراسات كتاب: معاني

القرآن، الفراء، 234/2، ومجاز القرآن، أبو عبيدة، 12/1، والبيان والتبيين، الجاحظ، 104/1، وتأويل

مشكل القرآن، ابن قتيبة، 232-235، وإعجاز القرآن، الباقلائي، ص160، والعمدة، ابن رشيق، 59/2،

والأمالي، المرتضى، 120/1، وتحرير التحبير، لابن أبي الإصبع، ص375، ومجمع البيان، الطبرسي، ص

299، والمثل السائر، ابن الأثير، 2/128، والبرهان، الكرمانى، ص122، والمنزح البديع، السجلماسي،

ص 476.

³⁹¹ - علم الجمال اللغوي، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995، ص 449.

³⁹² - سورة القارعة، الآيتان: 1-2.

³⁹³ - العين، الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي و ابراهيم السامرائي، مؤسسة

الأعلمي، بيروت، لبنان، 53/1، مادة "قرع".

لذلك قيل ليوم القيامة "القارعة"³⁹⁴، فقد جاء تكرار اللفظة "القارعة" لتعطينا تجانساً

صوتياً بين اللفظ والمعنى، ثم جاء الاستفهام مكرراً عن ماهيتها ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا

الْقَارِعَةُ﴾³⁹⁵، ليزيدها مهابة وفخامة وغموضاً، ويزيد المستفهم منه عن حقيقتها

تجهيلاً بحقيقتها، فإن دلالة هذا اليوم قد تراكت بالاستفهام المكرر للمبالغة في وصف أهواله وما تسببه من قرع شديد³⁹⁶.

ويندرج في هذا الإطار كلمة (الصاخة) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْ لَصَّاحَةٌ

﴾³⁹⁷، وكلمة (الطامة) في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾³⁹⁸،

وكلمة (الواقعة) في قوله تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾³⁹⁹، وكلمة (الآزفة) في

قوله تعالى: ﴿أُزِفَتِ الْأَزْفَةُ﴾⁴⁰⁰، وكلمة (الغاشية) في قوله تعالى: ﴿هَلْ

أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾⁴⁰¹.

³⁹⁴ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 265/8، مادة "قرع".

³⁹⁵ - سورة القارعة، الآية: 2.

³⁹⁶ - ينظر: الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة

المقتطف، مصر، 1914، 148/3.

³⁹⁷ - سورة عبس، الآية: 33.

³⁹⁸ - سورة النازعات، الآية: 34.

³⁹⁹ - سورة الواقعة، الآية: 1.

⁴⁰⁰ - سورة النجم، الآية: 57.

- سورة الغاشية، الآية: 1. ⁴⁰¹

إنَّ القرآنَ الكريمَ يُعنى بالجرس والإيقاع مثل عنايته بالمعنى، وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيراً يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المناسبة لجو الآية وجو السياق، فيحدث ما يسمى بـ«التقابل الموسيقي في التعبير القرآني»⁴⁰².

وعندما يقول الحق: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ

وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾⁴⁰³، نحن هنا أمام

اصطفاءين، الاصطفاء الأول ورد دون أن تسبقه كلمة "عَلَى" والاصطفاء الثاني تسبقه كلمة "عَلَى".

يفسر الشعراوي هذا المعنى بأن المقصود بالاصطفاء الأول هو إبلاغ مريم أن الله ميزها بالإيمان والصلاح والخلق الطيب، ولكن هذا الاصطفاء لا يمنع أن يُوجد معها في مجال

هذا الاصطفاء آخرون، بدليل قول الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا

وَعَالِ إِبْرَاهِيمَ وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁴⁰⁴، ثم أورد الحق أنه

طهرها، وجاء من بعد ذلك بالاصطفاء الثاني المسبوق بـ "على".

إذن فهذا خروج للرجال عن دائرة هذا الاصطفاء، ولن يكون مجال الاصطفاء موضوعاً يتعلق بالرجولة؛ فهي مصطفاة على نساء العالمين، فكأنه لا توجد أنثى في العالمين تشاركها هذا الاصطفاء، لأنّها الوحيدة التي ستلد دون ذكر، وهذه مسألة لن يشاركها فيها أحد⁴⁰⁵.

فهذا التكرار له دلالة معينة وله فيه بلاغة، وقد أشار الزمخشري إلى إحدى فوائد التكرار في هذا الموضع في لفظة "اصْطَفَاكِ"، أمّا تعني أولاً حين تَقْبَلِكِ مِنْ أُمِّكَ وَرَبِّكَ

⁴⁰² - الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، كاصد ياسر حسين الزيدي، مجلة آداب الرفادين، كلية الآداب،

جامعة الموصل، العراق، العدد9، 1978، ص 335.

⁴⁰³ - سورة آل عمران، الآية: 42.

⁴⁰⁴ - سورة آل عمران، الآية: 33.

⁴⁰⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1453/3.

واختصك بالكرامة السنّية، واصطفاك آخرًا على "نساء العالمين" بأنّ وهب لك عيسى من غير أبٍ لم يكن ذلك لأحد من النساء⁴⁰⁶.

ف نجد أنّ هذه كلها إناسات للحدث الذي سيأتي من بعد ذلك، وهو حدث يتعلق بعرضها وعفافها، فلا بد أن يمهد الله له تمهيداً مناسباً، حتى تتأكد من أنّ هذه المسألة ليس فيها شيء يخدش الكرامة، وبالتالي منهج الشعراوي فيما ذكر موافقاً لما قاله أغلب المفسرين واللغويين في هذه المسألة، وحسه صوتياً جعله يستقصي وظيفة الصوت في المقطع وفي الكلمة وفي تأدية المعنى المطلوب، وبالتالي يحقق معادلة الإعجاز في القرآن الكريم.

وفي موضع آخر نجد تكرار لفظة "إِذْنِي" في أربعة مواضع في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ

مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي

وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى

بِإِذْنِي⁴⁰⁷، نرى إرادة الله لعيسى عليه السلام أن يصنع من الطين مثل هيئة الطير

بإذن الله، وأنّ ينفخ فيها بإذن الله فيصير الطين طيراً يقول الشعراوي: «نلاحظ أنّ

هذه الآيات والنعم تنقسم إلى قسمين: قسم يقنع أصحاب العقول والألباب والفكر

والمواجيد النفسية، وقسم يقنع القوم الماديين الذين لا يؤمنون بملكوت الله في غيب

الله، فالقسم الأول هو تعليم الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، والقسم الثاني هو

الأمر المادية الحسية التي يتعرف من يراها على أنّها لا يمكن أن تجري على يد بشر،

كأن يخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً، وإحياء الموتى، وإبراء

الأكمه والأبرص، لذلك كرر الحق القول بأنّ هذا الخرق كان بإذن منه سبحانه حتى

⁴⁰⁶ - ينظر: الكشف، الزمخشري، 547/1. وينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 455/2، وينظر:

روح المعاني، الألوسي، 154/3، وينظر: تفسير أبو السعود العمادي، مطبعة عبد الرحمان محمد،

القاهرة، (د،ت)، 35/2.

⁴⁰⁷ - سورة المائدة، الآية: 110.

نَعْرِفُ أَنَّ عَيْسَى لَمْ يَأْخُذْ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ طَلَاقَةً، لَهُ بَلْ انْحَصَرَ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الَّتِي
أَذْنُ اللَّهِ فِيهَا فَقَطْ»⁴⁰⁸.

فَأَنْتِ تَرَى نَسْقًا آخَرَ مِنَ الْبِنَاءِ اللَّغْوِيِّ لِلْكَلَامِ فِي تَكَرُّارِ "إِذْنِي" فِي هَذِهِ الْأَفَاعِيلِ:

«إِنَّمَا هُوَ عَلَى مَعْنَى إِضَافَةِ حَقِيقَةِ الْفِعْلِ إِلَى اللَّهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ

لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾⁴⁰⁹؛ أَيِ إِلَّا بِخَلْقِ اللَّهِ
الْمَوْتِ فِيهَا»⁴¹⁰.

وَمِنْ ذَلِكَ مَا نَلْمَسُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى

الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي ۗ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُونَ﴾⁴¹¹.

فَقَدْ تَكَرَّرَتْ صَيْغُ مَادَةِ (هَدَى) فِي الْآيَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَبِمُلَاحَظَةِ هَذِهِ التَّكَرُّرَاتِ نَجِدُ
أَنَّ التَّعْبِيرَ بِصَيْغِ مَادَةِ "هَدَى" دَارَتْ كُلُّهَا عَلَى الْفِعْلِيَّةِ لِإِفَادَةِ التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِيَّةِ فِي
أَدَاءِ دَلَالَاتِ هَذِهِ الْمَادَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ الشُّعْرَاوِيُّ أَنَّ ذَلِكَ كَلَامٌ مَنْطِقِيٌّ، «لَأَنَّ خَالِقَ
الشَّيْءِ هُوَ الَّذِي يَهْدِي إِلَى الْغَايَةِ مِنَ الشَّيْءِ؛ فَالْغَايَةُ أَوَّلًا، ثُمَّ الْخَلْقُ، ثُمَّ تَوْضِيحُ الطَّرِيقِ
الْمَوْصِلِ إِلَى تِلْكَ الْغَايَةِ، فَإِذَا خُولِفَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلَا صَلَاحَ لِكُونَ أَبَدًا»⁴¹².

وَقَدْ عُلِقَ الزَّمْخَشَرِيُّ عَنِ الْآيَةِ فَقَالَ: «اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي لِلْحَقِّ بِمَا رَكِبَ فِي
الْمُكَلِّفِينَ مِنَ الْعُقُولِ، وَأَعْطَاهُمْ مِنَ التَّمَكِينِ لِلنَّظَرِ فِي الْأَدْلَةِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُمْ، وَبِمَا لَطَفَ

⁴⁰⁸ - تفسير الشعراوي، 3453/6-3454.

⁴⁰⁹ - سورة المائدة، الآية: 110.

⁴¹⁰ - التفسير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، 134/12.

⁴¹¹ - سورة يونس، الآية: 35.

⁴¹² - تفسير الشعراوي: 5924/10.

بهم ووقفهم وأهمهم وأخطر بياهم ووقفهم في الشرائع، فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله»⁴¹³، وحدث التكرار هنا أعطى للآية إيضاحاً بليغاً وتعبيراً لطيفاً، وحرص الشعراوي علي تبيانه هو منهج قائم معه في كامل التفسير. ولا شك أن لكل لفظة ذاتة سمعية تختلف عن سواها من الكلمات التي قد تؤدي المعنى نفسه، وإن اتحدتا في المعنى، ومن ثم يجعلها في سياق الكلام ونظمه مؤثرة في النفس أكثر من غيرها، وعلى هذا الاعتبار كان للجرس الموسيقي الأثر البليغ في التعبير وفي التكرار.

سادساً- أثر الفواصل القرآنية في التركيب الصوتي:

إنّ دراسة الفواصل القرآنية هو من صميم البحث في نظم القرآن الكريم، وقد اتفق القدماء على تعريفها بأنها: «كلمة آخر الآية ككافية الشعر وسجعة النثر»⁴¹⁴. وقد تناولت من قبل علماء البلاغة والإعجاز القرآني بشيء من التفصيل، كمؤلف الطوفي (ت: 716هـ) في "بغية الواصل إلى معرفة الفواصل"، وإحكام الرأي في أحكام الآي لابن الصايغ (ت: 776هـ)، ومنظومة في فواصل ميم الجمع للخروبي، والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز للمخللاتي (ت: 1311هـ)... وقد فرق الإمام أبو عمرو الداني (ت: 444هـ) بين الفواصل ورؤوس الآي، فقال: «أمّا الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده، والكلام المنفصل قد يكون رأس وغير رأس، وكذلك الفواصل يَكُنْ رؤوس آي وغيرها، وكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية»⁴¹⁵. وعرف الباقلاني الفاصلة «بأتمّ حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، وفيها بلاغة»⁴¹⁶، أما ابن منظور فقال أنّ «أواخر الآيات

⁴¹³ - الكشاف، الزمخشري، 136/3.

⁴¹⁴ - الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 1784/4.

⁴¹⁵ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 53-52/1.

⁴¹⁶ - إعجاز القرآن، الباقلاني، ص523.

في كتاب الله فواصل، بمتزلة قوافي الشّعْر -جل كتاب الله عز وجل- واحدهما
فاصلة»⁴¹⁷.

ولقد عُرِضت أقوال كثيرة تبين مقصود الفواصل في القرآن الكريم، والملاحظ أنهم
اتفقوا على الأركان التالية.

1- موقع الفاصلة آخر الآية.

2- التشاكل في الحروف والمقاطع.

3- دورها في تحسين المعاني.

4- دورها في استراحة الكلام.

5- توضيحها بالمقارنة إلى القافية أو السجع أو الاثني معاً⁴¹⁸.

إنَّ الفاصلة في القرآن الكريم ظاهرة أسلوبية بيانية واضحة المعالم، تميز بها القرآن أكثر
من الشّعْر والنثر، وقد تنوع أشكال الفاصلة القرآنية فتمس الكلمة وتمس المقطع
وتمس الجملة، وقد ذكر سيد قطب أنَّ «الفواصل في القرآن غيرها في الشّعْر، فهي
ليست حرفاً متحداً، ولكنها إيقاع متشابه، مثل: "بصير، حكيم، مبین، مريب" أو
مثل "الألباب، الإبصار، النار، قرار"⁴¹⁹.

وعالج سيد قطب دور الفاصلة في أداء التصوير الفني والإيقاعي للقرآن الكريم، فقال
إنَّ: «الفواصل تقصر غالباً في السور القصار، وإنَّها تتوسط أو تطول في السور
المتوسطة والطوال، ويقل غالباً في السور الطويلة، وتغلب قافية الثون والميم وقبلها ياء
أو واو على جميع القوافي في سور القرآن، وذلك مع تعدد الأساليب الموسيقية ولو
تشابهت القوافي في السور المختلفة»⁴²⁰.

وغير بعيد نجد في تفسير الشعراوي اهتماماً واضحاً بالفاصلة في السياق القرآني
ومناسبة حضورها لتأدية معنى الآية، وهو يعتبر أنَّ ألفاظ القرآن اختيرت لمزية مبينة،
لا في مجموعها ونظمها فحسب، وإنَّما في حركتها وجمالها واتساقها، ومقتضى الكلام

⁴¹⁷ - لسان العرب، ابن منظور 524/11، مادة "فصل".

⁴¹⁸ - ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسنوي، دار عمار ط2، عمان، 2000، ص 29.

⁴¹⁹ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 193/2.

⁴²⁰ - التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، 90-91.

يقتضي مراعاة الألفاظ وتناسبها ووفائها للأداء المعنى، ويرى أن بلاغة القرآن المعجز تظهر في جملة ما تظهر فيه، اختيار الكلمة المناسبة. «فإننا لا بد أن نتناول ل دقة اللفظ أو دقة التعبير في القرآن الكريم، وكلام الله يجب أن يكون في غاية الدقة، بحيث يُعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً»⁴²¹.

1- تكرار الجملة:

هناك دقيقة لغوية لا بُد من التنبيه إليها، وهي تكرار الكلمات في أوائل وأواسط وأواخر الجمل القرآنية، مما تضيفي نظاماً عجيباً في موقع هذا التكرار ضمن بناء السياق القرآني، ويتحفظ الشعراوي من قضية "التكرار" في القرآن ويقول أكثر من مرة أن تكرار الألفاظ في القرآن موجود، لكن في كل تكريرة يتغير فيه المعنى ويتبدل فيه المقصود.

وهذا الموقف نادى به أكثر من باحث من القدماء أمثال القاضي أبي بكر الباقلاني، ومن المحدثين أمثال محمد العفيفي حيث يقول: «إن إحكام القرآن وتفصيله هو العلم الذي يضمن لنا أننا كلما احتجنا إلى أي مفردة قرآنية وجدناها بأي موضع من مواضعها كالحرف الواحد في الكلمة، يعني المكرر في كلمة واحدة التي تجمع حروفها جميعاً في جملتها، فإذا كل حرف بموضعه الخاص به تفصيلاً، يعني كل حرف غير الآخر، لأنه مكرّر، وإذا الحروف جميعاً تامة الارتباط بها كلها إجمالاً»⁴²²، ومهما يكن من شيء «فللتكرار القرآني دلالة الفنية التي لا يسر غورها إلا الفكر المتأمل والذوق الشفاف»⁴²³.

وقد استعرض الشعراوي هذا الجانب في أكثر من مكان، فقد جاء في قوله تعالى

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾

⁴²¹ - معجزة القرآن، متولي الشعراوي، 46/1.

⁴²² - القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، محمد العفيفي، المكتبة العصرية، الكويت، (د،ت)، ص55.

⁴²³ - المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني، عامر فتحي أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، (د،ت)،

فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكذِّبَانِ ﴿٤٢٤﴾ فما النعمة في الآية: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا

فانٍ؟ هل الموت نعمة!

يقول الشعراوي: «يكون الموت نعمة من نعم الله على عباده؛ لأنه يقول للمحسن: سيأتي الموت لتلقى جزاء إحسانك وثواب عملك، ويقول أيضاً للكافر: انتبه واحذر الموت قادم، كأنه سبحانه يُوقِظ الكفار ويعظهم لينتهوا عما هم فيه، أليست هذه نعمة من نعم الله ورحمة منه سبحانه بعباده؟»⁴²⁵، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها، وويخ على التكذيب بها⁴²⁶.

وبالتالي فالتكرار جاء للتذكير بنعم الله التي لا تحصى ولا تعد، «أفلا يجدر بالمرء أن يفكر طويلاً في تلك الآلاء والنعم، فيقوم بواجب الإيمان بالنعم وشكرها»⁴²⁷. وقد عرض عبد الكريم الخطابي حالات تكرار الفواصل والآيات في القرآن الكريم مثل الآية الواردة آنفاً، وعلق على أغراض الفاصلة هنا، وبين أنهما جاءت لـ: أولاً: إيقاظ المشاعر.

ثانياً: إن تفرد القرآن بهذا اللون من الأسلوب مع احتفاظه بمستواه الذي عرف له، من روعة النظم وجمال، واتساق نغمه، وهو شهادة قائمة تشهد للقرآن بالإعجاز. ثالثاً: إن هذا التكرار في ذاته يخدم غرضاً أصيلاً من أغراض الدعوة، وهو تثبيت القلوب على الحق، وإقامتها على الشريعة التي تحملها الدعوة⁴²⁸.

فتكرار هذه الآية: ﴿فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمْ أَتُكذِّبَانِ﴾⁴²⁹، إحدى وثلاثين مرة،

أضفى على السورة جمالاً وتنغيماً وإيقاعاً عجيباً لا بد منه في هذه السورة.

424 - سورة الرحمان، الآيات: 26-27-28.

425 - تفسير الشعراوي، 13 / 7968.

426 - ينظر: أمالي، السيد المرتضي، مطبعة السعادة، مصر، ط، 19571، 1 / 86.

427 - من بلاغة القرآن الكريم، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005، ص 119.

428 - ينظر: إعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1964، 1 / 389-392.

- سورة الرحمان، الآية: 28.⁴²⁹

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَأَنْسَنَ

لَظُلُومٌ كَفَّارٌ﴾⁴³⁰، ثم يقول في آية أخرى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا

تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁴³¹، نلاحظ تكراراً في المقاطع

الأولى، وقد ميز الشعراوي بحسه البلاغي والفني الفارق بين السياقين؛ فسياق الآية الأولى قد جاء فيها ذكر النعم وذكر الجحود والكفران بالنعم؛ وهذا ناشئ عن ظلم الإنسان لنفسه بالظلم العظيم، وفي الآية الثانية جاء بذكر النعم، ورغم ظلمنا إلا أن رحمته سبحانه وسعتنا، ولم يمنع عنا ما أسبغه علينا من نعم، وكأنه سبحانه يوضح لنا: إياكم أن تستحوا أن تسألوني شيئاً؛ وإن كنتم قد ظلمتم وكفرتُم في أشياء، فظلمكم يقابله غفران مني، وكافريتكم يقابلها مني رحمة، ففي الآية الأولى يعاملنا الله بعدله، وفي الآية الثانية يعاملنا الله بفضله⁴³².

فلا يوجد تعارض بين الآيتين؛ بل كل تذييل لكل آية مناسب لها، ويجب علينا أن ننظر إلى السياق الذي جاءت فيه كل آية، وقد أجاب الزركشي عن سر تذييل آية النحل بوصف المنعم، وفي آية إبراهيم بوصف المنعم إليه ورأى أن: «سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جبل عليه، فناسب ذكر ذلك عقيب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات الألوهية وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه، فتأمل هذه التراكيب ما أرقاها في درجة البلاغة»⁴³³، وهذا الرأي موافق لما جاء به الشعراوي، فقد أثبت سر تكرار الآيات والجمل القرآنية وبين إعجازها الصوتي والبلاغي وهذا هو منهجه المتبع.

⁴³⁰ - سورة إبراهيم، الآية: 34.

⁴³¹ - سورة النحل، الآية 18.

⁴³² - ينظر: تفسير الشعراوي: 7561/12.

⁴³³ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 1/ 86.

2- بنية الفواصل حسب نظم الآيات:

من الثابت أن لكل سورة في القرآن مقصداً ثابتاً ومحدداً، وأن أغلب الآيات والسور تلتقي مع بعضها البعض في الفواصل القرآنية، وهذا لا يتنافى وانفراد كل سورة بموضوعها الخاص، بل إن تلك المعاني المشتركة بينهما هي التي تشهد بوحدة النسق القرآني، فيعبر عن المعنى المشترك في كل سورة بألفاظ وتراكيب تختلف قليلاً أو كثيراً عن الألفاظ والتراكيب التي ذكرت في السور الأخرى، ويرى ابن أبي الإصبع⁴³⁴ أن هناك أربعة أنواع في بناء الفواصل هي: التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال⁴³⁵.

أ- التمكين: وفيه يمهد السياق للفاصل فتأتي الفواصل متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها، مطمئنة في مواضعها غير نافرة ولا قلقة، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً، بحيث لو طرحت الفواصل لاختل المعنى واضطرب الفهم، وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه⁴³⁶.

وقد تناول الشعراوي هذا الضرب من الفواصل وإن لم يُسميه بلفظه المعروف، جاء

في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ

يَمْمَشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ^ج إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ^ط أَفَلَا يَسْمَعُونَ

⁴³⁴ - هو أبو محمد زكي الدين عبد العظيم ابن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله ابن محمد المصري المعروف بابن أبي الإصبع، ولد بمصر سنة 585هـ وقيل سنة 589هـ، عاش المؤلف معظم حياته في ظل الدولة الأيوبية، وشطر من دولة المماليك البحرية، من أهم أثاره: بديع القرآن والخواطر السوانح في أسرار الفواتح و تحرير التحبير. وكتاب الكافلة في تأويل تلك عشرة كاملة. توفي سنة 654هـ بمصر. ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى شهاب الدين، تحقيق: إبراهيم صالح، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2002، 231/6.

⁴³⁵ - تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفني محمد شرف الدين، لجنة إحياء التراث

الإسلامي، مصر، 1963، 233/2.

⁴³⁶ - المصدر نفسه، 232/2.

أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا
تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ⁴³⁷.

فقد اختار الحق هنا حاسة السَّمْعِ {أَفَلَا يَسْمَعُونَ} لأنها وسيلة الإدراك المناسبة للموقف، فيها نسمع ما يُحكى عن الظالمين وبما نعتبر، وفي موضع آخر سيقول {أَفَلَا يُبْصِرُونَ} فينوع لنا ويُقلِّب كل وسائل الإدراك لينبها من خلالها ، ولنا أن نلاحظ هنا توافق النسق القرآني بين صدر الآيات وعجزها، ففي الآية السابقة قال سبحانه {أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ}؛ أي: يدلُّ ويرشد، والكلام فيها عن قصص تاريخي، فناسبها {أَفَلَا يَسْمَعُونَ} أما هنا فالكلام عن مشاهد مرئية، فناسبها {أَفَلَا يُبْصِرُونَ} فهذا ينبغي أن يُسمع، وهذا ينبغي أن يُرى⁴³⁸.

فكان تذييل لكل جملة مناسب لسياقها الواردة فيه؛ فقد انتقلت الفاصلة في قوله: {أَفَلَا يَسْمَعُونَ} مع أول الآية "أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ" ، وذلك لأن الهداية المرادة هنا مسموعة، فجاءت الفاصلة متمكنة في مكانها، لأن ما سبقها مهد لها ذلك. كقوله: {أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا} إلى قوله: {أَفَلَا يُبْصِرُونَ} فلنَّ قوله: {يُبْصِرُونَ} فقد تقدمها قوله: "أَوْلَمْ يَرَوْا" فكان سوق "الماء" إلى الأرض وهو مما يرى تمهيداً للفاصلة ودلالاتها على البصير⁴³⁹.

وفي موضع آخر تذييل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾⁴⁴⁰، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

⁴³⁷ - سورة السجدة، الآيتان: 27/26.

⁴³⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1184/2.

⁴³⁹ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 79/1.

⁴⁴⁰ - سورة المائدة، الآية: 44.

فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ⁴⁴¹، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ⁴⁴²،

فيرى الشعراوي أنّ حكم إنسان في قضية القمّة وهي العقيدة بغير الحق فذلك هو الكفر، وإن ردّ الإنسان الحكم على منشته - وهو الحق الأعلى - فهذا لون من الكفر ، وإن آمن الإنسان بالقضية وهو مؤمن بالإله فغلبته نفسه فهذا هو الفسق ، وإن حكم إنسان بين اثنين وحاد ومال عن حكم الله فهذا هو الظلم⁴⁴³ .

إذن فـ "كافرون" و"ظالمون" و"فاسقون" تقول لنا: إن الألفاظ اختلفت باختلاف المحكوم به، وبه قال أبو حيان بأن الخطاب ناسب كل حكم، «مَنْ جَحَدَ حُكْمَ اللَّهِ كَفَرَ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِهِ وَهُوَ مُقِرُّ بِهِ ظَالِمٌ فَاسِقٌ»⁴⁴⁴، وقد جاء عن الزركشي: «أنّ كل واحدة تُعبر عن معنى، فالأولى نزلت في أحكام المسلمين، والثانية نزلت في أحكام اليهود، والثالثة نزلت في أحكام النصارى»⁴⁴⁵ .

وفي سياق آخر تذييل قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آلِيلًا

لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ﴾⁴⁴⁶، ولقائل أن يقول: لما لم تأت الآية {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يُبْصِرُونَ} .

441 - سورة المائدة، الآية: 45.

442 - سورة المائدة، الآية: 47.

443 - ينظر: تفسير الشعراوي، 3163/5-3164.

444 - البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي، 505/3.

445 - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 87/1. وينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، محمد بن عبد الله

الأصبهاني، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، مكتبة الملك فهد، السعودية، ط1، 2001، 462/1.

446 - سورة يونس، الآية: 67.

يبين ذلك الشعراوي فيقول: «حين يتكلم الحق عن زمان فهو يبين في هذا الزمان مهمته؛ إذن: فالعلة في هذه الآية هي سكون الليل لا حركة النهار، والعين لا تؤدي في الليل وظيفتها، بل السَّمع هو الذي يؤدي مهمته»⁴⁴⁷.

ب- التصدير: وهو رد العجز على الصدر، وقد جعله ابن المعتز من فنون البديع الخمسة⁴⁴⁸، وهو في الفاصلة القرآنية أن تكون اللفظة نفسها، وجاء على ثلاثة ألوان:

الأول: أن يُوافق آخر الفاصلة أول كلمة في الصدر مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَفْتُرُوا

عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾⁴⁴⁹.

الثاني: أن يُوافق آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ

أَيَّشَهُدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾⁴⁵⁰.

الثالث: أن يُوافق بعض كلماته نحو قوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾⁴⁵².

ت- التوشيح: سُمي هذا الباب به لكون نفس الكلام يدل على آخره، نزل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح، الذين يجول عليهما

⁴⁴⁷ - تفسير الشعراوي، 6068/10.

⁴⁴⁸ - ينظر: البديع، ابن المعتز، تحقيق، كراتشوفسكي، لندن، 1935، ص36. وينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988، 38/1. وينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ص 385. وإعجاز القرآن، الباقلاني، ص 140. والعمدة، ابن رشيق، 1 / 235. ونهاية الإيجاز، الرازي، ص 30.

⁴⁴⁹ - سورة طه، الآية: 61.

⁴⁵⁰ - سورة النساء، الآية: 166.

⁴⁵¹ - ينظر: نظام التكرار في البناء الصوتي، طالب محمد إسماعيل، وعمران إسماعيل فيكتور، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007، ص 47.

- سورة الإسراء، الآية: 21.⁴⁵²

الوشاح، ولهذا قيل إنَّ الفاصلة تعلم قبل ذكرها⁴⁵³، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى

الْعَالَمِينَ﴾⁴⁵⁴، فإنَّ معنى اصطفاء المذكورين يُعلم منه الفاصلة، إذ المذكورين نوع

من جنس العالمين. وهو ما ذكره الشعراوي⁴⁵⁵.

ث-الإيغال: وهو أن يستوفي معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه، ثم بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحاً وشرحاً وتوكيداً وحسناً، وأصل الكلمة من قولهم: أَوْغَلَ

في الأمر إذا أبعد الذهاب فيه⁴⁵⁶، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾⁴⁵⁷، فإنَّ الكلام قد تمَّ

بقوله: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا}، ثم احتاج إلى فاصلة تناسب القرينة الأولى فلما أتى بها أفاد معنى زائداً⁴⁵⁸.

وبالتالي هذه الأركان الأربع خدمت بناء الفاصلة القرآنية، والشعراوي وإن لم يذكر هذه المصطلحات إلا أنه أشار إليها ضمناً، وأتى بها تطبيقياً.

3- اختلاف الفواصل الأخيرة:

للقرآن الكريم - كما ذكرنا - خصوصية مفردة في شتى أركانه، في مفرداته وجمله وتراكيبه، وفي سوره وآياته، وفي علائق نظمه ونقاطه و رسمه، في تقسيم آياته وفي آي فواصله، في كل ما يتعلق به.

⁴⁵³ - ينظر: تحرير التحرير، ابن أبي الإصبع، 236. وينظر: معترك الأقران، السيوطي، 49/1.

⁴⁵⁴ - سورة آل عمران، الآية: 33.

⁴⁵⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1427/3.

⁴⁵⁶ - ينظر: الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1981، ص422.

⁴⁵⁷ - سورة المائدة، الآية: 50.

⁴⁵⁸ - ينظر الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، 96/1.

هذا التفرد والرفق لا بد لدارس الإعجاز الصوتي أن يشغله، ويبحث في وسائله وسبله، للوقوف على نطاقات الإعجاز فيه ، ومدارات خصوصي ته الفريد ة. يقول الزمخشري في كشافه القديم: «لا تحسنُ المحافظة على الفواصل لمجردها، إلا مع بقاء المعاني على سدادها على التهج الذي يقتضيه حُسن النظم والثمامه، كما لا يحسن تخير الألفاظ المونقة في السَّمع السلسة على اللسان، إلا مع مجيئها مُنقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة»⁴⁵⁹.

فلذا اختلفت الفاصلتان في الآيتين المتابعتين في قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁴⁶⁰؟ وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ

لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾⁴⁶¹؟ وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ﴾⁴⁶²؟

يرى الشعراوي أن تذييل الآيتين المتابعتين مختلف؛ فـ "الفقه" هو أن تفهم ؛ أي أن يكون عندك ملكة فهم تفهم بها ما يقال لك علماً، فالفهم أول مرحلة والعلم مرحلة تالية، وأراد الحق بالتفصيل الأول في قوله: {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} الدعوة للنظر في آيات خارجة عن ذات الإنسان، وهنا أي في قوله: {لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} لفت للنظر والتدبر في آيات داخلية في ذات الإنسان. ويذيل الحق الآية الكريمة بقوله: {لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ؛ أي يؤمنون بأن الإله الذي آمنوا به يستحق بصفات الجلال والجمال فيه أن يؤمن به ، وإذا أحفظنا عليهم استحمدنا؛ أي استوجب علينا حمد إذ أنه هدانا إلى الإيمان⁴⁶³.

459 - الكشاف القديم، الزمخشري، نقلاً من: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 165/1.

460 - الأنعام، الآية: 97.

461 - الأنعام، الآية: 98.

462 - الأنعام، الآية: 99.

463 - تفسير الشعراوي، 3820-3819/6.

فما سبب مجي "يَعْلَمُونَ" مع ذكر الثُجُوم، و"يَفْقَهُونَ" مع ذكر إنشاء بني آدم؟ وقد ذكر الزمخشري أنه كان إنشاء الإنسان من نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعةً وتديراً، فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له⁴⁶⁴.

وبالتالي نضيف الآيات يُصادف كل حالة من حالات النفس البشرية؛ لأنَّ الأفهام مختلفة، وظروف الاستقبال للمعاني مختلفة، لذلك لم يترك الحق لأحد مجالاً في ألا يفقه، ولم يترك لأحد مجالاً في ألا يتعلم.

وفي موضع آخر نلاحظ في تذييل الآيات مرة يقو ل سبحانه : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَّآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾⁴⁶⁵ ، ومرة يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِّلْعَالَمِينَ﴾⁴⁶⁶ ، ومرة يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَسْمَعُونَ﴾⁴⁶⁷ ، ومرة يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ

يَعْقِلُونَ﴾⁴⁶⁸ . فتختلف الأدوات الباحثة في الآيات وفي الفواصل التالية :

"يَتَفَكَّرُونَ، يَسْمَعُونَ، يَعْقِلُونَ، عَالَمِينَ".

يرى الشعراوي أنه حين يدعوك للتدبُّر والعِظَّة إنما ينبه فيك أدوات المعارضة لتتأكد، والعقل هنا مهمته النَّظر في البدائل وفي المقدمات والنتائج ، ويُنبِّهنا إلى البحث والتأمل

464 - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 378/3. والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 188/3. و ينظر: روح

المعاني، الألوسي، 236 /7. و ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 397/7.

465 - سورة الروم، الآية: 21.

466 - سورة الروم، الآية: 22.

467 - سورة الروم، الآية: 23.

468 - سورة الروم، الآية: 24.

في آياته. فيقول: تفكروا تدبروا تعقلوا، وكونوا علماء واعين لما يدور حولكم، وهذا دليل على أننا لو بحثنا هذه الآيات لتوصلنا إلى مطلوبه سبحانه، وهو الإيمان⁴⁶⁹.
فقد ناسبت الفاصلة "يتفكرون" المقام، لأن التفكير والتأمل في تلك الدلائل هو الذي يجلي كنهها ويزيد الناظر بصارة بمنافع أخرى في ضمنهما، أما قوله "يسمعون" فقد تناسب بناء النظم مع نسق الفاصلة لعدة أسباب منها:

أحدهما: أن المنام والابتغاء من فضل الله - متعاورتان على الناس قد اعتادوهما فقل من يتدبر في دلالتهما على دقيق صنع الله تعالى، فمعظم الناس في حاجة إلى من يوقفهم على هذه الدلالة ويرشدهم إليها.

ثانيهما: إن في ما يسمعه الناس من أحوال النوم ما هو أشد دلالة على عظيم صنع الله تعالى، فطريق السمع هو أعم الطرق لمعرفة تفاصيل أحوال النوم فلذلك قيل "يسمعون"^{لَقَوْمٍ}.

أما في الآية الثالثة "يحققون" نيط الانتفاع بهذه الآيات بأصحاب صفة العقل، لأن العقل المستقيم غير المشوب بعاهة العناد والمكابرة كاف في فهم ما في تلك المذكورات من الدلائل والحكم على نحو ما قرر في نظائره أنفا⁴⁷⁰، وبالتالي كانت لكل فاصلة غرضها المناطة به، وهي تعكس سياق كل صدر مذكورة فيه.

فالشعراوي كان حريصاً على إظهار أسرار اختلاف الفواصل القرآنية وأبرز مجيئها على النحو المقدمة فيه، وهو مدرك أن القرآن جاءت آياته وفواصله وفق نظام لا اختلال فيه ولا تكليف، وهذا سر إعجاز القرآن الكريم، والمقام لا يسعنا إلى ذكرها كاملة، وإنما اخترنا بعضها وعرضنا رؤية الشعراوي فيها إجمالاً.

4- جملة التذييل: التذييل هو أن يُؤتي بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقاً لدلالة منطوق الأول أو مفهومه، ليكون معه كالدليل، ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه⁴⁷¹.

⁴⁶⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي: 11376/19-11377.

⁴⁷⁰ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 78-75/21.

⁴⁷¹ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 76/3.

ففي قوله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾⁴⁷²، وليس ائله أن

بيئال: لماذا لم يقل الحق: {فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْكَافِرِينَ}.

بين الشعراوي مناسبة هذه الفاصلة وانسجامها وخدمتها للمعنى فقال: «إن الحق قد

بين أنه لم يعذب قبل أن يُنذِر، فهو قد أُنذِر أولاً، ولم يأخذ القوم على جهلهم

فقال: "فانظر"، وجاء هذا الخبر لتسليية الرسول عليه السلام، فإن صادف من قومك يا

محمد ما صادف قوم نوح عليه السلام، فاعلم أن عاقبتهم ستكون كعاقبة قوم نوح

وفي هذا تحذير وتخويف للمناوئين لرسول الله صلى الله عليه وسلم»⁴⁷³.

وجاء في نظم الدرر: «أنهم هم الذين أنذرتهم الرسل، فلم يكونوا أهلاً للبشارة لأنهم لم

يؤمنوا»⁴⁷⁴، فالنذر أولاً ثم الأخذ ثانياً، وهو المنهج الذي قامت عليه الدعوة

الإسلامية من نوح عليه السلام إلى النبي محمد عليه السلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ﴾⁴⁷⁵، فالغرض من الفاصلة "تَعْقِلُونَ" «تنبيه المخاطبين بأنه من الواجب قبل

أن تفعلوا الفعل أن تنظروا ما يعطيه من خير، وأن تتركوه إن كان يعطي الكثير من

الشر، وزنوا المسألة بعقولكم، وساعة أن تزنوا المسألة بعقولكم ستعرفون أن عمل

الخير راجح»⁴⁷⁶.

فإدراك التقوى بالعمل الصالح، ولا يتحقق هذا إلا بآلة العقل الواعية المرشدة الخيرة،

وقد وضع سيد قطب هذا المعنى فقال: «يُحيل السياق القرآني المخاطبين الذين

يتهافتون على عرض حياة الدنيا إلى العقل، ولو كان العقل هو الذي يحكم لا الهوى،

⁴⁷² - سورة يونس، الآية: 73.

⁴⁷³ - تفسير الشعراوي، 10 / 6114.

⁴⁷⁴ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د،ت)،

.166/9

⁴⁷⁵ - سورة الأعراف، الآية: 169.

⁴⁷⁶ - تفسير الشعراوي، 7 / 4427.

ولو كان العلم الحق لا الجهالة التي تسمى العلم هو الذي يقضي لكانت الدار الآخرة خيراً من عرض هذا الأدنى، ولكانت التقوى زاد الدين والدنيا جميعاً ⁴⁷⁷ «، وبالتالي فقد خاطب الله العقل في أكثر من موضع، حيث إنّه مناط التكليف، وهو الأداة التي بها تختار بين البدائل وبين التقوى والعناد.

وفي معرض آخر نجد في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا

عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ^ج إِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَحِيمٌ ⁴⁷⁸، فقد جاءت الفاصلة للبيان والتوضيح ، يقول الشعراوي:

«يذيل الله هذه الآية بقوله "غَفُورٌ رَحِيمٌ"، لأنَّ المغفرة بالنسبة للعبد صعبة ، ف إن سرق واحد منك شيئاً فهو يضرك ويلح عليك حب الانتقام منه ، لأنَّ الضرر أتبعك ، لكن أتعب أحد ربه بالمعصية؟ لا، لأنك إن كنت قد أضرت بأحد فإنما أضرت بنفسك ولم تضر الله، لأنّه لا يلحقه ضرر بذنبك، فحين يقول الله "غَفُورٌ" فهو غفور لك و"رَحِيمٌ" بك ⁴⁷⁹.

فلا اعتراف بالذنب على هذا النحو والشعور بوطأته دليل حياة القلب وحساسيته ، ومن ثمَّ فالتوبة مرجوة القبول ، والمغفرة مرتقبة من الغفور الرَّحِيمِ ، وقد قبل الله توبتهم وغفر لهم ⁴⁸⁰ ، وبالتالي ناسبت "غَفُورٌ رَحِيمٌ" صدر الآية، لأنه المعترف بالذنب والنادم منه، لا يُخس يوم القيامة وعفو الله شامله.

وفي موضع آخر قارن الشعراوي بين الفاصلتين في قوله تعالى: ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ

إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ

⁴⁷⁷ - في ظلال القرآن، سيد قطب، 1833/3.

⁴⁷⁸ - سورة التوبة، الآية: 102.

⁴⁷⁹ - تفسير الشعراوي، 5463/9.

⁴⁸⁰ - ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 10707/3.

جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا⁴⁸¹، وقوله ﴿فَأَنْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَمًا

فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا

نُكْرًا⁴⁸² لبيّن مناسبة كل الآيتين لما ختمت به هكذا؟

يرى الشعراوي أنّ الاعتداء الأول من الخضر كان على مال أتلّفه، وهنا صعّد الأمر إلى قتل نفس زكية دون حق، فبأيّ جريرة يُقتل هذا الغلام الذي لم يبلغ رشده؟ لذلك قال في الأولى: {إِمْرًا}، أي عجيبيًا؛ أما هنا فقال: {نُكْرًا} أي: مُنْكَرًا؛ لأنّ الجريمة كبيرة⁴⁸³.

فاللفظتان ناسبت السياق الذي وردت فيه، ولم تقحم فيه اضطراراً، يقول الطبري: «إنّ الفاصلتين مناسبتين للمقام، وأنّ كلمة "النُكْر" أشدّ من الإمر»⁴⁸⁴، فلما عاود موسى عليه السلام مساءلته مرة ومرة، أثقل عليه الخضر بلفظ "نُكْرًا" لتناسب السؤال مع الجواب.

سابعاً- تناسب الحروف والألفاظ والجمل مع السياق القرآني:

إنّ تناسب الحروف والألفاظ والجمل مع السياق القرآني يدخل ضمن إعجازات القرآن؛ وإعجازه أيضاً في تناسب المقاطع الصوتية التي تتألف منها كلماته، وأنّ حلاوة السّمع فيه لا توجد إلّا مع وجود التناسب في هذه المقاطع، وكأني بهذا الترتيب المتناسب للمقاطع الصوتية في الكلمات القرآنية هو ما جعل جهابذة الأصوات يتحIRONون في نسجه ونظمه، ومُهم ما صرح به الجرجاني فقال: «واعلم أنّ من الكلام ما أنت ترى المزية في نظمه، والحسن كالأجزاء من الصّبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين، فأنت لذلك لا تُكبر شأن صاحبه، ولا تقضي له بالحدق والأستاذية وسعة الذرّع وشدة المنّة، حتى تستوفي القطعة، ومنه ما أنت ترى

481- سورة الكهف، الآية: 71.

482- سورة الكهف، الآية: 74.

483- ينظر: تفسير الشعراوي، 8961/14.

484- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 342/15.

الحُسن يهجم عليك دفعة ويأتيك ما يملأ العين غرابة ⁴⁸⁵ . ولعل من المناسب إبراز هذا التناسب والمتمثل في تبيان دقة التعبير الواحد في السياق القرآني:

1- دقة التعبير بالحرف مع السياق:

في استدلاله على ثراء الحرف في الأسلوب التفسيري يشرح الشعراوي قيمة

الحرف "لَهَا" و"عَلَيْهَا" في قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا

كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ ⁴⁸⁶ . فـ {لَهَا} تفيد الملكية والاختصاص، وهي

ما تُفِيد وتُكسِبُ النفسَ ثواباً، و {عَلَيْهَا} تفيد الوزر، ونلاحظ أن كُلَّ {لَهَا} جاءت مع {كَسَبَتْ}، وكُلُّ {عَلَيْهَا} جاءت مع {اكتَسَبَتْ} إلا في آية واحدة

يقول ⁴⁸⁷: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ

فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ⁴⁸⁸ .

فقد تفرد الشيخ بهذا التعليل بإبراز مدلول "لَهَا" و"عَلَيْهَا"، إلا أن الزمخشري أشار إليها إشارة عامة فقال: «ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شرٍّ، لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يُثاب غيرها بطاعنها، فإن قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكْتَسَاب؟ قلت: في الاكْتَسَابِ اعتمال فلما كان الشرُّ مما تشتهيهِ النفس وهي منجذبة إليه وأماره به، كانت في تحصيله أعمل وأجد، فجعلت لذلك مكتسبة فيه، ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال» ⁴⁸⁹ .

⁴⁸⁵ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 124.

⁴⁸⁶ - سورة البقرة، الآية: 286.

⁴⁸⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 2 / 1244.

⁴⁸⁸ - سورة البقرة، الآية: 81.

⁴⁸⁹ - الكشاف، الزمخشري، 1 / 520.

فقد وظف القرآن الكريم في هذه الآية فعلين هما (كَسَبَ) ثلاثي صحيح، و(اِكْتَسَبَ) خماسي على وزن (افْتَعَلَ)، وكلاهما من مادة (كَسَبَ). فلم هذا التغير الوظيفي للفعلين؟

فللْكَسْبُ: ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ، ككسب المال ، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة ثم اجتلب به مضرة ، والكَسْبُ يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره، ولهذا قد يتعدى إلى مفعولين فيقال: كَسَبْتُ فلاناً كذا. والاكْتِسَابُ لا يقال إلا فيما استفدته لنفسك ، فكل اكْتِسَابٌ كَسْبٌ، وليس كُلُّ كَسْبٍ اكْتِسَاباً⁴⁹⁰. إذن فالكسب للخير والشر معاً ، وللنفس والآ خر أيضاً، بخلاف الاكتساب فهو للنفس فقط ولا يتعدى إلى الآخر.

وفي توضيح دقة التعبير بالحرف "مِنْ" يلحظ الشعراوي الأداء القرآني في قوله: ﴿هُوَ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

إِلَيْهَا⁴⁹¹، فالضمير عائد إلى مؤنث في: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}، ثم جاء بالتذكير في قوله: {لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}؛ إذن فصل الذكورة عن الأنوثة جاء عند {لِيَسْكُنَ}، فكأن الكلام في النفس معنيٌّ به جنس بني آدم وهو الذي نسميه "الإنسان"، ومنه ذكورة ومنه أنوثة، ولذلك سبحانه حينما يتكلم عن الذكورة كذكورة، والأنوثة كأنوثة يأتي بضمير المذكر أو بضمير المؤنث. والحق يقول: {وَجَعَلَ مِنْهَا}، فإن كانت مخلوقة من الضلع، فـ "مِنْ" تبعية، وإن كانت مخلوقة مثل آدم تكون "مِنْ" بيانية؛ أي من جنسها⁴⁹².

وهو الوجه الذي اختاره الزمخشري من أن حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه، أو من جنسها، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه أنس، وإذا كانت بعضاً منه، كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده، ويحبه محبة نفسه لكونه

⁴⁹⁰ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، (د،ت)، 66/2.

⁴⁹¹ - سورة الأعراف، الآية: 189.

⁴⁹² - ينظر: تفسير الشعراوي، 8 / 4513-4514.

بضعة منه، وقال: "لَيْسَكُنْ" فذكر بعد ما أنث قوله: واحدة منها زوجها، ذهاباً إلى معنى النفس، ليبين أن المراد بها آدم، ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها، فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى⁴⁹³.
 فدقة التعبير بحرف "مِنْ" له معطاً بيانياً وسراً توجيهياً في الآية، وقد علمنا أنها جاءت للجنس وهو الرأي الذي قاله الشعراوي.

وفي موضع آخر نلمس في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي

إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ
 أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي^ط فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُونَ﴾⁴⁹⁴، فليسناد فعل الهداية الأول إلى الشركاء وتعديته بحرف الجر

"إلى"، في حين أن هذا الفعل في تعدي بحرف الجر (اللام) و(إلى)، فما سر ذلك؟
 يقول الشعراوي: «وسبب وجود اللام في قوله: {يَهْدِي لِلْحَقِّ} هو النظرة إلى الغاية، وسبب وجود: {إِلَى الْحَقِّ} هو لفت الانتباه إلى أن الوصول إلى الغاية يقتضي طريقاً، فأراد الحق في آية واحدة أن يجمع التعبيرين معاً»⁴⁹⁵.

وفي الجملة استفهام غرضه التعجب من أنهم اتخذوا هؤلاء الشركاء أولياء إذا كانوا هم عاجزين عن هداية أنفسهم، فبين عجزهم عن هذا النوع من صفات الإله وهو الهداية للحق، وإلى منهاج الصواب⁴⁹⁶، فنفهم من ذلك أن الفعل (هدى) إذا تعدى بحرف الجر (إلى) يتضمن معنى الانتهاء، وإذا تعدى بحرف الجر اللام دلّ على أن المنتهى غاية الهداية.

⁴⁹³ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 540/2-541.

⁴⁹⁴ - سورة يونس، الآية: 35.

⁴⁹⁵ - تفسير الشعراوي: 5929/10.

⁴⁹⁶ - ينظر: النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الجيل للطبع والتوزيع، بيروت، لبنان،

ط1، 1995، 171/2.

2- ملائمة اللفظ للسياق:

إن القرآن الكريم يُحقق مُعادلة نُصية دلالية مفادها؛ أن توظيف اللفظ المناسب يكون بالصَّوت المناسب لهذا اللفظ، فكل لفظ قرآني اختير مكانه وموضعه من الآية والجملة بصورة محددة وذكية، بحيث إن غَيْرَهُ لا يَسد مسدّه بدهاة. لهذا اختار الله اللفظ المناسب في الموقع المناسب من عدة وجوه وبمختلف الدلالات، بحيث يتعذر استبدال ذلك بغيره، وذلك معلّم من معالم الإعجاز البياني في القرآن ، لأن لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء⁴⁹⁷.

يذيل الحق الآية ب قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ

تُحْشَرُونَ﴾⁴⁹⁸ ، فلماذا هذا التذييل بـ "تُحْشَرُونَ" بدل "تُجْمَعُونَ" أو "تُصَيَّرُونَ".

فقد جاء سبحانه بكلمة {تُحْشَرُونَ} لتتناسب زحمة الحج؛ لأنه كما حشر هم هذا الحشر وهم لهم اختيار، فهو سبحانه القادر أن يحشر هم وليس لهم اختيار. «فإذا كنت قد ذهبت باختيارك إلى هذا الحشر البشري الكبير في الحج ، فاعرف أن الذي كلفك بأن تذهب باختيارك لتشارك في هذا الاجتماع الحشد، هو القادر على أن يأتي بك وقد سلب منك الاختيار»⁴⁹⁹.

فقد ناسب اللفظ "تُحْشَرُونَ" سياق الآية حالة الحجاج بعد أداء مناسكهم متفرقة، وسوف يأتي اليوم الذي يكونون فيه مع عوائلهم وأحبائهم جمعاً. وقد ذهب الطاهر ابن عاشور إلى المنحى نفسه، فقال: «لأن (تُحْشَرُونَ) أجمع لأنه يدل على المصير وعلى الرجوع مع الدلالة على أنهم يصيرون مجتمعين كلهم كما كانوا مجتمعين حين استحضر حالهم في هذا الخطاب، وهو اجتماع الحج، ولأنّ الناس بعد الحج يُحشَرُونَ إلى مواطنهم فذكرهم بالحشر العظيم، فاللفظة أنسب بالمقام

⁴⁹⁷ - ينظر: الحيوان، الجاحظ، تحقيق، عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي وشركاؤه، مصر ، ط2، 1965،

.114/3

⁴⁹⁸ - سورة البقرة، الآية: 203.

- تفسير الشعراوي: 863/1.⁴⁹⁹

من وجوه كثيرة»⁵⁰⁰، وهذا التناسب في تذييل الآيات داخل ضمن إعجاز القرآن الصوتي، إذ تصير السور متناغمة ومتراصة بسبب هذا التنعيم الإيقاعي في أواخر الآيات.

وفي معرض آخر نجد قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾⁵⁰¹، يقدم لفظ

"الخبير" على "البصير" يقول الشعراوي: «فَلْخَبِيرٌ: هو الذي يَعْلَمُ خبايا كل الأشياء على حقيقتها، والبصير: هو الذي يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، فقد تعلم الشيء لكن لا تراه، والحق سبحانه يجمع في القرآن كثيراً بين "الخبير البصير" كما في هذه الآية، أو بين "اللطف الخبير" لأنَّ الخبرة تحتاج إلى بصر وتحتاج إلى لطف، واللطف هو الذي تَغْلَغَلَ في الأشياء ولا يمنعه مانع»⁵⁰².
وقد بين الإمام الشوكاني المراد بكونه "خبيراً بصيراً" في الآية فقال: «لأنَّه - سبحانه - محيط بحقائق الأشياء ظاهراً وباطناً لا تخفى عليه منه شيء»⁵⁰³.

وقد تكرر إرداف "الخبير والبصير" في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وتقدم الخبير على البصير أشمل، لما ذكره الطاهر ابن عاشور فقال: «والجمع بين وصفي (خبير) و(بصير) لأنَّ وصف (خبير) دال على العلم بمصالح العباد وأحوالهم قبل تقديرها وتقدير أسبأها؛ أي العلم بما سيكون، ووصف (بصير) دال على العلم المتعلق بأحوالهم التي حصلت وفرق بين التعالين للعلم الإلهي»⁵⁰⁴.

فمن دقيق كلام الله تعلق الكلمات مع بعضها البعض، ومع السياق المنضوية فيه، وحسُّ الشعراوي جعله يدرك الفرق بين الخبير والبصير، إذ منهجه ملاحظة اتساق

500- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 263-262/2.

501- سورة فاطر، الآية: 31.

502- تفسير الشعراوي، 12509/20.

503- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد

الرحمان عميرة، دار الوفاء، المنصورة، القاهرة، مصر، 1994، 460/4.

504- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 94/25.

الكلمات القرآنية والبناء التشكيلي الذي دلت عليه، ورسم حدود الإعجاز في التركيب القرآني.

فاختيار اللفظة يجب أن يكون مناسباً للمقام المستدعى فيه، و لا شك في أن الامتياز الانتقائي الذي اتسم به القرآن الكريم في اختيار ألفاظه ومفرداته جعل أهل اللغة والبلاغة شغوفين بمحاولة الوقوف على فنيات هذه الاختيارات، ومنبهرين بهذا الانتقاء الرائع، ومقرين بالعجز التام أمام هذا اللون منه.

وقد وضح الجاحظ قيمة الكلمة في السياق فقال: «وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرها أحق بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوعَ إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر ، والناس لا يذكرون السَّعْبَ ويذكرون (الجوع) في موضع القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر (المطر) لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام ، والعامّة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل آتّه إذا ذكرَ الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل (الأرضين)، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السَّمْعَ أسماعاً، والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر، وأولى بالاستعمال»⁵⁰⁵.

وفي سياق آخر لاحظ الشعراوي في هذه الآية: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ

بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾⁵⁰⁶، حُسن الاختيار اللفظي في كلمة " هَمَّتْ " و"رَسُولِهِمْ "

و"يَأْخُذُوهُ"، وبين علة حضورها بدلاً من لفظة "تَوَجَّهُوا" أو "رَسُولِهَا" أو "يَقْتُلُوهُ" وعلق بـ:—:

⁵⁰⁵ - البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخناجي،

القاهرة، مصر، ط7، 1998، 46/1 .

⁵⁰⁶ - سورة غافر، الآية: 5.

أولاً- ففي قوله: "هَمَّتْ" الكلام هنا أنهم همُّوا بذلك لكن لم يفعلوه ، ولم يقدرُوا عليه، فكلمة (هموا) تعني تَوَجُّهُهُمْ ومراد لم يحدث على الحقيقة ، فـ " الهم " تعلقُ الخاطر بالفعل أو تعلق استحابة الجارحة للفعل.

ثانياً- وفي قوله: "لِيَأْخُذُوهُ" لم يفعلوا ولم يأخذوه أي: ليقتلوه، وهذه المسألة جاءت

مفصَّلة في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

يُخْرِجُوكَ﴾⁵⁰⁷؛ أي: يجسوك أو يقيدوك فلا تتحرك هنا وهناك.

ثالثاً- وفي قوله: "بِرَسُولِهِمْ" ولم يقل برسولها قياساً على أن الأمة مفرد مؤنث، إنما قال {رَسُولِهِمْ} فأضاف الرسول إلى جمع المذكر، ذلك لأن المواجهة بين الإسلام والكفر كانت بالرجال، ولم تكن المرأة طرفاً في هذه المواجهات بدليل أنهم لما بيَّنوا لرسول الله ليلة الهجرة كانوا جميعاً من الرجال ولم يكن بينهم امرأة واحدة، كذلك الحال في الآية فهذه أمور لا دخل للمرأة فيها⁵⁰⁸، وبالتالي فالكلمات التالية: " هَمَّتْ " و"لِيَأْخُذُوهُ" و"رَسُولِهِمْ" أدت دورها الإعجازي والصوتي في الآية.

وقد بين الباقلائي سر اختيار لفظه ليأخذوك فقال: «وهل تقع في الحسن موقع قوله "ليأخذوه" كلمة؟ وهل تقوم مقامه الجزالة لفظه؟ وهل يسد مسده في الأصالة نكته؟ ولو وُضِعَ موضع ذلك (ليقتلوه) أو (ليرحمونه) أو (ليطردوه) أو (ليهلكوه) أو (ليذلوه) أو نحو هذا، ما كان ذلك بديعاً، ولا بارعاً ولا عجبياً ولا بالغاً... فأنقذ موضع الكلمة تعلم بها ما نذهب إليه من تحيُّر الكلام، وانتقاء الألفاظ، والاهتداء إلى المعاني»⁵⁰⁹.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁵¹⁰،

وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَلَهُ قَوْمُهُ رَأَىٰ أَنْضَرَ

507- سورة الأنفال، الآية: 30.

508- تفسير الشعراوي. سورة غافر، شريط صوتي رقم 06.

509- إعجاز القرآن، الباقلائي، 197-198.

510- سورة البقرة، الآية: 60.

بَعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا⁵¹¹، وهنا

تعبير "انْبَجَسَتْ" وهناك تعبير "انفجرت" فما الفرق بينهما؟
يقول الشعراوي: «نعلم أن الانبجاس يحدث أولاً ثم يتبعه الانفجار ثانياً، فالانبجاس أن يأتي الماء قطرة قطرة، ثم يأتي الانفجار وتتدفق المياه الكثيرة، فكان موسى عليه السلام أول ما يضرب الضربة تأتي وتجيء المياه قليلة ثم تنفجر بعد ذلك ؛ إذن فقد تكلم الحق عن المراحل التي أعقبت الضربة في لقطات متعددة لمظهر واحد؛ له أولية وله آخرية»⁵¹².

ومناطق التحليل هنا أن كلمتا "انفجرت" و"انْبَجَسَتْ"، كلاهما في وصف حال الحجر حين أمر موسى عليه السلام بضربه ليسقي قومه ، فهذا ترتيب طبيعي في الآيتين ، لأنَّ المُسْتَسْقَى هنا "القَوْم" والمستسقي لهم هو "مُوسَى" والمستسقي منه "الله".
فيقال بَجَسَ الماء وانْبَجَسَ: انفجَرَ. لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع ، ولذلك قال: {فَانْبَجَسَتْ}، وقال في موضع آخر: {فَانْفَجَرَتْ}، فاستعمل حيث ضاق المخرج اللفظان⁵¹³.

والشعراوي يلمح بحسّه اللغوي والبياني كيف أن انْبَجَسَ الماء مرحلة سابقة على انفجاره، وبه قال صلاح الدين الخالدي على الآية «من اللطيف القول أن المرحلتين المتتابعتين مرتبتان في القرآن حسب ترتيب نزول القرآن ، فالمرحلة الأولى التي انبجست فيها اثنتا عشرة عيناً، أخبرت عنها آية سورة الأعراف المكية ، والمرحلة الثانية التي انفجرت فيها العيون أخبرت عنها آية سورة البقرة المدنية»⁵¹⁴ ، إذ إنَّ الانْبَجَسَ لما يخرج من شيء ضيق، والانْفَجَرَ لما يخرج من شيء واسع، فالانبجاس يتوالى ويتوالى حتى يتسع مخرج الماء فينفجر، فكأنه هو باكورة الانفجار.

⁵¹¹ - سورة الأعراف، الآية: 160.

⁵¹² - تفسير الشعراوي، 4396/7.

⁵¹³ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، 40/1.

⁵¹⁴ - إجاز القرآن البياني، صلاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط1، 2000، ص224.

3- تناسب السور والآيات:

لقد بُني القرآن الكريم على نظام متسق، شارك فيه الحرف والمفردة والجملة، ولعل التناسب بين السور والآيات هو أساس النظم الذي يتوخاه القرآن الكريم.

فالأصل كما يعتقد الكثيرون أن يقول عيسى عليه السلام: {فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ

الرَّحِيمُ}؟ في قوله: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁵¹⁵. لكن الشعراوي ناقش هذه المسألة ورأى أن التذييل

في هذه الآية جاء بما يخدم طلاقة المشيئة في تعذيبهم أو في الغفران لهم، فإن عذبهم

فليس هناك قوة ثانية تستطيع أن تحميهم من عذابه؛ لأنه - سبحانه - عزيز، وإن غفر

لهم فلا توجد قوة أعلى تسأله: كيف غفرت لهم وقد كانوا كافرين؟ إذن فسبحانه لا

يسأل عما يفعل لأنه عزيز حكيم⁵¹⁶. فلأنسب في نظرهم: " فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ

الرَّحِيمُ " هي تناسب قوله: {وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ}، ولكنها لا تناسب {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ}، فكان

لا بد أن يأتي تذييل الآية بما يناسب {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ} وبما يناسب قوله: {وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ}.

هذه الآية لحقها كلام كثير⁵¹⁷ في تذييل قوله: { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }، وقد رد القرطبي

على هذا الطعن بقوله: «والجواب أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله، ومتى نقل إلى الذي

نقله فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني، فلا يكون له بالشرط الأول تعلق وهو

مقرون بالشرطين كليهما أولهما وأخرهما، إذ تلخيصه " إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ " وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ "، والشرطين المذكورين أولى

وأثبت معنى في الآية مما يصلح لبعض الكلام دون بعض»⁵¹⁸.

⁵¹⁵ - سورة المائدة، الآية: 118.

⁵¹⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي: 3480/6.

⁵¹⁷ - الذين لا يمتلكون الذائقة اللغوية العربية، ولا يفقهون معنى الإعجاز، ونجد منهم زمرة من المستشرقين.

⁵¹⁸ - الجامع لأحكام القرآن، أبو بكر القرطبي، تحقيق: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1،

ويرى السامرائي أن النظم القرآني عمد إلى الفاصلة " العَزِيزُ الْحَكِيمُ " دون غيرها لاحتراز المعنى، ذلك «لأنَّ العفو عن المستحق للعذاب العظيم، قد يكون عن عجز وضعف لا عن استطاعة وقدرة، أو قد يكون عن سوء تدبير وتقدير، أو عن كليهما، فلو قال: "فَأِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"؛ لما دفع هذين الوصفين عنه، فإنَّ الغافر الرَّاحِمُ قد يكون إنَّما يفعل ذلك لضعفه أو لسوء تدبيره، فقال: " فَأِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " ليدفع ذلك عنه، وليقول: إِنَّهُ إِنْ عَفَا وَغَفَرَ فَعَن كَمَالِ الْعَزَّةِ وَالْقُدْرَةِ، وَعَن غَايَةِ الْحِكْمَةِ وَالتَّدْبِيرِ»⁵¹⁹.

فدقة القرآن الكريم جعل لكل حرف ولكل كلمة موضعه المناسب له، وتذييل الآية السالفة الذكر مناسب للسياق الذي ذكرت فيه، وهو ما قال به الزركشي والألوسي⁵²¹، والطاهر ابن عاشور⁵²²، ووافقهم الشعراوي.

وفي معرض آخر نجد في قوله: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ﴾

الْوَسْطَى وَقَوْمُوا لِلَّهِ قِنْتَيْنِ⁵²³، فلحديث قبلها كان عن الطلاق وبعدها عن الأسرة والمتوفى عنها زوجها، فما السر من قطع السياق والفصل بهذه الآية؟ يرى الشعراوي أن الحق فصلَ بآية: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ} بين قضية واحدة هي قضية الفراق بين الزوجين، وقسمها قسمين وأدخل بينهما الحديث عن الصلاة، وذلك لينبهنها إلى وحدة التكاليف الإيمانية، ونظراً لأنَّ الحق يتكلم هنا عن أشياء كل مظاهرها إما شقاق اختياري بالطلاق، وإما افتراق قدرى بالوفاء، فأراد الله أن يدخل الإنسان في العملية التعبدية التي تصله بالله الذي شرع الطلاق والصلاة وقدر الوفاة، وإن كانت أمور الزواج والطلاق حزبتهم وأهمتهم في شقاق الاختيار في الطلاقات التي وقعت أو عناء الافتراق بالوفاء، ولن يربط على قلوبهم إلا أن يقوموا لربهم ليؤدوا

⁵¹⁹ - لمسات بيانية في نصوص التنزيل، فاضل السامرائي، دار عمان، عمان، ط2، 2001، ص 78.

⁵²⁰ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 90/1.

⁵²¹ - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 70/7.

⁵²² - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 351/4.

- البقرة: 238.⁵²³

الصلاة⁵²⁴، فكانت المحافظة على الصلاة ملاكاً لصلاح أحوال الخلق مع أزواجهم في جميع أحوالهم⁵²⁵.

وهو الوجه الذي جاء به أبو حيان، إذ اعتبر أن الآية مناسبة لسياقها فقال: «والذي يظهر في المناسبة أنه تعالى لما ذكر جملة من أحوال الأزواج والزوجات وإحكامهم في النكاح والوطء والايلاء.. وغير ذلك، كانت تكاليف عظيمة تشغل من كلفها أعظم شغل بحيث لا يكاد يسع معها شيء من الأعمال، وكان كل من الزوجين قد أوجب عليه للأخر ما يستفرغ فيه الوقت، ويبلغ منه الجهد وأمر كلا منهما بالإحسان إلى الأخر حتى في حالة الفراق، وكانت مدعاة إلى التكاثر عن الاشتغال بالعبادة إلا لمن وفقه الله تعالى، أمر تعالى بالمحافظة بالصلاة التي هي الوسيلة بين الله وعبده، وإذا كان قد أمر بالمحافظة على أداء حقوق الآدميين فلأن يؤمر بأداء حقوق الله أولى وأحق»⁵²⁶. فقول أبي حيان وبرهان الدين البقاعي وغيرهما من المفسرين موافق لما ذكره الشعراوي.

وحين نستعرض هذه الصورة إجمالاً للمقارنة والموازنة بين أهل النار وأهل الجنة نجد

الحق قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ

لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْبِغَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ

الْحَيَاطِ ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾⁵²⁷.

524 - ينظر: تفسير الشعراوي: 1022/2.

525 - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 36/3.

526 - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 272/2 وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 465/1،

وينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، ص 235، وينظر: روح المعاني،

الألوسي، 155 / 2 وينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، دار الكتب

العلمية، بيروت، 1988، ص 176.

- سورة الأعراف، الآية: 40.⁵²⁷

فهم لن يدخلوا الجنة وعلى ذلك فقد سلب منهم نفعاً، ولا يتوقف الأمر على ذلك، ولكنهم يدخلون النار، إذن فهنا أمران: سلب النافع وهو دخولهم الجنة، وبعد ذلك

كان إدخالهم النار. وفي قوله تعالى: ﴿هُم مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ

غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾⁵²⁸، فكأن الإجماع كان سبباً في

ألا يدخلوا الجنة، والظلم كان سبباً في أن يكون من فوقهم غواش، لهم من جهنم مهاد، وهم في النار يحيطهم سرداقها، ومن المناسب بعد تلك الشحنة التي تكررنا في أصحاب النار وفي سوء تصرفهم فيما كلفوا به أولاً، وسبب بشاعة جزائهم ثانياً؛ أن

نتلهف على المقابل في الآية التالية ⁵²⁹: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾⁵³⁰.

فجملة {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} تذييل يُؤذن بأن الإجماع هو الذي أوقعهم في ذلك الجزاء، فهم قد دخلوا في عموم المجرمين الذين يجزون بمثل ذلك الجزاء، وهم المقصود الأول منهم، لأن عقاب المجرمين قد شبه بعقاب هؤلاء، فعلم أنهم مجرمون، وأنهم في الرعيّل الأول من المجرمين حتى شبه بعقاب عموم المجرمين بعقاب هؤلاء وكانوا مثلاً لذلك العموم⁵³¹.

وقوله: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} يدل على أن سبب ذلك الجزاء بالعقاب: هو الظلم، وهو الشرك، ولما كان جزاء الظالمين قد شبه بجزاء الذين كذبوا بالآيات واستكبروا عنها، علم أن هؤلاء المكذبين من جملة الظالمين وهم المقصود الأول من

⁵²⁸ - سورة الأعراف، الآية: 41.

⁵²⁹ - تفسير الشعراوي، 7 / 4138-4139.

⁵³⁰ - سورة الأعراف، الآية: 42.

⁵³¹ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 334/8.

هذا التشبيه، بحيث صاروا مثلاً لعموم الظالمين، وبهذين العموميين كانت الجملتان تذييلين⁵³²، وهو ما قاله الشعراوي وبينه، إذ ناسب تذييل الآية بصدرها وسياقها العام، وهي صورة كاملة لحالة الذين كذبوا بقاء الله، وأنهم سيلاقون جزائهم وعصيانهم.

وبالتالي كان التناسب اللفظي الذي ذكر مناسباً للسياق الذي جاءت به الآية، والملاحظ مما ذكر أنّ الشعراوي نَهَجَ نَهَجَ أسلافه من اللغويين والبلاغيين والمفسرين، ولم يخرج عليهم إلاّ فيما نذر، وأعطى للمفردة والصوت القرآني اتساعاً وعمقاً وتحليلاً راقياً، ولم يقف يتأمل أصوات الكلمة فقط، وإنما ما تُصِيب الكلمة من تأثيرات صوتية وتبدلات مورفولوجية، وشاغلاً باله بالوظيفة الصوتية التي يؤدّيها الصوت في أداء المعنى.

- المصدر نفسه، 335/8. 532

الفصل الثاني: المستوى الصرفي في تفسير الشعراوي:

علم التصريف على الخصوص من أهم الركائز الأساسية للتفسير اللغوي، وقد رجح الزركشي (ت: 794) أسبقية علم الصرف على علم النحو، لأن بالصرف يتم «حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنأ واحدا، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة، لأن التصريف نظراً في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارضها، وهو من العلوم التي يحتاج إليها المفسر»⁵³³.

والألفاظ أدلة على المعاني وقوالب لها، وإثما اعتنى علماء العربية بها وأصلحوها لتكون أذهب في الدلالة، ولما كان المعنى يكون في أحوال كثيرة كمعنى المضى والحال والاستقبال والفاعلية والمفعولية وغيرها، وكانت الحاجة إلى الدلالة على كل حال ماسةً، ولم يكن بد من لفظٍ خاص يدل على ذلك المعنى بعينه، فلهذا وجب التصريف واختلاف الأبنية بالزيادة والنقص والتغيير ونحو ذلك، ليدل كل لفظ على المعنى المراد، نحو ضَرَبَ يَضْرِبُ اضْرِبْ، لَا تَضْرِبْ، ضَارِبٌ، مَضْرُوبٌ⁵³⁴، فكل تحول في الصيغ إلا ونجد له تحول في المعنى والدلالة.

ومعالجة الشعراوي للصرف لا تختلف عن النحو؛ إذ عمل جاداً باستظهار الآيات والجمل التي يقوم عليها الدرس الصرفي، واضعاً نصب عينه البيان والإبلاغ وحسن العرض، بحيث لم يقف عند المصطلحات الصرفية موقف التنظير والتقسيم، وإنما حاول إبراز المعاني الناتجة عن كل صيغة، ويعرضها في ثوب وحلة جديدة، وما سوف نعرضه يُبين حرص الشعراوي على إظهار هذا العلم وتطبيق معاملة في التفسير القرآني، بغية التفهيم والتوجيه والإرشاد.

وقد ركزنا على مسائل الصيغ الصرفية ودلالة الأوزان فيها، ثم المصدر، وعرضنا بعض الصيغ الصرفية وعلاقتها بالتركيب، ثم بينا دلالات المشتقات (اسم الفاعل، اسم المفعول، الصفة المشبهة، صيغة المبالغة، اسم التفضيل، واسم الزمان والمكان)، ومسألة الاشتقاق.

⁵³³ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 373/1.

⁵³⁴ - ينظر: شرح الملوكي في التصريف، ابن يعيش، تحقيق: فخر الديت قباوة، المكتبة العربية، حلب،

أولاً- الصيغ الصرفية:

الصيغ الصرفية هي القوالب التي يصبُ فيها الصرفيون المادة اللغوية ليدلوا بها على معانٍ معينة ومحددة، لما يدور بخلداهم وما تتفق عنه أذهانهم وأفكارهم⁵³⁵، وقد وجدنا الشعراوي مُلماً بتنوعات الصيغ الصرفية أثناء تفسيره، وقد أضفى عليها لمسات دلالية وبصمات بيانية، ومن بين هذه الصيغ ما يلي:

1- دلالة أوزان الأفعال، ونجد منها:

أ- الفعل الثلاثي المجرد، وفيه.

- صيغة "فَعَلَ":

إنَّ هذه الصيغة هي أكثر الأبنية توظيفاً في البناء الصرفي، إذا ما جردناها من الزوائد والتغيرات التي تعريبها من حين إلى حين، ويأتي منها المتعدي واللازم، فمن حيث التعدية نجد: قَتَلَ وضَرَبَ، ومن حيث اللزوم نجد: قَعَدَ وجَلَسَ. وقد تناول سيبويه هذا الجانب فقال: «وإنما كان "فَعَلَ" كذلك لأنه أكثر في الكلام، فصار فيه ضربان، ألا ترى أن "فَعَلَ" فيما تعدى أكثر من "فَعَلَ"، وهي فيما لا يتعدى

أكثر»⁵³⁶، وتحدث الشعراوي عن هذا في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُ بَعْدَهُ

رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾⁵³⁷؛ فكلمة "بَعَثَ" هنا تستحق التأمل، فالبعث إنَّما يكون

لشيء كان موجوداً ثم انتهى، فيبعثه الله تعالى، وكلمة {بَعَثْنَا} هذه تلفتنا إلى الحق سبحانه أول ما خلق الخلق أعطى المنهج لآدم عليه السلام، وهذا هو الفرق بين أثر كلمة "الْبَعَثَ" عن كلمة "الإرْسَال"⁵³⁸، فكلمة البعث تشعرك بوجود شيء ثم انتهاء الشيء، ثم بعث ذلك الشيء من جديد، ومثله مثل البعث في يوم القيامة.

⁵³⁵ - ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد يوسف، المكتبة العصرية، بيروت،

2002، ص 26-27.

⁵³⁶ - الكتاب، سيبويه، 104/4.

- سورة يونس، الآية: 74. ⁵³⁷

⁵³⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6116/10.

كذلك نجد في كلمة "سَكَنَ" من قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي آلِيلٍ﴾

وَالنَّهَارِ⁵³⁹؛ فاللادة مكونة من "السين والكاف والنون"، وتأتي لمعان متعددة؛

فتكون من السكني؛ أي الاستيطان، وتكون من السكون الذي هو ضد الحركة، وهكذا نعلم أن الزمان والمكان قد وُجِدَا عندما شاء الله أن يحدث هذا الكون، ولا تقل أبداً أيها الإنسان: أين كان الله قبل أن يخلق الكون؟ لأنَّ "أَيْنَ" هي بحث عن مكان، و"مَتَى" هي بحث عن زمان، و"أَيْنَ" و"مَتَى" إنما وجدتا بعد وجود الحدث في الكون، والكون هو ظرف قار أي شيء ثابت، والزمان هو ظرف غير قار، لأنَّه يكون مرة ماضياً، ومرة يكون حاضراً أو مستقبلاً⁵⁴⁰.

ففي هذا التحليل بين الشعراوي دلالة الصيغة الصرفية لكلمة "سَكَنَ"، والتموضعات التي تؤديها في السياق القرآني العام دليل على تمكنه الصرفي البليغ.

- صيغة "فَعُلَّ":

هذه الصيغة من أقل الأبنية استعمالاً، ولا تكون إلا لازماً، وترد فيما يدل على الطباع والغرائز، نحو: كَرَمٌ، عَظْمٌ، حَسَنٌ. وكل فعل بهذه الصيغة دل على صفات طبع عليها الإنسان وأصبحت مخلوقة معه، واكتسبها من خلال الوسط الذي يعيش فيه⁵⁴¹.

يبرز لنا الشعراوي دلالة هذه الصيغة في حديثه عن قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ⁵⁴²، فصيغة "كَبُرَ" دلت على الزيادة وقد بينها الشعراوي

فقال: «{كَبُرَتْ}؛ أي: عَظُمَتْ وتناهت في الإثم، لأنهم تناولوا مسألة فظيعة، كَبُرَتْ

- سورة الأنعام، الآية: 13. 539

540 - ينظر: تفسير الشعراوي، 3522/6.

541 - ينظر: تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص

.86

- سورة الكهف، الآية: 05. 542

أن تخرج هذه الكلمة من أفواههم»⁵⁴³، وهو تأكيد منه على أن هذه الصيغة تجري بجرى العظمة والتعجب، فما أكبرها كلمة، أو أكبر بها كلمة.

- صيغة "فَعِلَ":

هذه الصيغة كثيرة التوظيف، وقد تأتي من اللازم والمتعدي على السواء، مثل: عَلِمَ، يَبْسُ، يَقِظُ...⁵⁴⁴

وقد أدرك الشعراوي هذه الصيغة التي تدل عن وصف الطبائع والغرائز، وذلك أثناء

حديثه في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾⁵⁴⁵،

فمادة: {نَكِرَهُمْ} تقتضي أن ننظر في مادة "النون والكاف والراء" وكلمة "نَكِرَ" وكلمة "أَنكَرَ" كلتاهما مستعملة في القرآن الكريم⁵⁴⁶. والشاعر يقول⁵⁴⁷:

وَأَنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

والاستعمال اللغوي يدل على أن المقابح من ألوان السلوك تسمى منكرات؛ أي:

ينكرها الإنسان بفطرته، وهنا حين رأى إبراهيم عليه السلام أن أيديهم لا تصل إلى

العجل الحنيد نكرهم، وأوجس في نفسه خيفة⁵⁴⁸، وبالتالي أدت هذه الصيغة وظيفتها

الدلالية التعجبية وأظهرت المعنى المراد.

⁵⁴³ - تفسير الشعراوي، 8837/14.

⁵⁴⁴ - ينظر: تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص 86.

- سورة هود، الآية: 70.⁵⁴⁵

⁵⁴⁶ - وردت كلمة "نَكِرَ" في موضع من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾

سورة هود الآية: 70، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْتَدِينَ أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَتَذَوْنَ﴾

سورة النمل: 40، أما كلمة "أَنكَرَ" فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ سورة

غافر: 81، وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ سورة الرعد: 39، وفي قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ

نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ سورة النحل: 83.

⁵⁴⁷ - القصيدة للأعشى مطلعها: بانئت سعاد وأمسى حبلاً انقطعاً، ينظر: ديوان الأعشى الكبير، محمد محمد

حسين، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د،ت)، ص 101.

⁵⁴⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6569/11.

ب- الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد:

رأى الشعراوي أنّ أي زيادة في الفعل الثلاثي تلحقه إضافة في الدلالة⁵⁴⁹، وبالتالي تنوع المعاني والمقاصد التي تشملها الزيادة، ويقع هذا الحرف المزيد قبل الفاء كـ "أَفْعَلْ"، أو بين الفاء والعين كـ "فَعَالٌ"، أو بين العين واللام، أو بعد اللام كـ "فَعَالٌ" و "فُعَلَى"⁵⁵⁰، والأمثلة كثيرة نقتصر على مثال واحد.

- صيغة "أَفْعَلْ":

فهذه الصيغة تأتي لأغراض ودلالات عديدة أشهرها التعدية، بالإضافة إلى دلالتها على الصيرورة والتمكين والسلب والمطاوعة⁵⁵¹.

وقد تناول الشعراوي هذا الجانب مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾

فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ حَطْبًا⁵⁵²، فالقاسط من "قَسَطَ"؛ أي: الجائر بالكفر، أما في

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁵⁵³، فالمُقْسِطُ من أَقْسَطَ: العادل

الذي يُزيل الجورَ، وإن كانت المادة واحدة هي (قَسَطَ) فالمصدر مختلف نقول: قَسَطَ قِسْطًا؛ أي: عدل، وقَسَطَ قَسْطًا وقسوطاً يعني: جار. فهذه الهمزة في أقسط تسمى "همزة الإزالة"، ومن الفعل الثلاثي قَسَطَ يستعمل منها: القسط والميزان والفرق بين قَسَطَ وأقسط: قسط أي: عدل من أول الأمر وبأدنى ذي بدء، إنما أقسط: إذا وجد ظلماً فرفعه وأزاله، فزاد على العدل أن أزال جوراً⁵⁵⁴، ومن هنا تتضح دلالة صيغة "أَفْعَلْ" على التعدية من وجهة نظر الصرفين وعند الإمام الشعراوي.

ت- الفعل الثلاثي المزيد بحرفين:

⁵⁴⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 18/ 10098.

⁵⁵⁰ - ينظر: تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص 69.

⁵⁵¹ - المرجع السابق، ص 70.

- سورة هود، الآية: 70.⁵⁵²

- سورة المائدة، الآية: 42.⁵⁵³

⁵⁵⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 15/ 9254.

الفعل الثلاثي المزيد بحرفين له خمسة أوزان، ثلاثة منها تبدأ بهمزة الوصل، والرابع والخامس تبدأ بالتاء الزائدة⁵⁵⁵، ولهم معان كثيرة، منها: المشاركة والمطاوعة والمبالغة... الخ⁵⁵⁶، ولقد جاءت صيغ كثيرة أوردتها الشعراوي نكتفي بصيغة واحدة، وهي صيغة:

– صيغة "افْعَلْ":

ولها معان كثيرة، منها: المطاوعة نحو: جَمَعْتُهُ فَاجْتَمَعَ، والمشاركة نحو: اقْتَتَلَ زَيْدٌ وَعَمَرُو، والمبالغة نحو: اقْتَلَعَ، والاتخاذ نحو: اذْبَحْ؛ أي اتَّخَذَ ذَيْبِحَةً، والإغناء عن الجرد نحو: ارتَجَلَ، التَّمَسَّ⁵⁵⁷.

جاءت صيغة "احْتَنَكَ" في قوله تعالى:

﴿لَا احْتَنِكْ بِذُرِّيَّتِهِ إِلَّا

قَلِيلاً﴾⁵⁵⁸؛ فـ[ح ن ك] فعل ثلاثي متعدد، وحنك يحنك أحنك، مصدر ه "حنك" ،

ويرى الشعراوي أن "الاحتناك" يرد بمعنيين: الأول: الاستئصال، ومنه قولهم: احْتَنَكَ الجَرَادُ الزَّرْعَ؛ أي: أتى عليه كله واستأصله، والآخر: بمعنى القهر على التصرف، مأخوذ من اللجام الذي يوضع في حنك الفرس، ويسمونه (الحنكة) وبها تستطيع أن تُوجّه الفرس يمينا أو يسارا أو تُوقفه، فالاحتناك قد يكون استئصالاً للذات، وقد يكون قهراً لحركتها⁵⁵⁹، ومثله ذكره الزجاج⁵⁶⁰، وبالتالي زيادة الهمزة والتاء في لفظة "حنك" غيرت المعنى وأدت الغرض المطلوب.

ث- الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف:

⁵⁵⁵ - ينظر: أبنية الأفعال، نجاة عبد العظيم الكوفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1989،

ص29.

⁵⁵⁶ - المرجع نفسه، ص30.

⁵⁵⁷ - ينظر التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص38،

وتصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص120-121.

- سورة الإسراء، الآية: 62.⁵⁵⁸

⁵⁵⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8661/14.

⁵⁶⁰ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 449/4.

الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف له في لغة العرب أربعة أوزان تبدأ جميعها بهمزة الوصل، وهي: اسْتَفْعَلَ - افْعَوْعَلَ - افْعَوْلَ - افْعَالَ⁵⁶¹، وقد تناول الشعراوي هذه الصيغ، نقتصر على واحد منها:

- صيغة "اسْتَفْعَلَ":

وتأتي هذه الصيغة بزيادة الهمزة والسين والتاء، وقد وضع ابن جني سر مجي هذه الأحرار الثلاث فقال: «ثم وردت بعدها الأصول: الفاء والعين واللام، فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك. وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأني لوقوعه تقدمه، ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه وتأتي صيغة "اسْتَفْعَلَ" للدلالة على الطلب والتحول والمطاوعة والمبالغة والاتخاذ والمصادفة⁵⁶³.

فقد لاحظ الشعراوي أثر الزيادة التي لحقت الفعل "سَكَنَ" والتي تضيف دلالات

متنوعة أهمها الطلب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَايِّنَ مِّنْ نَّبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ

رِيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا

وَمَا اسْتَكَانُوا﴾⁵⁶⁴؛ فماذا تعني "اسْتَكَانُوا"؟

يرى الشعراوي أنها من "سَكَنَ"، والسكون تقابله الحركة، والحرب تحتاج إلى حركة، والذي يأتي للحرب فهو يحتاج إلى كَرٍّ وفر، وساعة نسمع -الألف والسين والتاء- وتأتي بعدها كلمة نعلم أنها جاءت للطلب، فلفظة: "فاسْتَفْهَمَ" أي طلب أن يَفْهَمَ، وهي تأتي لطلب المادة التي بعدها، كأن نقول: "اسْتَعْلَمَ" أي طلب أن يَعْلَمَ، أو نقول: "اسْتَحْبَرَ" أي طلب الحَبْرَ، و"اسْتَكَانَ"، يعني طلب له كَوْنًا أي وجودًا، فكأنهم بلغوا

- ينظر: أبنية الأفعال، نجاته عبد العظيم الكوفي، ص 31. ⁵⁶¹

⁵⁶² - ينظر: الخصائص، ابن جني، 154/2.

⁵⁶³ - ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق: محي الدين عبد الرحمان، دار التراث، القاهرة، ط 20، 1980، 264/4، وينظر: تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص 119-120.

- سورة آل عمران، الآية: 146. ⁵⁶⁴

من الوهن ومن الضعف مبلغاً يطلبون فيه أن يكون لهم مجرد وجود؛ لأنّ الوجود مظهره الحركة، والحركة انتهت، وما دامت من الكون يكون وزنها "استفعل" يعني طلب الكون، وطلب الوجود، وقد يكون وزنها ليس كذلك؛ إذا كانت من "سكن" وهي بهذا الاعتبار لا يكون فيها طلب؛ لأنّ السين ستكون أصلية، فوزنها هو "افتعل"، فـ "استكأثوا" هل تعني أنهم طلبوا السكون؟ لا؛ لأنهم كانوا ساكنين، إذن فالأولى أن يكون معناها أنهم طلبوا مجرد الوجود⁵⁶⁵، وقيل في معناها: فما خضعوا وما ذلوا من الاستكانة: وهي الذلة والخضوع⁵⁶⁶.

فقد قدم الشعراوي وجهين لصيغة "استكأثوا": "استفعل" و"افتعل"، ورجح الرأي الثاني، وهذا الاختيار ذكره القرطبي في الجامع، فقال: «والاستكانة: الذلة والخضوع ، وأصلها (استكأثوا) على "افتعلوا"، فأشبع فتحة الكاف فتولدت منها ألف، ومن جعلها من "الكون" فهي "استفعلوا"، والأول أشبه بمعنى الآية»⁵⁶⁷.

فلقد ركز كلاً من القرطبي والشعراوي على المعنى في تحديد مقصود الآية لا على الأصل الاشتقائي، وهو رأي مقبول، وقد وجدنا من قبل أن الزمخشري ذكر الوجهين ولم يرجح أحدهما على الآخر⁵⁶⁸، وتبقى المعاني الدلالية لهذه الصيغة متنوعة ولا تضر بالمعنى.

2- المصدر:

المصدر اسم يقع على الأحداث كـ: "الضرب، القتل، القيام، القعود، وهو أصل الأفعال، ولهذا سمي مصدراً لصدور الأفعال عنه، فضرب، ويضرب، وأضرب، مشتق من الضرب⁵⁶⁹. وعلى الرغم من اختلاف العلماء حول المصدر والفعل، من حيث الأصل والفرع، إلا أنه متفقون على أن «المصدر يدل على الحدث، وذلك من حيث

⁵⁶⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1807/3.

⁵⁶⁶ - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 131/2. وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور،

119/4.

⁵⁶⁷ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 230/4.

⁵⁶⁸ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 197/3.

⁵⁶⁹ - ينظر: شرح ملحمة الإعراب، الحريري، المكتبة العصرية، ط3، 2000، ص 166.

أنَّ المصدر يختلف عن الفعل في أنه اسم، ويتفق مع الفعل في أنه يدل على حدث، غير أنَّ الفعل يدل على الحدث بالإضافة إلى دلالة على الزمان»⁵⁷⁰.

وقد تناول الشعراوي أبنية المصادر، وبحث في المعاني التي تؤدبها في التفسير، ومن هذه المصادر نجد.

- "فَعْلَان": وهي من "فعل" ودلالته على التقلب والاضطراب والحركة، نحو:

خَفَقَانَ، جَوْلَانَ، نَزَوَانَ، غَلِيَانَ، دَوْرَانَ⁵⁷¹، ونلاحظ أن هذا الوزن يحاكي الحدث ويعبر عنه تعبيراً دقيقاً، فهو يحمل في مضمونه دلالة الحركة الشديدة.

جاء في قوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾

فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ⁵⁷²، و"قُرْبَان" على وزن

"فَعْلَان"، فيقال: "كَفَرَ كُفْرَانًا" و"عَفَرَ عُفْرَانًا"، وهي صيغة مبالغة في الحدث .. و"القُرْبَان" مصدر، والمصادر في التثنية وفي الجمع وفي التذكير والتأنيث لا يتغير نطقها أو كتابتها، فنحن نصف الرجل بقولنا: "رَجُلٌ عَدْلٌ" وكذلك "امْرَأَةٌ عَدْلٌ" و"رَجُلَانٌ عَدْلٌ" و"امْرَأَتَانِ عَدْلٌ" و"رِجَالٌ عَدْلٌ" و"نِسَاءٌ عَدْلٌ"؛ إذن فالمصدر يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث⁵⁷³.

وقد ذكر العكبري في التبيان أن "قُرْبَانًا" هي في الأصل مصدر، وقد وقع هنا موضع المفعول به، والأصل إذ قربا قربانين، لكنه لم يثن، لأنَّ المصدر لا يثنى⁵⁷⁴، كما أن "الحُلُوان" اسم ما يلحى به؛ أي يعطى، وتقديره: إذا قرب كل واحد منهما قرباناً⁵⁷⁵.

⁵⁷⁰ - التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص 66.

⁵⁷¹ - ينظر: تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص 134.

- سورة المائدة، الآية: 27.⁵⁷²

⁵⁷³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 3068/5.

⁵⁷⁴ - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 432/1.

⁵⁷⁵ - ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 123/2.

فللقربان في الآية يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البر والخير كالصلاة والصدقات، وهو على وزن "فَعْلَان" كالفرقان من الفرق، والعدوان من العدو، والشكران من الشكر، والكفران من الكفر. - "فُعَال":

هو من "فَعَلَ" وأنه مصدر دال على المرض أو الداء، مثل: الزُكام، السُّعال، الصُّدَاع.. ومنها ما يدل على صوت مثل: الصُّرَاخ، الرُّغَاء، الثُّغَاء، ومنها ما دل على تحطم أو أجزاء الشيء في الأعيان، مثل: الجُذَاذ، الفُتَات، الحُطَام...⁵⁷⁶

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾⁵⁷⁷ مما جاء بهذه الصيغة في قوله:

وَتَصَدِيَةٌ⁵⁷⁷، حيث كانت صلاتهم مظهرًا من مظاهر اللهو واللعب يؤدونها بالمكاء والتصدية، والمكاء هو التصفير الذي يصفرونه، والتصدية هي التصفيق، وكانت صلواتهم هي صفير يسبب صدى للأذان، بالإضافة إلى التصفيق بإيقاع معين⁵⁷⁸، وقد ذكر الشوكاني أن المكاء هو الصفير من مَكَا يَمْكُو مَكَاءً، ومنه قول عنتره⁵⁷⁹:

وَحَلِيلٍ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَمَكُّو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ
أي تصوت، ومنه مَكَتُ اسْتُ الدَّابَّة: إذا نفخت بالريح⁵⁸⁰، وقيل المَكَا كِيُّ جمع مَكَاءً، وهو الصفير على لحن طائر، ومنه قول الشاعر⁵⁸¹:
إِذَا غَرَّدَ الْمَكَاءُ فِي غَيْرِ دَوْحَةٍ فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمُرَاتِ

⁵⁷⁶ - ينظر: معاني الأبنية، فاضل السامرائي، ص 36-37، وينظر: التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص

- سورة الأنفال، الآية: 35.⁵⁷⁷

⁵⁷⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4694/8.

⁵⁷⁹ - ينظر: ديوان عنتره بن شداد، الخطيب التبريزي، تقديم: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت،

لبنان، ط1، 1992، ص 170

⁵⁸⁰ - ينظر: فتح القدير، الشوكاني، 439/2.

⁵⁸¹ - ينظر: الأمالي، البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د،ت)، 32/2.

أما التصدية: التصفيق، يقال: صَدَى يَصْدِي تَصْدِيَةً: إذا صَفَّقَ، ومنه قول عمر بن
الأطنابة⁵⁸²: **وَذَلُّوا جَمِيعًا لَهُمْ ضَجَّةٌ مُكَاءٌ لَدَى الْبَيْتِ بِالتَّصْدِيَةِ**
أي بالتصفيق، وقيل المكاء: الضرب بالأيدي، والتصدية: الصياح، وقيل المكاء:
إدخالهم أصابعهم في أفواههم، والتصدية: الصفير⁵⁸³، وكلها آراء أوردها القرطبي
تدل على أن المشركين كانوا يصفرون ويصفقون عند البيت الذي هو موضع للصلاة
والعبادة، فوضعوا ذلك موضع الصلاة قاصدين به أن يشغلوا المصلين من المسلمين عن
الصلاة.
- "مُفَاعَلَةٌ":

وهو أن فاعل يمكن أن يجيء مصدره على وزن مُفَاعَلَةٌ، نحو: مُجَادَلَةٌ، مُنَاقَشَةٌ،
مواصلة⁵⁸⁴، ومن هذه الصيغ، "المُصَابِرَةُ"، و"المُرَابِطَةُ"، وذلك في قوله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾⁵⁸⁵؛ إذن فالمصابرة تعني إن كان خصمك يصابرك فأنت

تصبر وهو يصبر، فتصبر أنت أكثر، ولهذا تحتاج المسألة إلى أن يتكاتف المجتمع كله
على المصابرة، والمرابطة تعني: الإعداد لكل ما يمكن أن يردَّ عن الحق صيحة الباطل،
فمن المرابطة أن تعد الناشئة الإسلامية لوفادات الإلحاد...⁵⁸⁶
لفظة "صَابِرُونَ" و"رَابِطُونَ" جاءت للمُفَاعَلَةِ والمُشَارَكَةِ، فالصبر ذاتي لعزيمة المُجَاهِدِ
الصابر، أما المصابرة فهي للعدو، ولا بد للمسلمين أن يُصَابِرُوا على أعدائهم، وقد
ذكر ابن القيم الجوزية أن «المصابرة هي مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة

⁵⁸² - ينظر: النكت والعيون، الماوردي، 315/2.

⁵⁸³ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 498/9-499.

⁵⁸⁴ - ينظر: التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص70.

- سورة آل عمران، الآية: 200.⁵⁸⁵

⁵⁸⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1974/4-1975.

تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشائمة والمضاربة ⁵⁸⁷، والرباط هو الملازمة في سبيل الله، وأصلها من ربط الخيل، ثم سمي كل تغر من تغور الاسلام مُرابطاً، فارساً كان أو راجلاً ⁵⁸⁸. فللمجاهد الصابر المصابر يبقى مُجاهداً في الميدان، رافعاً لواء الحق لا يتوقف عنه ولا يتركه، ولا ينصرف عن طريق الجهاد والمواجهة إلى مُنع الدنيا وزخرفتها.

- "تَفَعَّلَ": ويكون مصدره على وزن الفعل مع ضم ما قبل آخره نحو: تعلم، تجوّل،

تئين ⁵⁸⁹، ومما عالجته الشعراوي في هذا الجانب صيغة "تَكَبَّرَ" في قوله: ﴿فَلْيَبْسُ

مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ⁵⁹⁰، فَتَكَبَّرَ وَاسْتَكَبَّرَ وَكَلَّ ما جاء على وزن (تَفَعَّلَ)

يدل على أن كِبْرهم هذا غير ذاتي؛ لأنّ الذي يتكبر حقاً يتكبر بما فيه ذاتياً لا يسئله منه أحد، إنما مَنْ يتكبر بشيء لا يملكه فتكبره غير حقيقي، وسرعان ما يزول ويتصاغر هؤلاء بما تكبروا به في الدنيا، وبذلك لا يكون لأحد أن يتكبر لأنّ الكبرياء الحقيقي لله عزّ وجل ⁵⁹¹. وقد ذكر الراغب أنّ الكِبْر والتكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر هو الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره، وأعظم التكبر، التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعباد... والتكبر يقال على وجهين:

أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى

هذا وصف الله تعالى بالتكبر، قال تعالى: ﴿الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ ⁵⁹².

⁵⁸⁷ - عدة الصابرين وذخيرته الشاكرين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: عصام الدين الصبابي، دار الحديث، القاهرة، 2002، ص333.

⁵⁸⁸ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 560/1.

⁵⁸⁹ - ينظر: التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، ص70-71.

- سورة النحل، الآية: 29. ⁵⁹⁰

⁵⁹¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 7881/13.

- سورة الحشر، الآية: 23. ⁵⁹²

والثاني: أن يكون متكلفاً لذلك متشعباً، وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله تعالى:

﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾⁵⁹³، ومن وصف بالتكبر على الوجه

الأول فمحمود، ومن وصف به على الوجه الثاني فمذموم⁵⁹⁴، وبالتالي المصدر هو "التكبر" الذي جاءت صيغته "تكبر" على وزن (تفعل).

ثانياً- الصيغ الصرفية بين الإفراد والتركيب:

لقد أدرك الشعراوي أهمية الصيغ الصرفية في حمل المعاني والدلالات، ولذلك استطاع وفق منهجه اللغوي أن يدقق في قيمة هذه الصيغ وفق تركيب آي القرآن الكريم، ووفق التوظيف العام لها، ولهذا جاءت هذه الصيغ ملائمة لسياقها من حيث:

1- الإفراد والتثنية:

تُعرف اللغة العربية بتنوع خطابها من حيث الإفراد والتثنية، وقد ذكر علماء الصرف أن الاسم إما مفرداً أو مثلاً أو جمعاً؛ فالمفرد هو ما دل على واحد مثل: "رَجُلٌ" وامرأة، والمثنى ما دل على اثنين بزيادة الألف والنون، أو الياء والنون؛ كـ "رَجُلَانِ" و"رَجُلَيْنِ"، باستثناء الألفاظ "كِلَا، وَكِلْتَا، وَاثْنَانِ، وَاثْنَيْنِ"؛ لأن دلالتها على الاثنين ليست بالزيادة⁵⁹⁵.

وقد لاحظ الشعراوي في صيغة الإفراد والتثنية معناً إعجازياً فريداً، وهو تعبير القرآن

بالمفرد في موضوع المثنى، ذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ

لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾⁵⁹⁶، فكلمة الزوج

لا تعني اثنين كما يظن البعض، الزوج فرد واحد معه مثله، ثم يقول { فَتَشْقَى }

- سورة الزمر، الآية: 72. ⁵⁹³

⁵⁹⁴ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، 57/2.

⁵⁹⁵ - ينظر: شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،

لبنان، 200، ص 71.

⁵⁹⁶ - سورة طه، الآية: 117.

بصيغة الإفراد، ولم يُقل: فتشقياً؛ لأنَّ مسؤولية الكدح والحركة للرجل، أمَّا المرأة فهي
السكن المريح⁵⁹⁷.

وقد وجدنا هذا الرأي مؤكداً عند الزمخشري الذي قال: «وإنَّما أُسند إلى آدم وحده
فعل الشَّقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج، لأنَّ في ضمن شقاء الرجل، وهو
قيم أهله وأميرهم شقاءهم، فاختصر الكلام بإسناده إليه دونهما، مع المحافظة على
الفاصلة»⁵⁹⁸، ونفس الكلام ذكره الألويسي⁵⁹⁹، والطاهر ابن عاشور⁶⁰⁰.
فموقف الزمخشري والشعراوي متوافقان، ولعل هذا الأخير استل من وعاء الإعجاز
التي تفنن فيه الزمخشري، وهذا التأثير واضح مما قدمناه، ولقد نجح الشعراوي في
اكتساب هذه المعارف ونجح في توظيفها ضمن المتن القرآني دون إحساس بأنَّ هذا
الكلام قد سبقه إليه الزمخشري أو الرازي أو أبو حيان أو البيضاوي أو الطاهر ابن
عاشور...

وفي الآية يرى الشعراوي أنَّ إتيان { تَشَقَّى } بصيغة الإفراد مناسب للمقام ولواقع
البشر؛ إذ الأصل شقاء الرجل لا شقاء المرأة؛ لأنَّ المرأة مكانها في الأسرة والتربية، إلَّا
في الضرورة تخرج للعمل وللاكتساب، وهذا التفسير سليم ومعبر، وقد أثبت الواقع
الاجتماعي والأسري أنَّ غياب المرأة عن البيت يعيق التنشئة الاجتماعية السليمة
للأطفال، ويخلق فراغاً لا يتحقق إلَّا بوجودها وحضورها.

وفي ذات السياق يبرز الشعراوي سر مجيء لفظي { مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ }، ولم يقل

"زوجين" في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾⁶⁰¹،

يقول الشعراوي: «فلقد أوضح العلماء أنَّ ذلك دليل على الالتحام الشديد؛ لأننا

⁵⁹⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 15 / 9428.

⁵⁹⁸ - الكشاف، الزمخشري، 4 / 113.

⁵⁹⁹ - ينظر: روح المعاني، الألويسي 16 / 267.

⁶⁰⁰ - ينظر: التحرير والتنوير: الطاهر ابن عاشور، 16 / 321.

- سورة الأنعام، الآية: 98.⁶⁰¹

حين نكون من نفس واحدة فكلنا- كل الخلق- فيها أبعاض من النفس الواحدة؛ إذن ما دام آدم هو الأصل، وما دمنا ناشئين من آدم "عليه السلام"، وما دام الحق قد أخذ حواء من آدم الحي فصارت حية؛ إذن فحياتها موصولة بآدم وفيها من آدم، وخرج من آدم وحواء أولاد فيهم جزء حي، وبذلك يردنا الحق إلى أصل واحد؛ ليشير ويحرك فينا أصول التراحم والتواد والتعاطف»⁶⁰².

وذكر الطبرسي أنه لم يقل المولى عز وجلّ "نَفْسٍ وَاحِدٍ" بالتذكير، وإن كان المراد "آدم"؛ لأنّ لفظ النفس مؤنث بالصيغة، فأُنث على اللفظ، ولو قال من نفس واحد لجاز⁶⁰³، وبالتالي فجميع الرويات تؤكد أنّ المراد بالنفس هنا آدم؛ أي أنّ الله خلقك وأبدعك من نفس واحدة هي آدم عليه السلام⁶⁰⁴، وصوّر حواء من ضلع آدم، وتوالد الخلق بعدها إتباعاً إتباعاً.

وفي موضع آخر يعبر القرآن بالجمع في صيغة المثني في قوله تعالى : ﴿قَالَ رَبَّنَا

ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخٰسِرِينَ﴾⁶⁰⁵، وأنفسنا جمع نَفْسٍ، ولم يقلوا "نَفْسَيْنَا"، بل قالوا {أَنْفُسُنَا}؛

أي أنّ قلوبهما أيضاً قد صفيا وخلصا من أثر تلك المعصية، وأنّ ذلك مطمور وداخل

في نفوس ذريتهما⁶⁰⁶، وقد جاء في تفسير الشوكاني أنّ قوله: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا

⁶⁰² - تفسير الشعراوي، 6/ 3819.

⁶⁰³ - ينظر: مجمع البيان، الطبرسي، 4/ 122.

- ينظر: النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 2/ 445. وينظر: صفوة التفاسير،⁶⁰⁴ الصابوني، 1/ 408.

⁶⁰⁵ - سورة الأعراف، الآية: 23.

⁶⁰⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 7/ 4089.

أَنْفُسَنَا، هي جملة استئنافية مبنية على تقدير سؤال كأنه قيل: فماذا قالوا؟ وهذا

منهما اعتراف بالذنب، وأتت ظمناً لأنفسهما مما وقع منهما من المخالفة⁶⁰⁷.

فطلب آدم عليه السلام بالغفران من ربه اعتراف منه ومن حواء على ما ارتكبا، وقد استحق التوبة والغفران منه سبحانه.

ومما قدم رأينا أن الشعراوي بين لنا ملائمة الصيغة الإفرادية لسياقها الكائنة فيه، من حيث الإفراد والتثنية والجمع، وأمثلة الشعراوي تطول في هذا الباب وقد اعتمدنا على الاقتصار.

2- الإفراد والجمع:

بالنسبة للجمع هو ما دل على جماعة الذكور بزيادة الواو والنون، أو الياء والنون، وذلك في مثل: "الزَيْدُونَ وَالصَّالِحُونَ، وَالزَيْدِينَ وَالصَّالِحِينَ"، أو ما دل على جماعة الإناث بزيادة الألف والتاء نحو: "فَاطِمَاتٌ وَزَيْنَبَاتٌ"، وهو ينقاس في جميع أعلام الإناث، وفي كل ما ختم بالتاء مطلقاً، باستثناء "امرأة، وشاة، وقلة (بالضم والتخفيف)، وأمة"، وكذلك كل ما لحقته ألف التأنيث مطلقاً؛ مقصورة أو ممدودة كـ "سَلَمَى وَحَسَنَاءَ"⁶⁰⁸.

والشعراوي يحصر السرّ الوظيفي للكلمة في إفرادها وجمعها، جمع قلة أو جمع كثرة، ويساعده على ملح ما في هذه الهيئات من معاني تعكس بصيرته القرآنية وتفوقه اللغوي، وإطلاعه المتنوع، وبالتالي نعلم بأن الرجل يقدر كل مسألة في موضعها الأنسب.

ويفرق بين معنى الكلمة الواحدة ودلالاتها بين المفرد والجمع، وذلك في قوله تعالى :

﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾⁶⁰⁹، فترى دقة الأداء القرآني في "نِعْمَةٌ" مع

أن نعم الله كثيرة، ولكن الله قد آثر أن يأتي بالمفرد ولم يأت بالجمع؛ وذلك «ليبين

⁶⁰⁷ - ينظر: الفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني، 275/2.

⁶⁰⁸ - ينظر شذا العرف في فن الصرف، أحمد الحملوي، ص 71-72.

⁶⁰⁹ - سورة المائدة، الآية: 07.

للإنسان أن أية نعمة في أية زاوية من حياة الإنسان تستحق أن يذكرها الإنسان؛ فنعم الله كثيرة، ولكن ليتذكر الإنسان ولو نعمة واحدة هي نعمة الإيجاد من عدم، أو نعمة البصر أو السمع، لأنَّ المفرد يطلق على كل الجنس، مثل الإنسان فإنها تطلق على كل فرد من أفرادها مثل محمد وعلي وخالد»⁶¹⁰.

يأتي كلام الشعراوي موافق لما جاء في البحر، فـ «الخطاب للمؤمنين، والنعمة هنا الإسلام»⁶¹¹، وكذلك ذهب الطاهر ابن عاشور على أن المراد من النعمة «جنسها لا نعمة معينة، وهي ما في الإسلام من العز»⁶¹²، بينما اعتبر البغوي أن المعنى يقتضي الجمع لا المفرد؛ أي: النعم كلها⁶¹³، وبالتالي توجيهات الشعراوي اللغوية للآية جاءت مجانبة لطرح المفسرين ولمنهجه العام.

ومن وقوف الشعراوي عند مخالفة الكلمة لهيئتها من ناحية الإفراد والجمع قوله:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ

شَيْءٍ﴾⁶¹⁴، فالسياق يقتضي أنزل الله من السماء ماء "فأخرج"، لكن الله قال:

"فأخرجنا"، يجيب الشعراوي عن هذا السؤال، فيقول: «لأنَّ كل شيء ء لا يوجد

لله فيه شبهة شريك فهو من عمله فقط، ولا يقولون أحد إنَّه أنزل المطر وأخرج النبات لأنَّ الأرض أرض الله المخلوقة له والبذور خلقها الله، والإنسان يفكر بعقل خلقه الله وبالطاقة المخلوقة له، وأنت حين تنسب الحاجات كلها إلى صانعها الأول، فهو إذن

⁶¹⁰ - تفسير الشعراوي، 5 / 2971.

⁶¹¹ - البحر المحيط، أبوحيان الأندلسي، 3 / 45.

⁶¹² - التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 6 / 132.

- ينظر: معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم ⁶¹³

الحرش، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط4، 1997، 3 / 26.

⁶¹⁴ - سورة الأنعام، الآية: 99.

الذي فعل، لكنه احترم تعبك، وهو يوضح لك: حين قال: "فَأَخْرَجْنَا" أي أنا

وأسبابي التي منحتها لك، أنا خلقت الأسباب، والأسباب عملت معك»⁶¹⁵.

فأغلب المفسرين والبلاغيين درسوها من باب الالتفات، لأنَّ فيها التفاتاً من الغيبة في

(أَنْزَلَ) إلى التكلم في (أَخْرَجْنَا)، «والسر في ذلك إظهار كمال العناية بما أنزل الماء

لأجله، ولما في ذلك من الفخامة وبيان كمال العناية بالفعل، لما فيه من الصنع البديع

المبني عن كمال قدرة الله وحكمته»⁶¹⁶.

لكنَّ الشعراوي خالفهم وتناولها من ناحية مخالفة الجمع والإفراد، وهذا ما يميزه عن

بقية المفسرين يقدم ما يرام مناسب للآية من قضايا إعجازية وبيانية، وهذا هو منهجه

الخاص به.

ويواصل الشعراوي في سياق آخر الكشف عن دلالة الجمع والإفراد في لفظة

"الرِّيح"؛ إذ اعتبر ورودها على صيغة الإفراد دلالة على العذاب، بينما تأتي للدلالة

على الرحمة في صيغة الجمع.

يقول الشعراوي: «حين يتكلم القرآن عن "الرِّيح" بصيغة الجمع فهو حديث عن

خير، والمثل هو قول الحق: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ

يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾⁶¹⁷، أما إذا أُفرد وجاء بكلمة "ريح" فهي للعذاب، مثل قوله

تعالى⁶¹⁸: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾⁶¹⁹.

⁶¹⁵ - تفسير الشعراوي، 3821/6.

- الفتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، 303/2.⁶¹⁶

⁶¹⁷ - سورة الأعراف، الآية: 157.

⁶¹⁸ - سورة الحاقة، الآية: 6.

⁶¹⁹ - تفسير الشعراوي، 7676 /12.

وقد عبر عن هذا الرأي ابن القيم الجوزية بقوله: «ذُكر الرياح في القرآن جمعاً ومفردة؛ فحيث كانت في سياق الرحمة أنت مجموعة، وحيث وقعت في سياق العذاب أنت مفردة، وسر ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهَابِّ والمنافع، وإذا هاجت منها ريح أنشأ لها ما يقابلها ما يكسر سورتها، ويصدم حدتها، فنشأ من بينهما ريح لطيفة تنفع الحيوان والنبات، فكل ريح منها ما يقابلها ما يعد لها، ويرد سورتها، فكانت في الرحمة ريحاً»⁶²⁰.

فلما سر ورودها بصيغة الإفراد فهي للدلالة على العذاب، وقد ذكر الشعراوي أنها في العذاب تأتي من وجه واحد، ولا يقوم لها شيء، ولا يعارضها غيرها حتى تنتهي إلى حيث أمرت، وأنها ريح واحد تُرسل من وجه واحد لإهلاك ما ترسل إليه، فلا تعارضها ريح أخرى، ولهذا وصف سبحانه الريح التي أرسلها إلى عاد بأنها عقيم في قوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾⁶²¹؛ وهي التي لا تلقح سحاباً ولا شجراً، ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة⁶²²؛ أي أنها تأتي للهلاك في حالة الإفراد ولا خير فيها، عكس إتيانها على صيغة الجمع للدلالة على الرحمة والخير.

ومن الأمثلة الصرفية التي تسهم في البناء الدلالي والبياني، نجد المزاوجة بين صيغتي

الإفراد والجمع في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ

وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾⁶²³؛ وبين قوله: ﴿وَمَنْ

620 - بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، خرَج أحاديثه أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة،

ط2005، 1، 112/1.

41. 621 - سورة الذاريات، الآية

622 - ينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، 499/19.

623 - سورة النساء، الآية 13.

يَعَصِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلُهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا

وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ⁶²⁴؛ فكيف جمع لفظة "خَالِدِينَ" مع أهل الجنة،

وأفردها مع أهل النار؟ ثم كيف جاءت لفظة "جَنَاتٍ" مجموعة ولفظة "نَارًا" مفردة؟ فقد التفت الشعراوي إلى هذا المعنى، وبين السر في ذلك فقال: «لم يقل الحق نيراناً، ولم يقل الحق "خالدين" لأن المؤمنين سيكونون في الجنة على سرر متقابلين ويتزاورون، وكل واحد يستمتع بكل الجنان... فكل استخدام للكلمة له معنى، والطائع له جنات يأتس فيها بذريته وإخوته أهل الإيمان ويكونون خالدين جميعاً في الجنات، أما العاصي فهو في النار وحده خالداً وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ . إن العذاب يكون مرة أليماً، ومثال ذلك أن يؤلم واحد عدوه فيتجلد عدوه حتى لا يرى شماتة الذي يعذبه، يقول الشاعر⁶²⁵:

وَتَجَلْدِي لِلشَامِتِينَ أُرِيهِمْ أَنِّي لَرَيْبِ الدَّهْرِ لَا أَتَضَعُّ

فيكمتم الألم عن خصمه، لكن هذا في الدنيا، أما في الآخرة فهناك إهانة في النفس، فعذاب الله يجمع الألم والإهانة»⁶²⁶. وقد وضع أبو السعود (ت: 982هـ) هذا المعنى فقال: «ولعل إثارة الأفراد هنا نظراً إلى ظاهر اللفظ، واختيار الجمع هناك نظراً إلى المعنى للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس، كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة»⁶²⁷.

624 - سورة النساء، الآية 14.

- هذه القصيدة تعتبر من روائع الرثاء والحكمة في الشعر العربي، وهي قصيدة للشاعر أبو نؤيب⁶²⁵ الهذلي وفيها يرثي أولاده الخمسة الذين توفوا بسبب مرض الطاعون وكانوا رجالاً ذو بأس ونجد، وقد باتت القصيدة بقول الشاعر: أَمِنَ المَنُونِ وَرِيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ يَجْزَعُ
ينظر: ديوان أبي نؤيب الهذلي، شرح وتقديد وفهرسه: سوهام المصري، مراجعة: ياسين الأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط1، 1998، ص 111.

626 - تفسير الشعراوي، 2046/4.

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث⁶²⁷ العربي، بيروت، (د،ت)، 154/2.

فهذه المزدوجة المذكورة آنفاً، هي طريقة القرآن ونهجه في التعبير بالمفرد والجمع، فعبر عن نعيم المتقين بالجمع، وجاء بعذاب المعاندين بالمفرد، وهذا هو المناسب لسياق الآية ومضمون السورة.

وفي سياق آخر يبين الشعراوي حضور صيغ الجمع بين القلة والكثرة في الذكر

الحكيم، وذلك في لفظة "غُرْف" "وَعُرْفَات" في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ

الضِعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾⁶²⁸، وفي قوله تعالى:

﴿لَٰكِنَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّوَّءَةٌ﴾⁶²⁹، وفي

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ

الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁶³⁰، وفي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ

يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾⁶³¹؛ حيث جاءت مفردة مع أنهم متعددون،

يحتاج كل منهم إلى غرفة خاصة به، لأن الغرفة هنا معناها المكان العالي الذي يشتمل على "غُرْفَات" ⁶³².

فقد جاءت لفظة "الغُرْفَات" في آية سبأ في سياق يتلاءم مع معنى القلة، ولذا استخدم

جمع المؤنث السالم، وقد ذهب جل المفسرين إلى المعنى نفسه، بل يرون أنه لا فارق

بين هذه الآيات، إذ المعنى واضح دال على الكثرة ⁶³³، وبالتالي فقد وقع شبه اتفاق

628 - سورة سبأ، الآية 37.

629 - سورة الزمر، الآية 20.

630 - سورة العنكبوت، الآية 58.

631 - سورة الفرقان، الآية 75.

632 - ينظر: تفسير الشعراوي، 10525/17

- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 491/15، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ⁶³³

بين معاني تلك الصيغ (جمع القلة، جمع الكثرة، المفرد)، إذ إن المفرد يصح التعبير به لإرادة الجنس فيدل على الكثرة، وجمع القلة ينوب عن المراد كذلك في الدلالة على الجنس⁶³⁴، ومن ثم اشتركت هذه الصيغ في الكثرة، وهذا من بيان الأسلوب القرآني يتميز بالتوظيف الدقيق المؤدي إلى السعة في المعنى بأوجز لفظٍ لتكاد تتفجر مؤديةً أكثر من وظيفةٍ دلاليةٍ يستدعيها السياق.

3- صيغ الأفعال:

يبحث الشعراوي في هذا الضرب عن ملائمة الكلمة لسياقها الذي وردت فيه من

حيث صيغ الأفعال وتصريفاتها، ومن ذلك ما نجد مجيء صيغة "كفار" وليس

"كافر"! ومجيء صيغة "أثيم" وليس مجرد "آثم"! في قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ

الرَّبُّوا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾⁶³⁶،

فالصيغتان للمبالغة على وزن "فَعَّالٌ" و"فَعِيلٌ".

يعلق الشعراوي على الآية فيقول: «ففي الآية كافرين اثنين: كفر لأنه لم يعترف بهذه، وكفر لأنه ردَّ الحكم على الله، وهو "أثيم"، ليس مجرد "آثم"، وفي ذلك صيغة المبالغة نستدل على أن القضية التي نحن بصددتها قضية عمرانية اجتماعية كونية، إن لم تكن كما أرادها الله فسيتزلزل أركان المجتمع كله»⁶³⁷.

⁶³⁴ - ينظر: المحتسب في تبين وجوه شذوذ القراءات والايضاح عنها، ابن جني، تحقيق: علي النجدي

ناصر، وعبد الفتاح اسماعيل شلبي، القاهرة، 1994، 188/187/1.

⁶³⁵ - ينظر: دراسات لغوية في القرآن الكريم وقراءاته، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1،

2001، ص 212.

⁶³⁶ - سورة البقرة، الآية: 276.

⁶³⁷ - تفسير الشعراوي، 2/ 1212.

وعلق أبو حيان على الآية باعتبار اللفظتين للمبالغة لتغليظ أمر الربا⁶³⁸، وبالتالي مجيء صيغ المبالغة في الآية منوط بالسياق الذي سيقت فيه، وهو تعظيم الإثم الصادر من هؤلاء المعاندين.

وفي موضع آخر يبرز الشعراوي سر الفرق بين الفعل "سَقَى" و"أَسْقَى" في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾⁶³⁹، وبالتحقيق نعرف أن لكل منهما معناً، وإن اتفقا في المعنى العام، «فـ "سَقَى" في الآية؛ أي: أعطاهم ما يشربونه، ومضارعه يَسْقِي، ومنها قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ

لَهُمَا﴾⁶⁴⁰، أما "أَسْقَى" في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾⁶⁴¹؛ معناه أنه أنزل الماء من السماء لا يشربه الناس في حال نزوله، ولكن ليكون في الأرض لمن أراد أن يشرب، فالحق لم يفتح أفواه الناس أثناء نزول المطر ليشربوا منه، بل هو مخزون في الأرض لمن أراده، والمضارع من أسقى: يُسْقِي»⁶⁴².

فالواضح أن الفعل "سَقَى" دل على الشرب، أما الفعل "أَسْقَى" دل على تهيئة المشروب، وقد فاضل الإمام الطبري بين الفعلين ورأى أن "أَسْقَى" تدل على الدوام، فالعرب تقول: أسقته نهرًا؛ أي جعلته شرباً دائماً، أما "سَقَى" فإنه يدل على الشربة الواحدة⁶⁴³. فـالسَّقَى والسُقْيَا: أن يعطيه ما يشرب، والإسْقَاء: أن يجعل له ذلك حتى

⁶³⁸ - ينظر: النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 403/1.

⁶³⁹ - سورة النحل، الآية: 66.

⁶⁴⁰ - سورة القصص، الآية: 24.

⁶⁴¹ - سورة الحجر، الآية: 22.

⁶⁴² - تفسير الشعراوي، 8044/13.

⁶⁴³ - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 270/14.

يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السقي، لأنَّ الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه ويشرب⁶⁴⁴.

فالمفهوم مما قدم أنه إذا كان الشراب من يد الساقى إلى فم المسقى فيقال سَقَيْتُهُ، وإن كان بمجرد عرضه عليه وهيئته له قيل أسقاه، وبالتالي فكأن المقصود ليس الامتنان بالماء، بل الامتنان هنا ما يجعل الإنسان مهياً للشرب والتناول، وهو كلام منطقي وهو ما عبرت عنه الآية.

وفي موضع آخر يبين الشعراوي تجاوب الكلمة في سياقها وأما أكسبت النص وظيفة

بلاغية رائعة، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِينٌ﴾

النَّصِيحِينَ⁶⁴⁵، فـ "قَاسَمَ" مادة فاعل تأتي للمشاركة؛ أي أن هناك طرفين

اثنين كل منهما فاعل في ناحية ومفعول في ناحية أخرى، يقول الشعراوي: «وفي المعنى نجد الاثنين فاعلاً ومفعولاً؛ إذن "قَاسَمَ" تحتاج إلى عمليتين اثنتين، فهل جلس إبليس يقسم لآدم ولزوجته، وهما يقسمان؟ ونقول: لا؛ لأنها تأتي مرة لغير المفاعلة،

أو للمفاعلة اللزومية، والمفاعلة اللزومية تتضح في قوله الحق: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ

ثَلَاثِينَ لَيْلَةً⁶⁴⁶، وَوَاعَدْنَا مِثْلَهَا مِثْلَ فَاعِلٍ، من الذي واعد؟ إنَّه الله الذي

وعد موسى عليه السلام، ودخل موسى في الوعد بقبوله الوعد وتوفيته به؛ إذن

"وَقَاسَمَهُمَا"؛ أي قَبِلَا القسَم ودخلا فيه»⁶⁴⁷.

⁶⁴⁴ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 259/2.

⁶⁴⁵ - سورة الأعراف، الآية: 21.

⁶⁴⁶ - سورة الأعراف، الآية 142.

⁶⁴⁷ - تفسير الشعراوي، 4086/7.

وقد أبقى الزمخشري المعنى على المفاعلة فقدره: «إني لمن الناصحين، وقال له: أنقسم بالله إنك لمن الناصحين؟ فجعل ذلك مقاسمة بينهم، أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة»⁶⁴⁸، فقد عبر بصيغة المفاعلة لأن من يباري أحد في فعل يجد فيه⁶⁴⁹.
أما القرطبي يخالف هذا الرأي ويراها لغير المفاعلة فيقول: «وجاء "فَاعَلت" من واحد، وهو يرد على من قال: إنَّ المفاعلة لا تكون إلا من اثنين»⁶⁵⁰.

فالقرآن الكريم يقدم حيثيات الخطاب ولقطاته، ومع على المفسرين واللغويين إلاَّ استجلاء معالم الأداء القرآني الملازم لمنهج القرآن، وبهذه النظرة الواضحة بين هذه الآراء، نجد أن الشعراوي له تفسير وموقع ممنهج بين المفسرين، وحق له ذلك.

ثالثاً- أبنية المشتقات:

إنَّ المشتقات من الأسماء هي: اسم الفاعل، وصيغ المبالغة، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفضيل، واسم الزمان والمكان.. وسوف نتطرق إليها حسب ما أثاره الشعراوي في تفسيره.

1- اسم الفاعل:

اسم الفاعل هو الصفة الدالة على فاعل جارية في التذكير والتأنيث على المضارع من أفعالها لمعناه أو معنى الماضي، وتوازن في الثلاثي المجرد فاعلا، وفي غيره المضارع مكسور ما قبل الآخر مبدوءاً بميم مضمومة⁶⁵¹، نحو: ضَرَبَ فهو ضَارِبٌ، وذَهَبَ فهو ذَاهِبٌ، وغَدَا فهو غَادٍ، وشَرِبَ فهو شَارِبٌ...

ويميز اسم الفاعل عن غيره من المشتقات دلالاته على من قام به الفعل على وجه الحدوث والتجدد، فالوصف قائم يدل على حدوثه في الحال واستمراره باستمرار هيئة الموصوف إلى أن يتحول إلى وصف آخر، وقد بين الشعراوي هذا القول أثناء

⁶⁴⁸ - الكشاف، الزمخشري، 432/2.

⁶⁴⁹ - ينظر: روح المعاني، الألويسي، 160/8.

⁶⁵⁰ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 177/9.

- ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: عبد الرجمان السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ط1، ⁶⁵¹

تناول قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ

بِهِ صَدْرُكَ ﴾⁶⁵²، فكلمة "ضَائِقٌ" اسم فاعل، ويعني أن الموصوف به لن يظل محتفظاً بهذه الصفة لتكون لازمة له، ولكنها تعبر عن مرحلة من المراحل، مثلما نقول: "فلان ناجح"؛ أي: أنه قادر على القيام بأعمال النجارة مرة واحدة أو قليلاً ولا يحترف هذا العمل، وهي تعبر في مرحلة لا أكثر من فرط ما قابلوا الرسول صلى الله عليه وسلم من إنكار، وما طالبوا به من أشياء تخرج عن نطاق إنسانيته⁶⁵³، وبالتالي فقد عبر بـ "ضَائِقٌ" دون "ضَيْقٌ" لأن اسم الفاعل فيه معنى الحدوث والعروض⁶⁵⁴، وقال: "ضَائِقٌ" ولم يقل ضيق ليشاكل "تارك" الذي قبله، وأن الضائق عارض، والضيق ألزم منه⁶⁵⁵.

وفي سياق متصل يبين الشعراوي دلالة اسم الفاعل "هَاجِرٌ" في النص القرآني في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ ﴾⁶⁵⁶؛ فهاذا هذا الفعل: هَجَرَ، و مُهَاجِرَةٌ

وهجرة، جمع المهاجر، واسم فاعل من "هَاجَرَ" الرباعي، وزنه مفاعل بضم الميم وكسر العين، والمفعول "مُهَاجِرٌ"⁶⁵⁷. ويرى الشعراوي أن هناك فرق بين هَجَرَ وبين هَاجَرَ، فـ: "هَجَرَ" معناها أن يكره الإنسان الإقامة في مكان، فيتركه إلى مكان آخر يرى أنه خير منه، إنما المكان نفسه لم يكرهه على الهجرة... أي المعنى: ترك المكان مختاراً، أما هَاجَرَ: وهي تدل على المفاعلة من الجانبين، فالفاعل هنا ليس كارهاً للمكان، ولكن المفاعلة التي حدثت من

⁶⁵² - سورة هود، الآية، 12.

⁶⁵³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6365/10.

⁶⁵⁴ - ينظر: فتح القدير، الشوكاني، 678/2.

⁶⁵⁵ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 153/4.

⁶⁵⁶ - سورة النحل، الآية: 41.

- ينظر: الجدول في إعراب القرآن، وصرفه وبيانه، محمود صافي، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان،⁶⁵⁷

بيروت، لبنان، ط3، 1995، 23/11.

القوم هي التي اضطرتته للهجرة... وهذا ما حدث في هجرة المؤمنين من مكة؛ لأنهم لم يتركوها إلى غيرها إلا بعد أن تعرضوا للاضطهاد والظلم، فكأنهم بذلك شاركوا في الفعل، فلو لم يتعرضوا لهم ويظلموهم لما هاجروا⁶⁵⁸، وهو القول الذي ذكره الألويسي بأن الآية تحمل على ظاهرها، وفيه إشارة إلى أنها هجرة متمكنة تمكن الظرف في مظهره فهي ظرفية مجازية أو لأجل رضاه، والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومتاركنه واستعملت في الخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان⁶⁵⁹.

وبالتالي نلاحظ حس الشعراوي الصرفي في إظهار الملمح البلاغي بين صيغة "هَجَرَ" و"هاجَرَ"، وهو التعليل الذي قدمه أيضاً الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير⁶⁶⁰.

ويأتي أيضاً اسم الفاعل بمعنى مفعول، نحو: مَاءٌ دَافِقٌ. أي: مَدْفُوقٌ⁶⁶¹، ونجد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾⁶⁶²، فـ (مَأْتِيًا) أي: مُحَقَّقًا وواقعًا لا شَكَّ فيه، أي نأتيه نحن، فهي اسم مفعول، وبعضهم يرى أن (مَأْتِيًا) بمعنى آتياً، فجاء باسم المفعول، وأراد اسم الفاعل⁶⁶³، ومنهم ابن قتيبة⁶⁶⁴، وابن كثير الذي قال: (مَأْتِيًا) بمعنى "آتياً" لأن كل ما آتاك فقد أتته⁶⁶⁵، بينما أبق ابن عطية اللفظة (مَأْتِيًا) مفعول من الإتيان⁶⁶⁶.

⁶⁵⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 13 / 7938.

⁶⁵⁹ - ينظر: روح المعاني، الألويسي، 14 / 144.

⁶⁶⁰ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 14 / 158.

⁶⁶¹ - ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر،

ط1، 2005، ص 76.

⁶⁶² - سورة مريم، الآية: 61.

⁶⁶³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 14 / 8573.

⁶⁶⁴ - ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، ص 298.

⁶⁶⁵ - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 17 / 246.

⁶⁶⁶ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 4 / 23، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 13 / 478.

وذكر الأخفش أن مفعول يرد بمعنى فاعل كميون ومشؤم بمعنى يامن وشائم

كما أن فاعل يرد مفعول مثل قوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾⁶⁶⁸، بمعنى سَاتِرًا أو

مستوراً عن الحس فهو على ظاهره⁶⁶⁹، وهو الرأي الذي ذكره الثعالبي أيضاً⁶⁷⁰.

إن اسم الفاعل يأتي في معنى اسم المفعول والعكس، وهو ثابت في كلام العرب، إلا

أن حمل اللفظ على ظاهره في كتاب الله أولى خاصة إذا كان المعنى يحتمله كما في

الآيتين المذكورتين، فكون الحجاب مستورا أبلغ من حمله على أنه بمعنى فاعل، وكون

الوعد مأثياً أولى من غيره وهو الرأي الذي رجحه الشعراوي.

وفي موضع آخر يبين الشعراوي سر مجيء اسم الفاعل: "الضَّالِّين" بدلاً من اسم

المفعول وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾⁶⁷¹، يقول الشعراوي: «فهناك

الضال والمُضِل، فالضال هو الذي ضل الطريق فاتخذ منهجاً غير منهج الله، ومشى في

الضلالة بعيداً عن الهدى وعن دين الله.. ولكن المضل هو من لم يكتف بأنه ابتعد عن

منهج الله وسار في الحياة على غير هدى.. بل يحاول أن يأخذ غيره إلى

الضلالة.. يغري الناس بالكفر وعدم اتباع المنهج»⁶⁷².

فـ "الضَّالِّين"، جمع الضال وهو اسم فاعل، وقد أشار ابن الجوزي إلى هذا المعنى

فقال: «وأما أهل الضلال فإنهم هم الذين ضلوا وأثروا الضلال واكتسبوه، ولهذا

استحقوا العقوبة عليه، ولا يليق أن يقال: ولا المضلين مبيناً للمفعول لما في رايحة من

إقامة عذرهم، وأنهم لم يكتسبوا الضلال من أنفسهم، بل فعل فيهم»⁶⁷³، من ثم نفهم

⁶⁶⁷ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 460/3.

⁶⁶⁸ - سورة الإسراء، الآية: 45.

⁶⁶⁹ - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 87/15.

⁶⁷⁰ - فقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2،

2000، ص 366.

⁶⁷¹ - سورة الفاتحة، الآية: 7.

⁶⁷² - تفسير الشعراوي، 1/ 90.

⁶⁷³ - بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، 29/2.

أنَّ الظلال من ضلَّ يضلُّ باب ضرب وزنه فاعل، وأدغمت عين الكلمة في لامه لأنهما الحرف ذاته⁶⁷⁴، وبالتالي لا طريق للذين استحقوا غضبك وضلوا عن طريق الحق والخير لأنهم أعرضوا عن الإيمان بك والإذعان لهديك.

2- اسم المفعول:

إنَّ بناء اسم المفعول من كل فعل زائد على ثلاثة أحرف، وهو كبناء اسم الفاعل منه، إلاَّ في كسر ما قبل الآخر، فإنَّ اسم المفعول منه يكون ما قبل آخره مفتوحاً وذلك نحو: مُكْرَم، مُوَاصِل، ومُنْتَظَر⁶⁷⁵.

ويدل اسم المفعول على أزمنة الفعل، منها الماضي والحال والمستقبل، وقد تناول الشعراوي ما يدل على الاستقبال في الكلمات التالية "مَجْمُوع" و"شَهُود" و"مَعْدُود"

من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾

وَمَا تُؤَخِّرُهُمْ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ⁶⁷⁶.

فكلمة "مَجْمُوع" تقتضي وجود "جَامِعٍ"؛ و"المجموع" يتناسب مع قدر "الجامع"؛ فما بالناس والجامع هو الحق الخالق لكل الخلق، أما لفظة "مَشْهُود" معناها أن الخلق سيشهدون هذا الفضح المخزي لمن لم يعتبر بالآيات⁶⁷⁷.

فـ "مَجْمُوع" و"مَشْهُود" كلاهما اسم مفعول مصاغان من الفعل الثلاثي "جَمَعَ" و"شَهِدَ"، وجاء في الآية على شكل صفة⁶⁷⁸، ورد ابن عطية أن يكون خبر مقدم للمبتدأ "الناس"⁶⁷⁹.

⁶⁷⁴- ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 29/1.

⁶⁷⁵- ينظر شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000. ص 316.

⁶⁷⁶- سورة هود، الآيتان: 103/104.

⁶⁷⁷- ينظر: تفسير الشعراوي، 6677-6676/11.

⁶⁷⁸- ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ص 431. وينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 352/12.

⁶⁷⁹- ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 206/3.

فإن قلنا لأي فائدة أُوثر اسم المفعول على فعله؟

أجاب النسفي عن هذا فقال: «ذلك لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم، وهو أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكوا منه يجمعون للحساب والعقاب»⁶⁸⁰.

فهو يوم لا بد من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له، وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة، وذكر الزمخشري أن «يَوْمٌ مَشْهُودٌ»، فأتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به؛ أي الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم: لفلان مجلس مشهود وطعام محضور⁶⁸¹.

وقد قدم الإمام الألويسي السر البياني لمحيء اسم المفعول "مَجْمُوع" فقال: «إذ الظاهر حينئذ أن يكون مجموعاً، وعدل في الفعل ليدل الكلام على ثبوت معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة، وأن الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله تعالى:

﴿يَوْمَ

يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾⁶⁸²، وإيضاحه أن في هذا دلالة على لزوم الوصف

ولزوم الإسناد... وإنما الحادث جمع الأولين والآخرين دفعة»⁶⁸³.

وفي قوله سبحانه بعد ذلك في ميعاد هذا اليوم: ﴿وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ

مَعْدُودٍ﴾⁶⁸⁴، قال الشعراوي: «وهكذا نعلم أن تأخر مجيء يوم القيامة؛ لا يعني أنه

لن يأتي؛ بل سوف يأتي - لا محالة - ولكن لكل حدث ميعاد ميلاد، ولكم في تتابع مواليدكم ما يجعلكم تتقون بأن مواليد الأحداث إنما يحددها الله»⁶⁸⁵.

⁶⁸⁰ - مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 501/3.

⁶⁸¹ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 235/3.

⁶⁸² - سورة التغابن، الآية:9.

⁶⁸³ - روح المعاني، الألويسي، 138/12.

⁶⁸⁴ - سورة هود، الآيتان: 104/103.

⁶⁸⁵ - تفسير الشعراوي، 6677-6676/11.

أي لانتهاء مدة قليلة، فالعد كناية عن القلة، وقد يجعل كناية عن التناهي، والأجل عبارة عن جميع المدة المعينة للشيء، وقد يطلق على نهايتها، ومنع إرادة ذلك هنا لأنه لا يوصف بالعد في كلامهم بوجه، وجوزها بعضهم بناءً على أن الكناية لا يشترط فيها إمكان المعنى الأصلي، وتعقب بأنه عدول عن الظاهر، وتقدير المضاف أسهل منه⁶⁸⁶.

فهذه الصورة القرآنية بما حملت من معاني ترسم لنا مشهد التجميع يشمل الخلق جميعاً، على صعيد واحد من غير إرادة منهم، والكل يحضر وينتظر ما سوف يؤول.

3- الصفة المشبهة:

هي ما اشتقَّ من فعلٍ لازم، لمن قام به على معنى الثبوت⁶⁸⁷، نحو: أَخْضَرَ، سَكَّرَانَ، عَطَّشَانَ، فَرِحَ..، وقد تدل أحياناً على صفة دائمة، نحو: أَعْرَجَ، أَعْمَى، قَصِيرٌ، طَوِيلٌ.

والصفة المشبهة لا تكون إلا للحال، فلا نقول: زَيْدٌ حَسَنُ الْوَجْهِ غَدًا، أو الأَمْسُ للدلالة على ملازمة الوصف لصاحبها في الحال، وإذا وُصف بها موصوف في الماضي فهو على سبيل الوصف في الحال، ولا يلزمه في الاستقبال، ويستثنى في ذلك صفات الله تعالى لأنها ثابتة دائمة⁶⁸⁸.

من أمثلة ما أورده الشعراوي، ما جاء في قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا﴾⁶⁸⁹، فقول الحق عن أهل الجنة: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} يخاطب قومًا

⁶⁸⁶ - ينظر: روح المعاني، الألويسي، 139-138/12.

⁶⁸⁷ - ينظر: شرح الرضى لكافية ابن الحاجب، تحقيق: يحي بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، ط1، 1996، 745/2.

⁶⁸⁸ - ينظر: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر،

ط1، 2005، ص 78.

⁶⁸⁹ - سورة النساء، الآية: 57.

شهدوا بعض النعيم في دنياهم من آثار نعمة عليهم، لكنهم شهدوا أيضاً أن النعمة تزول عن الناس، أو شهدوا أناساً يزولون عن النعمة، فلا هي تزول عنهم ولا هم يزحزون عنها⁶⁹⁰.

فهذه صفات المؤمنين بالآخرة فهم الذين آمنوا بالله وصدقوا برسوله، وهؤلاء سيدخلون جناتٍ يتمتعون بنعيمها العظيم، ولهم في أزواجٍ مطهرة، فتكمل سعادتهم، ويقيمون في ظل ظليل من العيش الطيب.

ونجد أيضاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا

بَصِيرًا﴾⁶⁹¹، فالزمن في الماضي للتحقيق، والوصف يفيد الاستمرار والثبوت؛ أي

كان سميعاً بصيراً وما زال وسيزال، قال الشعراوي: «أن بين الصفتين أو بين الاسمين وبين متعلق الآية علاقة، وهنا يعلمنا الحق أنه سميع وبصير، بعد أداء الأمانة، والحكم بالعدل بين الناس، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم شرح ذلك حين أمر من يقضي بين الناس أن يسوي بين الخصمين في لحظه ولفظه؛ أي لا ينظر لواحد دون الثاني، ولا يكرم واحداً دون الآخر، فيسوي بين الاثنين وما دام سيسوي بين الاثنين، فلا بد أن تكون النظرة واحدة، والألفاظ واحدة... وهو "سميع بصير" أولاً؛ أي قبل أن يخلق الخلق الذين سينشأ منهم ما يُبصر وينشأ منهم ما يُسمع»⁶⁹².

فالصفة المشبهة هي "السَّمِيع" و"البَصِير" دالة على أنه سميع لجميع المسموعات، وبصير لجميع المبصرات، وقد قال الباقلاني: «ولو لم يوصف بالسَّمع والبصر لوجب أن يوصف بضد ذلك، من الصمم والعمى، والله يتعالى عن ذلك علواً كبيراً»⁶⁹³.

⁶⁹⁰ - تفسير الشعراوي، 2342/4.

⁶⁹¹ - سورة النساء، الآية: 58.

⁶⁹² - تفسير الشعراوي، 2355-2354/4.

⁶⁹³ - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني، تحقيق: حمد زاهد بن الحسن الكوثري،

المكتبة الأزهرية للتراث، ط2، 2000، ص 38.

وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه سميع بصير يسمع ويرى ، كما قال تعالى : ﴿إِنِّي

مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾⁶⁹⁴ ، فهو بصير بما يفعل، فيعلم من أدّى الأمانة

ومن خان، ومن حكم بالعدل أو جار فيحازي كلاً بعمله.

وفي سياق آخر نجد أن الحق اختار صيغة "غَضَبَان" الأبلغ من "غَاضِبٌ"، في قوله:

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾⁶⁹⁵ ، يقول الشعراوي:

«غَضَبَان»: أي شديد الحزن على ما حدث «⁶⁹⁶ ، فقد اشتد غضب موسى عليه

السلام عندما اتخذوا قومه العجل إلهاً في غيابه عنهم، وهذا البناء لا يلزمه الثبوت

والاستمرار، بل الغضب يزول.

ومن اختيارات الصفة المشبهة الدالة على المعنى قوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾⁶⁹⁷ ، حيث آثرت

الآية التعبير عن وصف هؤلاء المكذبين بالصفة المشبهة على غيرها من الصيغ كاسم

الفاعل مثلاً "عامين". يقول الشعراوي: «إِنَّ هُنَاكَ "أَعْمَى" لمن ذهب بصره كله من

عينيه كليهما، وهناك أيضاً عَمِهْ وَأَعْمَهُ، والعَمَهُ في البصيرة كالعمى في البصر... أي

ذهبت بصيرته ولم يهتد إلى خير»⁶⁹⁸.

⁶⁹⁴ - سورة طه، الآية: 46.

⁶⁹⁵ - سورة الأعراف، الآية: 64.

⁶⁹⁶ - تفسير الشعراوي، 9357/15.

⁶⁹⁷ - سورة طه، الآية: 46.

⁶⁹⁸ - تفسير الشعراوي، 4205/7.

فـ "عَمِينَ" بمعنى عمى القلوب غير مستبصرين، وقرئ: عَامِينَ ، والفرق بين العَمَى والعَامِيَّ أَنَّ العَمَى يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ، ونحوه قوله

تعالى⁶⁹⁹: ﴿وَصَآئِقُ بِهِءٍ صَدْرِكَ﴾⁷⁰⁰.

وقد بين أبو حيان الأندلسي دلالة صيغة (عَمِينَ) المقصود بها عمى القلب ؛ أي غير مستبصرين، ويدل على ثبوت هذا الوصف كونه جاء على وزن "فَعِلٌ" ، ولو قصد الحذف لجاء على "فاعل" كما جاء "ضائق" في "ضيق" و"ثاقل" في "ثقل" إذا قصد به حدوث الضيق والثقل⁷⁰¹ ، فبعماهم هذا كذبوا الحق وحادوا عن الهدى والنصح المخلص، وبعماهم لا قوا مصيرهم.

وفي سياق آخر يعرض الشعراوي المعاني التي تأتي لها صيغة "فَعِيل" بمعنى "مَفْعُول" ،

ويقارن بين قوله تعالى: ﴿وَأِنْ كُنَّا لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾⁷⁰² ، وبين

قوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا

مُحْضَرُونَ﴾⁷⁰³ ، ولاحظ أن الآية الأولى زادت (كُلُّ) الدالة على شمول الأفراد، و

يكون شمول الأفراد تتابعاً مجموعة تلو الأخرى، لكن في الآية الثانية يأتون مجموعين ليرى التابع متبوعه، والضال مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ⁷⁰⁴.

فلفظ "جَمِيعٌ" في هذه الآيات هو فعيل بمعنى "مَجْمُوعٌ" وهو ما ذكره الزمخشري⁷⁰⁵ ، وابن عطية⁷⁰⁶ ، والألوسي⁷⁰⁷ ، ولقد أخبر الله عز وجل أن "كل" تفيد الاحاطة

⁶⁹⁹- سورة هود، الآية: 12.

⁷⁰⁰- ينظر: الكشاف، الزمخشري، 457/2. وينظر: روح المعاني، الألوسي، 154/8، وينظر: المحرر

الوجيز، ابن عطية، 416/2.

⁷⁰¹- ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 326/4.

⁷⁰²- سورة يس، الآية: 53.

⁷⁰³- سورة طه، الآية: 46.

⁷⁰⁴- ينظر: تفسير الشعراوي، 12679/20.

- ينظر: الكشاف، الزمخشري، 176/5.⁷⁰⁵

والشمول، و"جَمِيع" تفيد أنهم مجتمعين، وهنا "فَعِيل" بمعنى مفعول، وهو ما أشار إليه الشعراوي.

4- صيغة المبالغة:

يمكن تحويل صيغة "اسم الفاعل" من مصدر الفعل الثلاثي المتصرف إلى صيغة أخرى تفيد الكثرة والمبالغة الصريحة، فنقول: فُلَانُ زَارَعٌ فَآكِهَةٌ، فإذا أردنا أن نبالغ في وصفه نقول: فُلَانُ زَرَّاعٌ فَآكِهَةٌ⁷⁰⁸.

تناول الشعراوي صيغ المبالغة في القرآن الكريم فقال: «إنَّ المبالغة قد تكون في الحدث ذاته كأن تأكل في الوجبة الواحدة رغيفاً، ويأكل غيرك خمسة مثلاً، أو تكون في تكرار الحدث، فأنت تأكل ثلاث وجبات، وغيرك يأكل ستاً، فنقول: فلان آكِلٌ، وفلان أَكُولٌ أو أَكَالٌ، فالمبالغة نشأت إما من تضخيم الحدث ذاته، أو من تكراره»⁷⁰⁹، ولا يسعنا المقام إلى عرض جل صيغ المبالغة نكتفي فقط بصيغة "فَعَّال" و"فَعُول".

والسؤال الذي يطرح هو أنه إذا كانت صيغ المبالغة تدل على المبالغة والتكثير في الحدث فهل صفات الله ينطبق عليها هذا أم لا؟

أجاب الشعراوي عن هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ﴾

لِلْعَبِيدِ⁷¹⁰، فصيغة المبالغة "ظَلَّامٌ"، ولم يقل ظَلِمٌ، لأنَّ الله إنَّ أباح لنفسه سبحانه

الظلم، فسيأتي على قَدْر قوته تعالى، فلا يقال له ظالم إنما ظلامٌ، وإنَّ نَفْي المبالغة لا ينفي الأصل، وإثبات الأصل لا يثبت المبالغة، فحين نقول مثلاً: فُلَانُ أَكُولٌ، فهو

⁷⁰⁶ - ينظر: الدر المصون، ابن عطية، 265/9.

⁷⁰⁷ - ينظر: روح المعاني، الالوسي، 6/23.

⁷⁰⁸ - ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د،ت)، 257/3.

⁷⁰⁹ - تفسير الشعراوي، 1172./18.

- سورة فصلت، الآية: 46.⁷¹⁰

أَكِلٌ من باب أوَلَى، وحين نقول: فُلان آكِلٌ، فلا يعني هذا أنه أَكُولٌ، فَفَي المبالغة في الآية لا ينفي الأصل (ظالم)، وحاشا لله تعالى أن يكون ظالماً⁷¹¹.

لقد أجيب عن هذه المسألة باثنتي عشر جواباً لا يسعنا المقام لذكرها كاملة، وإنما

المراد من قوله: **{ظَلَّم}** الكثرة، وحدثت المبالغة بالتكرار للحدث لذلك نفى الله

الظلم بصيغة المبالغة قليلة وكثيره⁷¹²، وقد رجح الإمام الزركشي هذا الوجه، لأنه

سبحانه قال في موضع آخر: **{عَلِمُ الْغُيُوبِ}**⁷¹³، فقابل صيغة فعال بالجمع،

وقال في موضع آخر **{عَلِمُ الْغَيْبِ}**⁷¹⁴، فقابل صيغة "فَاعِلٌ" الدالة على أصل

الفعل بالواحد⁷¹⁵، وهذا استعمال دقيق في الكلام البليغ في نفي الوصف المصوغ

بصيغة المبالغة من تمام عدل الله تعالى أن جعل كل درجات الظلم في رتبة الظلم

الشديد⁷¹⁶.

ولقد تعرض الشعراوي في تفسيره لإبراز المعاني البلاغية لصيغ المبالغة، حيث قارن بين

صيغة المبالغة واسم الفاعل وأيهما أبلغ في قوله تعالى: **{وَإِذْ هُمْ نَجْوَى}**⁷¹⁷.

فقال: النَّجْوَى من التناجي وهو الكلام سراً، أو: أن نَجْوَى جمع نَجَى، كقتيل وقتلى،

وجريح وجرحى، فالمعنى: نحن أعلم بما يستمعون إليه وإذ هم مُتَنَجِّون أو نَجْوَى،

⁷¹¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 11173/18

⁷¹² - ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، 316/1.

⁷¹³ - سورة المائدة، الآية: 116.

⁷¹⁴ - سورة الجن، الآية: 26.

⁷¹⁵ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 511/2.

⁷¹⁶ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 319/24.

⁷¹⁷ - سورة الإسراء، الآية: 47.

فكأن كل حالهم تناج فيه مبالغة، كما تقول: رَجُلٌ عَادِلٌ، وَرَجُلٌ عَدْلٌ⁷¹⁸، وهو الرأي الذي زكاه العكبري من قبل في التبيان⁷¹⁹.

كما ذكر الشعراوي أن صيغة المبالغة {كُفُورًا} أبلغ من اسم الفاعل {كَافِرٌ} في قوله

تعالى : ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾⁷²⁰، ليس كافرًا فحسب، بل

{كُفُورٌ} وهي صيغة مبالغة من الكفر؛ لأنه كَفَرَ وَعَمِلَ عَ ل ي تكفير غيره⁷²¹، والكلام جار على ما يعرف في المنطق بقياس المساواة، إذا كان المبذر مؤاخياً للشيطان وكان الشيطان كفوراً، فكان المبذر كفورا بالمال أو بالدرجة القريبة⁷²².

وكل هذا ينبئ أن الرجل مُطلع على علم الصرف وقضاياه، وقد أحسن توظيف هذا العلم و تثقيف الناس وتعليمهم مقصود كلام الله تعالى منه.

وفي سياق آخر يبين الشعراوي القيمة البيانية والبلاغية لكلمة "سَحَّارٌ" والتي ذكرها

المولى في معرض حديثه عن مناظرة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية، فما

الفرق بين قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁷²³، وبين قوله تعالى:

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾⁷²⁴، يرى الشعراوي أن كلمة "سَاحِرٌ"

تعني أنه يعمل بالسحر، و"سَحَّارٌ" تفيد المبالغة من جهتين، تعني أن سحره قوي جداً، أو يسحر في كل حالة، فمن ناحية التكرار هو قادر على السحر، ومن ناحية

⁷¹⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8580/14.

⁷¹⁹ - ينظر: التبيان في علوم القرآن، العكبري، 824/2.

⁷²⁰ - سورة الإسراء، الآية: 27.

⁷²¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8477/13.

⁷²² - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 81/15.

⁷²³ - سورة الأعراف، الآية: 112.

⁷²⁴ - سورة الشعراء، الآية: 37.

الضحامة هو قادر أيضاً، ومادام القائلون متعددون فواحد يقول: "سَاحِرٌ"، وآخر يقول: "سَحَّارٌ" وهكذا⁷²⁵.

فمن قرأ بلفظة "سَحَّارٌ" فحجته أنه قد وصف بعليم، ووصفه به يدل على تناهيه فيه وحذقه به، فحسن لذلك أن يذكر بالاسم الدال على المبالغة في السحر، ومن قرأ "سَاحِرٌ" والسحرة جمع ساحر مثل: كَتَبَهُ وَكَاتِبٌ وَفَجَّرَهُ وَفَاجِرٌ، واسم الفاعل من سَحَرُوا سَاحِرٌ⁷²⁶. وذكر الألويسي أن السَّاحِرَ للمبتدئ في صناعة السَّحَرِ، والسَّحَّار هو: المتمرِّس في السَّحَرِ، والمنتهى الذي يُتَعَلَّمُ منه ذلك⁷²⁷.

وهذا التفريق الذي نقله الألويسي، هو تفريق في العموم بين السَّاحِرِ والسَّحَّارِ، وليس مختصاً في سياق آيتي الأعراف والشُعراء، ويرى الطاهر ابن عاشور أن السَّحَّار مرادف للسَّاحِرِ في الاستعمال؛ لأنَّ صيغة فعال هنا للنسب دلالة على الصناعة مثل النجار والقصاب⁷²⁸، وبالتالي كلمة "سَاحِرٌ" اسم فاعل، لكن "سَحَّارٌ" صيغة مبالغة لاسم الفاعل، يعني يأتوك بكل سَحَّارٍ عَلِيمٍ، أعلم من هذا الذي يدعي أنه رسول الله وهو القول الذي ذكره الشعراوي.

5- اسم التفضيل:

هو صفة تؤخذ من الفعل لتدل على أن شيئين اشتركا في صفة، وزاد أحدهما على الآخر، وجاء في أسرار النحو بأنه «اسم اشتق من فعل أي حدث لموصوف قام به الفاعل أو وقع عليه بزيادة على غيره في أصل ذلك، ولا يشتق إلا من الثلاثي المجرد ليس بلون ولا عيب لأن افعل منهما لغيره نحو: أَحْمَرٌ وَأَعْوَرٌ، وهو من حيث صيغته أفعل للمذكر وفعل للمؤنث، وإن كان بحسب الأصل نحو: خَيْرٌ وَشَرٌّ لأنَّ أصلهما أخير وأشر، وقد يجيء للمفعول على غير القياس نحو: أَعْذَرَ وَالْوَمَّ وَأَشْعَلَ وَأَشْهَرَ؛ أي أكثر معذورية ومشهورية وملومية ومشغولية»⁷²⁹.

⁷²⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4288/7.

⁷²⁶ - ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 208/14.

⁷²⁷ - ينظر: روح المعاني، الألويسي، 23/9.

⁷²⁸ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 124/19.

⁷²⁹ - أسرار النحو، شمس الدين احمد بن سليمان، ص227.

تناول الشعراوي اسم التفضيل في كلمة "خَيْرٌ" بحيث تستعمل في اللغة استعمالين،

معنى يراد به الخير، في قوله تعالى: **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾**

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁷³⁰. ويكون مقابله في هذه الحالة هو

الشر، ومرة تأتي "خير" بمعنى "أفعل التفضيل" كأن تقول: هذا خير من هذا، وفي هذه الحالة يكون كل من الأمرين خيراً، ولكن أحدهما أفضل من الآخر. مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: **{المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلِّ خيرٍ}**⁷³¹، فإن جاءت "خيرٌ" دون أن تسبقا "من" فالمراد بها المقابل لها، وهو الشر، وعندما نستخدم كلمة "خيرٌ" كأفعال تفضيل لا نقل "خيرٌ" بل نقل: "الخير" لكن اللفظ المستخدم هنا "خيرٌ" فإن استعمل في أفعل التفضيل فهو يعطي الصفة الزائدة لواحد دون الثاني، والاثنتان مشتركان في الخيرية⁷³².

ما جاء به الشعراوي مطابق لما ذكره الصرفيون بأن "خيرٌ وشرٌ" أصلهما "أخير وأشر"، فحذفوا بالحذف لكثرة الاستعمال، ثم إنهم اختلفوا في معنى "من" التي أشار إليها الشعراوي، فذهب المبرد ومن وافقه إلى أنها لا ابتداء الغاية، وإليه ذهب سيبويه، لكن أشار إلى أنها تفيد مع ذلك معنى التبعية، فقال في هو أفضل من زيد: فضله على بعض ولم يعم⁷³³. وذهب ابن مالك في شرح التسهيل إلى أنها بمعنى المجاوزة، وكان القائل **زَيْدٌ أَفْضَلُ مِنْ عَمْرُو**، وقال: **جَاوَزَ زَيْدٌ عَمْرًا فِي الْفَضْلِ**⁷³⁴. إننا لا ننكر أن خير وشر أكثر استعمالاً من أخير وأشر، لكن: "أخيرٌ وأشرٌ"، وإن قلا استعمالهما إلا أنه فصيح صحيح لورود قراءة بما و أبيات شعرية وأحاديث نبوية

⁷³⁰ - سورة الزلزلة، الأيتان: 7-8.

⁷³¹ - أخرجه مسلم في صحيحه رقم 2664، وأحمد في مسنده 370/2 وابن ماجه في سننه، 4168 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

⁷³² - ينظر: تفسير الشعراوي، 5141/8.

⁷³³ - ينظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد،

المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، (د،ت)، 65/3.

⁷³⁴ - ينظر: شرح التسهيل لابن مالك، 50/3.

تثبت فيها الهمزة من أخير وأشر منها قوله عليه السلام: "تجدُ أشرَ النَّاسِ يومَ القيامةِ عِنْدَ اللَّهِ ذَا الْوَجْهَيْنِ"⁷³⁵، وقوله عليه السلام: "إِنَّ مِنْ أَخْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا"⁷³⁶.

كذلك تعرض الشعراوي لبعض أبنية المشتقات وبين السّر البلاغي لاستعمالها ، ومن ذلك مقارنته بين أفعال التفضيل والصفة المجردة لبيان أقواهما في أداء المعنى وذلك في

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾⁷³⁷.

ومعنى: {أَقْوَمٌ} أي: أكثر استقامة وسلاماً، وهذه الصيغة هي أفعال التفضيل ؛ إذن: فعندنا (أَقْوَمٌ) وعندنا أقل منه مترلة (قِيمٌ). فقوله يدل على وجود (القِيم) في نُظْم الناس وقوانينهم الوضعية، فما وضعوه وإن كان قِيمًا فما وضعه الله أقوم⁷³⁸.

لقد رأى الشعراوي أن استعمال أفعال التفضيل هنا أنسب بالمقام ، لأنه أقوى في الدلالة على كثرة الاستقامة وأبلغ في أداء المعنى من استعمال الصفة المجردة ، ثم يأتي في

آخر الآية فيقول في قوله تعالى : ﴿أَنَّ هُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾⁷³⁹ ، نلاحظ أن الله تعالى

قد وصف الأجر بأنه كبير، ولم يأت بصيغة أفعال التفضيل منها (أ كَبِير)، فنقول: لأنَّ كبير هنا أبلغ من أكبر، فكبير مقابلها صغير، فوصف الأجر بأنه كَبِير يدل على أنَّ غيره أصغر منه، وفي هذا دلالة على عِظَم الأجر من الله تعالى. أما لو قال: أكبر فغيره كبير⁷⁴⁰؛ إذن: فاختيار القرآن أبلغ وأحكم.

⁷³⁵ - ينظر: تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، أبي العلام محمد المباركفوري، إشراف: عبد اللطيف عبد

الوهاب، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بدون تاريخ، 171/6.

⁷³⁶ - ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محي الدين الخطيب، دار التراث، ط3، رقم: 6029،

.467/10

⁷³⁷ - سورة الإسراء، الآية: 9.

⁷³⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8373/14.

⁷³⁹ - سورة الإسراء، الآية: 9.

⁷⁴⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8391/14.

وفي سياق متصل يبرز الشعراوي دلالة اسم التفضيل "الحُسْنَى" في قوله

تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁷⁴¹، فكلمة {أَلْحُسْنَىٰ} مثلها

مثل قولنا: "امرأة فضلى" ونقول أيضاً: امرأة كُبرى، وهي أفعال تفضيل ؛ أي: مبالغة في الفضل، والمقصود أنهم بالغوا في أداء الحسنات، والحسنة كما نعلم بعشرة أمثالها⁷⁴².

فالحسنى في اللغة تأنيث الأحسن، والعرب توقع هذه اللفظة على الحالة و المحبوبة والخصلة المرغوب فيها⁷⁴³، والحسنى: في الأصل صفة أنثى الأحسن، ثم عوملت معاملة الجنس فأدخلت عليها لام تعريف الجنس فبعدت عن الوصفية ولم تتبع موصوفها وتعريفها يفيد الاستغراق، مثل البُشرى، ومثل الصالحة التي جمعها الصالحات⁷⁴⁴.

فمن خلال هذا التقديم نعلم أن لفظة "الحُسْنَى" هي اسم تفضيل، وهي بمعنى تأنيث الأحسن، كما نقول "العليا والأعلى، الدنيا والأدنى، والكبرى والأكبر والصغرى والأصغر، فالذين أحسنوا الحسنى لهم في ذلك جنة الآخرة" ، وهي أحسن مثوبة يصير إليها الذين آمنوا بها.

وفي معرض آخر يتحدث الشعراوي عن مناسبة مجيء صيغة أفعال التفضيل في قوله

تعالى: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ﴾⁷⁴⁵، ومجي هذه

الصيغة في مواطن مختلفة من القرآن الكريم.

فكلمة (الْآخِسُونَ) في سورة هود جمع "أخسر" وهي أفعال تفضيل لخاسر، وخاسر اسم فاعل مأخوذ من الخسارة، والخسارة في أمور الدنيا أن تكون المبادلة إجحافاً

⁷⁴¹- سورة يونس، الآية: 26.

⁷⁴²- ينظر: تفسير الشعراوي، 5873/10.

⁷⁴³- ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 81/17.

⁷⁴⁴- ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 146/11.

⁷⁴⁵- سورة هود، الآية: 22.

لواحد.. ومن يخسر في صفقة قد يربح في صفقة أخرى ، ومن يفعل ذلك يسمى

"خاسر"، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾⁷⁴⁶.

وهكذا وصفهم الحق سبحانه مرة بأنهم الأخسرون، ومرة واصفاً الحكم عليهم

بالخسران المحبط يستوعب كل الأمكنة في قوله تعالى⁷⁴⁷: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ

الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾⁷⁴⁸

وقد أرجع الكرمانى (ت:566هـ) سبب تخصيص كل صيغة في تراكيبها إلى السياق الذي سيقف فيه؛ ففي سورة هود⁷⁴⁹ أن هؤلاء الكفار قد صدّوا عن سبيل الله

وصدّوا غيرهم فهم الأخسرون يُضاعف لهم العذاب، وفي سورة النحل: ﴿لَا جَرَمَ

أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁷⁵⁰، صدّوا فهم الخاسرون⁷⁵¹،

وهذا ما أشار إليه الألوسى⁷⁵²

بينما يرى ابن الزبير أن آية هود سبقها ما يفهم بصيغة التفاضل، فقد سبقها قوله

تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾⁷⁵³، وجيء اسم

⁷⁴⁶ - سورة الكهف، الآية: 103.

⁷⁴⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6416/10-6417.

⁷⁴⁸ - سورة الزمر، الآية: 45.

⁷⁴⁹ - سورة هود، الآية: 22.

⁷⁵⁰ - سورة النحل، الآية: 109.

⁷⁵¹ - ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرمانى، تحقيق: أحمد عز

الدين وعبد الله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، 1991، ص 82.

⁷⁵² - ينظر: المحرر الوجيز، الألوسى، 239/14.

⁷⁵³ - سورة هود، الآية: 18.

التفضيل أظلم، فناسب هذا لفظ "الأخسرُونَ" بصيغة المفاضلة، ولو ورد "الخاسِرُونَ" لحصل التناظر في النظم والتبائن في السياق⁷⁵⁴.

فآية هود جاءت بصيغة المفاضلة لبيان أن خسارتهم الأخروية أعظم من خسارتهم الدنيوية، ووقع في سورة هود ﴿هُمُ الْآخِسِرُونَ﴾ ووقع هنا في النحل ﴿هُمُ

الْخَاسِرُونَ﴾؛ لأن آية سورة هود تقدمها ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ

وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾⁷⁵⁵. فكان المقصود بيان أن خسارتهم في

الآخرة أشد من خسارتهم في الدنيا.

6- اسما الزمان والمكان:

هما اسمان مشتقان من المصدر للدلالة على مكان وقوع الفعل أو زمانه، نحو: مَلْعَبٌ، مَوْعِدٌ، مَشْرِقٌ مَصْبِحٌ...⁷⁵⁶، فقولنا: "مَلْعَبٌ" اسم دل على مكان اللعب، و"مَوْعِدٌ" دل على زمان الوعد.

ويصاغ اسم الزمان والمكان من الفعل المجرد على وزن "مَفْعَلٌ" إذا كان معتل اللام، أو عينه في المضارع مفتوحة أو مضمومة، نحو: مَرَمَى، مَلْهَى، مَرَعَى.. ويأتي على وزن "مَفْعِلٌ" إذا كان الفعل صحيح اللام، وعينه في المضارع مكسورة، أو فائوه حرف علة، نحو: مَجْلِسٌ، مَوْعِدٌ...

وقد يصاغ اسما الزمان والمكان من لغير الفعل الثلاثي المجرد على زنة اسم المفعول: نحو: مُدْخَلٌ، مُقَامٌ، مُمَسَى، مُقْبَلٌ...⁷⁵⁷

⁷⁵⁴ - ينظر: ملاك التأويل، ابن الزبير، 651/2.

⁷⁵⁵ - سورة هود، الآية: 21.

⁷⁵⁶ - ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 318/3، المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية، محمد رشاد الحمزاوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 24.

⁷⁵⁷ - ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 318/3، وينظر: تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، محمد سالم محيسن، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987، ص 408-409، وينظر: تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، ص174.

كما تعددت المسميات الدالة على اسم الزمان منها ما أطلق عليه بـ "الحين" وأول من استعمله سيبويه في كتابه حيث قال: «وقد يجيء "المَفْعَل" ويراد به الحين، فإذا كان من فَعَلَ، يَفْعَلُ بنيته على مَفْعَلٍ تجعل الحين الذي فيه الفعل كالمكان»⁷⁵⁸، وسمي بـ "اسم الحين" وذكره أبو علي الفارسي في التكملة، حيث قال: «فأما اسم الحين فقد بنوه من فَعَلَ، يَفْعَلُ على مَفْعَلٍ جعلوه على لفظ اسم المكان»⁷⁵⁹، وسموه بـ "الزمان" منهم السيرافي الذي قال: «اعلم أن مذهب العرب في الأماكن والأزمنة كأنهم بينوها على لفظ المستقبل، فقالوا: فيما كان المستقبل منه: يَفْعَلُ للمكان والزمان»⁷⁶⁰، وسمي في الكتب النحوية والصرفية بـ "اسم الزمان"⁷⁶¹، وما زال كذلك في كتب ودراسات اللغة العربية الحديثة.

أما اسم المكان فكان له عدة مسميات منها، الموضع وقد ذكر هذا سيبويه بقوله: «أما من كان فَعَلَ يَفْعَلُ، فإن موضع الفعل: مَفْعَلٍ، وذلك قولك: هذا مَحْبِسُنَا وَمَضْرِبُنَا

وَمَجْلِسُنَا»⁷⁶²، وسماه أيضا بـ "المكان" مستشهداً بقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ

يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُجُ﴾⁷⁶³، وقال: «فإذا أراد المكان، قال: "المَفْرُجُ"، كما قالوا المبيت

حين أرادوا المكان»⁷⁶⁴، ويراد به أخيراً "اسم المكان" المتداول في كتب النحو والتصريف مثلما ما جاء في كتاب التكملة، وكتاب المفصل، وكتاب الشافية... وغيرهم.

758 - الكتاب، سيبويه، 85/4.

759 - التكملة، أبو علي الفارسي، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، الرياض، 1981، ص 221.

760 - السيرافي النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، عبد المنعم فايز، دار الفكر، سوريا، ط 1، 1983،

ص 234.

761 - ينظر: المفصل، الزمخشري، ص 237.

- الكتاب، سيبويه، 88/4⁷⁶².

- سورة القيامة، الآية: 10⁷⁶³.

- الكتاب، سيبويه، 87/4⁷⁶⁴.

ولقد تكلم الشعراوي مطولاً عن أسرار أسماء الزمان والمكان في القرآن الكريم، وربط

ذلك بالتفسير، مثلما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ

إِلَىٰ حِينٍ﴾⁷⁶⁵، فلفظة "مُسْتَقَرٌّ" ربطها الشعراوي بالمكان والزمان، أي لا أحد يعلم

سببى في الأرض إلا بمقدار ما قدر الله له من عمر ثم يموت⁷⁶⁶، وأكثر المفسرين

حملوا الآية على المصدر "مَوْضِعٌ اسْتَقْرَارٌ"، واسم المكان⁷⁶⁷، وقد استبعد الألويسي أن

يكون "المُسْتَقَرُّ" دالا على اسم الزمان، بل هو دال على اسم مكان أو مصدر

ميمي⁷⁶⁸.

وبالتالي فالتوجيهات المسرودة واردة ومحتملة ففي الأرض مستقرنا واستقرارنا في الحياة والممات بوقت معلوم، وقد أدت هذه الصيغة القليلة الحروف كثير من المعاني والدلالات، وهذا سر من أسرار القرآن الكريم.

وفي موضع آخر يبين الشعراوي دلالة اسم الزمان في صيغة "مَجْرَاهَا" و"مُرْسَاهَا" في

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرَكُبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسَاهَا﴾⁷⁶⁹،

والتقدير في نظره: اركبوا فيها مُسَمِّينَ الله وقت جريانها ورسوها⁷⁷⁰، وقال الضحاك:

«كان نوح عليه السلام إذا قال: بسم الله مجراها، جرت، وإذا قال: بسم الله مرساها،

رست»⁷⁷¹، ورجح البيضاوي أن اللفظتين "مَجْرَاهَا" و"مُرْسَاهَا" دلت على المصدرية

وعلى اسم الزمان واسم المكان، «بحيث إن الآية متصلة بقوله: ﴿أَرَكُبُوا﴾؛ أي

⁷⁶⁵ - سورة البقرة، الآية: 36.

⁷⁶⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي: 270/1.

⁷⁶⁷ - ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الطبري، 566-565/1.

⁷⁶⁸ - ينظر: روح المعاني، الألويسي، 236/1.

⁷⁶⁹ - سورة هود، الآية: 41.

⁷⁷⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي: 6474/11.

⁷⁷¹ - ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الطبري، 416/12.

اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين باسم الله وقت إجرائها وإرسائها، أو مكانهما، على أن الجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر»⁷⁷².

فاللفظتين حملت ثلاثة معان، وبدل أن يقول: باسم الله إجراًؤها وإرسائها، وباسم الله وقت إجرائها وإرسائها، وباسم الله مكان إجرائها وإرسائها، وبالتالي فقد جمعت هذه المعاني في صيغة "مَفْعَل" التي تصلح للمصدر والزمان والمكان، وهذه التأويلات التي قدمها المفسرون بما فيهم الشعراوي مجانبة للصواب وفي نطاق السياق العام للآية.

ونجد في موقع آخر نجد لفظة "مَنْسَكًا" تدل على ثلاثة معان، في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ

أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾⁷⁷³، فقد يكون بمعنى "النسك"؛ أي

العبادة، وقد تدل على "زمان النسك"، وكذلك على "مكانه"، وقد رجح الشعراوي أن يكون معنى "مَنْسَكًا" مناسباً لأفضية زمان تلك الأقوام، لأنهم كانوا في عزلة بعضهم عن بعض، كما تدل على المنهج التعبدي الذي جاء بها الرّسل⁷⁷⁴.

فقد وردت آراء متعددة في صيغة "الْمَنْسَكِ"، أحدهما ما قاله ابن عباس رضي الله عنه: إنها عيداً يذبحون فيه، وثانيها: قرباناً، وثالثها: مَأْلَفًا يَأْلَفُونَهُ، إما مَكَانًا مَعِينًا أو زَمَانًا مَعِينًا لأداء الطاعات، ورابعاً: الشريعة والمنهاج⁷⁷⁵.

وبالتالي فالرأي الذي أراه يتوافق مع سياق السورة، هو ما زكاه الشعراوي بأن "الْمَنْسَكِ" هو "اسم زمان"، الذي كان القوم يحتفلون به، وهو الراجح في كتب التفسير.

وفي سياق متصل سعى الشعراوي لإبراز المعطى البياني والدلالي للفظ "مَوْعِدًا" الواردة

في قوله تعالى: ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ وَنَحْنُ وَلَا

⁷⁷² - ينظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، 234/3،

⁷⁷³ - سورة هود، الآية: 81.

⁷⁷⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي: 9921/16-9922.

⁷⁷⁵ - ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الطبري، 416/16، وينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم،

القرطبي 442/14، وينظر: روح المعاني، الألوسي، 195/17.

أَنْتَ مَكَانًا سُوءِي قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ تُحْشَرَ النَّاسُ

ضَحِيٌّ⁷⁷⁶، ورأى أن الدلالة الإفرادية لـ "مَوْعِدٌ" تحتل ثلاثة معان هما:

أولاً: معلوم أن الحدث يحتاج إلى مُحدث له، ويحتاج إلى مكان يقع عليه، ويحتاج إلى زمان يحدث فيه، وقد عرفنا المحدث لهذا اللقاء، وهما موسى وهارون عليهما السلام من ناحية، وفرعون وسحرته من ناحية.

ثانياً: وقد حدد فرعون المكان، فقال: ﴿مَكَانًا سُوءِي﴾⁷⁷⁷.

ثالثاً: بقي الزمان لإتمام الحدث؛ لذلك حدده موسى عليه السلام ، فقال⁷⁷⁸:

﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾⁷⁷⁹.

وقد جاءت أغلب التفاسير بهذا التحليل الذي قدمه الشعراوي، فكيف طابق الزمان المكان؟

يجيب الزمخشري فيقول: «هو مطابق معناً، وإن لم يطابق لفظاً، لأنهم لا بد لهم من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه، مشتهر بينهم باجتماعهم فيه في ذلك اليوم، فبذكر الزمان علم المكان»⁷⁸⁰.

وقد يحتل الموضوع أكثر من وجه، منها: مَصْدَرٌ؛ أي وَعْدًا، وقيل: "المَوْعِد" اسم

لمكان الوعد، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁷⁸¹.

⁷⁷⁶- سورة طه، الآية: 58-59.

⁷⁷⁷- سورة طه، الآية: 58.

⁷⁷⁸- ينظر: تفسير الشعراوي: 9302/15-9303.

⁷⁷⁹- سورة طه، الآية: 59.

⁷⁸⁰- ينظر: الكشاف، الزمخشري، 90/4.

⁷⁸¹- سورة الحج، الآية: 67.

فالموعد هاهنا مكان، وقيل: "الموعد" اسم لزمان الوعد، كقوله تعالى:

﴿مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾⁷⁸²، فالمعنى اجعل لنا يوماً معلوماً، أو مكاناً معلوماً⁷⁸³.

والحق أن انتقاء هذه الصيغة "مَوْعِدٌ" في هذا الموضع بالذات، هو ضرب من الإعجاز القرآني، بحيث أدت إلى عدة دلالات ومعان، وهذا النهج في الإيجاز والتعبير، هو منهج لغوي سار عليه القرآن الكريم، ووضحه الشعراوي ببصيرته اللغوية والصرفية التي التزم بها.

رابعاً- مسألة الاشتقاق:

الاشتقاق من الحقول العلمية التي تساهم في نمو اللغة وتطورها، وهو من الوسائل المساعدة لتوليد الألفاظ والصيغ، ولقد اعتنى به علماء اللغة القدماء لما له من أهمية في ثبات اللغة وتأصيلها واستقصاء أصولها وفروعها، ولهذا يقول ابن فارس: «أجمع أهل اللغة -إلا من شذ منهم- أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان، وأن الجحيم والنون تدلان أبداً على الستر، تقول العرب للدرع: جُنَّة، وأجنة الليل، وهذا جنين؛ أي؛ في بطن أمه أو مقبور»⁷⁸⁴. ولقد اشتهر الشعراوي لغوياً من خلال تفسيره، بحيث أنه قدّم لكل لفظة في التفسير اشتقاقاتها وما يتصل بها من أصول وفروع، فكان كثيراً ما يقبل الكلمة القرآنية بين

تصاريدها التي وردت عليها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾

⁷⁸²- سورة هود، الآية: 81.

⁷⁸³- ينظر: معاني القرآن الكريم وإعرابه، الزجاج، 360/3، وينظر: إعراب القرآن الكريم، النحاس،

338، وينظر: الجامع لأحكام القرآن الكريم، القرطبي، 85/14، وينظر: البحر المحيط، أبو حيان

الأندلسي، 90/4.

⁷⁸⁴- الصحابي في فقه اللغة، ابن فارس، تعليق: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997، 35.

بِالْكَتَبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ⁷⁸⁵

فكلمة {يُمَسِّكُونَ} مادتها: الميم والسين والكاف تدل على الارتباط

الوثيق⁷⁸⁶، والذي يجعل الإنسان مُتصلاً بالشيء هو ماسكه، ونقول: "مَسَكَ" ونقول: "مَسَّكَ" و"أَمَسَكَ"، ونقول "اسْتَمَسَكَ" و"تَمَسَكَ"، وكلها مادة واحدة، وقول الحق:

"يُمَسِّكُونَ" مبالغة في المسك، كُلُّ قِطْعٍ وَقَطَّعَ، وَلَكِنْ قَطَّعَ أَبْلَغَ⁷⁸⁷. وقرأ عمر

وأبو العالية وأبو بكر عن عاصم "يُمَسِّكُونَ"⁷⁸⁸ بالتخفيف من "أَمَسَكَ"، يُمَسِّكُ،

والجمهور قرأ: "يُمَسِّكُونَ" مشدداً من مَسَكَ⁷⁸⁹، وهما لغتان جمع بينهما

كعب بن زهير فقال⁷⁹⁰:

وَمَا تَمَسَّكَ بِالْعَهْدِ الَّذِي زَعَمْتُ إِلَّا كَمَا يُمَسِّكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ

فمدلول الآية يعني أنه: يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيُحْكُمُونَ بِمَا فِيهِ⁷⁹¹، وَأَمَسَّكَتُ الشَّيْءَ وَتَمَسَّكَتُ

بِهِ، وَاسْتَمَسَّكَتُ بِهِ وَأَمْتَسَّكَتُ بِهِ، كُلُّهُ بِمَعْنَى اعْتَصَمْتُ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَسَّكَتُ بِهِ

تَمَسَّكَتُ⁷⁹².

⁷⁸⁵ - سورة الأعراف، الآية: 170.

⁷⁸⁶ - ينظر: تاج العروس، الزبيدي، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف محمد الخطيب،

الكويت، ط1، 2001، 337/7، مادة "مسك".

⁷⁸⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي: 4427/7.

⁷⁸⁸ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ص330.

⁷⁸⁹ - ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محي الدين

رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط1، 1974، 482/1.

⁷⁹⁰ - ديوان كعب بن زهير، شرح ودراسة: مفيد محمد قميحة، دار الشواف ودار الحدائثة، ط1، 1989،

ص110.

⁷⁹¹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي، 374/9.

⁷⁹² - ينظر: الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4،

1990، 1608/4. وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 487/10، مادة "مسك".

و(مَسَّكَ) يعني أن الماسك تمكن مما يمسك، و(اسْتَمْسَكَ) أي طلب، و(تَمَسَّكَ) أي أن هناك تفاعلاً بين الاثنين؛ بين الماسك والممسوك، ومن رحمة ربنا أنه لا يطلب منا أن نمسك الكتاب؛ بل يطلب أن نستمسك بالكتاب، وهذا يدل على علم الشعراوي وقدرته في توجيه المسائل النحوية والصرفية في آي القرآن الكريم.

ولنحاول أن نقف على مثال قرآني آخر وذلك في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ﴾⁷⁹³. فقد وظف القرآن الكريم في هذه الآية (نَزَّلَ) و(أَنْزَلَ)، مع اقتران

صيغة (نَزَّلَ) بسياق إنزال القرآن الكريم و(أَنْزَلَ) بسياق إنزال التوراة والإنجيل، فهل تتساوى صيغة "نَزَّلَ" مع "أَنْزَلَ"، وحين تأتي للحدث أي الفعل في أي وقت من الأوقات فإننا نتساءل: أهو موقوت بزمن أم غير موقوت بزمن؟

لم يفوت الشعراوي هذه الفرصة دون إظهار الفارق الاشتقاقي بين الصيغتين، وذكر أن للقرآن نزولان اثنان: الأول: إنزال من "أَنْزَلَ"، والثاني: تنزيل من "نَزَّلَ".

فالحق قال عن القرآن: "نَزَّلَ" وقال عن التوراة والإنجيل: "أَنْزَلَ"، ولقد جاءت همزة التعدية وجمع -سبحانه- بين التوراة والإنجيل في الإنزال، وهذا يوضح لنا أن التوراة والإنجيل إنما أنزلهما الله مرة واحدة، أما القرآن الكريم فقد نزلّه الله في ثلاث وعشرين سنة منجماً ومناسباً للحوادث التي طرأت على واقع المسلمين، ومتضمناً البلاغ الشامل من يوم الخلق إلى يوم البعث⁷⁹⁴.

فأغلب المفسرين فرقوا بين الفعلين على أساس اعتماد الزيادة الصرفية كمحوّل للدلالة، فصيغة (فَعَّلَ) للمبالغة والتكثير⁷⁹⁵، وهذا مما يناسب القرآن الكريم الذي نزل منجماً على فترة زمنية محددة، بخلاف التوراة والإنجيل اللذين نزلا دفعة واحدة، ولذا

⁷⁹³ - سورة آل عمران، الآية: 3.

⁷⁹⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 16 / 1263-1264

⁷⁹⁵ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 174/1.

تمت المخالفة هنا في السياق التوظيفي للفعلين على إرادة المبالغة في جانب صيغة (فَعَّلَ)، وإرادة معنى التزول فقط في صيغة (أَفْعَلَ)⁷⁹⁶.

وهذا التفسير إنما اعتمد في جوهره على المعطى الصرفي ومدلولاته فقط دون ربط بالسياقات النصية في مواقعها المختلفة، وقد عبّر القرآن الكريم عن إنزال القرآن

بصيغة (أَنْزَلَ) التي لا تدل على معنى المبالغة والكثرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ

يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾⁷⁹⁷، وفي قوله: ﴿ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾⁷⁹⁸، ف الفرق «بين

الإنزال والتزليل في وصف القرآن والملائكة، أن التزليل يختص بالموضع الذي يشير إليه إنزاله مفرقاً، ومرة بعد أخرى، والإنزال عام»⁷⁹⁹.

وعلى هذا فإن معنى التدرج والتكرار في الإنزال يستفاد من التعبير بصيغة (نَزَّلَ)، لأنها تقتضي الإنزال مرة بعد مرة. يقول ابن الزبير: «إنَّ لفظ (نَزَّلَ) يقتضي التكرار لأجل التضعيف»⁸⁰⁰.

وبهذا فإن صيغة نَزَّلَ يصير لها أربع دلالات هي : (المبالغة، والتكثير، والتدرج، والتكرار) وذلك بخلاف صيغة (أَنْزَلَ) التي تقف حدودها الدلالية عند عمومية الإنزال وشموليته، ولعلنا ندرك هنا أن التبادل الموقعي لهاتين الصيغتين إنما تحدده المقامات السياقية التي تتطلب مثل هذا التوظيف أو ذاك ، ومن المناسب أيضاً أن ندرك أن قوله

⁷⁹⁶ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 287/1 ، وينظر: مفاتيح الغيب الرازي، 105/ 7، وينظر: أنوار

التنزيل، البيضاوي، 2/ 2.

⁷⁹⁷ - سورة العنكبوت، الآية: 51

⁷⁹⁸ - سورة محمد: الآية: 9.

⁷⁹⁹ - مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 128/ 2.

⁸⁰⁰ - ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983، 286/1.

تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁸⁰¹، على إن الإِنزال الذي تم فيها للقرآن

الكريم دفعة واحدة إلى السماء الدنيا في بيت العزة من اللوح المحفوظ، ولا يناسب التعبير هنا إلا صيغة (أُنزِلَ) بخلاف صيغة (نَزَلَ) التي تقتضي المبالغة، وهذا ما لا يتناسب مع المعنى هنا.

وفي معرض آخر يبين الشعراوي وظيفة الصيغة الافرادية "تتراً" ودورها في أداء المعنى،

وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾⁸⁰²؛ يعني: متوالين يتبع بعضهم

بعضاً؛ لذلك ظنَّها البعض فعلاً، وهي ليست بفعل، بدليل أنها جاءت في قراءة أخرى

(تتراً) بالتثنية والفعل لا يُنَوَّن، إذن: هي اسم، والألف فيها للتأنيث مثل حُبْلَى،

أضِفْ إلى ذلك أن التاء الأولى تأتي في اللغة بدلاً من الواو، كما جاء في الحديث

الشريف من نصيحة النبي صلى الله عليه وسلم: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده

تجاهك- أو وجاهك"⁸⁰³؛ يعني: مواجهك، فإذا أبدلت التاء الأولى في (تتراً) واواً

تقول (وتراً) يعني: متتابعين فرداً، والوتر هو الفرد⁸⁰⁴.

801 - سورة القدر، الآية: 01.

802 - سورة المؤمنون، الآية: 44.

803 - حديث حسن صحيح، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: "كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي : يَا غُلَامُ إِنِّي أَعْلَمُ كَلِمَاتٍ أَحْفَظُ اللَّهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهُ تَجِدُهُ تَجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ

اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَيْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَأَعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ

قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ

الْأَقْدَامُ وَجَعَّتِ الصُّحُفُ". ينظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط

وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، 2001، 459/1.

- ينظر: تفسير الشعراوي، 10044/18،⁸⁰⁴

فقد قرأت "تترا" بالتنوين عند أبي جعفر وابن كثير وأبي عمرو⁸⁰⁵، وقرأ الباقون بغير تنوين "تتري"، بألف تأنيث، والمعنى أرسلناهم فرداً فرداً وقلبت الواو تاء: مثل التَّقْوَى والتَّكْلَانِ⁸⁰⁶.

وقد ورد عن الطبري قوله: «تَتْرَى»؛ يعني يتبع بعضها بعض، وهي من المواترة، وهي اسمٌ لجمع، مثل: "شيء"، لا يقال: "جَاءَنِي فُلَانٌ تَتْرَى"، كما لا يقال: "جَاءَنِي فُلَانٌ مَوَاتِرَةً"، وهي تنوّن ولا تنوّن وفيها الياء، فمن لم ينوّنهما فهي "فَعَلَى" من "وَوَاتِرَتْ"، ومن قال: تَتْرَأُ توهم أن الياء أصلية⁸⁰⁷.

وبالتالي نلاحظ أن الشعراوي قد تتبع اشتقاقات هذه اللفظة، ووجه القراءة بما يخدم مضمون الآية، وقد ووافق رأيه جل المفسرين، وسواء قرأت "تترا" بالتنوين أو بدونه فالأمر سيان، وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب، ويبقى المعنى واحد، أنهم يوم القيامة تأتي الخلائق للحساب متتالين ومتوالين فراد.

ونجد أيضا في قوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ**

أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾⁸⁰⁸؛ وكلمة {قُرَّة} تُستعمل بمعنيين، وفي

اللغة شيء يسمونه (عامل اشتقاق) يعني: يشق اللفظ من معنى عام، وقد يختلف معناه، لكن في النهاية يلتقيان على معنى واحد، وكلمة (قُرَّة) تأتي بمعنى اللزوم والثبات، من قَرَّ في المكان؛ يعني: لزمه وثبت فيه، وتأتي بمعنى السرور؛ والقُرُّ يعني أيضاً: شدة البرودة، كما جاء في قول الشاعر⁸⁰⁹:

أَوْقِدْ فَإِنَّ اللَّيْلَ لَيْلٌ قُرٌّ وَالرِّيحَ يَا غُلَامُ رِيحٌ صُرٌّ
عَلَّ أَنْ يَرَى نَارَكَ مَنْ يَمُرُّ إِنَّ جَلْبَتَ ضَيْفًا فَأَنْتَ حُرٌّ

⁸⁰⁵ - ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 328/2.

⁸⁰⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 45/15.

⁸⁰⁷ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 49-48/17.

⁸⁰⁸ - سورة الفرقان، الآية: 74.

⁸⁰⁹ - ديوان حاتم الطائي، حاتم الطائي، شرح وتقديم: أحمد رشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1،

فالقُر: البرد: والقُرور: السُّكون، والعين الباردة: دليل السرور، والعين الساخنة دليل الحزن والألم، على حدِّ قول الشاعر⁸¹⁰:

فَأَمَّا قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ فَأَسْخَنَتْ وَأَمَّا قُلُوبُ الْعَازِلِينَ فَقَرَّتْ

لذلك يَكُونُ ببرودة العين عن السرور، وبسخونها عن الحزن، يقولون: "رَزَقَنِي اللهُ وَلَدًا قَرَّتْ بِهِ عَيْنِي"، ويقولون: "أَسْخَنَ اللهُ عَيْنَ فُلَانٍ" يعني: "أَصَابَهُ جُزْنٌ تَغْلِي مِنْهُ عَيْنُهُ"، والمعنى: اجْعَلْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا مَا نُسَرُّ بِهِ⁸¹¹.

وهذا ما ذهب إليه كل من نافع وعاصم وأبو جعفر بفتح القاف "قَرَّ"، وقرأ الباقون بالكسر "قَرَّ" على أنه من الوقار⁸¹²، و"القَرُّ" بالضم هو البرد، وهو مشتق من القرار⁸¹³، فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره ولسائل أن يسأل: لماذا نكرت "قَرَّة" وأفردت "أَعَيْن"؟

وقد أجاب الزمخشري عن هذا السؤال بقوله: أما التنكير فلأجل تنكير "القَرَّة"، لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه قيل: "هَبْ لَنَا مِنْهُمْ سُرُورًا وَفَرَحًا"، وجاءت "أَعَيْن" دون عِيُون، لأنه أراد أَعْيُنَ الْمُتَّقِينَ، وهي قليلة بالإضافة إلى عِيُونٍ غَيْرِهِمْ⁸¹⁵، وبالتالي فصيغة "قَرَّتْ أَعْيُنٌ" جاءت جامعة للكمال في الدين، واستقامة الأحوال في الحياة، إذ لا تقرر عيون المؤمنين إلا بأزواج وأبناء مؤمنين⁸¹⁶. ثم تكون قرة العين في الآخرة حينما يدخل المؤمنون الجنة ويُنْفَسون بقرب ربهم تعالى، وتحيا الخلائق حياة أبدية خالدة في النعيم الذي لا ينتهي، والسعادة التي لا تنقطع،

⁸¹⁰ - ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، (د،ت)، ط5، 300/1.

⁸¹¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 10522/18.

⁸¹² - ينظر: الكامل المفصل في القراءات الأربعة العشر، أحمد عيسى المعصراني، دار الإمام الشاطبي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط1، 2009، ص 422.

⁸¹³ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 396/8.

⁸¹⁴ - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 34/2، وينظر: الكليات، أبو البقاء أيوب الكفوي، ص 734.

⁸¹⁵ - ينظر: الكشف، الزمخشري، 374/4.

⁸¹⁶ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 81/17.

مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِئْسَ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا

دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ

817

ومن خلال ما سبق نجد أن الشعراوي أفاض الحديث في هذه المسائل الاشتقاقية، بغية منه الافهام وتبليغ المقصود، والكشف عن المعاني والدلالات المتصرفة منه، ولم يعتمد التنظير والتقسيم بل حاول جاهدا كشف إحصاءات كل صيغة جديدة، باعتبار أن الصيغ الصرفية ربما قد لا تكون بمفردها كافية للدلالة على المورفيم حسب رأي تمام حسان نتيجة لوجود اللبس فيها، فهي إذا في حاجة ماسة إلى الانتقال من جانب التنظير إلى جانب التطبيق ليوضح ما فيها من غموض⁸¹⁸، وهذا ما سعى إليه الشعراوي واتخذه منهجا في كامل التفسير.

وقد أدرك الشعراوي بطبعة العربية قيمة الكلمة في المتن القرآني، كما أدرك أن للكلمة معانٍ يجب التدقيق في فهمها والتمحيص في شرحها، لأن فهمها يترتب عليه أحكاماً شرعية وتأويلات فقهية وإرشادات تربوية، كما تتبعنا منهجه الذي سار فيه وفق المذهب البصري في كثير من الأحيان، وجل اهتمامه ينصب على الدلالة المعنوية فهو لا يلتفت من ناحية -اللفظ- للقضايا النحوية التي دارت بين النحاة أنفسهم، وإنما تطويع هذه المعارف النحوية والصرفية في خدمة كلام الله دون تعصب ولا كلل.

817 - سورة هود، الآية: 108.

818 - ينظر: مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب،

1986، ص 208.

الفصل الثالث: المستوى النحوي في تفسير الشعراوي:

تعد علاقة النَّحو بعلم التفسير من أهم العلاقات الدقيقة التي لاحظها اللغويون والمفسرون على وجه سواء، وقد راعوها اهتماماً وافراً حتى إن بعض العلماء كان يجعل من إعراب القرآن علماً ويعده من فروع علم التفسير لا النحو⁸¹⁹.

وفي تفسير الواحدي(ت: 468هـ) نجد يشترط تعلم النحو والأدب للذين يمارسون مهنة التفسير، فقال: «إنَّ طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والأدب، فإنهما عمدتاه وإحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب فيما تحويه من الاستعارات الباهرة والأمثال النادرة، والتشبيهات البديعة، والملاحن الغريبة، والدلالة باللفظ اليسير على المعنى الكثير، مما لا يوجد مثله في سائر اللغات»⁸²⁰.

وقد أجمع المفسرون وعلماء القرآن على أهمية علم النحو في تبيان معالم الآيات، ولهذا فقد أفرد الزركشي في البرهان مبحثاً خاصاً جعل معرفة النحو أحد أنواع علوم الترتيل؛ وهو النوع العشرون من مصنفه، وفيه قال: «وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ككونها مبتدأً أو خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير أو جمع أو قلة أو كثرة إلى غير ذلك»⁸²¹.

ولا شك أن الإعراب يؤدي دوراً مهماً وحيوياً في التعرف على الدلالة والكشف عنها، فهو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال: مَا أَحْسَنَ زَيْدٍ. لم يُفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب⁸²².

أولاً: الشعراوي نحويّاً من خلال تفسيره:

⁸¹⁹ - ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين يالنتقايا،

دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2008، 121/1.

⁸²⁰ - التفسير البسيط، الواحدي، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، مكتبة الملك فهد، الرياض،

السعودية، (د،ت)، 22/1.

⁸²¹ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 302/1.

⁸²² - ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 35.

إنَّ علم النَّحو موضوع هام نشأ لصيانة القرآن الكريم من خلال ضبط الكلمات ومعرفة المرفوع من المنصوب، والمعرب والمبني، ومعرفة ما يصيب الكلمات من تقديم وتأخير أو حذف وإيجاز... وغير ذلك من الأصول التي يجب على كل دارس لكلام الله أن يعلمها.

وهذا المنحى برزا جلياً في تفسير الشعراوي كأحد المعالم الرئيسية في منهجه التفسيري، وقد أكد وهو يعرض لأسس منهجه ضرورة الاعتماد على النحو واللغة وأحكام أصولهما والارتياض في صيغتها قبل التصدي للتفسير، فكان كثيراً ما يبدأ الآية بعرض المسألة النحوية والصرفية تمهيداً للموضوع، ثم يشرع في التفسير ويورد الآيات والأحاديث وما جادت به قريحته من تحليل وخواطر، فبالنحو: «تتبن أصول المقاصد فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة»⁸²³. ولقد اكتسب النَّحو قيمة هامة وذلك باتصاله بالدلالة القرآنية؛ لأنَّ المصادر اللغوية في مختلف العصور مُجمعة على أنَّ الواعز الأول في وضع النَّحو العربي هو الخوف في انتشار اللحن في القرآن الكريم، وما يترتب عليه من أغاليط وتشويش في الفهم والمعنى وانحراف عن المقصد، «فلا بد في التفسير من استعمال العربية والاستضاءة بدلالة ألفاظها، إذا كان القرآن مترلاً باللسان العربي فلا بد من معرفة ألفاظ العرب والاطلاع على مواضعها إذ الألفاظ أدلة المعاني»⁸²⁴.

والشعراوي لم يكن من أولئك المفسرين الذين يُنشغلون ويشغَلون غيرهم بالخلافات النحوية والصرفية المشهورة بين الكوفيين والبصريين، كما لم يعهد عنه أنَّه يُكثر من ذكر أسماء علماء النحو كسيبويه والخليل والأخفش وابن السكيت وغيرهم، وإنما كان يذكر الآراء النحوية التي لم يؤثر فيها الخلاف بشكل ظاهر.

وإذا كان الأصل عنده خلال استطراداته في الدرس النحوي أن يذكر المصطلحات النحوية كما عهدتها اللغويون كتصريحه بالبدل⁸²⁵، والمصدر⁸²⁶، وهمة الإزالة⁸²⁷،

⁸²³ - مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 4، (د،ت)، ص 554.

⁸²⁴ - شرح المفصل، ابن علي ابن يعيش، تحقيق: مشيخة الأزهر، الطباعة المنبرية، القاهرة، مصر،

(د،ت)، 11/1.

⁸²⁵ - تفسير الشعراوي، 1152/2.

والاستفهام⁸²⁸، والشرط⁸²⁹، والأعداد تذكيرها وتأنيتها⁸³⁰، وحروف المعاني وغيرها من قضايا النحو والصرف، إلا أنه كان يكتفي ببيان مدلول الكلمة والمعنى التي تؤديه من خلال موقعها، دون أن يُصرح بالمصطلح النحوي نفسه.

فسعة اطلاع الشعراوي اللغوية أكسبته القدرة على تطعيم النص القرآني بالشواهد اللغوية، وما يدل على فحولة الرجل النحوية اطلاعه على كتب الأولين من متون علوم اللغة، فلقد وجدنا بصمات سيبويه، وابن جني، والجرجاني ولا أدل على ذلك من استشهاداه بألفي ابن مالك ومتون الأجرومية وغيرها...⁸³²

ويرى الشعراوي أنه من يتكلم في اللغة ويغوص في مباحثها عليه أن يكون متبصراً باشتقاقات الألفاظ واستعمالات الألفاظ وسماتها⁸³³، وهذا المطلب الذي دعا إليه الشعراوي يجب أن يحصله كل طالب لهذا العلم.

وفي هذا السياق يقول أبو محمد علي بن أبي طالب المكي (ت: 437هـ): «ورأيت

من أعظم ما يجب على الطالب لعلوم القرآن الراغب في تجويد ألفاظه وفهم معانيه ومعرفة قراءاته ولغاته.. والوقوف على تصرف حركاته وسواكنه، ليكون بذلك سالماً من اللحن فيه، مستعيناً على أحكام اللفظة، مطلعاً على المعاني التي قد تختلف باختلاف الحركات، مستفهماً لما أَرَادَهُ اللهُ به من عباده»⁸³⁴.

واللغة في نظر الشعراوي هي ظاهرة اجتماعية، بمعنى أن الإنسان يحتاج إليها لأنه في مجتمع يريد أن يتفاهم مع غيره ليعطيه ما عنده من أفكار ويسمع ما عندهم من آراء،

⁸²⁶ - المصدر نفسه، 732/1.

⁸²⁷ - المصدر نفسه، 4792/8.

⁸²⁸ - المصدر نفسه، 7996/14.

⁸²⁹ - المصدر نفسه، 8182/ 13.

⁸³⁰ - المصدر نفسه، 4391/7.

⁸³¹ - المصدر نفسه، 9326/13.

⁸³² - المصدر نفسه، 3311/6 و 2952/5.

⁸³³ - المصدر نفسه، 3460/6.

⁸³⁴ - مشكل إعراب القرآن، مكي بن حموش، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984،

ولو أنّ الإنسان وحده ما كان في حاجة إلى لغة؛ لأنّه سيفعل ما يخطر بباله وتنتهي المسألة.

وقد عبّر عن هذا الرأي علماء اللغة المحدثون بأنّ اللغة لا تنشأ إلاّ في مجتمع، ولا تستعمل إلاّ في مجتمع، وإنّ الكلام يختلف باختلاف الطبقات الاجتماعية في المجتمع الواحد في العصر الواحد، وإنّ لكل لغة من اللغات نظمها الصوتية والنحوية⁸³⁵ واللغة في نظر الشعراوي لا ترتبط بالدم أو الجنس أو البيئة؛ لأنك لو أتيتَ بطفل إنجليزي مثلاً، ووضعته في بيئة عربية سيتكلم العربية؛ لأنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تعتمد على السّمع والمحاكاة؛ لذلك إذا لم تسمع الأذن لا تستطيع أن تتكلم⁸³⁶.

وقد تناول هذا الجانب العالم اللغوي دو سوسير F.De.Saussure واعترف بأنّ هناك كياناً عاماً يضمّ النشاط اللغوي الإنساني في صورة ثقافة منطوقة أو مكتوبة أو متوارثة، وبعبارة أخرى: كل ما يمكن أن يدخل في نطاق النشاط اللغوي من رمز صوتي، أو كتابي أو إشارة أو اصطلاح، فخص هذا الاصطلاح بكلمة⁸³⁷ أي (اللغة).

فاللغة هي الألفاظ التي تصدر عن الفرد والجماعة مؤدية معنى من المعاني، وهي سلوك لفظي لدى الأفراد والجماعات.

وفي معرض آخر يذكر الشعراوي أنّ اللّغة ألفاظ يصطلح على معانيها بحيث إذا أُطلق اللفظ فهم المعنى⁸³⁸، والكلام سفارة بين المتكلم والمخاطب، والمخاطب لا يعرف الموضوع الذي ستكلمه فيه، والمتكلم هو الذي يملك زمام الموقف، وهو يهيئ ذهنه لترتيب ما يقول من كلمات، أما المستمع فسوف يُفاجأ بالموضوع؛ وحتى لا يفاجأ ولا تضيع منه الفرصة ليلتقط كلمات المتكلم من أولها، فهو ينبه بأداة تنبيه ليستمع⁸³⁹.

- ينظر: علم اللغة، محمود السعران، مطابع التعليم العالي، بغداد، 1989، ص13.⁸³⁵

⁸³⁶- ينظر: تفسير الشعراوي، 8562/14.

⁸³⁷- ينظر: علم اللغة، حاتم صالح الضامن، ص 130.

⁸³⁸- ينظر: تفسير الشعراوي، 91/1.

⁸³⁹- المصدر نفسه، 7905.15/13 و 9489/15.

فالشعراوي في تعريفه للغة يربطها "باللفظ والمعنى"، أما في الكلام فيقدم الوظيفة الإبلغية التواصلية بين المتخاطبين دون الإشارة إلى تعريف خاص بها. وابن جني منذ زمن، بيّن الفرق الدقيق بين اللغة والكلام والقول؛ فاللغة هي مجموعة أصوات للتعبير عن أغراض القوم⁸⁴⁰، والكلام لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، وهو الذي يسميه النحويون الجمل، وأما القول فأصله إن كان لفظاً مذل به اللسان تاماً كان أو ناقصاً، فالتام هو المفيد، أعني الجملة وما كان في معناها، والناقص ما كان بغير ذلك، فكل كلام قول، وليس كل قول كلاماً⁸⁴¹.

وفي سياق آخر يُعرف الشعراوي اللغة فيقول: «اللغة التي تتكلمها لا تخرج عن اسم وفعل وحرف، فالاسم كلمة، والفعل كلمة، والحرف كلمة، والكلمة لها معنى في ذاتها ولكن هل هذا المعنى مستقل في الفهم أو غير مستقل، إذا قلت: مُحَمَّدٌ مثلاً، فهتم الشخص الذي سمي بهذا الاسم فصار له معنى مستقل، وإذا قلت: كَتَبَ، فهتم أنه قد جمع الحروف لتقرأ على هيئة كتابة، ولكن إذا قلت ماذا وهي حرف فليس هناك معنى مستقل. وإذا قلت: "في" دَلَّتْ على الظرفية ولكنها لم تدلنا على معنى مستقل، بل لا بد أن تقول: "الماء في الكوب"، أو "فلان على الفرس". فغير المستقل في الفهم نسميه حرفاً لا يظهر معناه إلا بضم شيء له، والفعل يحتاج إلى زمن، ولكن الاسم لا يحتاج إلى زمن»⁸⁴².

وبالتالي فالاسم هو ما دل على معنى مستقل بالفهم وليس الزمن جزءاً منه، والفعل ما دل على فعل مستقل بالفهم والزمن جزء منه، والحرف ما دل على معنى غير مستقل. فقد وحد الشعراوي بين اللغة والكلام في تعريفهما ومدلولهما، فهما جانبان متناظران لظاهرة واحدة، وقد فرق بينهما علم اللغة الحديث، فالتعريف الأول للغة من منظور لساني بياني، والتعريف الثاني من منظور نحوي إعرابي.

⁸⁴⁰ - ينظر: الخصائص، ابن جني، 33/1.

⁸⁴¹ - المصدر السابق، 17/1.

⁸⁴² - ينظر: تفسير الشعراوي، 91/1.

فلتعريف الثاني شبيه بتعريف ابن الحاجب (ت: 646هـ) للكلام بأنه «كُلُّ لَفْظٍ وَضِعَ لِمَعْنَى، وَهُوَ اللَّفْظُ الْمُرَكَّبُ الْمَفِيدُ بِالْوَضْعِ»⁸⁴³، ومثله عند ابن مالك (ت: 672هـ) بأنه «لَفْظٌ مُسْتَقِلٌ دَالٌّ بِالْوَضْعِ تَحْقِيقًا أَوْ تَقْدِيرًا، أَوْ مَنْوِيٌّ مَعَهُ كَذَلِكَ، وَهِيَ: اسْمٌ وَفِعْلٌ وَحَرْفٌ»⁸⁴⁴. وهو عند ابن آجروم (ت: 723هـ) «اللَّفْظُ الْمُرَكَّبُ الْمَفِيدُ بِالْوَضْعِ، وَأَقْسَامُهُ ثَلَاثَةٌ: اسْمٌ، وَفِعْلٌ، وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنَى»⁸⁴⁵. هذا هو التعريف الغالب عند علماء النحو وسار معهم الشعراوي؛ إذ عبّر باللغة وهو يقصد الكلام، وبهذا نجده مُطَّع على مسائل اللغة موظفاً المنهج النحوي في توضيح مدلول الآيات ومعانيها للقارئ والمستمع.

فقد جعل من النحو وسيلة لتقريب المعنى، «ووجدت لمن تأقت نفسه إلى علم التفسير وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير، أن يعتكف على كتاب سيبويه فهو في هذا الفن المعول عليه، والمستند في حل المشكلات إليه»⁸⁴⁶.

ثانياً: مسائل النحو في تفسير الشعراوي:

مع صعوبة النحو ومشقة تبليغهما إلى كثير من عوام الناس، إلا أن الشعراوي استطاع أن يقدم درسه بطريقة سهلة وبصورة ممتعة شيقة جعلت بسطاء الناس يتعلقون بالنحو ومسائله والصرف وقضاياه، ونحن نريد في هذا المقام إظهار هذه المسائل وتبيان مدى تأثيرها في الجملة القرآنية وعلاقتها بالتفسير؛ إذ كان ديدن الشعراوي جعل هذين العلمين في خدمة كتاب الله تعالى ولصيانة اللغة العربية، ونحن لا نبحت عن التقعيد النحوي بقصد ما نبحت عن كيفية التزام الشعراوي بالمنهج اللغوي وقضاياه في تأدية المعنى المراد من الآيات، والمقام لا يسعنا أن نذكر كل ما أورده من تعليقات وشروح، ولهذا اعتمدنا الاختصار على بعضها وأهمها في إتيان المعنى.

⁸⁴³- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق: يحي بشير مصري، 22/1.

⁸⁴⁴- شرح التسهيل، ابن مالك، 3/1.

⁸⁴⁵- متن الأجرومية، أبو عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي، دار الصمعي للنشر والتوزيع، السعودية،

ط1، 1998، ص5.

⁸⁴⁶- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 101/1.

وفيما يلي نذكر أهم مواضع النحو التي اخترناها ورأينا أن الامام الشعراوي أبرزها واجتهد في تعريفها بغية منه تبيان المعنى واطهاره للسامعين والمخاطبين ومنها: ما يتعلق بالاسم من: (الجملة الاسمية، الفاعل، الاستثناء، التمييز)، وما يتعلق بالفعل من: (الفعل المبني للمعلوم، الفعل المبني للمجهول، أسماء الأفعال، النواسخ)، وما يتعلق بحروف المعاني من: (حروف النصب، حروف الجر، حروف العطف، حروف التنفيس، حروف الجواب حروف التفسير، ومعاني حروف الزيادة).

1- الأسماء:

عالج الشعراوي دلالة الأسماء في القرآن الكريم، من ذلك ما نجد في قوله تعالى:

﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾⁸⁴⁷، فقد جاء بالاسم المحدد لكل من القسمين:

"شقي" و"سعيد"؛ لأنَّ الاسم يدل على الثبوت، فالشقاء ثابت لمن نُعت بالشقي؛ والسعادة ثابتة لمن نُعت بالسعيد، ثم يبيِّن لنا الحق منازل مَنْ شَقُوا، ومنازل مَنْ سَعِدُوا؛ ولذلك يعدل عن استخدام الاسم إلى استخدام الفعل، فيقول

سبحانه⁸⁴⁸: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾⁸⁴⁹؛ أي فمن أهل الموقف من

هو شقي أزلاً وسيدخل النار، ومنهم سعيد أزلاً وسيدخل الجنة ، وذلك عائد إلى ما كتب لكل إنسان من شقاوة أو سعادة في كتاب المقادير، أولاً، ولما كسبوا من خير وشر ثانياً.

فالشقي هي صفة مشبهة من الفعل "شَقَى"، وهو الشخص المتلبس بالشقاء والشقاوة ؛ أي سوء الحالة وشرها وما ينافر طبع المتصف بها، والسعيد هو الشخص المتلبس بالسعادة التي هي الأحوال الحسنة الخيرة الملائمة للمتصف بها⁸⁵⁰.

⁸⁴⁷ - سورة هود: الآية: 105.

⁸⁴⁸ - سورة هود، الآية: 106.

⁸⁴⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6682/11.

⁸⁵⁰ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 164/12.

وفي سياق متصل نلاحظ أنّ الأسلوب هنا مختلف في { سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ } فلم

يقول: "أدعوتموهم أم صمتم"؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ

أَهْدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

صَامِتُونَ﴾⁸⁵¹، يجب الشعراوي على هذا السؤال فيقول: "لأنّ الفعل يقتضي

الحدوث، ولنا أن نعرف أنهم كانوا لا يفزعون إلى آلهتهم إلاّ عند الأحداث الجسام ،
أما بقية الوقت فقد كانوا لا يكلمونهم أبداً؛ لذلك جاءت "صامتون" لازمة، لأنها
اسم، والاسم يقتضي الثبوت والاستمرار، أما الفعل فيقتضي الحدوث والتجدد"⁸⁵².

ورأى سيبويه أنّ لفظة "صَامِتُونَ" و"صَمْتُمْ" تدل على معنى واحد⁸⁵³، بينما رأى
الزمخشري أنّ صيغة "صَامِتُونَ" دالة على استمرار صمتهم⁸⁵⁴، وقد علل أبو حيان
مجيء الآية على النحو بقوله: "صَمَتَ يَصْمَتُ بضم الميم "صَمَتًا و صَمَاتًا " سكت
و"اصمت"، وهي مسماة بفعل الأمر قُطعت همزته إذ ذاك قاعدة في تسمية بفعل فيه
همزة وصل، وكسرت الميم لأنّ التغيير يأنس بالتغيير ولئلا يدخل في وزن ليس في
الأسماء"⁸⁵⁵.

والظاهر أنّ الخطاب للكفار انتقل من الغيبة إلى الخطاب على سبيل الالتفات والتوبيخ
على عبادة غير الله ويدلّ على أنّ الخطاب للكفار، وهو ما أشار إليه الطاهر ابن
عاشور فقال: «مُقتضى الظاهر أن يقال: وإن يدعوهم إلى الهدى لا يتبعوهم، فيكون
العدول عن طريق الغيبة إلى طريق الخطاب التفاتاً من الغيبة إلى الخطاب توجهاً إليهم
بالخطاب؛ لأنّ الخطاب أوقع في الدمغ بالحجة .. فيكون العدول إلى الجملة الاسمية
ليس له مقتضى من البلاغة بل هما عند البليغ سيان ، ولكن العدول إلى الاسمية من

⁸⁵¹ - سورة الأعراف، الآية: 193.

⁸⁵² - ينظر: تفسير الشعراوي، 4522/8.

⁸⁵³ - ينظر: الكتاب، سيبويه، 435/1.

⁸⁵⁴ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 543/2.

⁸⁵⁵ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 435/4.

مقتضى الفصاحة لأنّ الفواصل والأسجاع من أفانين الفصاحة وفيهما تظهر براعة الكلام إذ يكون فيه إيفاء بحق الفاصلة مع السلامة من التكلف كما تظهر براعة الشاعر في توفيته بحق القافية إذا سلم مع ذلك من التكلف»⁸⁵⁶.

ونجد في موضع آخر دلالة المغايرة بين الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد ، والاسمية الدالة على الثبوت والاستقرار للتركيبين في: ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾، و﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في

سياق قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا

وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

مُسْتَهْزِءُونَ﴾⁸⁵⁷.

يقول الشعراوي: «وهناك في اللغة جملة اسمية وجملة فعلية، فالجملة الفعلية تدل على التجدد، والجملة الاسمية تدل على الثبوت، فالمنافقون مع المؤمنين يقولون آمنا، إيمانهم غير ثابت متذبذب، وعندما يلقون الكافرين، لو قالوا لم نؤمن، لأخذت صفة الثبات، ولكنهم في الفترة بين لقائهم بالمؤمنين، ولقائهم بالكافرين، الكفر متجدد»⁸⁵⁸.

وهذا الوجه أورده ابن الزبير الغرناطي في ملاك التأويل؛ إذ ذكر أنّ المنافقين قالو "آمنا" بالفعل الماضي، وليس من وضعه إعطاء الدوام في الأكثر، وأخبر عن قولهم لإخوانهم وشياطينهم بقولهم: "إننا معكم" فجاءوا بالاسم إعلماً بصفتهم التي هي عليها مستمرين⁸⁵⁹. فقد خاطبوا المؤمنين بالصيغة الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد آمنا، وخاطبوا إخوانهم وشياطينهم بالصيغة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام إننا معكم. وهذا ما أشار إليه الشعراوي.

أ- الفاعل:

⁸⁵⁶ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 219/9-120.

⁸⁵⁷ - سورة البقرة، الآية: 14.

⁸⁵⁸ - تفسير الشعراوي، 160/1.

⁸⁵⁹ - ينظر: ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،

ط1، 1983، 528/1.

جاء في شرح الأشموني أن «الفاعل هو الاسم الذي أُسند إليه فعل تام، أصلي الصيغة، أو مؤول به»⁸⁶⁰، نحو: "فَازَ الْمُجْتَهِدُ" و"السَّابِقُ فَرَسُهُ فَائِزٌ".

يعرض الشعراوي سر مجيء الفعل "أَنْصَحُ" في قوله تعالى على لسان نوح:

﴿أَبْلِغْكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ﴾⁸⁶¹، وفي آية أخرى بالاسم "نَاصِحٌ"

في قوله تعالى على لسان عاد: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾⁸⁶². فلماذا جاء

التَّرْكِيبُ الأوَّلُ باستعمال المسند فعلاً، وفي التَّرْكِيبِ الثَّانِي جاء المسند اسماً؟

فلقد قال: {أَنْصَحُ لَكُمْ} في قوم نوح لأنَّ الفعل دائماً يدل على التجدد، بينما يدل

الاسم على الثبوت، ونظراً إلى أن نوحاً عليه السلام كان يلحّ على قومه ليلاً ونهاراً

وإعلاناً وسراً، لذلك جاء الحق بالفعل: {أَنْصَحُ لَكُمْ} ليفيد التجدد، ولكن في حالة

قوم هود "عليه السلام" جاء سبحانه بما يفيد الثبوت وهو قوله: {نَاصِحٌ أَمِينٌ}؛ لأن

هوداً عليه السلام لم يلح ويكرر على قومه في دعوتهم إلى الإيمان كما كان يفعل نوح

عليه السلام⁸⁶³.

وقد علق الإمام الرازي⁸⁶⁴ والبقاعي على دلالة التلويح بين الفعلية والاسمية، بأنه لما

كان الضلال من صفات الفعل اكتفي بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث في قوله:

"وَأَنْصَحُ" وقصر الفعل ودل على تخصيص النصح بهم ومحضه لهم... أما قوله: "أَنَا لَكُمْ

نَاصِحٌ"؛ أي لم يزل النصح من صفتي وليس هو اكتسبه بل غريزة في⁸⁶⁵، وهو

معروف بالنصح والأمانة مشهور بين الناس، فما لهم أن يتهموه م بشيء مما ذكروه؛

وعلى هذا لا يقدر للوصفين متعلق، ويحتمل تقديرهما، "نَاصِحٌ لَكُمْ فِيمَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ

⁸⁶⁰ - حاشية الصبان، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة

التوفيقية، مصر، (د،ت)، 59/2.

⁸⁶¹ - سورة الأعراف، الآية: 62.

⁸⁶² - سورة الأعراف، الآية: 68.

⁸⁶³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4210/7.

⁸⁶⁴ - ينظر: التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، الرازي، 156/14.

⁸⁶⁵ - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، 436-430/7.

أَمِينٌ عَلَى مَا أَقُولُ لَكُمْ لَا أَكْذِبُ فِيهِ"⁸⁶⁶، وفي هذا العدول عن الفعلية إلى الاسمية ما لا يخفى، ولعل التعبير بالفعلية لتجدد النصح من نوح دون هود عليهما السلام.

وفي معرض آخر عرض الشعراوي ما يصلح فاعِلاً ومفعولاً في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾⁸⁶⁷، فقال: "حَاجَّ" من مادة "فَاعَلَ" التي

تأتي للمشاركة، نحن نقول: قَاتَلَ زَيْدٌ عَمْرًا، أو نقول: قَاتَلَ عَمْرٌو زَيْدًا، ومعنى ذلك أَنَّ كُلاًَّ مِنْهُمَا قَدْ تَفَاتَلَ، وكلاهما فاعل ومفعول في الوقت نفسه، لكننا غلبنا جانب الفاعل في واحد، وجانب المفعول في الثاني. برغم أَنَّ كُلاًَّ مِنْهُمَا فاعل ومفعول معاً ، ولذلك يقول الشاعر⁸⁶⁸:

قَدْ سَأَلَمَ الْحَيَاتُ مِنْهُ الْقَدَمَ الْأَفْعُونَ وَالشَّجَاعَا الشَّجَعَمَا

إنَّ الشَّاعِرَ هُنَا يَصِفُ لَنَا إِنْسَانًا سَارَ فِي مَكَانٍ مَلِيءٍ بِالْحَيَاتِ، وَعَادَةً مَا يَخَافُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَلْدَغَهُ حَيَّةٌ، لَكِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ قَدْ سَأَلَمَتِ الْحَيَاتُ قَدَمَهُ، أَي لَمْ تَلْدَغْهُ لِأَنَّهُ لَمْ يَهْجُهَا، نَجِدُ هُنَا أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ الْحَيَاتُ؛ لِأَنَّهَا سَأَلَمَتِ قَدَمَهُ. وَيَصِحُّ أَيْضًا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْقَدَمَ هِيَ الَّتِي سَأَلَمَتِ الْحَيَاتُ.

هُنَا جَاءَتْ "الْحَيَاتُ" فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنَ الشَّعْرِ مَرْفُوعَةً وَلَكِنِ الْأَفْعُونَ جَاءَتْ فِي الْبَيْتِ مَنْصُوبَةً مَعَ أَنَّهَا بَدَلٌ مِنْ مَرْفُوعٍ هُوَ "الْحَيَاتُ" لِأَنَّهُ لَاحِظٌ مَا فِيهَا أَيْضًا مِنَ الْمَفْعُولِيَّةِ فَاتَى بِهَا مَنْصُوبَةً. كَمَا أَنَّ بِالْإِمْكَانِ أَنْ تُقْرَأَ "الْحَيَاتُ" بِالنَّصْبِ وَ"الْقَدَمُ" بِالرَّفْعِ لِأَنَّ كِلَا مِنْهُمَا فاعِلٌ وَمَفْعُولٌ مِنْ حَيْثُ الْمَسْأَلَةُ⁸⁶⁹.

إنَّ كَلَامَ الشَّعْرَاوِيِّ فِي هَذَا الْبَيْتِ مُوَافِقٌ لِمَا ذَكَرَهُ سَيَّبُويهِ، بِرَفْعِ الْحَيَاتِ وَنَصْبِ الْقَدَمِ وَنَصْبِ الْأَفْعُونَ، وَمَا بَعْدَهُ بِفِعْلِ مَضْمَرٍ دَلَّ عَلَيْهِ سَأَلَمَ لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهَا مُسْأَلَةٌ كَمَا أَنَّهَا مُسْأَلَةٌ فَكَأَنَّهُ قَالَ فِي مَا بَعْدَ وَسَأَلَمَتِ الْقَدَمَ الْأَفْعُونَ وَالشَّجَاعَ وَالشَّجَعَا.

⁸⁶⁶ - ينظر: روح المعاني، الألويسي، 118/6.

⁸⁶⁷ - البقرة، الآية: 258.

⁸⁶⁸ - هو من أرجوزة لأبي حيان الفقعسي، وقيل: لمساور بن هند العبسي. ينظر: معاني القرآن، الفراء،

.11/3

⁸⁶⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1126-1152/2.

فالشعراوي يرجح الحمل على المعنى في هذا الباب، باب المفاعلة وذلك لأنّ كلا من الفاعل والمفعول قد فعل بصاحبه مثل ما فعل به، فكلاهما فاعل ومفعول في الوقت نفسه، وعليه فيجوز جعل أحدهما فاعلاً في اللفظ، والآخر مفعولاً والعكس، وإنّ تغليب جانب الفاعلية في الأول أولى، لأنّه هو الذي يبدأ غالباً، فإبراهيم عليه السلام مفعول وفاعله هو الذي بدأ بالمحاجة وهو النمرود، وإنّ إبراهيم عليه السلام فاعل أيضاً لكنه حمل المعنى فنُصب على المفعولية.

ب- الاستثناء:

الاستثناء من أهمّ المباحث النحوية التي وقف عندها علماء العربية، وهو إخراج ما بعد "إلاً" أو إحدى أخواتها من أدوات الاستثناء من حكم، مثل: جَاءَ الْقَوْمُ إِلَّا عَلِيًّا. وذهب الفراء إلى أنّ "إلاً" مركبة من "أنّ" و"لا" ثم خففت "أنّ" وأدغمت في "لا" فهي تنصب في الإيجاب بـ "أنّ" وترفع في النفي اعتباراً بـ "لا" اعتباراً⁸⁷⁰. وللإستثناء أدوات، منها: "إلاً" وسوى، وخلا، وعدا وليس وحاشا⁸⁷¹، وقد اخترنا "إلاً" باعتبارها أم الأدوات⁸⁷²، وأكثرها حضوراً في الذكر الحكيم. وقد قسم العلماء الاستثناء إلى تام، وموجب، ومفرغ، ومتصل، ومنقطع.

1- الاستثناء المتصل:

أطلق بعضهم عليه مصطلح "الصحيح"⁸⁷³ لعدم لجوء النحويين فيه إلى التأويل أو التقرير أو الحمل على المجاز في حال إخراج المستثنى مما دخل فيه المستثنى منه⁸⁷⁴، و

⁸⁷⁰ - ينظر: أسرار العربية، الأنباري، تحقيق، محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (د،ت)، ص 235.

⁸⁷¹ - ينظر: الاستغناء في الاستثناء، شهاب الدين القرافي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 29.

⁸⁷² - ينظر: الكتاب، سيبويه، 309/2، وينظر: المقتضب، المبرد، 391/4، وينظر: اللمع في العربية، ابن جني، ص 212، وينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، 77/2، وينظر: مذكرة أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، دار القلم، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 225.

⁸⁷³ - ينظر: الأصول في النحو، بن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1969، 290/1.

هو ما كان المستثنى فيه بعضاً من المستثنى منه نحو: "سَافَرَ الرَّجُلُ إِلَّا سَعِيدًا"⁸⁷⁵، وهو واضح ولا شبه فيه.

ومن أمثلة ما عرضه الشعراوي في هذا الجانب قوله تعالى: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾⁸⁷⁶. فمن هم أهل لوط الذين أنجاهم

الله معه؟ أهم أهل النسب أم أهل التدين والتبعية؟

يجيب الشعراوي فيقول: «إنَّ كان أهله بالنسب فالحق يستثنى منهم "إمرأته"، وهذا دليل على أنَّ أهل البيت آمنوا بما قاله لوط وكذلك الأتباع أيضاً ، إذن كان مع لوط أيضاً بعض من أهله وبعض من الأتباع، وكانوا من المتطهرين... وإنَّ امرأة سيدنا لوط لم تدخل في الإنجاء؛ لأنَّها من الغابرين»⁸⁷⁷.

فهو استثناء موجب ذكره النحاس في إعراب القرآن⁸⁷⁸، وجاء في الدرر المصون بهذه الصيغة⁸⁷⁹، وفي روح المعاني⁸⁸⁰، فالمستثنى "امرأته" استثناء متصل منصوب، والمستثنى منه "الأهل".

2- الاستثناء المنقطع:

⁸⁷⁴ - ينظر: الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، كاظم ابراهيم كاظم، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط1،

2000، ص33.

⁸⁷⁵ - ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، (د،ت)، 212/2.

⁸⁷⁶ - سورة الأعراف، الآية: 83.

⁸⁷⁷ - تفسير الشعراوي، 4230/7.

⁸⁷⁸ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، ص 296.

⁸⁷⁹ - ينظر: الدرر المصون، السمين الحلبي، 373/5.

⁸⁸⁰ - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 409/3.

الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ

السَّجِدِينَ ﴿⁸⁸¹؛ أي أن إبليس ليس من الملائكة؛ بل من الجن ⁸⁸².

وقد تطرق الشعراوي لهذا الاستثناء دون أن يذكر نوعه، ذلك في قول الحق:

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ

مَعَ السَّجِدِينَ﴾ ⁸⁸³؛ فالملائكة الأعلى من البشر، ذلك أن هناك ملائكة

أعلى منهم؛ وهم الملائكة المهيمون المتفرغون للتسبيح فقط، وقد جاء الحديث هنا عن إبليس؛ بالاستثناء وبالعقاب الذي نزل عليه؛ فكأن الأمر قد شمله، وإذا كان إبليس قد عُوقب؛ فذلك لأنه استثنى من السجود امتناعاً وإباءً واستكباراً؛ فهل هذا يعني أن إبليس من الملائكة؟ لا؛ ذلك أن هناك نصاً صريحاً يقول في الحق سبحانه:

﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ⁸⁸⁴،

وهكذا حسم الحق سبحانه الأمر بأن إبليس ليس من الملائكة؛ بل هو من الجن؛ والجن جنس مختار كالإنس؛ يمكن أن يُطيع، ويمكن أن يعصي ⁸⁸⁵.

وقد وقع خلاف بين المفسرين في هذا الاستثناء بين من يقول أنه متصل ومن يقول أنه منفصل.

⁸⁸¹ - سورة الحجر، الآيتان: 30-31.

⁸⁸² - ينظر: معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، 213-212/2.

⁸⁸³ - سورة الحجر، الآيتان: 30-31.

⁸⁸⁴ - سورة الكهف، الآية: 50.

⁸⁸⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 7696-7695/9.

فالرأي الأول اعتبر هذا الاستثناء متصلاً لكونه كان من جنس الملائكة ، ولكنه أبي ذلك استكباراً واستعظماً لنفسه وحسداً لآدم فحقت عليه كلمة الله⁸⁸⁶ .

والرأي الثاني الذي قال فيه أصحابه إن الاستثناء منفصل بناء على عدم كونه منهم، وعدم تغليبهم عليه، و إبليس أبي أن يكون مع الساجدين ؛ لأن عدم السجود قد يكون مع التردد، فبين سبحانه أنه كان على وجه الإباء⁸⁸⁷ .

والوجه الجامع والذي نراه يجمع الرأيين هو ما طرحه الزمخشري، إذ اعتبر أن إبليس كان من الملائكة؛ لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود، فغلب اسم الملائكة، ثم استثنى بعد التغليب كقولك: "رَأَيْتَهُمْ إِلَّا هِنْدًا"⁸⁸⁸ .

ووجود إبليس مع الملائكة لا يستلزم أن يكون منهم، وإنما هو معهم بالمجاورة أو

المصاحبة أو غير ذلك بدليل الآية الكريمة -وهـ ي قوله تعالى- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ

مِنَ الْجِنِّ﴾⁸⁸⁹؛ فالآية صريحة في أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة ، وبدليل

الحديث الصحيح الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ }⁸⁹⁰ ، ومع هذا فإن الأمر بالسجود يشملهم، بدليل قوله

تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾⁸⁹¹ ، وهو ما عبّر عنه

الشعراوي.

3- الاستثناء المفرغ:

886 - ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، 568/2.

887 - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 46/14.

888 - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 405/3.

889 - سورة الكهف، الآية: 50.

890 - ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 576/10.

- سورة 891

هو ما حذف من جملته المستثنى منه، والكلام غير موجب، فلا بد من الأمرين معاً، نحو: ما تُكلم إلا واحداً، والأصل قبل الحذف: ما تُكلم الناس إلا واحداً، ثم حذف المستثنى منه فوقع التغيير بسبب حذفه⁸⁹².

﴿إن﴾

وقد تناول الشعراوي الاستثناء المفرغ ولم يذكر مصطلحه في قوله تعالى:

نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ⁸⁹³؛ أي: "مَا نَقُولُ إِلَّا أَعْرَبَكَ". وهكذا نعلم أن كلمة

"إن" هنا جاءت بمعنى النفي. و"إلا" هي أداة استثناء، وقبلها فعل هو "نقول"، وإذا وجدت أداة استثناء، ولم يذكر المستثنى منه صراحة، فاعلم أنه واحد من ثلاثة: إما أن يكون مصدر الفعل، وإما أن يكون ظرف الفعل، وإما أن يكون حال الفعل⁸⁹⁴.

إن الآية التي عرضها الشيخ هي من باب الاستثناء المفرغ الذي يقتضي فيه أن يكون الكلام غير تام، وغير موجب، حيث حذف في الآية المستثنى منه، وهو مقدر في الآية بأنه مصدر الفعل "نقول" وأن "اعتراك" مفعول للفعل "نقول" والتقدير: "أَنْ نَقُولُ إِلَّا قَوْلًا هُوَ اعْتَرَاكَ"، وهذا قول الزمخشري⁸⁹⁵، والسمين الحلبي⁸⁹⁶، وأيده الشعراوي.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾

وفي موضع آخر يقدم الشعراوي "إلا" بمعنى "غير"؛ في قوله تعالى

ءِ آلهةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا⁸⁹⁷؛ معنى {إِلَّا اللَّهُ} إلا: أداة استثناء تُخرج ما بعدها

عن حكم ما قبلها كما لو قلت: جاء القومُ إلا محمداً، فقد أخرجت محمداً عن حكم القوم وهو الجيء. وهنا "إلا" في الآية ليست استثناء، يعني: لو كان هناك آلهة، الله خارج عنها لفسدت السماوات والأرض. إذن: ما الحال لو قلنا: لو كان هناك آلهة

⁸⁹² - ينظر: النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، ط3، مصر، (د،ت)، 317/2.

⁸⁹³ - سورة هود، الآية: 54.

⁸⁹⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي 6506/11

⁸⁹⁵ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 208/3.

⁸⁹⁶ - ينظر: الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 342/6.

⁸⁹⁷ - سورة الأنبياء، الآية: 22.

والله معهم؟ معنى ذلك أنها لا تفسد. فإلا إن حقت وجود الله، فلم تمنع الشركة مع الله، وليس هذا مقصود الآية، فالآية تقرر أنه لا إله غيره. إذن: (إلاّ هنا ليست أداة استثناء. إنما هي اسم بمعنى (غير) ⁸⁹⁸ .

فالشعراوي بحسه النحوي يميز بين معنى أداة الاستثناء في هذه الآية، وقد ذكر الكسائي وسيبويه ⁸⁹⁹ والأخفش والرجاج ⁹⁰⁰ وجمهور النحاة: أن "إلاّ" هنا ليست للاستثناء بل بمعنى "غير" صفة للآلهة، ولذلك ارتفع الاسم الذي بعدها وظهر فيه إعراب غير التي جاءت إلا بمعناها، ومنه قول الشاعر ⁹⁰¹:

وَكُلُّ أَخٍ مُفْلِقُهُ أَخُوهُ لَعَمْرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرَقْدَانِ

والمعنى: كلُّ أخٍ غيرَ الفرقَدين مُفَارِقُهُ أَخُوهُ.

وقد رجّح الفراء أن تكون "إلاّ" هنا بمعنى "سوى"، والمعنى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ سِوَى اللَّهِ لَفَسَدَ أَهْلُهَا"؛ يعني أهل السماء والأرض ⁹⁰²، ووجه الفساد أن كون مع الله إلهاً آخر يستلزم أن يكون كل واحد منهما قادر على الاستبداد بالتصرف، فيقع عند ذلك التنازع والاختلاف ويحدث بسببه الفساد، وفيه إرشاد للعباد أن يُترهوا الرب سبحانه عما لا يليق به.

وفي سياق آخر رأى الشعراوي أن "إلاّ" في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

أَلْحَى الْقَيُّومُ﴾ ⁹⁰³؛ ليست للاستثناء؛ بل بمعنى "غير"، فالآية جاءت لتحقّق لنا

صفة التوحيد، وأن "إلاّ" هنا ليست أداة استثناء؛ لأنها لو كانت أداة استثناء فكأنك تنفي أن توجد آلهة ويكون الله من ضمن هذه الآلهة التي نفيتها وذلك غير صحيح.

⁸⁹⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 9507/15، وينظر: 6448 / 11

⁸⁹⁹ - ينظر: الكتاب، سيبويه، 331/2.

⁹⁰⁰ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 388/3.

⁹⁰¹ - ينظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي، 421/3.

⁹⁰² - ينظر: معاني القرآن، الفراء، 204/2.

⁹⁰³ - سورة البقرة، الآية: 255.

وإنما المراد أنه لا آلهة أبداً غير الله فهو واحد لا شريك له، وأنه لا معبود بحق إلا هو⁹⁰⁴.

فقد ذكر الشعراوي أن "إلا" ليست للاستثناء؛ وإنما هي بمعنى "غير"؛ أي لا إله غير الله، وهذا الموقف في الرأي لم نجده لا عند اللغويين أمثال الزجاج⁹⁰⁵ أو النحاس⁹⁰⁶، ولا عند المفسرين أمثال ابن عطية⁹⁰⁷، أو القرطبي⁹⁰⁸، وقد انفرد بهذا الرأي الشعراوي وهو غير مقبول؛ لأنَّ حمل المعنى على حقيقة وظاهره أولى من تضمينه، ودلالة حرف الاستثناء "إلا" في الآية مبلغة وموضحة مراد الآية، وصريح الآية كما يقول الماوردي أنها مُخرَجة مخرج النفي، أن يصح إله سوى الله، وحقيقته إثبات إله واحد وهو الله، وتقديره: الله الإله دون غيره⁹⁰⁹، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ﴾⁹¹⁰؛ بدل من خبر "لا"

المحذوف؛ لأنَّ التقدير: "لا إله حق إلا هو"؛ والبدل في الحقيقة هو المقصود بالحكم⁹¹¹. وجملة "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" خير أول عن اسم الجلالة، والمقصود من هذه الجملة إثبات الوحدانية⁹¹²؛ أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقاً أن يكون عبداً لربه، ممثلاً لأوامره ومجتنباً نواهيه، وكل ما سوى الله تعالى باطل، لكون ما سوى الله مخلوقاً ناقصاً مدبراً فقيراً من جميع الوجوه.

⁹⁰⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1091/1.

⁹⁰⁵ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 336/1.

⁹⁰⁶ - ينظر: إعراب القرآن، النحاس، 106/1.

⁹⁰⁷ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 340/1.

⁹⁰⁸ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 267/4.

⁹⁰⁹ - ينظر: النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: عادل الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص342.

⁹¹⁰ - سورة البقرة، الآية: 255.

⁹¹¹ - ينظر: تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط1،

2008، 350/1.

⁹¹² - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 17/3.

لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنِّهَا لَمِنَ

الْغَابِرِينَ⁹¹³. يقول الشعراوي: «ونعلم في اللغة أنه إذا توالى استثناءات على

مُسْتَثْنَى مِنْهُ؛ نَأْخُذُ الْمُسْتَثْنَى الْأَوَّلَ مِنَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، وَالْمُسْتَثْنَى الثَّانِي نَأْخُذُهُ مِنَ الْمُسْتَثْنَى الْأَوَّلِ، وَالْمُسْتَثْنَى الثَّلَاثَ نَأْخُذُهُ مِنَ الْمُسْتَثْنَى الثَّانِي، وَالْمِثْلُ أَنْ يَقُولَ لَكَ مِنْ تَدِينِهِ "لَكَ عَشْرَةٌ جُنَيْهَاتٍ إِلَّا أَرْبَعَةً"؛ أَي: أَنَّهُ أَقْرَبُ بِأَنَّ لَكَ سِتَّةَ جُنَيْهَاتٍ؛ وَلَكِنْكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ كَمْ سَدَّدَ إِلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: "لَكَ إِلَّا دِرْهَمًا" وَهَكَذَا يَكُونُ قَدْ أَقْرَبُ بِسَبْعَةِ دِرَاهِمٍ كَدَيْنٍ؛ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ أَقْرَبُ بِسِتَّةٍ.

والحق هنا يستثني امرأة لوط من الذين استثناهم من قبل للنجاة، وهم آل لوط، وامرأة لوط من الباقين في العذاب والاستثناء من النفي إثبات؛ ومن الإثبات نفي، فاستثناء امرأة لوط من الناجين يلحقها بالهالكين⁹¹⁴.

وإن كان الزمخشري قد طعن في هذا الطرح، وذكر أن الآية ليست على قبيل الاستثناء من شيء بحجة أن الحكم قد اختلف فيها؛ لأن الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه، وأن يقال: أَهْلَكْنَا هُمْ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِلَّا امْرَأَتَهُ⁹¹⁵. لكن أبا حيان قد صحح هذا الوجه والذي ذكره الشعراوي أيضا، وحمل الآية على وجهين أحدهما: أنه لما كان الضمير في لمنجوهم عائد على آل لوط، وقد استثنى منه المرأة صار كأنه مستثنى من آل لوط، لأن المضمرة هو الظاهر في المعنى.

والوجه الآخر أن قوله: {إِلَّا آلَ لُوطٍ} لما حكم عليهم بغير الحكم على قوم مجرمين اقتضى ذلك نجاحهم فجاء قوله: {إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ} تأكيداً لمعنى الاستثناء؛ إذ المعنى "إِلَّا آلَ لُوطٍ فَلَمْ يَرْسَلْ إِلَيْهِمْ بِالْعَذَابِ"⁹¹⁶، وعد بعض العلماء الآيتين

⁹¹³ - سورة الحجر، الآيتان: 59-60.

⁹¹⁴ - تفسير الشعراوي 7729/13 - 7730.

⁹¹⁵ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 3/396.

⁹¹⁶ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 5/448.

المذكورتين أنفاً من قبيل الاستثناء من الاستثناء وبه قال ابن عصفور⁹¹⁷، والسيوطي، وهو اختيار الشعراوي وصححه أبو حيان كما ذكرنا.

ت- التمييز:

التمييز يُذكر لبيان ما قبله من إبهام ذات أو نسبة، وهو اسم نكرة متضمن معنى "من" لبيان ما قبله من إبهام ذات أو نسبة⁹¹⁸. والمبين إبهام ذات: وهو الواقع بعد المقادير وشبهها، وبعد الأعداد وبعدها هو فرع له. والمقادير هي الوزن والكيل والمساحة. والمبين إبهام نسبة: وهو ما يبين إجمال نسبة شيء إلى شيء، وذلك نحو: "حَسُنَ مُحَمَّدٌ خُلُقًا" و "عَزَزَ أَخُوكَ عِلْمًا"⁹¹⁹. إنَّ وضع العدد مع المعدود في العربية لا يجري على نسق واحد فهو يختلف في الأعداد من الثلاثة إلى العشرة عنه في الأعداد المركبة والمعطوفة، ويختلف في المائة والألف عنهما.

ما يهمنا تمييز العدد من أحد عشر إلى تسعة وتسعين، فإنَّ المعدود يكون مع هذا العدد

مفرداً منصوباً نحو قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾⁹²⁰،

وقد يقع بعد الاسم جمعاً منصوباً نحو: أَقْبَلَ خَمْسَةَ عَشْرَ رَجَالًا، وقد يراد به التمييز على معنى الجماعات، نحو: أَقْبَلَ خَمْسَةَ عَشْرَ رَجَالًا، يكون المعنى أقبل خمس عشرة جماعة كل جماعة هي رجال⁹²¹، فإن قلت: عندي عَشْرُونَ رَجَالًا، كنت قد أخبرت أنَّ عندك عشرين كل واحد منهم جماعة رجال⁹²².

⁹¹⁷ - ينظر: شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق: صاحب أبو جناح، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1999، ص112.

⁹¹⁸ - ينظر: شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، 632/1.

⁹¹⁹ - ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، 273 / 2.

⁹²⁰ - سورة البقرة، الآية: 60.

⁹²¹ - ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، 289/2.

⁹²² - ينظر: شرح المفضل، ابن يعيش، 61/6.

وقد تحدث الشعراوي عن تمييز العدد، وأورد مجيء تمييز المؤنث مذكراً، في قوله تعالى:

﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَمًا﴾⁹²³، والأسباط في أولاد يعقوب

وإسحاق يقابلون القبائل في أولاد إسماعيل، ونعرف أن لفظ "اثْنَيْ" يدل على أنهم إناث، و"عَشْرَةَ" أيضاً إناث؛ لأننا نقول: "جَاءَنِي رَجُلَانِ اثْنَانِ" و"امْرَأَتَانِ اثْنَتَانِ"؛ أي اثنان للذكور واثنتان للإناث، وكلمة "اثْنَيْ عَشْرَةَ" عدد مركب وتمييزه يكون دائماً مفرداً، إذن "اثْنَيْ عَشْرَةَ" يدل على أنه مؤنث لكن المذكور هنا "سِبْطٌ"، وسبب مذكر، ولنا أن نعرف أنه إذا جمع صار مؤنثاً لأنهم يقولون: "كل جمع مؤنث" وأيضاً فالمراد بالأسباط القبائل، ومفردها قبيلة وهي مؤنثة، وقطعهم أي كانت لهم - من قبل - وحدة تجمعهم، فأراد الحق أن يلفتنا إلى أنهم من شيء واحد، فجاء بكلمة "أسباط" مكان قبيلة، وقبيلة مفردة مؤنثة، ويقال: "اثْنَيْ عَشْرَةَ قَبِيلَةً"، ولا يقال اثنتا عشرة قبائل، فوضع أسباطاً موضع قبيلة؛ لأن كل قبيلة تضم أسباطاً لذا جاء التمييز مذكراً⁹²⁴.

فلم يخرج الشعراوي عن أقوال النحاة ومنهم الزجاج⁹²⁵، وذكر هذا ابن الناظم على أنه ربما تميّز هذه العقود على قلة بجمع يصدق على الواحد منها، وهذا خلاف المعهود المذكور، فيقال: "عِنْدِي عِشْرُونَ دَرَاهِمًا" على معنى "عشرون شيئاً"، كل واحد منها دراهم⁹²⁶، ومعنى الآية: وقطعناهم اثْنَيْ عَشْرَةَ فِرْقَةً كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ أسباط لا سبب فوضع أسباطاً موضع قبيلة، ونظيره من بحر الرجز⁹²⁷:

تَبَقَّلْتُ فِي أَوَّلِ التَّبَقُّلِ بَيْنَ رِمَاحِ مَالِكٍ وَنَهْشَلِ

⁹²³ - سورة الأعراف، الآية: 160.

⁹²⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4392/7-4393.

⁹²⁵ - ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 383/2.

⁹²⁶ - شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص 251.

⁹²⁷ - قصيدة لأبي النجم العجلي، ينظر: حزانة الأدب، البغدادي، 390/2.

"وأماً" بدل من اثنتي عشرة بمعنى: وقطعناهم أماً لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد، وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف⁹²⁸، وهو رأي موافق لما ذكره الشعراوي.

وفي موضع آخر يبين الشعراوي سر مجيء قوله عز وجل: ﴿فَلَبِثُ فِيهِمْ أَلْفَ

سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾⁹²⁹، ولم يُقَلْ: فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً.

فالمسألة في منتهى الدقة، ولو لم يأت بالاستثناء في الآية، لظن السامع أن المسألة تقريبية، لكن التقريب في عدّ البشر، أما في حساب الحق فهو منتهى الدقة، كما لو سُئلت مثلاً عن الساعة، فتقول: "الساعة العاشرة إلا دقيقة ونصفاً"، يعني: منتهى ما في استطاعتك من حساب الوقت⁹³⁰.

فالمعدود بعد المائة والألف يأتي مفرداً مجزواً بالإضافة⁹³¹، ومن بيان القرآن أن يأتي على النسق الذي أراده الله؛ لأنه الأبلغ والأصلح، فلو قال الله: "تَسْعَمَائَةَ وَخَمْسِينَ سَنَةً" لجاز أن يتوهم إطلاق هذا العدد على أكثره⁹³²، ولأن في الاستثناء تحقيق العدد بخلاف الثاني، فقد يطلق على ما يقرب منه⁹³³.

ثم يتساءل الشعراوي عن سبب مجيء المميز أولاً بالسنة وثانياً بالعام، فقال: استثنى الأعوام من السنين، ليدلّك على أن السنة تعني أيّ عام، ويرفع الخلاف؛ لأن البعض يقول: إن السنة هي التي تبدأ من أول المحرم إلى آخر ذي الحجة، في حين أن السنة ليس من الضروري أن تبدأ بالمحرم وتنتهي بذي الحجة، إنما تبدأ في أي وقت وتنتهي في مثله بعد عام كامل⁹³⁴.

⁹²⁸ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 521/2.

⁹²⁹ - سورة العنكبوت، الآية: 14.

⁹³⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 11096/18.

⁹³¹ - ينظر: معاني النحو، فاضل السامرائي، 290/2.

⁹³² - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 450/4.

⁹³³ - ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، 258/4.

⁹³⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 11097/18.

وقد ذكر الزمخشري أن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرض ينتحي المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك⁹³⁵.

وهذه اللقطة السريعة من قصة نوح عليه السلام، هي لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن قومه وقفوا منه موقف العدا والمكابرة والتكذيب، فوجب التأنيس والمصابرة.

2- الأفعال:

لقد تكلم الشعراوي عن دلالة الأفعال سواء في الماضي أو المضارع أو الأمر، ولا يسعنا المقام إبراز كل ما قاله في هذا الشأن، وإنما انتقينا بعضها.

أ- بناء الفعل المبني للمعلوم:

عرف سيبويه الفعل فقال: «وَأَمَّا الْفِعْلُ فَأَمثلةٌ أَخَذَتْ مِنْ لَفْظِ أَحْدَاثِ الْأَسْمَاءِ، وَبُنِيَتْ لِمَا مَضَى، وَلِمَا يَكُونُ وَلِمَا يَقَعُ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ لَمْ يَنْقَطِعْ»، وأردف: فَأَمَّا بِنَاءِ مَا مَضَى فَذَهَبَ وَسَمِعَ وَمَكُثَ وَحُمِدَ، وَأَمَّا بِنَاءِ مَا لَمْ يَقَعُ فَإِنَّهُ قَوْلُكَ أَمْرًا: أَذْهَبَ وَأَقْتُلُ وَاضْرِبَ، وَمُخْبِرًا: يَقْتُلُ وَيَذْهَبُ وَيَضْرِبُ وَيُقْتَلُ وَيُضْرَبُ، وَكَذَلِكَ بِنَاءِ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ وَهُوَ كَائِنٌ إِذَا أُخْبِرْتَ»⁹³⁶.

ومما قدمه الشعراوي صيغة "سبح" بالماضي والمضارع والأمر، وقد جاءت في فواتح ثلاث سور هي: الحشر، والجمعة، والأعلى، وفي الإسراء استهل الحق قوله

ب: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾⁹³⁷ فـ "سُبْحَانَ" اسم يدلُّ على الثبوت

والدوام، فكأن تزيه الله موجود وثابت له سبحانه قبل أن يوجد المتره، كما نقول في الخلق، فالله خالق ومُتَّصِفٌ بهذه الصفة قبل أن يخلق شيئاً، فإذا وجد المتره تحوّل

⁹³⁵ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 4/450.

⁹³⁶ - الكتاب، سيبويه، 1/12.

⁹³⁷ - سورة الإسراء، الآية: 01.

الأسلوب من الاسم إلى الفعل، فقال سبحانه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁹³⁸، وهل سَبَّحَ وسكت وانتهى التسييح؟ لا، بل: ﴿يُسَبِّحُ

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁹³⁹ على سبيل الدوام والاستمرار،

وما دام الأمر كذلك والتسييح ثابت له، وتُسَبِّحُ له الكائنات في الماضي والحاضر، فلا

تتعاكس أنت أيها المكلف عن تسييح ربك، يقول تعالى: ﴿سَبَّحِ اسْمَ رَبِّكَ

الْأَعْلَى﴾⁹⁴¹.

فالتسييح هو تزيه لله تعالى تزيهاً مطلقاً، أن يكون له شبه أو مثل فيما خلق، لا في الذات ولا في الصفات، فلا صفات كصفاته، ولا في الأفعال، فليس في أفعال خلقه ما يُشبهه أفعاله تعالى.

وقد أشار بدر الدين بن جماعة إلى هذا المعنى، واعتبر أن هذه الصيغ تفيد الديمومة والاستمرار في تسييح الله في السموات والأرض، وقد جاء تسييح المخلوقات بصيغة الماضي أولاً مخبراً أن ذلك التسييح دائم لا ينقطع، وأنه باق ببقائه دائم بدوام صفاته الموجبات لتسييحه⁹⁴².

وتتبع الكرمانى صيغة "سَبَّحَ" في القرآن الكريم كله، وذكر أن المغايرة كائنة بين الماضي والمضارع في السياقات السابقة، وصيغة الأمر في سورة الأعلى، والمصدر في

938- سورة الحشر، الآية: 01.

939- سورة الجمعة، الآية: 01.

940- سورة الأعلى، الآية: 01.

941 - ينظر: تفسير الشعراوي، 8311/13-8312.

942 - ينظر: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ابن جماعة، تحقيق: عبد الجواد خلف، دار الوفاء

للطباعة والنشر، المنصورة، مصرن القاهرة، ط1، 1990، 348.

سورة الإسراء، وكلها جاءت استيعاباً واستيفاءً لهذه الصيغة من حيث الوجهة الدلالية لجميع صورها في سياقاتها المختلفة⁹⁴³.

وفي معرض آخر يعرض الشعراوي المغايرة في السياقين بين صيغتي الفعل والاسم بين "يُخْرِجُ" و "مُخْرِجٌ" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾^ط تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَمُخْرِجُ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى

تُؤَفِّكُونَ⁹⁴⁴، حيث جاء المعطوف فيها اسماً "مُخْرِجٌ" وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ

تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾⁹⁴⁵، حيث جاء المعطوف فعلاً "يُخْرِجُ".

ففي نظر الشعراوي أن لفظة ﴿يُخْرِجُ﴾ معناها أنه الله فلق وشق الحب والنوى لأجل أن يُخْرِجُ الحي من الميت، ولفظة ﴿مُخْرِجٌ﴾ هي مقابل لفالق، ولا نأخذها مقابل للجزئية، فسبحانه فالق الحب والنوى؛ أي قبل أن يوجد الحب والنوى الذي يفلقه، ومُخْرِجُ الحي من الميت هو صفة ثابتة في ذاته قبل أن يوجد متعلقها، وله صفة -أيضاً- بعد أن يوجد المتعلق، فإن أراد الصفة قبل أن يوجد المتعلق جاء بالاسم: "فالق ومُخْرِجٌ"، وإن كان يريد الصفة بعد أن توجد يقول: "يُخْرِجُ"⁹⁴⁶.

وقد اختلفت نظرة اللغويين والمفسرين في هذه المغايرة، وقد تساءل الاسكافي في الدرر عن سر عطف الاسم على لفظ الفعل ولم يعطف عليه لفظ الفعل؟ وبرر أن ﴿مُخْرِجٌ﴾ معطوف على اسم الفاعل ﴿فَالِقُ الْحَبِّ﴾ واللاحق في قوله تعالى: ﴿

943 - ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، الكرمانلي، ص 115.

944 - سورة الأنعام، الآية: 95.

945 - سورة يونس، الآية: 31.

946 - ينظر: تفسير الشعراوي، 3806-3805/6.

فَالِقُ الْإِصْبَاحِ⁹⁴⁷، وعدَّ ذلك من باب التَّنَاسُبِ والتَّنَاسُقِ اللَّفْظِيِّ في

التَّرْكِيبِ⁹⁴⁸، وذكر السَّمِينِ الحَلْبِيِّ، وجهين في اسم الفاعل "مُخْرِجٌ".

الأوَّل: أنه معطوفاً على فالتق.

والثَّانِي: أَنَّهُ معطوف على الفعل "يُخْرِجُ" ويؤول الفعل حينئذ بالاسم ، فكأنه "مُخْرِجاً في قُوَّةٍ يُخْرِجُ"، واستدلَّ بقول الشَّاعِرِ⁹⁴⁹:

يَا رَبِّ بَيْنَاءَ مِنَ الْعَوَاهِجِ أُمُّ صَبِيٍّ قَدْ حَبَا أَوْ دَارِجِ⁹⁵⁰

أي: أو أم صبي حابٍ⁹⁵¹.

فحس الشعراوي اللغوي جعله يفرق بين ﴿يُخْرِجُ﴾ و﴿مُخْرِجٌ﴾، وكلتا الصيغتين مناسبة لمقامها التي جاءت فيه، فلا يقال إحداهما بليغة، والأخرى غير بليغة؛ لأن الذي يتكلم ربُّ يعطي لكل لفظة وزنها، ويضع كل كلمة في موضعها الذي لا تُؤدِّيه كلمة أخرى.

وأكد أن الخطاب جاء مرة بالفعل المضارع ﴿يُخْرِجُ﴾ الدالَّ على الاستمرار والتجدُّد، وهي تنبيه المخاطبين بالألَّا يتعالوا ويتكبروا على خالقهم، ومرة باسم الفاعل ﴿مُخْرِجٌ﴾ الدالَّ على ثبوت الصفة وملازمتها للموصوف، لا مجرد حدث عارض⁹⁵².

وقد نحا فاضل السامرائي بجلالة أقرب إلى تحليل الشعراوي، حيث أفاد أن الفعل يدلُّ على الحدوث والتجدُّد، وأمَّا الاسم فيدلُّ على الثبوت، فاستعمل الفعل يخرج مع

⁹⁴⁷ - سورة الأنعام، الآية: 96.

⁹⁴⁸ - ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، الإسكافي، 53-52/1.

⁹⁴⁹ - شعر الرجز لجندب بن عمرو، ينظر: خزانة الأدب، البغدادي، 238 / 4.

⁹⁵⁰ - ينظر: العواهج: جمع عَوْهَجٍ، وهو في الأصل الطويلة العُنُق من الظباء، وأرادَ بها المرأة، حَبَا:

زَحَفَ، دَرَجَ الصَّبِيِّ: قَارَبَ بَيْنَ خُطَاهُ. ينظر: معجم النحو، عبد الغني الدقر، إشراف: أحمد عبيد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط3، 1986، ص 246.

⁹⁵¹ - ينظر: الدرر المصون في الكتاب المكنون، السمين الحلبي، 58-57/5.

⁹⁵² - ينظر: تفسير الشعراوي، 11346-11345/18.

الحيّ؛ لأنّ أبرز صفات الحيّ الحركة، واستعمل الاسم مخرج مع الميت؛ لأنّ الميت في حالة همود وسكون وثبات⁹⁵³.

ب- بناء الفعل المبني للمجهول:

جاء في كتاب سيبويه: «هذا باب ما جاء فُعِلَ منه على غير فَعَلْتَهُ" وذلك نحو: جُنَّ، وُسِّلَ، وُزِّكِمَ، ووُرِدَ، وعلى هذا قالوا: مَجْنُونٌ، وَمَسْئُولٌ وَمَحْمُومٌ، ومَوْرُودٌ»⁹⁵⁴.

وقد تناول الشعراوي اختلاف الصيغتين في "قُلْنَا" و"قِيلَ" في القرآن الكريم، حيث

وردت الصيغة الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾⁹⁵⁵،

بذكر الفاعل، والثانية جاءت بصيغة المبني للمجهول في قوله عزّ وج ل: ﴿وَإِذْ قِيلَ

لَهُمْ اَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾⁹⁵⁶.

فالقول الأول: {وَإِذْ قُلْنَا} وضعنا أمام لقطة توضح أنّ المصدر الأصيل في القول هو الله؛ ولأنهم أسباط ولكل سبط مشرب؛ لذلك يوضح هنا أنه أوحى لموسى. وساعة ما تسمع "وإذ" نعلم أنّ المراد "اذكر حين قيل لهم اسكنوا هذه القرية"، أما في قول الحق: {وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ} فلم يذكر الحق من القائل؛ لأنّ طبيعة الأمر في الأسباط أنه سبحانه جعل لكل سبط منهم عيناً يشرب منها، وكل سبط له نقيب، وهذا دليل على أنهم لا يتلفون؛ فلا يكون القول من واحد إلى الجميع، بل يصدر القول من المشرع الأعلى وهو الحق إلى الرسول(ص)، والرسول يقول للنقباء، والنقباء يقولون للناس⁹⁵⁷.

وهذا الاختلاف اللفظي بين الصيغتين رده الرّازيُّ لعلّتين:

953 - ينظر: التعبير القرآني، فاضل السامرائي، ص 23.

954 - الكتاب، سيبويه، 65/4.

955 - سورة البقرة، الآية: 58.

956 - سورة الأعراف، الآية: 161.

957 - ينظر: تفسير الشعراوي، 4400-4399/7.

أولها: إزالة الإبهام، وللسِّياق اللُّغويِّ السَّابِق في التَّرْكِيب، وهو تقدّم ذكر النَّعْم

﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾⁹⁵⁸، فناسب

التَّصْرِيح بالفاعل وإذا قلنا بنسبة القول إلى الله عزَّ وجلَّ.

الثاني: أمّا آية الأعراف فقد زال الإبهام الحاصل بعد تقدُّم التَّصْرِيح بالفاعل في آية البقرة، فكان المناسب بناء الفعل لما لم يُسَمَّ فاعله⁹⁵⁹.

ويستغلُّ الألوسي هذه المغايرة بين مبنى الفعلين؛ لينبّه على أنّ هذا الاختلاف جاء للتفنُّن في التعبير؛ لأنَّ هذا التفنُّن في الخطاب طريق البلغاء، وفيه دلالة على رفعة شأن المتكلم⁹⁶⁰، كما أفاد في آية الأعراف أنّ الفعل ورد بالبناء للمفعول فيها جرياً على سنن الكبرياء؛ وإيداناً بأنَّ الفاعل غيبيٌّ عن التَّصْرِيح به⁹⁶¹.

وإذا نظرنا إلى الصِّيغة "قِيلَ" محلاً للتَّحْلِيل، لوجدنا أنّ مقصود الآية هو: التَّنْبِيه على فعلتهم الشَّيْعة التي خالفوا فيها أمر الله بدخول مصر ساجدين، ووقوعهم في الكفر، وإعراضهم عن شكر الله تعالى، واتِّخاذهم العجل إلهاً من دون الله سبحانه، فوبَّخهم الله عزَّ وجلَّ ووصفهم بالجهل، وليس المقصود في نظرنا الاهتمام بالفاعل والتَّصْرِيح به؛ لأنَّ الغاية هي البنية الإخباريَّة لا البنية اللُّفْظيَّة في مقامها الأوَّل، وهو الرأْي الذي ذكره الشعراوي.

وفي مقام آخر يرى الشعراوي أنّ كلمة "يُهْرَعُونَ" من الألفاظ العجيبة في اللغة العربية

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُدُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾⁹⁶²، وألفاظ اللغة تجد فيها

فِعْلاً له فاعل، كقولنا: "يَضْرِبُ زَيْدٌ عَمْرًا" أي: أنّ الضَّارِب هو "زَيْدٌ" والمضروب هو

958 - سورة البقرة، الآية: 40.

959 - ينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، 93/3.

960 - ينظر: روح المعاني، الألوسي، 367/11.

961 - المصدر نفسه، 88/9.

962 - سورة هود، الآية: 78.

"عَمَرُوا"، ونقول: "يُضْرَبُ عمرو"؛ أي: أننا بَنَيْنَا الفعل للمجهول، وسُمِّي عمرو
"نائب فاعل".

أما في الفعل "يُهْرَعُ" فلا نجد أحداً يقول: "يُهْرَعُ" إلا ويكون بعدها فاعل وليس
نائب فاعل، مثلها مثل الفعل "جُنَّ" فهل هناك من يأتي لنفسه بالجنون؟ أم أن الجنون
هو الذي جاءه؟ ولذلك بُنيت الكلمة للمجهول، ولكن ما يأتي بعدها يكون فاعلاً،
وكذلك نقول: "زُكِمَ فلان" فمن الذي أصابه بالزكام؟ لا نعرف سبباً ظاهراً للزكام،
وهذا من إعجاز البيان القرآني⁹⁶³.

وعليه فإنَّ الفعل "يُهْرَعُونَ" إما أن يكون من الأفعال اللازمة للبناء للمجهول وما بعده
فاعل، وإما أن يكون مبنياً للمعلوم وحذف الفاعل⁹⁶⁴. واختيار الشعراوي أنَّ الفعل
"يُهْرَعُونَ" من الأفعال الملازمة للبناء للمجهول وما بعده فاعل لا نائباً عن الفاعل هو
الراجح؛ لأنَّ قراءة الجمهور عليه⁹⁶⁵، ولورود أفعال في اللغة على هذا النسق مثلما
ذكرنا سابقاً.

3- أسماء الأفعال:

اسمُ الفعل كلمة تدل على ما يدل عليه الفعل، غير أنها لا تقبل علامته. وهو إما أن
يكون بمعنى الفعل الماضي، مثل "هَيَّهَاتَ" بمعنى: "بَعُدَّ" أو بمعنى الفعل المضارع، مثل:
"أُفٍ" بمعنى: أتضحجر، أو بمعنى فعل الأمر، مثل: "آمِينَ" بمعنى: استجب.
أ- اسم الفعل "هَلُمَّ": وهو إما أن يكون بمعنى الفعل الماضي مثل "هَلُمَّ"، وتأتي

متعدية ولازمة بمعنى أقبل، فيتعدى بـ "إلى" مثل قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾⁹⁶⁶،

وبمعنى أحضره نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ﴾⁹⁶⁷.

963 - ينظر: تفسير الشعراوي، 6573/11.

964 - ينظر: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود الصافي، 320/6.

965 - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، 194/3.

966 - سورة الأحزاب، الآية: 18.

967 - سورة الأنعام، الآية: 150.

تناول الشعراوي أسماء الأفعال منها "هَلُمَّ" في قوله تعالى

﴿قُلْ هَلُمَّ﴾:

﴿قُلْ شَهِدَآءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾⁹⁶⁸،

والخطاب: {هَلُمَّ شَهِدَآءُكُمْ}، هو خطاب للجماعة، و"هَلُمَّ" يستوي فيها المفرد والمفردة والمثنى مذكراً كان أم مؤنثاً، والجمع مذكراً أو مؤنثاً، فتقول: هَلُمَّ يا زيد إليّ، و هَلُمَّ يا هند إليّ، وهَلُمَّ أيضاً لجماعة الذكور وجماعة الإناث، وهذه لغة الحجازيين. وتختلف عن لغة بني تميم التي يزيدون عليها فيقال: "هَلُمَّ يا رجل"، و"هلمني يا امرأة"، و"هلمنا، وهلموا، و لجمع الإناث هلممن".

والقرآن نزل بلغة قريش (الحجازيين)، والحق يقول: ﴿هَلُمَّ شَهِدَآءُكُمْ﴾⁹⁶⁹؛ أي

هاتوا وأحضروا شهداءكم أن الله حرّم هذا⁹⁷⁰، وفي قوله: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾⁹⁷¹؛ يعني

أقبل وتعال⁹⁷². و"هَلُمَّ" عند الخليل: هاء التنبيه ركب معها "لم" من قولك: لَمَّ الله شعثه، أي جمعه، ولما غير معناه بالتركيب، لأنه بمعنى: أقبل، أو أحضِر⁹⁷³.

وقال الكوفيون أصلها: "هَلَّا أُمَّ" وغيرت إلى "هَلْ" لتحقيق التركيب⁹⁷⁴، وزعم الفراء أن الصواب أن يقال: "هَلَمَّن"⁹⁷⁵، وأهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والمرأة

⁹⁶⁸ - سورة الأنعام، الآية: 150.

⁹⁶⁹ - سورة الأنعام، الآية: 150.

⁹⁷⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 3981/7.

⁹⁷¹ - سورة الأحزاب، الآية: 18.

⁹⁷² - ينظر: تفسير الشعراوي، 1168 /2.

⁹⁷³ - ينظر: الكتاب، سيبويه، 87/2، و ينظر: الخصائص، ابن جني، 278/1، و ينظر: شرح الرضى، ابن

الحاجب، 313/2.

⁹⁷⁴ - ينظر: شرح المفصل للزمخشري، شرح: علي ابن يعيش الموصلي، تقديم: اميل بديع يعقوب، دار

الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، 42/4.

⁹⁷⁵ - ينظر: شرح الرضى، ابن الحاجب، 315/2.

وللجماعة من الرجال والنساء هلم على لفظ واحد ⁹⁷⁶، وهذا الرأي الأخير ذكره الشعراوي والتزم به مما يدل على سعة اطلاعه من مؤلفات الأولين النحوية، وحسه اللغوي الذي يوجه الآراء ويختار منها الأنسب والأصلح لكلام الله تعالى.

2- اسم الفعل "أف":

هو اسم فعل مضارع بمعنى: أتضجّر، وهو صوت يدل على التضجر، ومعنى "أف" النّين، وقيل إنَّ "أف" وسخ الأظفار، والتّف الشيء الحقير نحو وسخ الآذان، ومقصود الآية: "لا تقل لهما ما فيه أذى بتبرم" ⁹⁷⁷، وقرئ: "أف" بالحركات الثلاث منوناً وغير منون: الكسر على أصل البناء، والفتح تخفيف للضمة، والتشديد كـ "ثم"، والضم إتباع كـ "منذ" ⁹⁷⁸. وإنَّ اسم الفعل يأتي للأمر كثيراً وللماضي والمضارع قليلاً، وصيغة "أف" و"أوه" صيغتان تدلان على الضجر والتوجع، وقد أنكر مجيئه للمضارع ابن الحاجب، وأثبتته غيره كابن مالك وابن هشام وأبو حيان ⁹⁷⁹ وتبعهم الشعراوي.

فقد قال في قوله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أُفٌّ﴾ ⁹⁸⁰، هي لفظة بسيطة، وهي قسرية

تخرج من صاحبها قهراً دون أن تمر على العقل والتفكير، وكثيراً ما نقولها عند الضيق والتبرم من شيء، فالحق سبحانه يمنعك من هذا التعبير القسري، وليس الأمر الاختياري {أف} اسم فعل مضارع بمعنى: أتضجر، وهذه الكلمة تدل على انفعال طبيعي ⁹⁸¹، والمعنى لا تقل لهما كلاماً تتبرم فيه بهما، والله جلا في علاه يُحذّرنا من قولها، ويأمرنا بأن نقالک مشاعرنا ونتحكّم في عواطفنا، ولا تنطق بهذه اللفظة.

4- النواسخ:

⁹⁷⁶- ينظر: الأصول في النحو، ابن السراج، 176/1، وينظر: المقتضب، المبرد، 26/3.

⁹⁷⁷- ينظر: معاني القرآن، الزجاج، 234/3.

⁹⁷⁸- ينظر: الكشاف، الزمخشري، 507/3.

⁹⁷⁹- ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 557-565/3.

⁹⁸⁰- سورة الإسراء، الآية: 23.

⁹⁸¹- ينظر: تفسير الشعراوي، 8460 / 14.

النواسخ كلمات تدخل على الجملة الاسمية فتنسخ حكمها؛ أي تغيره بحكم آخر، والمهم أن الجملة التي تدخل عليها هذه النواسخ هي جملة اسمية حتى إن كان الناسخ فعلاً.

أ- دلالة الفعل "كَانَ": يعد الفعل "كَانَ" من أكثر النواسخ الفعلية استعمالاً، فهي ترفع المبتدأ ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها، وهي فعل ناقص لأنها تدل على زمان فقط، أي أنها لا تدل على حدث، وبالتالي لا تحتاج إلى فاعل⁹⁸². تناول الشعراوي النواسخ أثناء تفسيره، وقدم الوظيفة البيانية والدلالية التي قامت من

أجلها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾

﴿⁹⁸³، فأين خبر كان في الآية؟

يرى الشعراوي أن كل فعل من الأفعال يدل على حدث وزمن، وكلمة {كَانَ} إن سمعناها دلت على وجود وحدث مطلق لم تبيّن فيه الحالة التي عليها اسمها، كان مجتهداً؟ كَانْ كَسُؤلاً؟ مثلاً فهي تدل على وجود شيء مطلق أي ليس له حالة، ومعنى ذلك أن {كَانَ} دلت على الزمن الوجودي المطلق؛ أي على المعنى المجرد الناقص، والشيء المطلق لا يظهر المراد منه إلا إذا قيّد، فإن أردت أن تدل على وجود مقيد ليتضح المعنى ويظهر، فلا بد أن تأتيها بخبر، كأن تقول: كان زيدٌ مجتهداً، هنا وجد شيء خاص وهو اجتهاد زيد. إذن {كَانَ} هنا ناقصة تريد الخبر يكملها وليعطيها الوجود الخاص، فإذا لم يكن الأمر كذلك وأردنا الوجود فقط تكون {كَانَ} تامة أي تكتفي بمرفوعها فقط مثل أن تقول: {عَادَ الْعَائِبُ فَكَانَ الْفَرَحُ}؛ أي وجد، والشاعر يقول⁹⁸⁴:

وَكَاثَتْ وَكَيْسَ الصُّبْحُ فِيهَا بِأَبْيَضٍ وَأَضْحَتْ وَكَيْسَ اللَّيْلُ فِيهَا أَسْوَدَ

⁹⁸² - ينظر: التطبيق النحوي، عبد الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط2، 1999،

ص113، وينظر: النحو الوافي، عباس حسن، 543/1.

⁹⁸³ - سورة البقرة، الآية: 280.

⁹⁸⁴ - شرح ديوان أبي تمام، الخطيب التبريزي، تحقيق: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،

ط2، 1994، 249/1.

فقوله: {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ}؛ أي فإن وُجد ذو عُسْرَةٍ.. أي إن وجد إنسان ليس عنده قدرة على السداد، {فَنَظْرَةٌ} من الدائن {إِلَى مَيْسَرَةٍ} أي إلى أن يتيسر، ويكون رأس المال في هذه الحالة {قَرْضًا حَسَنًا} ⁹⁸⁵.

ومن خلال هذا الطرح الذي تقدم يتبين لنا أن {كَانَ} تحتاج إلى اسم مرفوع وخبر منصوب، وهذه هي التي يقال عنها كان الناقصة، وقد تأتي تامة أي ليس لها خبر، وتكتفي بالمرفوع. وهو ما أشار إليه مهدي المخزومي الذي رأى أن "كان" لها استعمالات عديدة، منها أنها تُستعمل تامة ومكتفية بالمرفوع؛ أي تستعمل كسائر الأفعال اللازمة، ومعناها: "وُجِدَ" مثلما جاء في الآية السابقة، وأنها تستعمل ناقصة لا بد لها في هذه الحال من منصوب، تتحقق به فائدة الإخبار بها، وذلك في مثل: "كَانَ زَيْدٌ قَائِمًا"، وتُستعمل مفرغة من الدلالة على الحدث أو الوجود، ولا تدل حينئذ إلا على الزمان ⁹⁸⁶.

وبالتالي فقد وفق الشعراوي في إشراك "كان" التامة والناقصة في الدلالة على الزمن، فالتامة تكون مكتفية بالمرفوع؛ أي الفاعل، والناقصة تكون مكتفية بالمنصوب؛ أي الخبر، ولا خلاف في ذلك.

ب- دلالة الفعل "كاد":

"كَادَ وَأَوْشَكَ وَكَرَّبَ" هي أفعال ناسخة؛ تدخل على الجملة الاسمية فترفع الاسم ويسمى اسمها، وتنصب الخبر ويسمى خبرها ⁹⁸⁷، وتدلل على إمكان قرب الفعل من الحدوث، ولكنه لما يحدث بعد، قال ابن يعيش: «كَادَ زَيْدٌ يَفْعَلُ؛ أي: "قَارَبَ الْفِعْلَ،

وَلَمْ يَفْعَلْ» ⁹⁸⁸. ومن الأمثلة التي وقف عليها الشعراوي، قوله تعالى: ﴿إِذَا أُخْرَجَ

⁹⁸⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 2/ 1205.

⁹⁸⁶ - ينظر: النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1،

1964، ص 83.

⁹⁸⁷ - ينظر: التطبيق النحوي، عبد الراجحي، ص 157.

⁹⁸⁸ - شرح المفصل، ابن يعيش، 119/7.

يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا⁹⁸⁹، ومعنى {كَادُوا}؛ أي: لم يقرب من أن يراها، وإذا

نفى القُرب من أن يرى فقد نفى الرؤية من باب أوْلَى؛ ذلك لأنه ليس له نور من الله يرى به ويهتدي، فكما أنه لم ينتفع بالنور، ولم يَرَ حتى يده، كذلك لا ينتفع بشيء من عمله⁹⁹⁰.

وقد أورد السيوطي أوجها عديدة في دلالة الفعل "كَادَ" منها:

- أن نفيها إثبات وإثباتها نفي، فقولك: كَادَ زَيْدٌ يَفْعَلُ، معناه: لَمْ يَفْعَلْ، بدليل قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾⁹⁹¹،

وَمَا كَادَ يَفْعَلُ، معناه: فَعَلَ، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾⁹⁹².

- إنها تفيد الدلالة على وقوع الفعل بعسر.

- ونفي الماضي إثبات، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾⁹⁹³، ونفي

المضارع نفي، بدليل قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرْنَهَا﴾⁹⁹⁴ مع

أنه لم ير شيئا⁹⁹⁵.

والصحيح الواضح عنده أنها كغيرها، نفيها نفي وإثباتها إثبات، فمعنى كَادَ يَفْعَلُ:

قَارَبَ الفِعْلَ وَلَمْ يَفْعَلْ، وَمَا كَادَ يَفْعَلُ: مَا قَارَبَ الفِعْلَ فَضْلاً عَنْ أَنْ يَفْعَلَ، فنفي

الفعل لازم من نفي المقاربة عقلاً. والمقاربة غير الفعل، فالمقاربة مشروع فعل وتخطيط

له، لكنه لم يحدث، وهو الرأي الذي ذكره الشعراوي.

⁹⁸⁹- سورة النور، الآية: 40.

⁹⁹⁰- ينظر: تفسير الشعراوي، 16 / 10287.

⁹⁹¹- سورة الإسراء، الآية: 73.

⁹⁹²- سورة البقرة، الآية: 71.

⁹⁹³- سورة البقرة، الآية: 71.

⁹⁹⁴- سورة النور، الآية: 40.

⁹⁹⁵- ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 509/1.

5- أسلوب الشرط:

يعرف المبرد الشرط فيقول: «هو وقوع الشيء لوقوع غيره»⁹⁹⁶؛ أي أن هناك صلة وثيقة تربط بين طرفي الجملة الشرطية؛ إذ إن وقوع الشرط يلزم وقوع جواب الشرط. وبالتالي فهو أسلوب لغوي يبني- بالتحليل- على جزأين، الأول: مُترل مترلة السبب، والثاني: مُترل مترلة المُسبب، يتحقق الثاني إذا تحقق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدم الأول... فجملة الشرط إذن تتألف من عبارتين لا استقلال لأحدهما عن الأخرى، تسمى العبارة الأولى شرطاً، وتسمى العبارة الثانية جواباً أو جزاء⁹⁹⁷.

وأدوات الشرط حروف وهي: "إن" وأسماء متضمنة معناه، ثم منها ما ليس بظرف، كمن، وما، وأي، ومهما، وأسماء ظروف: أين، وأينما، ومتى، وحيثما، وإذما⁹⁹⁸.

وقد سماها الشعراوي بـ "القضية الشرطية" ومعناها: أن حدثاً يقع بسبب حدث وقع قبله، فهناك حدث يحدث وحده، وهناك حدث يحدث بشرط أن يحدث قبله حدث آخر، مثال هذا هو قولك لتلميذ: إن تُذاكِرْ دُرُوسَكَ تَنْجَحْ، وهنا حدثان، المذاكرة والنجاح، فكأن حدوث النجاح الشرط فيه حدوث المذاكرة، ولا بُدَّ أن يحدث الشرط أولاً؛ ثم يحدث الحدث الثاني⁹⁹⁹.

وقد استشهد بنصوص قرآنية كثيرة من أجل تبرير موقفه، وبسط رأيه في أسلوب الشرط، فـ "لَوْ" و "لَوْلَا" و "لَوْمًا" و "هَلَّا"، هي -إذن- ألفاظ واردة في اللغة، وإذا سمعنا كلمة "لَوْ" فهذا يعني أن هناك حكماً بامتناع شيئين. شيء امتنع لامتناع شيء، مثل قولك: "لَوْ كَانَ عِنْدَكَ زَيْدٌ لَجِئْتُكَ"، وهنا يمتنع مجيء زيد. و"لولا" حرف امتناع لوجود. ونلاحظ أنها هنا جاء بعدها اسم هو "زيد"، فماذا إن جاء بعدها فعل، مثل قولك: "لولا فعلت كذا"؟ هنا يكون في القول حضٌّ على

الفعل، مثل قوله الحق: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ

996 - المقتضب، المبرد، 46/2.

997 - ينظر: في النحو العربي، مهدي المخزومي، ص 284.

998 - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 359/2.

999 - ينظر: تفسير الشعراوي، 7901/13.

بأنفسهم خيراً¹⁰⁰⁰، وأيضاً قولك: "هلاً" فهي أيضاً تحضيض مثل قولنا: "هلاً

ذَكَرْتَ دُرُوسَكَ"؟ وأنت بذلك تستفهم بـ (هل)، وجئت بالمد لتصبح (هلاً)؛
لتحته على المذاكرة. أو قولك: "هلاً أَكْرَمْتَ فُلاناً؟" وفي هذا حَثٌّ على أن تكرم
فلاناً¹⁰⁰¹.

وفي سياق آخر يبين الشعراوي أثر أدوات الشرط في تحديد معاني القرآن الكريم،

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ¹⁰⁰²، فنحن نعلم أن في اللغة العربية "إن" الشرطية لا

تدخل إلا على فعل ولا تدخل على اسم أبداً؛ فنقول: إنَّ قَامَ زَيْدٌ قَامَ عُمَرُو، إلا أنه
من بلاغة إعجاز القرآن الكريم جاء بعد "إن" الشرطية اسم، وكان القياس أن يقال:
"إنَّ اسْتَجَارَ بِكَ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَجِرْهُ"؛ ولكن الله جاء بـ "أَحَدٌ" بعد "إن" في أول
الكلام، ولذلك فعندما نعرب كلمة "أَحَدٌ" في الآية الكريمة، نعرّبها فاعلاً ونقدر له
فعله من جنس المتأخر، فهل الاستجارة عُرِفَ بها المستجير، أم عُرِفَت الاستجارة منه؟
وهنا يريد الحق أن ينبهنا إلى أهمية الالتفات إلى صدق الاستجارة، ولا يتحقق ذلك إلا
بأن يصرخ المستجير أولاً¹⁰⁰³.

فـ(إن) حرف شرط جازم، و (أَحَدٌ) فاعل مرفوع بفعل مضمّر يفسره الفعل الظاهر
وهو "استجارك"¹⁰⁰⁴، والمعنى: وإن استأمنك -يا محمد- أحد من المشركين،
وطلب جوارك وحمایتك بعد انقضاء مدة المحددة له، (فأَجِرْهُ) أي: فأمنه وأجبه إلى
طلبه، وهذه الجملة في محل جزم جواب الشرط مقترنة بالفاء.

1000 - سورة النور، الآية: 14.

1001 - ينظر: تفسير الشعراوي، 5574/9.

1002 - سورة التوبة، الآية: 06.

1003 - ينظر: تفسير الشعراوي، 4891/8.

1004 - ينظر: إعراب القرآن وصرفه وبيانه، محمود صافي، 285/5.

وهذا المعنى سار أغلب اللغويين ¹⁰⁰⁵ والمفسرين باعتبار أن "أن" هي أمّ حروف الشرط، فقد خصت بهذا، ولأنها لا تكون في غيره ¹⁰⁰⁶.

وذكر الطاهر ابن عاشور أنه لا مانع من دخول حرف الشرط على المبتدأ ؛ لأنّ وقوع الخبر فعلاً مقنع لحرف الشرط في اقتضائه الجملة الفعلية، فيعلم أنّ الفاعل مقدم من تأخير لغرض ما، ولذلك شاع عند النحاة أنه فاعل بفعل مقدر، وإنما هو تقدير اعتبار ¹⁰⁰⁷.

فقد تناول الشعراوي أسلوب الشرط في القرآن الكريم، وعرفه بأنه حدث يقع بسبب حدث وقع قبله، ومن جهة أخرى ينفي أن يكون الشرط سبب في جوابه، ودعا الى مراجعة الأسباب والمسببات والعلّة والمعلول والشرط والجواب؛ بشكل آخر، وضرب لنا مثال بقوله: "إنّ تُذَاكِرُ تُنَجِّحُ"، فالشرط هو المذاكرة، وسبب الجواب هو النجاح، والحقيقة: لا.

إنّ الجواب هو السبب في الشرط لأنك لا تذاكر إلاّ إذا تمثلك النجاح بكل ما يحققه لك من فرحة، إذن فالشرط سبب في وجود الجواب واقعاً. والجواب سبب في وجود الشرط دافعاً، أي: أنّ الدافع لمذاكرتك هو ما يمثله لك النجاح من قيمة مادية ومعنوية ¹⁰⁰⁸.

بمعنى أنك لا تذاكر إلاّ وقد تمثلك النجاح بمواهبه ومزاياه وبمكائنه ويفرح أهلك بك، ويفرحك بنفسك. ولهذا هو يرى أنّ السبب هو الذي يوجد أولاً في الذهن. ووجدنا مثل هذا الكلام في حاشية الصبان، حيث قسم الجزاء إلى:
أحدهما: أن يكون مضمونه مسبباً عن مضمون الشرط نحو: (إنّ جئتني أكرمّتك).

¹⁰⁰⁵ - ينظر: معاني القرآن، الزجاج، 431/2.

¹⁰⁰⁶ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 116/10.

¹⁰⁰⁷ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 118/10.

¹⁰⁰⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8 / 4972.

والثاني: أن لا يكون مضمون الجزاء مسبباً عن مضمون الشرط، وإنما يكون الاخبار به مسبباً نحو: (إِنْ تُكْرِمَنِي فَقَدْ أَكْرَمْتُكَ أَمْس)، والمعنى إن اعتدلت عليّ بإكرامك إيّايّ فأنا أيضاً أعتد عليك بإكرامني إياك¹⁰⁰⁹.

فالقاعدة التي تقول إن جملة جواب الشرط تتحكم فيها جملة الشرط غير منضبطة، وقد نقل الزركشي عن صاحب المستوفى قوله: «اعلم أن المجازاة لا يجب فيها أن يكون الجزاء موقوفاً على الشرط أبداً، ولا أن يكون الشرط موقوفاً على الجزاء أبداً بحيث يمكن وجوده، ولا أن تكون نسبة الشرط دائماً إلى الجزاء نسبة السبب المسبب؛ بل الواجب فيها أن يكون الشرط بحيث إذا فرض حصولاً لزم مع حصوله حصول الجزاء سواء كان الجزاء قد يقع لا من جهة وقوع الشرط؛ كقول الطيب (مَنْ اسْتَحَمَ بِالمَاءِ البَارِدِ احْتَقَنَتْ الحرارةُ بَاطِنَ جَسَدِهِ)، لأن احتقان الحرارة قد يكون لا عن ذلك، أو لم يكن كذلك كقولك: (إِنْ كَانَتِ الشَّمْسُ طَالِعَةً كَانَ النَّهَارُ مَوْجُوداً)»¹⁰¹⁰.

وبالتالي ما رآه الشعراوي لم يخرج عن سلفة من النحاة، وقد أحسن توظيف أدوات الشرط في القرآن الكريم، وبسط كثير من المسائل الصعبة بأسلوب ومنهج واع ومرتز.

وقد يقع مع اجتماع الشرط مع القسم، وقد تناول سيبويه في كتابه هذا الجزء فقال: "هذا باب الجزاء إذا كان القسم في أوله، وذلك في قولك: وَاللَّهِ إِنْ أَتَيْتَنِي لَأَفْعَلُ، لا يكون إلا معتمداً عليه اليمين، ألا ترى أنّك لو قلت: وَاللَّهِ إِنْ تَأْتَيْتَنِي آتَكَ لَمْ يَجْز. ولو قلت: وَاللَّهِ مِنْ يَأْتِي آتَهُ كَانَ محالاً"¹⁰¹¹.

1009 - ينظر: حاشية الصبان- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة

التوفيقية، مصر، (د،ت)، 22/4.

1010 - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 355/2.

1011 - الكتاب، سيبويه، 82/3.

مما عرضه الشعراوي في هذا الباب قوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ

الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا لِأَكْفَرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾¹⁰¹². فقال: «و"لئن" تضم شرطاً

وقسماً، كأن الحق يقول: "وعزيتي لئن أقمتم الصلاة وفعلتم كذا وكذا ليكونن الجزاء أن أكفر عنكم السيئات". ودلت "اللام" على القسم، ودلت "إن" على الشرط. وحين يأتي القسم في جملة بمفرده فجوابه يأتي، وحين يأتي الشرط بمفرده في جملة فجوابه يأتي أيضاً، ولكن ماذا عندما يأتي القسم مع الشرط؟ هل يأتي جوابان: فعندما تجد هذه الحالة فننظر إلى المقدم منهما، هل هو القسم أو الشرط؟ لأن المقدم منهما هو الأهم؛ فيأتي جوابه، ويغني عن جواب الثاني. مثل قولنا: لئن قام زيد لأقومن، وهنا يكون الجواب جواب القسم، أما إن قلنا: إن قام زيد والله أكرمه، فالجواب جواب الشرط؛ فقدم الشرط على القسم. لأن الشرط تأسيس والقسم تأكيد. وابن مالك في الألفية يوضح هذه القاعدة بقوله¹⁰¹³:

واخْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمٍ جَوَابَ مَا أَخْرَجَتْ فَهُوَ مُلْتَزِمٌ
وَإِنْ تَوَالَيْتَا وَقَبْلَ ذُو خَبَرٍ فَالشَّرْطُ رَجَحٌ مُطْلَقًا بِلَا حَذَرٍ.
والقَسَمُ قد تقدم في الآية: لذا نجد الجواب هنا جواب القَسَمِ»¹⁰¹⁴.

وقد أجاز الزمخشري أن يكون قوله تعالى: ﴿لَيْنَ أَقَمْتُمُ﴾¹⁰¹⁵، موطئة للقسم،

وفي: {لَأَكْفَرَنَّ} في الآية ساداً مسد جواب القسم والشرط جميعاً¹⁰¹⁶.

- سورة المائدة، الآية: 12. 1012

1013 - متن ألفية ابن مالك، عبد اللطيف بن محمد الخطيب، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط1، 2006، ص

.46

1014 - تفسير الشعراوي، 2999/5.

1015 - سورة المائدة، الآية: 12.

1016 - الكشاف، الزمخشري، 216/2.

ورده أبو حيان فقال: «وليس كما ذكر، بل هو جواب القسم فقط، وجواب الشرط محذوف»¹⁰¹⁷. وهذا هو اختيار الشعراوي وهو الراجح أن يكون الجواب للمتقدم اعتناءً به.

6- حروف المعاني:

لقد أولى علماء اللغة عناية كبيرة بهذا الجانب، والشعراوي كمثلته من المفسرين بذل جهداً لا نظير له لفهم الحرف العربي في القرآن الكريم والدور المتصل به ومقاصد حضوره وبنية تركيبه.

والحرف مُقوم جوهري من مقومات اللغة، به تفهم الأحكام ويستنبط التشريع، ويُبلغ المعنى؛ لأنَّ الحكم الذي يصدر من النصِّ القرآني يختلف باختلاف معنى الحرف الذي يتضمنه، وقد اختلف العلماء في معان الحروف، وخاصة ما يتعلق في أحكام الفقه وتفريعاته. لأنها كما يقول ابن القيم: «أصل الحروف أن تكون عاملة، لأنه ليس لها معنى في أنفسها، وإنما معانيها في غيرها»¹⁰¹⁸.

والحروف نوعان: حرف مَبْنَى وحرف معنى؛ فحرف المبنى لا معنى له إلا للدلالة على الصوت فقط.

أما حروف المعاني فهي مثل في ومن وعلى... (في) تدل على الظرفية، و(من) تدل على الابتداء، و(إلى) تدل على الانتهاء، و(على) تدل على الاستعلاء... هذه كلها حروف معنى¹⁰¹⁹، وما يهمنا في هذا المقام هو حروف المعاني التي أولاهها الشعراوي اهتماماً واسعاً، وقد ذكر المرادي واصفاً القيمة الكبيرة التي أعطاها العرب للحرف قائلاً: «فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه، مبنياً أكثرها على معاني حروفه، صُرِّفَت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها، وتيسر

¹⁰¹⁷ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 3/ 460.

¹⁰¹⁸ - بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تخريج: أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1،

2005، 37/1.

¹⁰¹⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 104/1.

الوقوف على جملتها، وقد كثر دورها وبعدها غورها، فعزت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيتها»¹⁰²⁰.

ومن حروف المعاني التي تناولها الشعراوي ما يلي:

أ- حروف النصب: فقد أعطاها أولوية كبيرة وبيّن مدلولها السياقي التي وظفت فيه، ومنها:

1- "إن" واستعمالاتها: فقد زعم الخليل أن "إن" هي أم حروف الجزاء¹⁰²¹، وقد تناول الشعراوي أحكام "إن" فذكر:

أ- "إن" شرطية، يعني يأتي بعدها فعل شرط وجواب شرط مثل قوله تعالى: ﴿إِن﴾

يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ¹⁰²².

ب- ومرة تأتي "إن" النافية وتعرفها بوجود "إلا" مثل قوله تعالى: ﴿إِن أَمَّهُتُهُمْ﴾

﴿إِلَّا آتَىٰ وَلَدَنَّهُمْ﴾¹⁰²³، فعندي هنا "إن" وبعدها "إلا"، وما دام جاءت

"إلا" فالذي بعدها يكون مثبتاً، والذي قبلها يكون منفيّاً، مثل قولنا: "مَا قَامَ الْقَوْمُ إِلَّا زَيْدًا"؛ إن زيدا مختلف عنهم.

ت- ومرة ثالثة تأتي "إن" التي هي تخفيف "إن"؛ أي "إن" هنا مخففة من الثقيلة، نحو

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾¹⁰²⁴، ويكون المعنى

¹⁰²⁰ - الجنى الداني في حروف المعاني، الحسين بن قاسم المرادي، تحقيق، فخر الدين قباوة ومحمد نديم

فاضل، منشورات دار الأفق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 19.

¹⁰²¹ - ينظر: الكتاب، سيبويه، 63/3.

¹⁰²² - سورة آل عمران، الآية: 140.

¹⁰²³ - سورة المجادلة، الآية: 2.

¹⁰²⁴ - سورة آل عمران، الآية: 164.

وإنّ الحال والشأن والقصة والواقع أنهم كانوا في ضلال مبين ، واسمها ضمير الشأن -
أي الحال والقصة- وهو محذوف¹⁰²⁵ .

ث- والحكم الرابع وإن لم يذكره الشعراوي، أن تكون "إن" الزائدة، وقد زعم بعضهم أن "إن" تأتي بمعنى "قد"، وقال الكوفيون أنها تأتي بمعنى "إذ"، وقد ذكر النحويون أن لـ "إن" عشرة أنحاء¹⁰²⁶ .

وما قدمه الشعراوي ينبئ عن معرفته لهذه الأحكام المذكورة والتزام ه منهجاً معيناً فيها، حيث أنكر وجود حروف الزيادة في القرآن¹⁰²⁷ ، من ذلك إعراب قوله تعالى:

﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾¹⁰²⁸ ، قال الأصم: "ما" في الآية صلة زائدة،

وقال أبو مسلم معاذ الله أن يكون في القرآن زيادة ولغو، ويتبع الرازي قول مسلم لأن الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى وبيانا، وكونه لغواً ينافي ذلك¹⁰²⁹ .

وفي معرض آخر يتناول الشعراوي معنى "إن" الشرطية في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ

تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ

﴿¹⁰³⁰ ، فمجيء "إن" الشرطية تثير الشك؛ لأن الأمر لكي يتحقق يتعلق بشرط.

ونحن إن قلنا: "إن ذَاكَرَتْ تَنْجَحْ" ، ففي المسألة شك، أما إذا قلت كقول الحق:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾¹⁰³¹ ؛ فمعنى ذلك أن نصر الله آت لا محالة.

- ينظر: تفسير الشعراوي، 1868/03. ¹⁰²⁵

¹⁰²⁶ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص339.

¹⁰²⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 11/1.

¹⁰²⁸ - سورة البقرة، الآية:26.

¹⁰²⁹ - ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، 147/2.

¹⁰³⁰ - سورة البقرة، الآية:24.

- سورة النصر، الآية:1. ¹⁰³¹

و"إن" حرف و"إذا" ظرف، وكل حدث يحتاج إلى مكان وزمن، فإذا جئت بأداة الشرط فمعنى ذلك أنك تقر بها من عنصر تكوين الفعل والحدث، فإذا أردت أن تعبر عن شيء سيتحقق تقول "إذا"، وإذا أردت أن تشكك فيه تقول "إن" والله سبحانه قال "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا" ولأنَّ الفعل ممكن الحدث أراد أن يرجح الجانب المانع فقال "وَلَكِنْ تَفْعَلُوا" هذا أمر اختياري¹⁰³².

وقد أشار الطاهر ابن عاشور إلى هذا المعنى فقال: «ومجيء "إن" الشرطية التي الأصل فيها عدم القطع، مع أن عدم فعلهم هو الأرجح بقريظة مقام التحدي والتعجيز؛ لأنَّ القصد إظهار هذا الشرط في صورة النادر مبالغة في توفير دواعيهم على المعارضة بطريق الملاينة والتحريض»¹⁰³³.

والمعنى أن الشك مفتعل في نفوسهم؛ هم لا يريدون أن يؤمنوا ولذلك يأتون بسبب مفتعل لعدم الإيمان، ولقد استقر فكرهم على أنهم لا يؤمنون، ومادام هذا هو ما قرره، فإنهم سيظلون يبحثون عن أسباب ملفقة لعدم الإيمان بالله وحده.

2- "أَنَّى" ومعناها:

"أَنَّى" تكون شرطاً¹⁰³⁴، وذكرها النَّاس في ظروف المكان للعموم بمعنى "متى" وبمعنى "أين"، وقيل لتعميم الأحوال، وتكون أيضاً استفهاماً بمعنى: متى، ومعنى "كَيْفَ" وبمعنى "أين"¹⁰³⁵.

تناول الشعراوى هذه الجزئية في تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُمْسِيَةً﴾:

قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنِي هَذَا¹⁰³⁶، وساعة تسمع "أَنَّى هَذَا" فلها

¹⁰³² - ينظر: تفسير الشعراوى، 200/1.

¹⁰³³ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 342/1.

¹⁰³⁴ - ينظر: الكتاب، سيبويه، 58/3.

¹⁰³⁵ - التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى، إعداد: محمد باسل عيون السود، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، 42/2.

¹⁰³⁶ - سورة آل عمران، الآية: 165.

معنيان: إمَّا أنها تأتي بمعنى (كيف يحدث هذا) ؛ وإما بمعنى (من أين يحدث هذا)؟ وقد جاءت في الآية بمعنى "مِنْ أَيْنَ" أصابنا هذا الانهزام والقتل.

فإن كانت لأعيان وتحب أن تعرف مثلما أحب سيدنا زكريا أن يعرف: من أين يأتي

الرزق لسيدتنا مريم وهي في المحراب ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ

وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرُؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا﴾¹⁰³⁷، أي من أين؟

وتأتي مرة أخرى بمعنى "كيف" ¹⁰³⁸، مثل قوله تعالى: ﴿أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ

وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ

مَوْتِهَا﴾¹⁰³⁹، وقد زعم الزركشي أن المقصود هو "متى" يحيي هذه الله بعد

موتها¹⁰⁴⁰.

في قوله: ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾¹⁰⁴¹، جاءت بمعنى "مِنْ أَيْنَ"، وهذا الرأي موافق لما

ذكر في الارتشاف، فكأنه قال: مِنْ أَيْنَ الْوُجُوهِ، ومن أي المذاهب¹⁰⁴² أَصَبْتَهُ .

ففي "أنى" معنى يزيد على "أين"، وجواب أين لك هذا غير جواب " أنى " لك هذا،

والتعبير القرآني في هذه الآية بـ " أنى " أصلح وأنفع من "أين"، وهذا ما قاله النُّحاة

1037 - سورة آل عمران، الآية: 37.

1038 - ينظر: تفسير الشعراوي، 1862/3.

1039 - سورة البقرة، الآية: 259.

1040 - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 250/4.

1041 - سورة آل عمران، الآية: 37.

1042 - ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1،

1867/4، 1998.

منهم سيويه والفراء، وابن مالك، وابن هشام، ومن المفسرين الرازي وابن عطية¹⁰⁴⁴، وتبعهم الشعراوي.

3- "لن" ومعناها:

"لن" هي من الحروف العوامل، وعملها النَّصْب في الفعل خاصة، وهي لنفي المستقبل، نحو قولك: لَنْ تَقُومَ، فهذا جواب من قال: سَتَقُومُ¹⁰⁴⁵، وقد أتى الشعراوي كغيره من المفسرين على ذكر هذه الأدوات، وعرض لها في مواقعها من النَّصْوص ما يلزم الاستشهاد به، وذلك تبعاً لطبيعة العرض وأهمية الأداة وكثرة ورودها.

ومما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ لَنْ تَرَنِى﴾¹⁰⁴⁶، فقال: وفي اللغة نجد أن

"لن" تأتي تأبيدية؛ أي تؤبد المستقبل؛ أي لا يحدث ولا يتحقق ما بعدها، فهل معنى ذلك قول الحق أن موسى عليه السلام لن يرى الله في الدنيا ولا في الآخرة؟ ونقول: ومن قال إن زمن الآخرة هو زمن الدنيا؟ إن هذه لها زمن وتلك لها زمن آخر. فـ: إن مجيء "لن" في الآية تأبيدها إضافي، أي بالنسبة للدنيا¹⁰⁴⁷. أما ابن عطية فعلق على الآية بقوله: "نص على منعه الرؤية في الدنيا و"لن" تنفي المستقبل فلو بقينا على هذا النفي بمجرده لتضمن أن موسى لا يراه أبداً ولا في الآخرة"¹⁰⁴⁸، وقال الزمخشري: فإن قلت ما معنى "لن". قلت: تأكيد النفي الذي

¹⁰⁴³ - ينظر: التفسير الكبير، الفخر الرازي، 84/9.

¹⁰⁴⁴ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسي، 538/1.

¹⁰⁴⁵ - ينظر: معاني الحروف، الرماني، تحقيق، عرفان بن سليم العشا، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،

ط1، 2005، ص115، وينظر: المقتضب، المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمية، القاهرة، ط1،

1994، 23/2، وينظر: الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، بيروت، ط1،

2001، ص382.

¹⁰⁴⁶ - سورة الأعراف، الآية: 143.

¹⁰⁴⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4343 / 7.

¹⁰⁴⁸ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 450/2.

تعطيه "لا" وذلك أن "لا" تنفي المستقبل. تقول "لَا أَفْعَلُ غَدًا" فإذا أكدت نفيها قلت: "لَنْ أَفْعَلَ غَدًا"¹⁰⁴⁹.

1051 فلقد جاء تحليل هؤلاء: ابن عطية وابن يعيش¹⁰⁵⁰ والزمخشري وأبي حيان مؤكدين على أن "لَنْ" تفيد تأكيد النفي، أما إفادتها تأييد النفي، وهو الوجه الذي جاء به الشعراوي.

ب- معاني حروف الجر:

حروف الجر عشرون حرفاً جاءت على التوالي، قال ابن مالك¹⁰⁵²:
هَآءُ حُرُوفُ الْجَرِّ وَهِيَ مِنْ إِي حَتَّى خَلَا حَاشَا عَدَا فِي عَنْ عَلَى
مَنْدُ مَنْدُ رُبَّ اللَّامِ وَآوِ وَتَا وَالكَافُ وَآلِبَا وَلَعَلَّ وَمَتَّى.

وسميت حروف الجر لأنها تجر معنى الفعل قبلها إلى الاسم بعدها، أو لأنها تجر ما بعدها من الأسماء؛ أي: تخفضه، وتسمى "حروف الخفض" أيضاً، وتسمى "حروف الإضافة" لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها، نحو: "مَرَرْتُ بِزَيْدٍ" أو

في تأويل الاسم في قوله: ﴿وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا

رَحَبَتْ﴾¹⁰⁵³؛ أي بِرُحْبِهَا¹⁰⁵⁴، ولقد عالج الشعراوي معاني حروف الجر منها:

1- معنى "الباء": يقول ابن مالك في الألفية¹⁰⁵⁵:

بِآلِبَا اسْتَعْنُ وَعَدَّ عَوْضَ الْأَصِقِ وَمِثْلَ مَعٍ وَمِنْ وَعَنْ بِهَا انْطِقِ.

¹⁰⁴⁹ - الكشاف، الزمخشري، 153/2.

¹⁰⁵⁰ - شرح المفصل، ابن يعيش، 111/8.

¹⁰⁵¹ - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 382-381/4.

¹⁰⁵² - شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم، ص 255.

¹⁰⁵³ - سورة المائدة، الآية: 25.

¹⁰⁵⁴ - أسرار النحو، شمس الدين أحمد بن سليمان، تحقيق: احمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع، عمان، ط2، 2002، ص 270.

¹⁰⁵⁵ - متن ألفية ابن مالك، ابن مالك النحوي، ضبط: عبد اللطيف بن محمد الخطيب، مكتبة دار للعروية

للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 2006، 25.

فالباء تأتي لمعان كثيرة، للاستعانة مثل: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، ولتعدية الفعل اللازم نحو: ذَهَبْتُ بِالْمَرِيضِ إِلَى الطَّبِيبِ، وللتعويض مثل: اشْتَرَيْتِ الْقَلَمَ بَعِشْرِينَ جُنَيْهًا، والالتصاق نحو: مَرَرْتُ بِخَالِدٍ، وتأتي بمعنى "مع" مثل: بَعْتُكَ الْبَيْتَ بِأَثَاثِهِ أَي مَعَ أَثَاثِهِ، وبمعنى "من" مثل: شَرِبَ بَمَاءِ النَّيْلِ أَي مِنْ مَاءِ النَّيْلِ، وبمعنى "عن" مثل قوله تعالى :

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾¹⁰⁵⁶، وتأتي أيضا للظرفية نحو: ذَهَبْتُ إِلَى فُلَانٍ

بالليل؛ أي في الليل، وتكون السببية نحو: باجْتِهَادٍ مُحَمَّدٌ مُنِحَ الْجَائِزَةَ؛ أي بسبب

اجتهاده، إلى غير ذلك من المصاحبة نحو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ

السَّاجِدِينَ﴾¹⁰⁵⁷؛ أي سَبِّحْ مصاحبا حَمْدَ رَبِّكَ¹⁰⁵⁸.

فالشعراوي يستعرض حالات مجيء "الباء" في الذكر الحكيم من ذلك قوله تعالى:

﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾¹⁰⁵⁹، حيث ذكر أ ن الذي يقول: امْسَحُوا بَعْضَ

رُءُوسِكُمْ ولو شَعْرَةً، فهذا أمر يصلح ويكفي وتسعفه الباء لغة، والمسح يقتضي الإلصاق، والآلة الماسحة هي اليد، وهناك من يقول: نَأْخُذُ عَلَى قَدْرِ الْأَدَاةِ الماسحة وهي اليد أي مسح مقدار ربع الرأس.

إذن كل حكم من هذه الأحكام يصلح لتنفيذ حكم مسح الرأس، ولو أن الله تعالى يريد على لون واحد لأوضح ما أراد، فإن أراد كل الرأس لقال: "امْسَحُوا رُءُوسَكُمْ" كما قال: {فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ}، وإن كان يريد غاية محدّدة، لحدد كما حدد غسل اليدين إلى المرفقين¹⁰⁶⁰.

1056 - سورة المعارج، الآية: 1.

1057 - سورة الحجر، الآية: 98.

1058 - ينظر تفسير الشعراوي، 2952/5.

1059 - سورة المائدة، الآية: 6.

1060 - ينظر تفسير الشعراوي، 2953/ 5.

والسؤال الذي يطرح: ما هو حكم مسح الرأس وما مقداره إذا لم نعرف مصير "الباء" في الآية؟

اتفق الفقهاء على أن مسح الرأس من فرائض الوضوء لقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا

بُرُءُ وِسْكُمْ﴾¹⁰⁶¹، ولكنهم اختلفوا في مقدار المسح على أقوال:

- دليل المالكية والحنابلة: استدلوا على وجوب مسح جميع الرأس بأن الباء كما تكون أصلية تكون زائدة للتأكيد، واعتبارها هنا زائدة أولى، والمعنى: امسحوا رؤوسكم
- دليل الحنفية والشافعية: استدلوا بأن الباء للتبعيض وليست زائدة، والمعنى: امسحوا بعض رؤوسكم، إلا أن الحنفية قدرُوا وبرع الرأس لما روى عن المغيرة بن شعبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر، فتزل لحاجته ثم جاء فتوضأ ومسح على ناصيته.

وأما الشافعية فقالوا: الباء للتبعيض، وأقل ما يطلق عليه اسم المسح داخل بيقين، وما عداه لا يقين فيه فلا يكون فرضاً، وإنما يحمل على النذب¹⁰⁶².

وقد اختلف المفسرون والفقهاء في تقدير هذه المسألة على أحد عشر قولاً¹⁰⁶³، ولعل الشعراوي خرج من هذا الخلاف والجدال حول "الباء" فجعلها توسعة من الرحمان إن جاء بحرف الباء الذي يحتمل معاني عديدة، فمن أخذ بواحدة منها أجزاء ذلك، وعليه فليس لمذهب فقهي رجحان على الآخر، وهذا هو الرأي الراجح في اعتقادي.

2- معنى "رُبَّ":

اختلف النحويون في "رُبَّ" فمنهم من قال إنها تفيد التقليل لقول سيبويه، والثاني: إنها للتكثير، نقله صاحب الإفصاح عن الخليل وابن درستويه وجماعة، والثالث: أنها تكون للتقليل والتكثير فهي من الأضداد، وإلى هذا ذهب الفارسي في كتابه الحروف،

¹⁰⁶¹ - سورة المائدة، الآية: 6.

¹⁰⁶² - ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، 116/2.

¹⁰⁶³ - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 48/10.

والرابع: إنَّها حرف إثبات لم يوضع لتقليل ولا تكثير بل ذلك مستفاد من السياق،
وغيرها من الآراء التي أوردتها المرادي¹⁰⁶⁴.

وقد تناول الشعراوي مجيء "رُبَّ" في قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾¹⁰⁶⁵، فهي هنا حرف يستعمل للتقليل، و قد يستعمل أيضاً

للتكثير على حسب ما يأتي من بعده، وهو حرف الأصل فيه أن يدخل على المفرد ،
ونحن نقول "رُبَّ أَخ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ" وذلك للتقليل، مثلما نقول "رُبَّمَا يَنْجَحُ
الْكُسُولُ". ولكن لو قلنا "رُبَّمَا يَنْجَحُ الذَّكِيُّ" فهذا للتكثير، وفي هذا استعمال للشيء
في نقيضه، إيقاظاً للعقل كي ينتبه¹⁰⁶⁶.

بينما رأى العكبري أن "رُبَّ" في الآية جاءت للتكثير والتحقيق، وأكثر ما يأتي بعدها
الفعل الماضي ولكن المستقبل هنا لكونه صدقاً قطعاً بمرتلة الماضي¹⁰⁶⁷.

والراجح من بين هذه الأقوال أنَّها حرف تقليل، والدليل على ذلك أنَّها قد جاءت في
مواضع لا تحمل إلا التقليل، وفي مواضع ظاهرها التكثير، وهي محتملة لإرادة التقليل،
بضرب من التأويل، فتعين أن تكون حرف تقليل لأنَّ ذلك هو المطرد فيها، وأنَّ
الأضداد من الكلمات وإن استخدمت للمعنيين المتضادين على السواء فإنَّ العقل
والعرف اللغوي يقول إنَّ أحد هذين المعنيين هو الأصل، والثاني فرع عليه أو عنه،
فيكون للكلمة معنى في أصل وضع اللغة، ثم حدث لها سبب من أسباب التضاد
فصارت من الأضداد، أما أن يقال إنَّها لم توضع لمعنى وأنَّ السياق هو الذي يحدد
معناها ففيه نظر.

3- معنى "من":

¹⁰⁶⁴- ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 438.

¹⁰⁶⁵- سورة الحجر، الآية: 3.

¹⁰⁶⁶- ينظر: تفسير الشعراوي، 7635 / 12.

¹⁰⁶⁷- ينظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تحقيق: علي محمد الجاوي، منشورات عيسى البابي

الحلبي وشركاؤه، مصر، القاهرة، (ت،د)، 776/1.

جاء في معاني الحروف أن "من" لها أربعة معان: الغاية والتجنيس وللتبويض

وللزائدة¹⁰⁶⁸، وقد رجح الشعراوي مجي "من" للجنس في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ

لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾¹⁰⁶⁹، كما قال تعالى:

رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ¹⁰⁷⁰؛ أي من جنسكم، وا لمسألة تحتمل معنيين :

من اتسع ظنه إلى أن الله خلق حواء من ضلع آدم؛ أي: منه، من بعضه فلا مانع، ومن قال: خلق الله حواء كما خلق آدم خلقاً مستقلاً، ثم زواج بينهما بالزواج فلا مانع، فالأول على معنى البعضية، والثاني على معنى من جنسكم؛ أي: من نفس واحدة، كما

قال في آية أخرى: ﴿خَلَقَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا

زَوْجَهَا﴾¹⁰⁷¹؛ يعني: أخذ قطعة من الزوج، وخلق منه الزوجة، كما خلق سبحانه

حواء من آدم عليهما السلام. أي: من جنسها¹⁰⁷².

فقد قدم الشعراوي معنيين للآية، ولم يرجح أحدهما على الآخر، وهو اختيار الطبري الذي قال: «وقال تعالى ذكره: "مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" لتأنيث "النفس"، والمعنى: مِنْ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ولو قيل: "مِنْ نَفْسٍ وَاحِدٍ"، وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى، كان صواباً»¹⁰⁷³.

¹⁰⁶⁸ - ينظر: معاني الحروف، الرماني، ص 249، وينظر: أسرار العربية، الأنباري، ص 291، شرح

الرضي لكافية بن الحاجب، 1140/2.

¹⁰⁶⁹ - سورة النحل، الآية: 72.

¹⁰⁷⁰ - سورة التوبة، الآية: 128.

¹⁰⁷¹ - سورة الزمر، الآية: 6.

¹⁰⁷² - ينظر: تفسير الشعراوي، 8074 / 13.

¹⁰⁷³ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 342/6.

أما الطاهر ابن عاشور فذكر أن المقصود "مِنْ" التبعيضية ، ومعنى التبعيض أن حواء خلقت من جزء من آدم¹⁰⁷⁴ .

وسواء جاءت "مِنْ" للتبعيض أو للجنس، فإن المعنى واحد، فقد خلق الله جميع الأنام من شخص واحد، معرفاً عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة ، وأن بعضهم من بعض، في الألفة والمودة والتراص.

وكثيراً ما تقع مِنْ بعد "مَا" و"مَهْمَا" وهما بها أولى لإفراط إجماعهما¹⁰⁷⁵ ، نحو قوله

تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾¹⁰⁷⁶ ، وقال

المرادي: «وجمئها لبيان الجنس مشهور في كتب المعربين، وقال به قوم من المتقدمين

والتأخرين وأنكره أكثر المغاربة»¹⁰⁷⁷ . وقد أورد الرماني في قوله تعالى ﴿فَأَجْتَنِبُوا

الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾¹⁰⁷⁸ ، أن "مِنْ" هنا للتجنيس، كأنه قيل: اجتنبوا

الرجس الذي هو وثنٌ، فهي ها هنا تقوم مقام الصفة في التبيين¹⁰⁷⁹ .

أما ما أنكره المغاربة؛ فقالوا في هذه الآية "مِنْ" لابتداء الغاية، لأن الرجس جامع للأوثان وغيرها. وقيل للتبعيض لأن الرجس منها هو عبارتها واختاره ابن أبي الربيع¹⁰⁸⁰ .

نخلص إلى جواز مجيء "مِنْ" لبيان الجنس، وهو مذهب الزجاج واختيار كثير من

¹⁰⁷⁴ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 215/4.

¹⁰⁷⁵ - ينظر: المغني اللبيب في كتب الأعراب، ابن هشام، تحقيق: عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة

التراثية، الكويت، ط1، 2000، 140/4.

¹⁰⁷⁶ - سورة فاطر، الآية: 2.

¹⁰⁷⁷ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 316.

¹⁰⁷⁸ - سورة الحج، الآية: 30.

¹⁰⁷⁹ - ينظر: معاني الحروف، الرماني، ص 249 .

¹⁰⁸⁰ - ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي، 418/4.

النحاة، وهو الذي قال به الشعراوي في الآية: وهو الرأي الذي ذكره أبو حيان في البحر¹⁰⁸¹، وبالتالي اختيار الشعراوي كان صائباً في هذه الجزئية.

4- معنى "اللام":

أعطى النحاة للام الجارة خمسة عشر معناً، ومنها: اللام للملك وشبهه، ولتتمليك وشبهه، وللإستحقاق وللنسب وللتعليل، وللتبليغ وللتعجب وللتبيين، وللصيرورة ولموافقة في وعند وإلى وبعد وعلى ومن¹⁰⁸².

فالاختصاص نحو: الجنة للمؤمنين، والملك نحو: المال لزيد، وقد جعلها بعضهم أصل معانيها¹⁰⁸³، ولام شبه الملك نحو: أدوم لك ما تدوم لي، ولام شبه التملك نحو

:¹⁰⁸⁴

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ

أَزْوَاجِكُمْ﴾¹⁰⁸⁵، وقد بين الشعراوي هذا الجانب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ

مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ

تَتَّقُونَ﴾¹⁰⁸⁶، فقال: عندنا هنا اللام؛ وقد تكون (اللام) للملك كما في الآية.

وكما في: المال لزيد، وقد تكون للتخصيص إذا دخلت اللام على ما لا يملك، كما

¹⁰⁸¹ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 499/5.

¹⁰⁸² - ينظر: شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: عبد الرجمان السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ط1،

144/3، 1990.

¹⁰⁸³ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 102.

¹⁰⁸⁴ - ينظر: المقتضب، المبرد، 143/4، وينظر: شرح التسهيل، ابن مالك، 145/3. وينظر: الجنى

الداني، المرادي، 114-115. وينظر: الهمع في شرح الجوامع، السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين،

دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، 366/2.

¹⁰⁸⁵ - سورة النحل، الآية: 72.

¹⁰⁸⁶ - سورة النحل، الآية: 52.

نقول: اللجام للفرس، والمفتاح للباب، فالفرس لا يملك اللجام، والباب لا يملك
المفتاح. فهذه للتخصيص¹⁰⁸⁷.

﴿لِلَّهِ﴾: فقد قسم النحاة لأم الملك إلى ملك حقيقي نحو: الوجودُ لله، وفي قوله تعالى

﴿مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾¹⁰⁸⁸، وملك مجازي¹⁰⁸⁹ نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّا

السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾¹⁰⁹⁰، وهكذا يتضح أن اللام الجارة تأتي لمعان

عديدة.

منها الملك والاختصاص، وقد عدّ بعضهم الملك هو أصل معانيها، وعدّ آخرون أن
الاختصاص هو أصل معانيها، وفرق بينهما فريق كابن يعيش والأربلي والخضري
ووافقهم فيه الشعراوي.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ وفي موضع آخر يبرز الشعراوي إفادة حرف "اللام" في قوله:

﴿لِذِكْرِي﴾¹⁰⁹¹، ويرى أن المقصود "لِ تَذَكُّرِي"؛ لأن دوام ورتابة النعمة قد

تُنسيك المنعم، فحين تسمع نداء (الله أكبر)، وترى الناس تُهرع إلى بيوت الله لا
يشغلهم عنها شاغل تذكر إن كنت ناسياً، وينتبه قلبك إن كنت غافلاً¹⁰⁹².

وقد قدم ابن عطية رأين في المسألة، فقال: «يحتمل أن يريد لتذكيري فيها، أو يريد

1087 - ينظر: تفسير الشعراوي، 2/ 7996.

1088 - سورة المائدة، الآية: 120.

1089 - ينظر: شرح المفصل، ابن علي بن يعيش، 8/ 25، وينظر: شرح التسهيل، ابن مالك، 3/ 144،

وينظر: شرح الرضى لكافية ابن الحاجب، 2/ 328، وينظر: الجني الداني، المرادي، 126.

1090 - سورة الكهف، الآية: 79.

1091 - سورة طه، الآية: 14.

1092 - ينظر: تفسير الشعراوي، 15/ 9242.

لأذْكَرُكُ في عليين بها، فالمصدر على هذا يحتمل الاضافة إلى الفاعل إلى المفعول، واللام لام السبب»¹⁰⁹³، بينما رأى ابن القيم أن "اللام" أفادت التعليل؛ أي أقم الصلاة لأجل ذكري¹⁰⁹⁴، فهي تنبيه على عظم قدر الصلاة، إذ هي تضرع الى الله تعالى، وعلى هذا فالصلاة هي الذِّكْر.

ت- معاني حروف العطف:

حروف العطف عشرة وهي: الواوُ والفَاءُ وَثُمَّ وَحَتَّى وَ أَوْ وَأَمَّا وَأَمْ وَ لا وَبَلْ وَلَكِنْ مخففة¹⁰⁹⁵، وهي من الحروف الهوامل: لأنها تدخل على الاسم والفعل جميعاً، ولا تختص بأحدهما فافتضى ذلك إلاّ تعمل شيئاً لأنها ليست بالعمل في الاسم أحق منها بالعمل في الفعل، ولها معان¹⁰⁹⁶.

1- دلالة الواو العاطفة:

ما حكم "الواو" في { وَرَافِعُكَ }، يعلل ذلك الشعراوي على الآية التالية: ﴿إِذْ قَالَ

اللَّهُ يَعْيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ

كَفَرُوا﴾¹⁰⁹⁷. فقوله: { وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } هذا القول الحكيم يأتي مستقيماً مع قول

الحق: { مُتَوَفِّيكَ }، والحق بجلال قدرته كان قادراً على أن يقول: "إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ ثُمَّ

¹⁰⁹³ - المحرر الوجيز، ابن عطية، 39/4. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 177/11.

¹⁰⁹⁴ - ينظر: التفسير القيم، ابن القيم الجوزية، تحقيق: رضوان جامع رضوان، دار ابن الهيثم، ط1،

2005، ص 390

¹⁰⁹⁵ - ينظر: أسرار النحو، شمس الدين أحمد بن سليمان، ص 287.

¹⁰⁹⁶ - ينظر: معاني الحروف، الرماني، ص 35.

¹⁰⁹⁷ - سورة آل عمران، الآية: 55.

أَتَوْفَاكَ بَعْدَ ذَلِكَ"، فمن الذي قال: إنَّ "الواو" تقتضي الترتيب في الحدث؟ ألم يقل الحق: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾¹⁰⁹⁸، هل جاء العذاب قبل النذر أو

بعدها؟ إنَّ العذاب إنَّما يكون من بعد النذر.

إنَّ "الواو" تفيد الجمع للحدثين فقط، فهي لا تقتضي ترتيب الأحداث، فإذا قال قائل: ولماذا جاءت {مُتَوَفِّيكَ} أولاً؟ نرد على ذلك: لأنَّ البعض قد يظن أنَّ الرفع تبرئة من الموت، إنه سبحانه يبلغ عيسى إني سأخذك تاماً غير مقدور عليك من البشر ومطهرك من حبث هؤلاء الكافرين¹⁰⁹⁹.

وقد اختلف النحاة في "الواو" هل تفيد الترتيب بين متعاطفيها أم أنها مجرد الجمع فقط؟

فقد ذهب البصريون إلى أنَّ الواو العاطفة لمطلق الجمع بين المتعاطفين من غير دلالة ترتيب¹¹⁰⁰، أما بعض الكوفيين منهم الفراء فذكر أنَّها موضوعة على الترتيب، ذلك في تعليقه على الآية المذكورة أنفاً، فهذا مُقدم ومُؤخر، والمعنى فيه: "إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذِّينِ كَفَرُوا وَمُتَوَفِّيكَ بَعْدَ إِنْزَالِي إِلَيْكَ فِي الدُّنْيَا"¹¹⁰¹.

فكان منهج الشعراوي رحمه الله مع اتجاه البصريين، وهذا الاختيار جرى عليه من قبل أكثر المتأخرين كابن هشام وابن عقيل والمرادي وأبو حيان الأندلسي وغيرهم¹¹⁰².

2- دلالة الفاء العاطفة على الترتيب:

هي من العوامل لأنَّها تختص أحد القبيلين دون الآخر، ولها ثلاثة مواضع؛ العطف

¹⁰⁹⁸ - سورة القمر، الآية: 16.

¹⁰⁹⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 3/1504.

¹¹⁰⁰ - ينظر: الكتاب، سيبويه، 1/437-438، وينظر: الجنى الداني، المرادي، ص151.

¹¹⁰¹ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، 1/235.

¹¹⁰² - ينظر: ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: رجب عثمان محمد و رمضان

عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998، 4/1981.

والجواب والزيادة¹¹⁰³، ومن معانيها أنها تفيد الترتيب والتعقيب¹¹⁰⁴.

وقد أبرز الشعراوي فائدة الفاء الدالة على الترتيب في معرض حديثه في قصة اثنين من الرسل، بحيث جاءت السورة بلسلوين منطوقين أحدهما بالواو، والآخر بالفاء، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾¹¹⁰⁵، لم يذكر وعداً ولم يحدد موعد العذاب، ولم

يأت بـ "الفاء" لأنها كما نعلم تقتضي التعقيب بسرعة وبدون مسافة زمنية؛ وتسمى

في اللغة "فاء التعقيب"، مثل قول الحق: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾¹¹⁰⁶، أما "ثم"

فتأتي لتعقيب مختلف؛ وهو التعقيب بعد مسافة زمنية. أما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا

جَاءَ أَمْرُنَا﴾¹¹⁰⁷، فحاءت "الفاء"، لأن الحق قد حدد الموعد الذي يتزل فيه

العذاب، فكان لا بد أن تسبق "الفاء" هذا الحديث عن عذابهم¹¹⁰⁸.

فكان المقام مقتضياً ترقب السامع لما حل بهم عند ذلك الموعد، فكان الموقع للفاء لتفريع ما حل بهم على الوعيد به¹¹⁰⁹.

وبالتالي فالفاء العاطفة تفيد الترتيب مع التعقيب، وفي ذلك خلاف، فمذهب البصريين يرى أنها تفيد الترتيب مطلقاً، وذهب الفراء إلى أنها تفيد الترتيب إلا في الفعلين الذين يقعان معاً ويكون أحدهما سبباً للآخر ويؤولان لمعنى واحد¹¹¹⁰، وذهبت طائفة من

1103 - ينظر: معاني الحروف، الرماني، ص 33.

1104 - ينظر: أسرار العربية، الأنباري، ص 336.

1105 - سورة هود، الآية: 94.

1106 - سورة عبس، الآية: 21.

1107 - سورة هود، الآية: 66.

1108 - ينظر: تفسير الشعراوي، 6632/11.

1109 - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 153/12.

1110 - ينظر: معاني القرآن، الفراء، 387/1.

الكوفيين إلى أنها لا تفيد الترتيب بمثلة الواو، وقال الجرمي إنها للترتيب إلا في الأماكن والمطر¹¹¹¹.

والرأي الذي نراه يتماشى مع طرح الشعراوي هو قول ابن عصفور «بأن الفاء قد استقر لها الترتيب، فمهما أمكن إبقاؤها على ما استقر لها كان أولى، وقد أمكن ذلك بأن نجعل الترتيب بالنظر إلى الذكر وذلك أن قولهم: عفاً موضع كذا فموضع كذا موضع كذا، قد لا تحضره أسماء الأماكن في حين الأخبار دفعة واحدة، فهو في حين الأخبار متذكر لها متبعباً، فما سبق إلى ذكره أتى به أولاً، وما تأخر في ذكره أتى به بالفاء، وتجعل الفاء منبئه عن هذا المعنى لأنها قد تقرر فيها أنها تجعل الثاني بعد الأول بلا مهلة، فمهما أمكن إبقاؤها على ذلك بوجه ما كان أولى¹¹¹²»، وهذا الرأي هو قول جمهور البصريين وبه سار الشعراوي.

3- دلالة "ثم" على الترتيب:

"ثم" بضم الثاء حرف عطف، وبفتح الثاء اسم بمعنى "هناك" يشار به للمكان البعيد، وهي تدل على التراخي والمهلة¹¹¹³، فإذا قلت: قام زيد ثم عمرو، آذنت بأن الثاني بعد الأول بمهلة، هذا مذهب الجمهور، وما أوهم خلاف ذلك تألوله¹¹¹⁴.

تكلم الشعراوي في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا

عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾¹¹¹⁵، وبين دلالة "ثم"

لنعلم أنها من حروف العطف، وكل حرف له معنى يؤديه، وإيتاء موسى الكتاب كان

¹¹¹¹- ينظر: همع الهوامع، السيوطي، 131/2

¹¹¹²- شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور، ص 234.

¹¹¹³- ينظر: معاني الحروف، الرماني، ص 135-136، وينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن

هشام، ص 120، وينظر: حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، 2000، ص 52.

¹¹¹⁴- ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 432.

¹¹¹⁵- سورة الأنعام، الآية: 154.

قبل أن يأتي قوله تعالى

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾:

عَلَيْكُمْ¹¹¹⁶. فالتواتر جاءت ثم الإنجيل، ثم جاء القرآن ككتاب خاتم، فكيف

جاءت العبارة هنا بـ "ثم"؟

يقول الشعراوي: «"ثم" لم تأت لترتيب أفعال وأحداث، ونسينا أن "ثم" قد تأتي

لترتيب أخبار. فقد يأتي مَنْ يقول لك: لماذا لا تسأل عن فلان ولا تؤدي الحق

الواجب عليك له؛ كحق القرابة مثلاً، فتقول: كيف، لقد فعلت معه كذا، ثم أنا

فعلت مع أبيه كذا، ثم أنا فعلت مع جدّه كذا، إذن فأنت تقوم بترتيب أخبار

وتتصاعد فيها وترقى، ولذلك قال الشاعر العربي¹¹¹⁷:

إِنَّ مَنْ سَادَ ثُمَّ سَادَ أَبُوهُ ثُمَّ قَدْ سَادَ قَبْلَ ذَلِكَ جَدُّهُ.

فالسيادة جاءت أولاً للجد ثم جاءت للأب ثم انتقلت للابن، و"ثم" في هذه الحالة

ليست لترتيب الأحداث وإنما جاءت للترتيب الإخباري أي يكون وقوع المعطوف

بها بعد المعطوف عليه بحسب التحدث عنهما لا بحسب زمان وقوع الحدث على

أحدهما فالمراد الترتيب في الإخبار بالأحداث. والله المثل الأعلى، تجد من يقول لابنه:

لقد اعتنيت بك في التعليم العالي، ثم لا تنس أنني قد اعتنيت بك في التعليم الثانوي، ثم

لا تنسى أنني قد اعتنيت بك في التعليم الإعدادية؛ ثم لا تنسى أنني قد اعتنيت بك من

قبل كل ذلك التعليم الابتدائي، وأنت بذلك ترتقي إخبارياً لا أحداثياً¹¹¹⁸.

وقد تناول المفسرون هذه المسألة وتعددت آرائهم في إثبات حكم "ثم" في قوله تعالى :

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ

وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾¹¹¹⁹، ومن الأوجه التي قدمها الرازي في حكم "ثم"

1116 - سورة الأنعام، الآية: 151.

1117 - ينظر: ديوان أبي نواس، تحقيق: بدر الدين حاضري، ص 209.

1118 - تفسير الشعراوي، 7 / 4003-4004.

1119 - سورة الأنعام، الآية: 154.

هنا، أنها جاءت لتأخير الخبر عن الخبر لا لتأخير الواقعة¹¹²⁰. وهو الوجه الذي اختاره البيضاوي، بأن "ثم" تفيد التراخي في الإخبار أو التفاوت في الرتبة، كأنه قيل: "ذِكْمٌ وَصَاكُمُ بِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ثُمَّ أُعْظِمَ مِنْ ذَلِكَ"¹¹²¹.

أما الطاهر ابن عاشور فرآها أنها تفيد التراخي الربتي، وأن تراخي رتبة موسى عليه السلام الكتاب عن تلاوة ما حرم الله في القرآن، وما أمر به من ملازمة صراط الإسلام، إنما يظهر ببعد النظر إلى المقصود من نظم الكلام، فإن المقصود من ذكر

موسى الكتاب ليس لذاته، بل هو التمهيد لقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾¹¹²² ليرتب عليه قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ

الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ

لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى

مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾¹¹²³؛

ومعنى الكلام: "وَفَوْقَ ذَلِكَ فَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ جُمِعَ فِيهِ مَا أُوتِيَ مُوسَى وَهُوَ أَعْظَمُ مَا أُوتِيَ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِهِ وَمَا فِي الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ مُصَدِّقٌ لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَمُهَيْمِنٌ عَلَيْهِ"¹¹²⁴.

ويستفاد مما قدم أن "ثم" في الآية جاءت لترتيب الإخبار لا ترتيب الحكم ولا لترتيب الزمان، وهو رأي الشعراوي وموافق لرأي المفسرين.

ث- معاني حروف الزيادة:

¹¹²⁰- ينظر: مفاتيح الغيب، الرزاي، 14/4.

¹¹²¹- ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 189/2.

¹¹²²- سورة الأنعام، الآية: 155.

¹¹²³- سورة الأنعام، الآيتان: 157/156.

¹¹²⁴- ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 175/8.

إنَّ حروف الزيادة في القرآن الكريم أمرٌ متنازعٌ فيه، فمنهم من يسميه حرف تأكيد، ومنهم من يسميه "صلة" ومنهم من يسميه "مُقْحَم" مع تحرج الكثيرين من إطلاق لفظ (زائد) تأدباً من أن يكون في القرآن زيادة، ومعلومٌ أن حق الزيادة أن تكون في الحرف والأفعال، أمّا في الأسماء فقد نصّ أكثر النحويين أن لا زيادة فيها.

1- مجيء "ما" الزائدة:

"ما" لفظ مشترك يكون حرفاً واسماً، فأما الحرفية فلها ثلاثة أقسام: نافية ومصدرية، وزائدة¹¹²⁵.

ولقد أثار وجود "ما" هنا بعض التفسيرات، فهناك من العلماء من قال: إنها زائدة،

وآخرون قالوا: إنها "صلة" وقيل إنها نكرة. ففي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقُضِهِم

مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾¹¹²⁶، فقد ذهب ابن عطية إلى أنها إما تكون زائدة أو نكرة

تامة بمعنى شيء، ووجوز أن تكون اسماً نكرة أبدل منه النقض على بدل المعرفة من النكرة والتقدير؛ "فبفعل هو نقضهم للميثاق"¹¹²⁷، وهو الوجه الذي ذكره السمين الحلبي¹¹²⁸، والطاهر ابن عاشور¹¹²⁹.

والشعراوي يستنكر على الذين يقولون أن في القرآن حرفاً زائداً، ويعلق على الآية فيقول: «إنَّ الأصل الذي نشئت منه هو المصدر، ومرة يأتي المصدر ويراد به الفعل، كقول القائل: "ضرباً زيداً"؛ أي: "اضرب زيداً"، ومجيء المصدر هنا قول مقصود به الفعل، فمادام النقض مصدراً فمن الممكن أن يقوم مقام الفعل. ومادام المصدر قد قام مقام الفعل فمن الجائز أن يأتي فعل آخر.

إذن "ما" تدل هنا على أن المصدر قد جاء نيابة عن فعل. وبقيت "ما" لتدل على أن

¹¹²⁵ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص328.

¹¹²⁶ - سورة المائدة، الآية: 13.

¹¹²⁷ - ينظر: المحرر الوجيز، بن عطية، 169/2. وينظر: إعراب القرآن، العكبري، 426/1.

¹¹²⁸ - ينظر: الدرر المصون، السمين الحلبي، 142/4.

¹¹²⁹ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 17/6.

المصدر من الفعل المحذوف، أو أن "مَا" جاءت استفهامية للتعجب ؛ أي: فبأي نقض من ألوان وصور نقضهم للعهد لعناهم؟ وذلك لكثرة ما نقضوا من العهود على صور وألوان شتى منهم النقض للعهد»¹¹³⁰، وهذا الرأي الأخير اختاره الرازي فقال: «أنَّ "مَا" قد تكون استفهاماً للتعجب»¹¹³¹. وبالتالي تصور الشعراوي "اللام" منطقي ولا يخالف القاعدة النحوية، وهو اجتهاد ينبئ على سعة الرجل النحوية والبيانية للقرآن الكريم.

2- مجيء "اللام" الزائدة:

وذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا

إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾¹¹³²، فقد جاء عن الفراء أن "لا" صلة¹¹³³، كما

جاءت كذلك في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا

يَرْجِعُونَ﴾¹¹³⁴، ورجح الطاهر ابن عاشور القول بعدم زيادة "لا"¹¹³⁵.

أما ابن كثير فيرى أنها زائدة، والتقدير في نظره: "وَمَا يُدْرِيكُمْ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ تُؤَدُّونَ لَهُمْ ذَلِكَ حِرْصًا عَلَىٰ إِيْمَانِهِمْ - أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْهُمُ الْآيَاتُ يُؤْمِنُونَ"¹¹³⁶، وغيره ضَعَفَ هَذَا الْقَوْلَ وَقَالَ: هَذَا غَلَطٌ، وَذَكَرَ أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ (أَنَّ) بِمَعْنَى لَعَلَّهَا ، وَعَلَى هَذَا التَّوِيلِ لَا يَقْدَرُ كَوْنُ لَا زَائِدَةً ، وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: "أَيُّ وَمَا أُدْرَاكُمْ لَعَلَّهِمْ إِذَا

1130 - تفسير الشعراوي، 3006 / 05.

1131 - مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، 64/9.

1132 - سورة الأنعام، الآية: 109.

1133 - ينظر: معاني القرآن، الفراء، 366/1.

1134 - سورة الأنبياء، الآية: 95.

1135 - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 439/7.

1136 - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 317/3.

جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ¹¹³⁷.

وقد اختار الشعراوي هذا الرأي وقال: «إنَّ بعض من المفسرين قال: أنَّ (لا) زائدة ،
ومنهم من كان أكثر تأدبا فقال: (لا) صلة لأنهم خافوا أن يقولوا: (لا) زائدة ...
فلحق يريد أن يقول للمؤمنين: "مَا يَعْظُمُكُمْ يَا مُؤْمِنُونَ أَنِّي إِذَا جِئْتُ لَهُمْ بِالْآيَةِ
يُؤْمِنُونَ"، فكأنه سبحانه يُنكر على المؤمنين تأييد مطلب الكافرين ، وقد تلتطف الحق
مع المؤمنين وكرم حسن ظنهم في التأييد لأنهم لا يؤيدون الطلب حبا في الكفار، بل
حبا في النبي والمنهج، إذن حين جاء الأسلوب بـ { لَا يُؤْمِنُونَ } فـ"لا" حقيقية
وليست زائدة»¹¹³⁸.

وقد تناول الخطابي مجيء "الباء" الزائدة في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ

بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾¹¹³⁹، وذكر أنَّ هذا الحرف كثيراً ما يوجد

في كلام العرب الأول الذي نزل القرآن به ، وإن كان يعزّ وجوده في كلام
المتأخرين¹¹⁴⁰. والباء في "إلحاد" هي لا موضع لها هنا.. ولو قيل: "وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ إِلْحَادًا
بِظُلْمٍ" كان كلاماً صحيحاً لا يُشكّل معناه ولا يُشْتَبه¹¹⁴¹.

أما الشريف المرتضى في أماليه فلم يذهب إلى ذلك ، وإنما ذهب إلى أنه لم يأت إلا

لزيادة فائدة الاختصاص ، في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ

لَهُمْ﴾¹¹⁴²، فقال: «وتقدير قوم إنَّ "مَا" ها هنا زائدة فليس الأمر على ما ظنّوه لأنَّ

من شأنهم ألاَّ يُدخلوا "مَا" ها هنا إلاَّ إذا أرادوا الاختصاص وزيادة فائدة على قولهم

¹¹³⁷- ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 333/2.

¹¹³⁸- تفسير الشعراوي، 6/ 3871.

¹¹³⁹- سورة الحج، الآية: 25.

¹¹⁴⁰- ينظر: بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص45.

¹¹⁴¹- نفس المرجع، ص 39.

¹¹⁴²- سورة آل عمران، الآية: 159.

"فَبَرَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ" لأنَّ مع إسقاط "مَا" يجوز أن تكون الرحمة سبباً للين وغيرها رقة، ولا يكادون يدخلونها مع "مَا" إلا والمراد أنها سببه دون غيرها، فقد أفادت اختصاصاً لم يُستفد قبل دخولها»¹¹⁴³.

ولعلَّ من المفيد أن نذكر رؤية عبد القاهر الجرجاني في عرض ه للآية ورفض ه مطلقاً أن يكون في القرآن حرف لا معنى له، لأنَّ وجود الحرف لا يمكن أن يكون إلا بوجود معناه معه، وحدد هذا المعنى الذي يفيد حرف "مَا" في الآية ، وقال إنه يفيد التأكد والمجاز¹¹⁴⁴.

وتعرض ابن سنان الخفاجي لهذه المسألة فقال: «فأما زيادة (مَا) في الآية: فإنَّ لها هنا تأثيراً في حسن النظم وتمكيناً للكلام في النفس، وبعداً به عن الألفاظ المبتذلة، فعلى هذا لا يكون حشواً لا يفيد»¹¹⁴⁵.

وإلى الاتجاه نفسه ذكر الرافي أن الزيادة لها وقع خاص في النظم، لأنَّ هذه الحروف تفيد إفادة جديدة في موقعها سواء أكانت هذه الفائدة من جهة المعنى أم من جهة الموسيقى، وتكسب الكلام رونقاً وجمالاً بليغاً—«الزيادة لونا من التصوير لو هو حُذِف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإنَّ المراد بالآية تصوير لين النبي صلى الله عليه وسلم لقومه، وإنَّ ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المدّ في "ما" وصفاً لفظياً يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تشعر بانعطاف وعناية ولا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منها في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارة ومجرورها (وهو لفظة رحمة) مما يُلَفِت النفس إلى تدبّر المعنى وبنه الفكر إلى قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبيعي في بلاغة الآية كما ترى»¹¹⁴⁶.

وبالتالي من خلال ما قُدم نجد رأيين متوازيين في معالجة زيادة الحروف في القرآن، بين مثبت ورافض لها، والشعراوي كالرازي، وابن القيم وغيره أنكروا أن يكون في كلام

1143- أمالي المرتضى، الشريف المرتضى، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1957، 313/2.

1144- ينظر: دلالات الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 368 / 363.

1145- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص 156-

157.

1146- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص 231.

الله حشو وإن كان المشبوت لها هم أكثر أهل العلم.
 فالشعراوي عارض من قال بوجود الزيادة في القرآن رغم أنه سار في منهجه موافقاً
 لنهج البصريين كالخليل وسيبويه في معالجة المسائل النحوية، إلا في هذه المسألة
 خالفهم، والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى، فإن كان في الشعر أو
 كلام العرب فإنه مقبول، أما في القرآن فلا حاجة لقول هذا إلا إذا اعتبره النحويون
 زائداً من جهة الإعراب، لا من جهة المعنى، فكل زيادة وردت في كتاب الله كان لها
 معنى ومدلولاً وسراً بلاغياً لا يفقهه إلا من تملك ناصية اللغة العربية، وأتقنها شعراً
 ونثراً وبلاغة.

ج- حروف التنفيس:

هي تعليق النفس بما يكون من الأمور في المستقبل¹¹⁴⁷، و"سوف" حرف تنفيس
 تختص بالفعل المضارع وتخلصه للاستقبال كـ "السين"، وفيه لغات حكاها
 الكوفيون، وهي: سَفْ، وَسَوْ، وَسَيَّ¹¹⁴⁸، ورأى البصريون أن "سَوْفَ" أبلغ من
 "السين"، واختار ابن مالك استوائهما¹¹⁴⁹.

تناول الشعراوي هذه الجزئية فقال في قوله تعالى ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾¹¹⁵⁰، عندما قرأ "سَوْفَ" نعلم أن الزمن الذي يفصل بين

الحدث والحدث متسع وبعيد، ولذلك نرى أن الردة قد امتدت في عهد أبي بكر وفي

¹¹⁴⁷ - ينظر: معاني الحروف، الروماني، ص 32.

¹¹⁴⁸ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 464.

¹¹⁴⁹ - ينظر: المغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، 342/2.

¹¹⁵⁰ - سورة المائدة، الآية: 54.

عهد عمر رضي الله عنه ما. وإذا رأينا "السَّيْن" تسبق قولاً فإنَّ هذا يعني أنَّ الزمن

الذي يفصل بين الحدث والحدث قريب وقليل مثل قوله الحق: ¹¹⁵¹ ﴿سَيَقُولُ

السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ

¹¹⁵²

وقد أفاد الزمخشري أنَّ "السَّيْن" إذا جاءت قبل فعل محبوب أو مكروه فادت وقوعه

وتحققه وتوكيده، وفي توجيه قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ

¹¹⁵³،

ذكر أنَّ "السَّيْن" مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد

مثل قولك: "سَأَنْتَقِمَ مِنْكَ يَوْمًا"، كما ذهب إلى أنَّ "سوف" تكون للمتحقق أيضا

¹¹⁵⁵،

الوعد والوعيد ¹¹⁵⁴، وهذا الرأي سار به كل من الرازي في مفاتيح الغيب

وأبوحيان في البحر ¹¹⁵⁶.

ومما سبق نرى اتفاق النحويين والمفسرين في مجيء "السَّيْن" للاستمرار و"سَوْفَ"

للاستقبال وهما حرفان للتنفيس، وبالتالي طرح الشعراوي موافق لهم ومتبع منهج

البصريين في ذلك وعلى رأسهم سيبويه.

ح- حروف التفسير:

وهي: "أَيُّ، وَأَنْ، فَأَنْ مُخْتَصَةٌ بما في معنى القول، وَأَيُّ يَفْسِّرُ بِهَا كُلُّ مُبْهِمٍ مِنَ الْمَفْرَدِ،

نحو: جاءني زيد، أَيُّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ¹¹⁵⁷.

وقد تكون "أَلَّا" مركبة من "أَنَّ" الناصبة للفعل، أو المخففة، و"لَا" النافية، فتعد

¹¹⁵¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 3212/5.

¹¹⁵² - سورة البقرة، الآية: 142.

¹¹⁵³ - سورة التوبة، الآية: 71.

¹¹⁵⁴ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 67/3.

¹¹⁵⁵ - ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 100/4-101.

¹¹⁵⁶ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 593/1.

- ينظر: ينظر: شرح الرضی، ابن الحاجب، 1379/2. ¹¹⁵⁷

﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي﴾

حرفين لا حرفاً واحداً ، كقوله تعالى:

﴿مُسْلِمِينَ﴾¹¹⁵⁸ ، وقد أجازوا في "أن" هذه أن تكون مصدرية ناصبة للفعل، ومخففة من الثقيلة، ومفسرة¹¹⁵⁹.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنِّي دُونِي﴾

وقد تحدث العلماء طويلاً في (ألاً) في قوله تعالى:

﴿وَكَيْلًا﴾¹¹⁶⁰ ، فمنهم من قال: إنها ناهية، إذا قرأت "أَنْ لَا تَتَّخِذُوا"؛ يعني: قلنا

لهم لا تتخذوا من دوني وكيلاً¹¹⁶¹ ، ومنهم من قال إنها نافية¹¹⁶² . وفي نظر

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾:

الشعراوي إنها مفسرة لما قبلها من قوله تعالى

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾¹¹⁶³ ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ

﴿أَمْرٍ مُّوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾¹¹⁶⁴ ، (فأن) هنا مفسرة لما قبلها، وكأن المعنى:

"وأوحينا إليه ألا تتخذوا من دوني وكيلاً"، أو نقول: إن فيها معنى المصدرية، وأن المصدرية قد تجرّ بحرف جر كما نقول: عَجِبْتُ أَنْ تَنْجَحَ؛ أي: مَنْ أَنْ تَنْجَحَ، ويكون معنى الآية هنا: "وأوتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل لأن لا تتخذوا من دوني وكيلاً"¹¹⁶⁵.

1158 - سورة سبأ، الآية: 31.

1159 - ينظر: الجزي الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 516.

1160 - سورة الإسراء، الآية: 2.

1161 - ينظر: أنوار التنزيل و معالم التأويل، البيضاوي، 249/3.

1162 - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 46/5.

1163 - سورة الإسراء، الآية: 2

1164 - سورة القصص، الآية: 7.

1165 - ينظر: تفسير الشعراوي، 8305/13.

بينما رأي الواحدي أن "أن" زائدة، والمعنى: "لَا تَتَوَكَّلُوا عَلَيَّ غَيْرِي وَلَا تَتَّخِذُوا مِنِّي دُونِي رَبًّا"¹¹⁶⁶، بينما أنكر أبو حيان الأندلسي أن تكون "أن" زائدة، وَجَوَزَ أَنْ تكون تفسيرية و "لا" نهي، وَأَنْ تكون مصدرية تعليلاً: "أَيُّ لَأَنْ لَا يَتَّخِذُوا"¹¹⁶⁷.
 بينما الطاهر ابن عاشور، رأى أَنَّهُ قد تكون (أَنْ) تفسيرية لما تضمنه لفظ الكتاب من معنى الأقوال، ويكون التفسير لبعض ما تضمنه الكتاب اقتصاراً على الأهم منه وهو التوحيد، وقد تكون (أَنْ) مصدرية مجرورة بلام محذوفة حذفاً مطرداً، والتقدير: "آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ لِيَتَّخِذُوا مِنِّي دُونِي وَكَيْلًا"¹¹⁶⁸.
 وفي النهاية رأينا اختلافاً في هذه المسألة، وما قدمه الشعراوي هو عين الصواب، وهم ما بينه الطاهر ابن عاشور.

خ- نيابة بعض حروف الجر:

ذكر المرادي أن الأصل في الحرف أن يوضع لمعنى واحد، وقد يُتوسع فيه، فيستعمل في

غيره¹¹⁶⁹، فالعرب تقول في لفظ "هَزِي" من قوله تعالى: ﴿وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِدْعٍ

النَّخْلَةَ﴾¹¹⁷⁰، وَهَزَّ بِهِ وَهَزَهُ، وَخُذِ الْخَطَامَ وَخُذِ بِالْخَطَامِ، وتعلق زيدا وتعلق بزيدا،

وخذ برأسه، وخذ رأسه، وامتد بالحبيل وامتد الحبيل¹¹⁷¹.

وقد تناول الشعراوي هذا الجانب في تفسيره وأطال فيه النظر، وذهب إلى عدم جواز نيابة الحروف عن بعضها البعض.

1- مجي "عن" الجارة بمعنى "من":

¹¹⁶⁶ - ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: صفوان عدنان داوودي،

الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط، 1، 1994، 627/2.

¹¹⁶⁷ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 7/6.

¹¹⁶⁸ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 25/15.

¹¹⁶⁹ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، ص 25.

¹¹⁷⁰ - سورة مريم، الآية: 25.

¹¹⁷¹ - ينظر: معاني القرآن، الفراء، 165/2.

جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ

عِبَادِهِ﴾¹¹⁷²، فظاهر الأمر أن يقال: ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة (من)

عبادة، ولكنه ترك (من) وجاء بـ: (عَنْ). و الشعراوي ينفي أن يقال: إنَّ الحروف تنوب عن بعضها، لماذا؟

يقول: «إِنَّه كلام الحق ولا حرف فيه يعني عن حرف آخر؛ لأن معنى التوبة، أن ذنباً قد حدث، واستوجب المذنب العقوبة، فإذا قبل الله التوبة، فقد تجاوز الله عن العقوبة؛ ولذلك جاء القول من الحق محددًا في - الآية - أي: متجاوزاً بقبول التوبة عن العقوبة وهكذا جاءت (عَنْ) بمعناها؛ لأنه سبحانه هو الذي قبل التوبة، وهو الذي تجاوز عن العقوبة»¹¹⁷³، وقد حمل الزمخشري الآية على حقيقة حرف الجر¹¹⁷⁴، وبالتالي نفهم أن الشعراوي يعترض على القائلين بجواز نيابة حروف الجر بعضها عن بعض.

وذكر ابن عصفور في تفسير حرف الجر "الباء" في قوله تعالى: ﴿فَسَأَلَ بِهِ

خَبِيرًا﴾¹¹⁷⁵؛ أي "فأسأل بسببه خبيراً"؛ لأن طلب السؤال منها عام فكأنه قال:

"إِذَا سَأَلْتَ بِسَبَبِهِ عَنْ شَيْءٍ فَقَدْ وَقَعْتَ بِسؤالِكَ عَلَى خَبِيرٍ بِهِ"¹¹⁷⁶.

وأورد أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾¹¹⁷⁷، فـ:

"إلى" لا تحتل إلا معنى واحداً، و"إلى" هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل، أي: صرّفوا خلاهم إلى شَيَاطِينِهِمْ¹¹⁷⁸.

¹¹⁷² - سورة التوبة، الآية: 104.

¹¹⁷³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 9 / 5479.

¹¹⁷⁴ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 3 / 89.

¹¹⁷⁵ - سورة الفرقان، الآية: 59.

¹¹⁷⁶ - شرح الجمل الكبير، ابن عصفور، ص 501.

¹¹⁷⁷ - سورة البقرة، الآية: 17.

¹¹⁷⁸ - ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 1 / 201.

ثم ذكر أن قوما زعموا أن "إلى" هنا بمعنى "مع"؛ أي: "إِذَا دَخَلُوا مَعَ شَيَاطِينِهِمْ" كما زعموا ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾¹¹⁷⁹، وقوله

تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِيَّ إِلَىٰ اللَّهِ﴾¹¹⁸⁰؛ أي: "مَعَ أَمْوَالِكُمْ وَمَعَ اللَّهِ"، وذكر أنه لا حجة في شيء من ذلك، وإن هذا ضعيف، إذ إن نيابة الحروف لا يقول بها سيبويه والخليل¹¹⁸¹.

وذهب بعض العلماء إلى جواز نيابة بعض الحروف عن بعض بكثرة وليس مطلقاً، ومنهم المبرد¹¹⁸²، وكذلك عقد ابن قتيبة باباً لهذا سماه "ما ينقص منه ويزيد فيه" ويبدل بعض حروفه بغيره¹¹⁸³، أما ابن جني فيحذر من الالتجاء إلى المناوبة في كل الحروف؛ بل يكون معناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إلى ذلك¹¹⁸⁴. وعقد ابن الشجري في أماليه باباً لذلك¹¹⁸⁵، ذكر فيه قيام بعض الحروف

بمقام بعض، ومثل بكثير من أمثلة ابن جني وشواهد، وقال في قوله تعالى: ﴿فَسْأَلْ

بِهِ خَيْرًا﴾¹¹⁸⁶؛ أن "الباء" هنا بمعنى "عن"؛ أي أسأل عنه¹¹⁸⁷.

1179- سورة النساء، الآية: 2.

1180- سورة الصف، الآية: 14.

1181- ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 201/1.

1182- ينظر: الكامل في اللغة والأدب، المبرد، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،

(د،ت)، 245/244/3.

1183- ينظر: أدب الكاتب، ابن قتيبة، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (د،ت)، ص 403.

1184- ينظر: الخصائص، ابن جني، 308/2.

1185- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي،

القاهرة، مصر، 1992، 615-614/2.

1186- سورة الفرقان، الآية: 59.

1187- أمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد، 542/2.

وقال ابن السيد البطليوسي: « هذا الباب أجازه قوم من النحويين أكثرهم الكوفيون، ومنع منه قوم أكثرهم البصريون وفي القولين جميعاً نظر ؛ لأن من أجازه دون شرط وتقييد لزمه أن يجيز: سرت إلى زيد، وهو يريد: مع زيد وهذه المسائل لا يجيزها من يجيز إبدال الحروف ومن منع من ذلك على الإطلاق لزمه أن يتعسف في التأويل لكثير مما ورد في هذا الباب»¹¹⁸⁸.

وهكذا فالبصريون يمنعون نيابة بعض الحروف الجارة عن بعض بقياس وكذلك حروف الجزم وأحرف النصب¹¹⁸⁹، والكوفيون وتبعهم الأخفش وابن هشام يجيزون مطلقاً، وبعضهم يجيز نيابة الحروف بكثرة، وبعضهم يجيزها إذا ما أدى بالحرفين معاً واحداً، ومنهم البطليوسي وابن عطية والنيسابوري.

أما الشعراوي فقد تابع في منهجه النحوي آراء البصريين بعدم جواز نيابة بعض

الحروف عن بعض، وقد ذكر الدسوقي في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِبَنكُمْ فِي﴾

جُدُوعِ النَّخْلِ¹¹⁹⁰، أنه ليست "في" معنى "على" ما يظنّه من لا تحقيق عنده،

ولما كان الصلب بمعنى الاستقرار والتمكن عُدِّي بـ "في" كما يُعدى الاستقرار¹¹⁹¹.
وعليه تكون "في" على حقيقتها فلا يمكن حملها في كل آية على الظرفية، وقد وافق رأيه رأي الشعراوي وحمل "في" هنا على معناها الأصلي للدلالة على المبالغة في الصَّلْبِ تصليباً قوياً، بحيث يدخل المصلوب في المصلوب فيه كأنه ليس عليه، بل داخل فيه¹¹⁹².

¹¹⁸⁸ - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ابن السيد البطليوسي، تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبد المجيد،

دار الكتب المصرية، مصر، 1996، ص 339-340.

¹¹⁸⁹ - ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام، 179/2.

¹¹⁹⁰ - سورة طه، الآية: 71.

¹¹⁹¹ - ينظر: شرح المفصل، بن يعيش، 21/8.

¹¹⁹² - ينظر: تفسير الشعراوي، 9326/2.

فقد يترتب عن قول الكوفيين بجواز نيابة حروف الجر مطلقاً، وقول البصريين بالمنع مطلقاً، رد ما ورد عن العرب من أساليب استخدمت في هذا الشأن، وإن قول الشعراوي في آية التوبة وحملها على حقيقتها أبلغ لما فيه من عمق للمعنى وللفهم.

2- مجيء "اللام" الجارة بمعنى "عن":

وقد أطلق بعضهم في ورود اللام بمعنى "عَنْ" ولم يخصه بأن يكون بعد القول، ومثله بقول العرب: لَقِيْتُهُ كَفَّةً لِكَفَّةٍ، أَي: عَنِ كَفَّةٍ، لأنهم قالوا: لَقِيْتَهُ كَفَّةً عَنِ كَفَّةٍ، والمعنى واحد¹¹⁹³.

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيْمًا﴾¹¹⁹⁴؛ لماذا لم يقل الحق

"عَنْ" بدلاً من "اللام"؟

يجيب الشعراوي في قول: «و"اللام" التي في أول "الخَائِبِينَ" هي للملكية ؛ أي أن الحق يأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا يقف موقفاً لصالح الخائن ؛ بل عليه أن يخاصم لمصلحة الحق، وقد حاول العلماء أن يقربوا المسافة فقالوا: ربما لا يتنبه أحد لمسألة اللام وأنها هنا للنفعية، فيكون المنهي عنه أن يقف المسلم موقفاً ينفع خائناً، بل لا بد أن يكون على الخائن وليس معه، فاللام هنا تكون بمعنى "عَنْ" ؛ أي لا تكن يا محمد مدافعاً عن الخائنين»¹¹⁹⁵.

فللغاية من الدفاع عن الخصم أن ترجح أمره وتكون له لا عليه، لذلك جاء الحق بـ "اللام" هنا من أجل أن نعرف الغاية من "عَنْ" واضحة ، فاللام تفيد ألا ينفع المسلم خائناً، فلا تكون المسألة له، ولذلك جاء الحق بها إيضاحاً واختصاراً لنعرف أن رسوله لن يقف في جانب الخائن ولن يأتي له بما ينفعه.

وقد اختلف العلماء حول مجيء "اللام" في الآية، فمنهم من رأى أن مجيئها للنهي¹¹⁹⁶، ومحمتم أن تكون للمبالغة¹¹⁹⁷، ومنهم من رآها للتعليل وليست لام

¹¹⁹³ - ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ، المرادي، ص 106.

¹¹⁹⁴ - سورة النساء، الآية: 105.

¹¹⁹⁵ - تفسير الشعراوي، 2608-2607/5.

¹¹⁹⁶ - ينظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي، 186/3.

التقوية¹¹⁹⁸، أما قول الزجاج¹¹⁹⁹ والعكبري¹²⁰⁰ فقد جاء موافقا لما ذكره الشعراوي.

وبالتالي استطاع الشعراوي بملكته النحوية أن يقف عن هذه الجزئية، ويأخذ ما هو أصح ومناسب للمعنى دون أن يفسد مُراد الآيات. مما قدم لتبيين لنا عناية الشعراوي وحفاوته بوظيفة الحروف في أداء المعاني، فليست المسألة تناسقاً لفظياً فحسب، بل ما وراء ذلك معنى لطيفاً استنبطه الشعراوي بحسه وفكره ومخيلته، باغياً في ذلك إرشاد الناس وتنبههم، وإعانتهم بسلوك طريق الله المستقيم، طريق الحق والصواب.

- ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 358/3.¹¹⁹⁷

-. ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 193/5.¹¹⁹⁸

- ينظر: م عاني القرآن، الزجاج، 101/2.¹¹⁹⁹

- ينظر: التبيان، العكبري، 387/1.¹²⁰⁰

الفصل الرابع: المستوى الدلالي في تفسير الشعراوي:

استخدم الدرس اللغوي العربي مجموعة من المصطلحات للدلالة على علوم لغوية معينة، لعل أشهرها مصطلح اللغة، وقد أطلق هذا الفن على العلم الذي يختص بجمع الألفاظ اللغوية ودراستها وينسب إليها، فيقال لغوي وهو العالم الذي يعرف قدراً كبيراً من ألفاظ اللغة، وعلى الأخص الألفاظ الغريبة منها، أو هو التخصص في إخراج المعاجم اللغوية¹²⁰¹.

ولقد عني علماء اللغة القدماء بتجميع الألفاظ في حقول دلالية وهو ما يدخل ضمن البحوث المعجمية، غير أن هذا العلم اتسعت دراسته في العصر الحديث، إذ يضم إلى جانب دراسة المفردات دراسة الأصوات وبناء الكلمات والجمل، وأصبح صناعة له منهجه الخاص به، «وليس بمستغرب أن ينال علم المعنى هذا القدر من الاهتمام بين العلماء والباحثين، فدلالة الألفاظ أمر يتصل بجوانب الحياة المتعددة، وبالتواصل بمستوياته المختلفة بين الأفراد والجماعات، فقد اتجه العلماء اللغويون لدراسة دلالات الكلمات دراسة علمية مستفيضة تتصف بالدقة والعمق، بغية الوصول إلى تحديد أدق للمعنى، والكشف عن جوانبه المختلفة، حتى أصبح هذا العلم بعد أن كان فرعاً من فروع اللغة يكاد يكون علماً مستقلاً بذاته»¹²⁰².

وفي اعتناء الشعراوي بالمفردة القرآنية اقتفاءً لأثر علماء التفسير الكبار الذين اعتنوا بدراستها والكشف عن دلالاتها، يقول الراغب الأصفهاني: «وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن الكريم العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل مفردات ألفاظ القرآن في كونه في أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللب في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبينه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتمد الفقهاء

¹²⁰¹ - ينظر: فقه اللغة في كتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1997، ص 37.

¹²⁰² - العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود، دار غريب، القاهرة، ص 177.

والحكماء في أحكامهم وحكمهم ، وإليها مفزع حُذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم»¹²⁰³.

والمطالع لتفسير الشعراوي والمتابع له يستطيع أن يُدرك -ولأول وهلة- اهتمامه البالغ بالمفردات وتحقيقها ومعرفة اشتقاقها، وتصريفها وأوجه استخدامها بشكل يفوق الجوانب الأخرى من اللغة، وإن كانت هذه الجوانب جميعها تتداخل وتتكامل فيما بينها بشكل منهجي في عملية التفسير، ولنلمس ذلك في حديثه عن أهمية دلالة الكلمة في القرآن، فقال: «القرآن الكريم له أسلوب مميز، لأنّ الذي يتكلم هو الله، ولذلك فإنّ كل لفظ من ألفاظ القرآن الكريم يأتي مطابقاً للمعنى تماماً، وفي اللغة قبل أن نتكلم لا بُد أن تكون عالماً بمعنى اللفظ، وأن يكون محدثك أيضاً عارفاً معناه حتى يستطيع أن يفهمك، فإن قلت لإنسان: أَحْضِرْ لِي كُوباً مِنَ الْمَاءِ لِأَشْرَبَ، فلا بد أن يكون عارفاً لمعنى الماء، ومعنى الكوب وإلاّ فإنّه لن يفهم»¹²⁰⁴، وبالتالي لا تتم عملية التواصل بين المحدث والسامع إلا إذا استوعب الطرفين لغة الحوار ورموز الكلام.

أولاً : أهمية المعنى في التفسير:

من شروط المفسر العلم بأدوات العربية وعلومها، ولن يتأتى هذا إلاّ بتحصيل دلالات اللغة وبالأخص إدراك معاني دلالة الألفاظ؛ ولهذا يُعرف التهانوي (ت: 1362هـ) التفسير بأنّه «بيان لفظ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً»¹²⁰⁵؛ بمعنى أنّ اللفظ لا يحتمل إلى معنى واحد، والمقتحم لهذا الفن يجب أن يكون أعلم بتأويل معاني القرآن، «وأصحاب

¹²⁰³ - مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 8/1، وقد أولى الراغب الأصفهاني عناية كبيرة بالمفردة، خاصة ما يتعلق بالمفردة القرآنية، ذلك لأنها معنية بتحقيق شرع الله وأوامره، وبها تُلَسَّس الأحكام وتعقد الموثيق، وقد قدم الباحث المغيلي خدير، رسالة دكتوراه بين فيها إسهامات الراغب الأصفهاني وحرصه في إظهار دلالات الألفاظ القرآنية، ينظر: الدلالة عن الراغب الأصفهاني من خلال المفردات في غريب القرآن، المغيلي خدير، إشراف: صفية مطهري، جامعة وهران السانبا، 2009-2010، ص 111.

- تفسير الشعراوي، 5316/9،¹²⁰⁴

¹²⁰⁵ - كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي، محمد علي الفاروق، تحق: لطفي عبد البديع ومراجعة أمين الخولي، بيروت، 1984، ص 1116.

العربية جنُّ الإنس يُبصرون ما لا يُبصره غيرُهُم»¹²⁰⁶، ولقد كانت قريش « من أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وإبانة عما في النفس»¹²⁰⁷.

إذن فالمفسر في حاجة ماسة إلى معرفة دلالة اللفظ والمعنى التي تحدد مقاصد النص القرآني في استنباط الأحكام: فقهيًا، وتشريعيًا، وتربويًا. ولقد ابتدأ هذا البحث في الألفاظ منذ أن حَصَّل الإنسان التلغظ الكلامي ، وازدادت قيمة الدلالة في حضن الوحي القرآني وبين جنباته. يقول يوهان فك: «يعود الفضل للقرآن الكريم في نشأة الدراسات اللغوية وتطورها»¹²⁰⁸.

ولهذا كان عمل المفسرين والفقهاء واللغويين الاشتغال على استنطاق إيجاءات اللفظ من القرآن الكريم، لأنَّ الألفاظ هي أكبر الرموز اللغوية دلالة على المعنى، وأكثرها انتشاراً وأدقها تعبيراً وأسرعها فهماً.

فالمُلهم الأول لبحوث اللغة العربية هو "القرآن الكريم"، وقد ذكر عبد العالي سالم مكرم «أنَّه من أجل القرآن جمع سيبويه كتابه، ومن أجله ألفت الكتب في التفسير، والمعاني، والإعراب، والغريب، ومن أجله ازدهرت الحركة النحوية في البصرة، والكوفة، وبغداد، والأندلس، ومصر وبلاد الشام، ومن أجله عقدت المناظرات، وتعددت وتوسعت حلقات الجدل ودار الحوار وقامت حركة تيسير النحو على يد ابن مضاء القرطبي، وغيره من العلماء»¹²⁰⁹.

كذلك قطع الأصوليون قسماً كبيراً في البحث الدلالي، فَهَمَّ من أوائل من احتضن الدراسات التي تدور حول الألفاظ ومعانيها؛ حيث نظروا إليها في حالة أفرادها وفي

¹²⁰⁶ - المدخل إلى علم أصول الفقه، معروف الدواليبي، مطبعة جامعة دمشق، ط3، 1959، ص 76.

¹²⁰⁷ - الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، تقديم وشرح وتعليق، أحمد سليم الحمصي ومحمد أحمد قاسم، جروس برس، ط1، 1988، ص 44.

- العربية، يوهان فك، ترجمة: عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1951، ¹²⁰⁸ ص151.

¹²⁰⁹ - القرآن وأثره في الدراسات النحوية، عبد العالي سالم مكرم، المطبعة العصرية، الكويت، ط2،

1978، ص6.

حالة تركيبها، وبحثوا في أوجه الأدلة ومدلولاتها وسعوا للوقوف على المقاصد والمساقات من حيث إفادتها أحكاماً شرعية معينة، والتي تعتبر بحق ضوابط أساسية فيما يستفيده المجتهد لدى عملية الاستنباط وبناء الحكم على أصل من دلالة اللفظ المتبادر إليه فيما يحتمله خطاب الشارع الحكيم.

وفي هذا السياق يقول الإمام الجويني(ت: 478هـ) في حديثه عن اهتمام علماء الأصول بقضايا اللغة العربية: «وأما الألفاظ فلا بد من الاعتناء بها، فإنّ الشريعة عربية ولن يستكمل المرء بالنظر في الشرع ما لم يكن رياناً من النحو واللغة، ولكن لما كان هذا النوع فناً مجموعاً ينتحي ويقصد، لم يكثر منه الأصوليون مع ميسر الحاجة إليه... واشتد اعتناؤهم بذكر ما اجتمع فيه من إغفال أئمة اللسان وظهور مقصد الشرع، وهذا كالكلام على الأوامر والنواهي والعموم والخصوص، وقضايا الإنشاء وما يصل بهذه الأبواب، ولا يذكرون ما ينصه أهل اللسان إلا على قدر الحاجة الماسة التي لا عدول عنها»¹²¹⁰.

فللغويون كان اهتمامهم منصباً على الناحية الاشتقاقية للألفاظ، كأن تُقارن الكلمة بنظائرها في الصورة والمعنى حتى يتسنى إرجاعها إلى أصل واحد تفرغت عنه فروع عدة في لغة واحدة أو أكثر من لغة¹²¹¹.

وبالتالي فعلم الدلالة مصطلح فني يستخدم للإشارة إلى دراسة المعنى، وهو «العلم الذي يدرس المعنى»¹²¹²، ويقال فيه أيضاً أنّه فرعٌ من علم اللغة يتناولُ نظريةَ المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرسُ الشروطَ الواجبَ توافرها في الرّمز حتى يكون قادراً على حملِ المعنى¹²¹³.

¹²¹⁰ - البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، جامعة قطر، ط1، 1978، 1/1300.

¹²¹¹ - ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1986، ص 07. وينظر: اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2004، ص 201.

¹²¹² - علم الدلالة، أحمد مختار، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982، ص22.

¹²¹³ - ينظر: المرجع نفسه، ص11، وينظر: علم الدلالة، أف آر بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار

وقد عبر ابنُ جني قديماً إلى هذا المعنى قائلاً: «ربَّ إشارةً أبلغ من عبارة»¹²¹⁴، وُعِدَّ علم الدلالة «غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية، إنَّه قَمَّة هذه الدراسات»¹²¹⁵.

ويتفق جل الباحثين على أنَّ مصطلح الدلالة علم لغوي يبحث في اللفظ والمعنى، ويلتزم فيها حدود النظام اللغوي والعلامات اللغوية من دون سواها، وأنَّ مجاله دراسة المعنى اللغوي على صعيد النحو والمفردات والتراكيب، و قد عرَّف الشريف الجرجاني الدلالة بقوله: «كَوْنُ الشَّيْءِ بِحَالَةٍ يَلْزَمُ مِنَ الْعِلْمِ بِهِ الْعِلْمُ بِشَيْءٍ آخَرَ، وَالشَّيْءُ الْأَوَّلُ هُوَ الدَّالُّ، وَالثَّانِي هُوَ الْمَدْلُولُ، وَكَيْفِيَّةُ دَلَالَةِ الْفَرْقِ عَلَى الْمَعْنَى بِاصْطِلَاحِ عُلَمَاءِ الْأَصُولِ مَحْصُورَةٌ فِي عِبَارَةِ النَّصِّ وَإِشَارَةِ النَّصِّ وَدَلَالَةِ النَّصِّ وَاقْتِضَاءِ النَّصِّ»¹²¹⁶.

فكيف بحث الشعراوي عن معاني الألفاظ القرآنية؟ إنَّ البحث في مجال دلالة الألفاظ القرآنية على قدر كبير من الأهمية، وتكمن في تحديد معاني تلك الألفاظ من أحكام شرعية وقانونية بين الحلال والحرام، والواجب والمندوب، والمستحب والمكروه¹²¹⁷.

ويرى الشعراوي أنَّ المتتبع لأسرار الأداء القرآني يعرف أنَّ «لكل حرف حكمة، وأنَّ لكل كلمة جاءت حكمة، وكل جملة جاءت لحكمة؛ ومعلوم أنَّ اللفظ في اللغة لا بد أن يوضع لمعنى معروف»¹²¹⁸.

المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص 8-11، وينظر: النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، مصر، 1983، ص 32.

1214- الخصائص، ابن جني، 80/1.

1215- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص 285.

- التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: علي بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988،¹²¹⁶ ص104.

- ينظر: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 34-35.

1218- تفسير الشعراوي، 5024 / 8.

والزيادة في المبني تدل على الزيادة في المعنى، فإذا أردنا أن نتحدث عن معجزة القرآن وبلاغته فإننا لا بد أن نتناول دقة اللفظ، أو دقة التعبير في القرآن الكريم، وكلام الله يجب أن يكون في غاية الدقة بحيث يُعبر عن الشيء تعبيراً كاملاً فالشعراوي يتعامل مع اللفظ القرآني وكأنه كائن حي يتأمل قسماته ويجس نبضاته ويستمع إلى خلجاته، لذلك تجده في كثير من الألفاظ يأتي بما لا يُعلم مناسبة يلحظها في السياق أو في التركيب، دون أن يغفل مسألة المعنى الذي يوليه أهمية كبرى، بل قال في أكثر من مرة أن مراده من التفسير هو إظهار المعاني القرآنية إلى جمهور المنصتين والمستمعين، لكي يبلغهم منطوق الآيات ومقصودها، ويستعدوا ليوم اللقاء.

وقد تناول هذه المسألة من قبل الإمام الشاطبي في الموافقات حيث أولى عناية كبيرة للمعاني، ورأى أن «يَكُونُ الْعَيْتَاءُ بِالْمَعَانِي الْمَبْتُوتَةِ فِي الْخَطَابِ هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا كَانَتْ عِنَايَتُهَا بِالْمَعَانِي، وَإِنَّمَا أَصْلَحَتِ الْأَلْفَاظَ مِنْ أَجْلِهَا، وَهَذَا الْأَصْلُ مَعْلُومٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ، فَالْلَفْظُ إِنَّمَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى تَحْصِيلِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَالْمَعْنَى هُوَ الْمَقْصُودُ، وَلَا أَيُّضًا كُلُّ الْمَعَانِي، فَإِنَّ الْمَعْنَى الْإِفْرَادِيَّ قَدْ يُعْبَأُ بِهِ، إِذَا كَانَ الْمَعْنَى التَّرَكِيبِيُّ مَفْهُومًا دُونَهُ...»¹²¹⁹.

وبالتالي فاللغة العربية لغة معطاءة تُوحى بكثير من المعاني متى وقف الدارس أمامها وقفة المتفحص، أعطته العجيب والعجيب.

ثانياً: دلالة الألفاظ عند الشعراوي:

تشعب البحث الدلالي في قضية "اللفظ والمعنى" وأثيرت مسألة موضع الدلالة، فخاض اللغويون في ذلك، وانطلقوا من معطيات منطقية¹²²⁰، إذ أبانوا بأسبوعية المعاني على الألفاظ، بل قبل الرموز والإشارات التي ابتكرها الإنسان للتواصل والإبلاغ، فالمعاني غير متناهية ومازال الإنسان يضع المعاني التي توصل إلى إدراكها.

- الموافقات، أبو اسحاق ابراهيم الشاطبي، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن

القيم و دار بن عفان، 2003، 139/2.

¹²²⁰ - ينظر: اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت، 1986،

ويعلل عبد القاهر الجرجاني أسبقية المعاني على الألفاظ بقوله: «لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها لكان محالاً أن تتغير المعاني والألفاظ بحالها لم تنزل عن ترتيبها، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التغير من غير أن تتغير الألفاظ وتنزل عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التابعة والمعاني هي المتبوعة»¹²²¹.

وما يلاحظ أن الجرجاني يعطي الأسبقية للمعاني في الوجود النفسي والألفاظ تابعة لها في الواقع الكلامي؛ ويزيد في الشرح فيقول: «فقد اتضح إذن اتضاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وإنما الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ»¹²²².

وقد ذهب الشعراوي إلى هذا الاتجاه، بأن اللفظ خدم للمعنى، وأن الله يخاطبنا بما نعلم من معاني؛ والله حينما يحدثنا عن شيء غيبي يحدثنا بما يوجد في لغتنا من ألفاظ، واللغة التي نتكلم بها، يوجد المعنى أولاً ثم يوجد اللفظ الدال عليها، فإذا عرفنا أن هذا اللفظ موضوع لهذا المعنى، فإن نطق اللفظ نفهم معناه، فإذا كانت الأشياء التي يحدثنا الله عنها غيباً، فمن أين نأتي بالألفاظ الدالة على هذه المعاني ونحن لم نعرفها؟ إذن: لذلك يُعبر عنها الحق بالشبيه لها في لغتنا، لكن يعطيها الوصف الذي يُميّزها¹²²³.

ويحدّد الجرجاني كيفية اختيار المتكلم للمعاني والألفاظ أثناء الموقف الكلامي بقوله: «إن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق»¹²²⁴.

ونجد في المقابل من رد هذا الطرح واعتبر أن النظم كائن في خصائص اللفظ فقال: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي، والبديوي والمدني، وأما

1221- دلالات الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص 281.

1222- المصدر السابق، ص 54.

1223- ينظر: تفسير الشعراوي، 14 / 8891.

1224- دلالات الإعجاز، الجرجاني، ص 58.

الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبب، فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير»¹²²⁵.
واللغة ألفاظ يُصطلح على معانيها بحيث إذا أطلق اللفظ فهم المعنى، ولا توجد الكلمة في اللغة إلا بعد وجود ما تدل عليه أولاً، فالتلفزيون مثلاً قبل أن يُوجد لم يكن له اسم، ثم بعد أن وُجد أوُجدوا له اسماً. ثم يأتي لنا الشعراوي بمثال فيقول: «فإذا رأيت اسماً يكون معناه قبله أم بعده؟ يكون قبله، فإذا قالوا: الله غير موجود نقول لهم: كذبتهم؛ لأن كلمة الله لفظ موجود في اللغة، ولا بُدَّ أن لها معنى سبق وجودها»¹²²⁶.
ثم يتسائل الشعراوي بأن هناك بعض المعاني تعجز الألفاظ أن تُعرفها، لأن تصورنا لها مجهول؛ إن لغة الدنيا لا تحمل من المعاني والدلالات التي أعدها الله لأصحاب الجنة في الجنة؟

فهي كما قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: {فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ} ¹²²⁷؛ فالله تعالى يضرب لنا المثل فقط لأن الألفاظ التي نتخاطب بها نحن قد وضعت لمعانٍ نعرفه ، وإذا كانت في الجنة أشياء لم نرها عين ولم نسمعها أُذن، ولم نخاطر على بال بشر ، فمن الممكن أن نقول إنَّه لا توجد ألفاظ عندنا تؤدي معنى ما هناك، وبهذا نعرف أن هناك فارقاً بين "مثل الجنة" وبين "الجنة"¹²²⁸.

فالشعراوي يرى أن اللغة العربية عاجزة أن توجد بها ألفاظٌ تعبّر عن معنى ما هو موجود في الجنة، فلا أحد فينا يعلم ما هي الأشياء الموجودة بالجنة ما دام أحد منا لم

- الحيوان، الجاحظ، 132-131/3. ¹²²⁵

1226 - تفسير الشعراوي، 5/ 2979.

- عن سهل بن سعد قال: شَهِدْتُ مِنَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-مَجْلِساً وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: ﴿فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ﴾، ثُمَّ قَرَأَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ﴾ السجدة: 16-

17. ينظر: سرن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدرامي السمرقندي، دار الكتاب العربي، 1987،

432. رقم: 2828، ص

- ينظر: تفسير الشعراوي: 8892/14. ¹²²⁸

يرَ الجَنَّةَ، وقد عبر أفلاطون منذ زمن أن اللغة عاجزة عن الإمام بكل ما يريد أن يفصح عنه الإنسان من أفكار ومشاعر، ولكنها تبقى الأداة الأساسية للتعبير¹²²⁹.

ثالثاً: اتجاهات التغير الدلالي في تفسير الشعراوي:

يستخدم الشعراوي جميع إمكانيات الوظائف الدلالية للتغيرات الصرفية والتركيبية وما يتبع ذلك من تغير في البنية الدلالية، أو بمعنى آخر إن محاولة تفسير أي جزء ولو صغير من أجزاء الجملة القرآنية واستبدال بنظيره في العمل والوظيفة النحوية والدلالية لأدى ذلك إلى تغيير المعنى القرآني، ويتغير المقصود الدلالي من الآية، وقد استخدم الشعراوي الاتجاه التاريخي والصرفي والتركيبي في التغير الدلالي.

1230

1- وظف الشعراوي الاتجاه اللغوي الذي يعنى بدراسة تغير المعنى عبر الزمن كإقرار منه بتتبع دلالات الألفاظ تاريخياً؛ أي أن دلالات الألفاظ قد مرت بمراحل تطويرية متعددة قبل استخدامها في القرآن الكريم.

فاللغة العربية من أكثر اللغات تطوراً وتأثيراً وتأثراً، ويُشبه بعضهم اللغة بالكائن الحي «لأنها تحيا على ألسن المتكلمين بها وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتتغير بفضل الزمن كما يتطور الكائن الحي ويتغير، وهي ظاهرة اجتماعية تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها من عاداته وتقاليده، وسلوك أفرادها»¹²³¹.

والتغير التاريخي واضح في تفسير الشعراوي، مثل ما جاء في كلمة (الغل) في قوله

تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾¹²³²، فـ"الغلول" هو

الأخذ في الخفاء، وهو مأخوذ من "أغلَّ الجازر" - أي الجزار - فعندما يسلخ الجلد

¹²²⁹- ينظر: دور الكلمة في اللغة، ستيفين أولمان، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، ط3، 1972،

ص14.

¹²³⁰- ينظر: علم الدلالة، بالمر، ص 24، وينظر: علم اللغة-مقدمة للقارئ العربي، محمود محمد السعران،

ص 280.

¹²³¹- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1،

1983، ص5.

- سورة آل عمران، الآية: 166.¹²³²

يأخذ بعض اللحم مع الجلد ثم يطوي الجلد مخفياً ما أخذه من اللحم، هذا هو الأصل، وأطلق شرعاً على الخيانة في الغنائم، فيأخذ هذا الشيء خفية، وهذا اسمه "الغُلُول" وأيضا كلمة "الغُلُّ في الصدور" أي إخفاء الكراهية¹²³³.

فيقال من الخيانة أَعْلَّ يُعَلُّ ومن الحقد غَلَّ يُغَلُّ بالكسر، ومن الغُلُول غَلَّ يُغَلُّ بالضم وأَعْلَّ الرَّجُلُ خَانَ¹²³⁴، فهذه المادة (غ ل ل) اكتسبت مدلولاً آخر عبر التاريخ الإنساني، فنقول: رجلٌ مَغْلُولٌ وبعيرٌ غَالٌ والحب غليلاً... وغيرها من التغيرات الدلالية التي غيرت وظيفتها عبر الزمن¹²³⁵.

وفي سياق آخر يشير الشعراوي إلى المدلول الحسي لكلمة (مُنَافِقُ) ويربط بينه وبين

المعنى المراد من الآية في قوله تعالى: **﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي**

قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَتُّوْلًا ۖ دِينُهُمْ ۖ﴾¹²³⁶.

فكلمة المنافق مأخوذة من نافقاء اليربوع، وهو حيوان يشبه الفأر يعيش في الجبال في سراديب، وحين يتبعه حيوان آخر ليفترسه، فهو يسرع إلى جحره الذي يشبه السرداب، وهو يفتح أكثر من فتحة لهذا الجحر لتكون مخارج له، فكأنه فتح لنفسه نفقاً، يُنافق منه غيره فلا يقوى على اللحاق به. ولذلك نجد المنافق متعارضاً مع نفسه؛ ينطق لسانه بما لا يؤمن به، المنافق متخبط مع نفسه، لسانه يقول كلمات الإيمان وقلبه يضم الكفر¹²³⁷.

¹²³³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1845/4.

- ينظر: مختار الصحاح، أبي بكر الرازي، دائرة المعاجم، بيروت، لبنان، 1989، 3/ 256، مادة ¹²³⁴ "غُلُّ".

¹²³⁵ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 499/11، مادة "غُلُّ".

¹²³⁶ - سورة الأنفال، الآية: 49.

¹²³⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4736-4735/8.

والنَافِقَاءُ وَالنُّفَقَاءُ، كَهَمْزَةٍ: إِحْدَى جِحْرَةَ الْيَرْبُوعِ، يَكْتُمُهَا وَيُظْهِرُ غَيْرَهَا، فَإِذَا أُتِيَ مِنْ جِهَةِ الْقَاصِعَاءِ، ضَرَبَ النَّافِقَاءَ بِرَأْسِهِ فَانْتَفَقَ¹²³⁸.

فلفظة "مُنافِقٌ" اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يَسْتُرُ كُفْرَهُ وَيُظْهِرُ إِيمَانَهُ وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ مَعْرُوفًا. يُقَالُ: نَافَقَ يُنَافِقُ مُنَافِقَةً وَنِفَاقًا، وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ النَّافِقَاءِ لَا مِنَ النَّفَقِ وَهُوَ السَّرْبُ الَّذِي يَسْتُرُ فِيهِ لِسْتَرَهُ كُفْرَهُ¹²³⁹. وَتَحَوَّلَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ عِبْرَ الزَّمَنِ مِنْ سَرَبٍ فِي الْأَرْضِ مُخْلِصًا، إِلَى فِعْلِ الْمُنَافِقِ يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ.

كذلك لفظة "نقدس" في قوله تعالى: ﴿وَوَحْنٌ نُسَبَّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ﴾:

لَكَ¹²⁴⁰، نجد أن الكلمة لها أصل دلالي مأخوذ من (الْقَدَسُ) وهو الدلو الذي

كانوا يتطهرون به، ثم في المعنى المجرد الذهني، وقُدُوسٌ: أَي مُطَهَّرٌ وَالتَّقْدِيسُ هُوَ تَطْهِيرُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ كُلِّ الْأَغْيَارِ، وَلِأَنَّكَ يَا رَبِّي قُدُوسٌ طَاهِرٌ لَا يَلِيقُ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْكَ إِلَّا طَاهِرٌ، وَلَا يَلِيقُ أَنْ يَصْدُرَ عَمَّنْ خَلَقْتَهُ بِيَدَيْكَ إِلَّا طَاهِرٌ، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ الْأَخِيرَةُ هِيَ دَلَالَةُ قُرْآنِيَّةٍ¹²⁴¹.

فجاء المعاجم تقول إنَّ "القاف والبدال والسين" أصلٌ صحيح، وه ي تدلُّ على الطَّهْرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ هِيَ الْمُطَهَّرَةُ. وَالْقَدَسُ -بِالتَّحْرِيكِ-: السَّطْلُ بُلْغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، لِأَنَّهُ يُتَطَهَّرُ بِهِ¹²⁴²، وَمِنْ هَذَا "بَيْتُ الْمُقَدَّسِ" أَي الْبَيْتُ الْمُطَهَّرُ أَي الْمَكَانُ الَّذِي يُتَطَهَّرُ بِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَانْتَقَلَتْ دَلَالَتُهَا وَأَصْبَحَتْ تَنْعَتٌ إِلَى الْقُدُوسِ "اللَّهُ" عَزَّ وَجَلَّ.

- ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، اشراف، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة،¹²³⁸بيروت،

لبنان، ط8، 2005، ص 926، مادة "نفق".

¹²³⁹- ينظر: لسان العرب، 359/10، مادة "نفق".

¹²⁴⁰- سورة البقرة، الآية: 30.

¹²⁴¹- ينظر: تفسير الشعراوي، 243/1.

¹²⁴²- ينظر: البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، 285/1.

2- وتارة يستخدم الاتجاه الصرفي الذي يكشف عن قابلية اللغة العربية للتوليد والانشطار الدلالي بواسطة قانونها الصرفي الحيوي المرن. يقول جوزيف فندريس. Vendryes Joseph (ت: 1380هـ): «إنَّ الاشتقاق هو العلم الذي يدرس المفردات... إنَّه علم تأريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه، ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع المتغيرات التي أجلتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال»¹²⁴³.

وبالتالي فلغة العربية في نموٍّ مطرد وثورتها الصرفية التوليدية في زيادة مستمرة، وذلك بفعل عوامل عديدة منها: الاشتقاق الذي يزيد اللغة العربية ثروة وغنى، ويجعلها قادرة -دائمًا- على التجدد، ومسايرة ارتفاع شأن الحياة، والاشتقاق «من مزايا لغة العرب التي انفردت بها»¹²⁴⁴.

واستخدام الاتجاه الصرفي الاشتقاقي واضح في تحليل الشيخ الدلالي يقول في بيان قوله

تعالى ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ

الْمُؤْمِنَاتِ¹²⁴⁵؛ أي من لم يستطع دخول الشيء في طوعه أو أن تطوله يده، وهذا هو المقصود بالطول، "فَطَالَتُهُ يَدُهُ" يعني صار في استطاعته، وفلان تطول عليّ، أي تفضل عليّ بشيء، و"فَإِنْ تَطَاوَلَ عَلَيَّ" أي ما كان يصح أن يجتريء عليّ، وكلها من الطول، و"طَوْلًا": تعني قدرة تطول به الزواج بمن تحب أي أنت لا تملك مالاً ولا تستطيع الطول¹²⁴⁶.

فالشعراوي بحسه اللغوي كشف أثر التقلبات الاشتقاقية في التغير الدلالي، من خلال لفظة "طَوْلًا" المذكورة في الآية، فأصل "الطَوْل" الإفضال: يقال منه: "طَالَ عَلَيْهِ"

¹²⁴³ - اللغة، ج. فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلومصرية، 1950،

ص 226.

¹²⁴⁴ - الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، المغرب، ط3، 1947، ص

10.

¹²⁴⁵ - سورة النساء، الآية 25.

¹²⁴⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4 / 2126-2127.

يَطُولُ طَوْنًا " في الإفضال و"طَالَ يَطُولُ طَوْنًا" في الطول الذي هو خلافُ
القصر ¹²⁴⁷.

والملاحظ أن هذه اللفظة قد اختلف في مدلولها، ففيها إحدى وعشرون مسألة بينها
أهل التفسير، فمنهم من حملها على الفضل، ومنهم على المال، ومنهم على
السعة... ¹²⁴⁸ وغيرها من الآراء التي تعكس حالة التغير الصرفي في إبراز دلالة الألفاظ

3- وتارة يستخدم الاتجاه التركيبي أو السياقي في تحديد دلالة الجملة ¹²⁴⁹؛
فالشعراوي يجعل من السياق معياراً أوفى للتحديد الدلالي، وكثيراً ما يحكم عليه بأنه
الحكم والفيصل في القضايا الدلالية الشائكة كقضية المشترك اللفظي أو التضاد؛
وكذلك في تحديد دلالة الكلمة والمراد منها في التركيب أو مع نظائرها التي تقارنها في
المعنى.

فالسباق له دور في دلالة الألفاظ والتراكيب في نسقها ونصها؛ أي في صورتها
التركيبية لا المعجمية، وذلك لأنّ للألفاظ دالتين: الأولى هي الدلالة المعجمية أو
الأساسية ¹²⁵⁰؛ أي دلالة اللفظة مفردة وهي خارج النص. والثانية: دلالة اللفظة وهي
في سياقها من النص ¹²⁵¹، لأنّ الكلمة في المعجم لها دلالات كثيرة، وإذا ما وضعت
في التركيب فإنّ السياق يحدد معناها ويخلصها من اشتراك الدلالات ¹²⁵².

¹²⁴⁷- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 595/6.

- الكشاف، الزمخشري، 58/2. وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 255/6. والتحرير والتنوير، ¹²⁴⁸
الطاهر ابن عاشور، 12/5.

¹²⁴⁹- وهو ما تنص عليه المباحث اللسانية الحديثة التي تجمع أن لا معنى للكلمة خارج سياقها اللغوي.

- Voir, Element de linguistique generale, Andre Martine, ARM and colin,
paris.1980. P.65.

¹²⁵⁰- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر ص 37/36.

¹²⁵¹- ينظر: علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

1988، ص 20.

¹²⁵²- ينظر: اللغة، فندريس، ص 228.

والتغير التركيبي حاضر في تفسير الشعراوي مثل: مناسبة لفظة " يَتَرَبِّصَنَّ " في قوله

تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾¹²⁵³؛ أي

ينتظرن، واللفظ هنا يناسب المقام تماماً، فالمتربصة هي المطلقة، ومعنى مطلقة أنها مزهود فيها، وتربص انتهاء عدتها حتى ترد اعتبارها بصلاحياتها للزواج من زوج آخر¹²⁵⁴.

فالحكم الشرعي للمرأة المطلقة البقاء في البيت حتى تنتهي عدتها تخرج. قال ابن العربي(ت: 543هـ): «وإنما هو خير عن حكم الشرع، فإن وُجدت مطلقة لا تتربص فليس ذلك من الشرع، ولا يلزم من ذلك وقوع خبر الله سبحانه على خلاف مخبره»¹²⁵⁵.

فقد جمعت هذه اللفظة معاني شرعية كثيرة وتوظيفها مناسب للسياق، فـ " يَتَرَبِّصَنَّ " على ما فيه من الإيجاز الذي هو من مواقع الإعجاز، فأفاد أنه يجب عليهن أن يملكن رغبتهن، ويكففن جماح أنفسهن إلى تمام المدة الممدودة، فإن التربص في حقيقته وظاهر معناه التريث والانتظار، وهو يتعلق بشيء يترث عنه، وينتظر زوال المدة المضروبة دونه، ولولا كلمة " بِأَنْفُسِهِنَّ " لما أفادت الجملة تلك المعاني الدقيقة والكنائيات الرشيقة، وما كان ليخطر على بال إنسان يريد إفادة حكم العدة أن يزيد هذه الكلمة على قوله: " يَتَرَبِّصَنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ " ولو لم تزد لكان الحكم عارياً عن تأديب النفس والحكم على شعورها ووجدانها، ولعل الإرشاد إلى ما تنطوي عليه نفوس النساء من تلك التزعة في ضمن الإخبار عنهن، بأن من شأنهن امتلاكها والتربص بها اختياراً هو أشد فعلاً في أنفسهن، وأقوى إلزاماً لهن أن يكن كذلك طائعات مختارات،

¹²⁵³ - سورة البقرة، الآية: 228.

¹²⁵⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 996/2.

¹²⁵⁵ - أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، تخريج: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان، 1/ 253.

إذ لم يؤمرن أمراً صريحاً، وهذا من الدقائق التي نحمد الله تعالى أن هدانا إلى فهمها¹²⁵⁶.

ومن دقة الأداء القرآني في هذه المسألة قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا

نُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا

الْبَيْعَ﴾¹²⁵⁷، فذكر طرفاً واحداً من عملية التجارة وهو البيع، ولم يقل: والشراء،

قال الشعراوي: «لأنه حين يُمنع البيع يُمنع الشراء في الوقت نفسه؛ ولأن الإنسان يحرص على البيع... فشهوة الإنسان متعلقة بالبيع لا بالشراء، لأن الشراء يحتاج منه إلى مال على خلاف البيع الذي يجلب له المال»¹²⁵⁸.

فمن خصوصية الذكر الحكيم الایجاز في التعبير، وإثماً أوتي بلفظ "الْبَيْع" لدخول الشراء في ضمنه، إذ لا شراء إلا بالبيع، «ومعناه اتركوا البيع والشراء، وقال جماعة من العلماء لو باع بعد الأذان يوم الجمعة لم يجز البيع»¹²⁵⁹.

فقد استوعب الشعراوي حركية التطور الدلالي للألفاظ بعدما تشبعت بمعاني الإسلام،

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُوَلُّوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا

يُنصَرُونَ﴾¹²⁶⁰، يقول الشعراوي: «هذا القول يكون تاريخياً لمعركة واحدة،

لكن ماذا يحدث عندما يقاتل المؤمنون أهل الكفر والفسق؟ وتكون الإجابة هي: {ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ}، إن هذا القول حكم من الله على أهل الفسق بأنهم لا يُنصرون أبداً

¹²⁵⁶ - ينظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ط1،

1932، 371/2.

¹²⁵⁷ - سورة الجمعة، الآية: 9.

¹²⁵⁸ - تفسير الشعراوي، 10278/16.

- تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر الناشر، بيروت، 426/3.

1259

¹²⁶⁰ - سورة آل عمران، الآية: 111.

سواء أقاتلوا أم لم يقاتلوا إنها قضية ثابتة منفصلة.. فعلة عدم النصر، ليست القتال، ولكنها الكفر»¹²⁶¹.

وبالتالي فهذا التحليل البليغ للشعراوي في قوله تعالى: "ثُمَّ لَأُيْنَصِرُونَ" يبرز تعدد الاتجاهات الدلالية والتي امتزجت حول محوري العلاقات الرأسية والعلاقات الأفقية¹²⁶²، ليس على مستوى وحدات الجملة الأكبر المتمثلة في الكلمات فحسب، بل أيضا على مستوى الوحدات الأصغر في ذلك وهو التمثيل الدلالي؛ أي على مستوى الحروف، فكما لا يمكن الإتيان بالفعل المبني للمعلوم "يُنْتَصِرُونَ" بدلا من "يُنَصِرُونَ" الواردة في الآية؛ لا يمكن استبدال حرف العطف "ثُمَّ" بنظيره في العمل "الفَاء"، كذلك لا يمكن استبدال وحدات دلالية أصغر بنظيراتها مثل نوع الإعراب واللواحق الإعرابية المختلفة، فلا يجوز مثلا أن تستبدل نوع الإعراب في "يُنَصِرُونَ" بـ "يُنَصِرُوا" لأن المقصود والحالة هذه ستتغير.

ولم يتوقف الشعراوي عند النظر في آليات الدلالة في الجملة القرآنية على عنصر دلالي واحد أو مستوى دلالي معين، وهذه الطريقة هي ما دعت إليها اللسانيات من إن محاولة الوقوف على معنى الجملة يجب أن يكون مرهونا بقصر النظر على مستوى المعجميات أو المستوى الصرفي؛ بل يتعدى النظرة الجزئية في إنتاج الدلالة إلى النظرة الشمولية التي تضع في الاعتبار كل المستويات الدلالية المهمة التي تدخل دلالة الجملة مثل المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى المعجمي والمستوى السياقي كما فعل الشيخ تماما.

فنظرة الشعراوي إلى الجملة القرآنية من كل جوانبها الدلالية، مع محاولة المقارنة بالبدائل في محوري العلاقات، وما فعله هو يطلبه علم اللغة الحديث تماما بل ما يطبقه في دراسة للوحدات اللغوية المختلفة صوتا أو كلمة أو جملة أو نصوصا.

¹²⁶¹ - تفسير الشعراوي، 3/ 1680.

¹²⁶² - العلاقات الرأسية: هي التي تمثل العلاقة بين اللفظة التي وردت في الجملة والألفاظ الأخرى المحتملة التي لم ترد في النص العلاقات الأفقية: هي التي تربط بين المفردات الواردة داخل البنية اللغوية أو الجملة على أساس التتابع أو التعاقب. يراجع: المرايا المقعرة، عبد العزيز حمود، مطابع الوطن، الكويت، 2001، ص 251.

يقول رولان بارث: Roland Barthes «يمكن للجملة أن تُوصف وصفاً لسانياً يذهب بها إلى عدة مستويات صوتياً وقاعدياً وسياقياً، ونلاحظ أن هذه المستويات تدخل في علاقة تراثية، والسبب في ذلك أنه إذا كان لكل مستوى وحداته الخاصة وعلاقاته المتبادلة الفريدة وبفرض على كل واحدة منها وصفاً مستقلاً فيجب أن ندرك أن أي مستوى منها لا يستطيع أن يُنتج المعنى بمفرده فكل وحدة تنتمي إلى مستوى معين لن يصبح لها معنى إلا إذا استطاعت أن تندمج في مستوى أعلى، فالصوت وإن كان يوصف بذاته وصفاً كاملاً، فإنه لا يعني شيئاً على الإطلاق، وهو في المعنى إلا إذا اندمج في الكلمة، وإن الكلمة نفسها ملزمة أن تندمج في الجملة»¹²⁶³.

والسياق في هذا النموذج يتحكم في جزء كبير من الدلالة، ومن ثم فهو عامل مهم ويكاد يكون حاسماً في تحديدها، ثم إنه كما هو واضح عامل رئيسي لضبط دلالة الكلمة الواحدة في القرآن الكريم.

رابعاً: علاقة الدلالة بالمستويات اللغوية:

إن العلاقة بين علم الدلالة وبين المستويات اللسانية (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) قائمة لا تزول، فالتبدلات الصوتية التي تحدث ونظام الكلمة المرن وترتيب عناصر الجملة وانتظامها داخل السياق، كل ذلك له دلالات معينة. والحقيقة أن هذه المستويات على درجة كبيرة من الاتساق والانسجام فهي مرتبطة مجتمعاً تُؤلف وحدة متكاملة¹²⁶⁴.

ولقد تعددت المستويات الدلالية التي اعتمد عليها الشعراوي في بيان معاني الكلمات القرآنية، فركز أولاً على الجانب الصوتي، وثانياً على الجانب الصرفي، وثالثاً على

¹²⁶³ - مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارث، ترجمة: منذر عياش، مركز الإنماء الحضاري،

باريس، ط1، 1977، ص 34.

¹²⁶⁴ - ينظر: إشارة اللغة ودلالة الكلام، مورييس أبو ناصر، منشورات وتوزيع مختارات، بيروت، لبنان،

ط1، 1990، ص 21. وينظر: العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة

الإشعاع الفنية، ط1، 1999، ص 9.

الجانب الدلالي، ورابعاً على المستوى السياقي التركيبي، وهذه الأنواع هي ذات تسميات حديثة لكنها مستمدة من علم الدلالة العربي القديم¹²⁶⁵. والشعراوي لم يُصرح بهذه المصطلحات لكنه تناولها في تفسيره بالدرس والإسهاب، فيقول: «شاء سبحانه أن يجعل حروف وكلمات وآيات وأساليب القرآن غير قابلة للتقليد، لأن المتكلم مختلف، وبهذا جاءت عظمة القرآن لا من ناحية المادة الخام التي تبني منها الكلمات وهي الحروف؛ بل المعاني والنسق الذي جاءت به الحروف، فالمادة الخام -وهي الحروف- واحدة، وصار القرآن معجزة لأن المتكلم هو الله»¹²⁶⁶. والاهتمام بالمستويات اللغوية هو عين المنهج اللغوي الحديث الذي قام على أيدي زمرة من علماء اللغة، ولعل أول مستوى هو:

1- الدلالة الصوتية:

الدلالة الصوتية الطبيعية هي التي تُعنى بوجود مناسبة بين اللفظ ومعناه¹²⁶⁷، وهي التي تُستفاد من طبيعة بعض الأصوات، فالحاء في "تنضح" مثلاً جعلتها تدل على فوران السائل في شدة وعنف، وعلى العكس منها كلمة "تنضح" التي تعبر عن فوران الماء في ببطء¹²⁶⁸، وبالتالي فالألفاظ عبارة عن أصوات تكتسب دلالاتها من جرس أصواتها. وقد تناول الشعراوي الدلالة الصوتية للألفاظ أثناء تفسيره، و أطلق على الدلالة الصوتية بـ: "تعبير الصوت عن واقعية الحركة"¹²⁶⁹، ورأى أن تحير القرآن للفظ ينسجم مع الصوت الموسيقي المتسق مع جو الآية وجو السياق، لذا فالإعجاز الذي وقفت العرب أمامه مبهورة، إنما كان بسبب تحير القرآن لألفاظ منتخبة دون سواها، ويقدم لنا الشعراوي دلالة المبالغة في بعض الكلمات التي تأتي من طبيعة بعض

¹²⁶⁵ - ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 13.

¹²⁶⁶ - تفسير الشعراوي، 5640/1.

¹²⁶⁷ - ينظر: علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 96.

¹²⁶⁸ - ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ط2، مكتبة لبنان،

بيروت، 1982، ص 169.

¹²⁶⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 915 /1.

الأصوات مثل قوله تعالى

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا

الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾¹²⁷⁰، فعادة الميم والسين والكاف

تدل على حَبَس الشيء باليد¹²⁷¹، فالذي يجعل الانسان متصلاً بالشيء هو ماسكه،
وتقول: "مَسَّكَ" وتقول: "مَسَّكَ"، و"أَمَسَّكَ"، وتقول "اسْتَمَسَّكَ"، و"تَمَسَّكَ"،
وقوله الحق: "يُمَسِّكُونَ" مبالغة في المَسَّكَ، و(مَسَّكَ) يعني أن الماسك تمكن مما يمسك،
و(اسْتَمَسَّكَ) أي طلب، و(تَمَسَّكَ) أي أن هناك تفاعلاً بين الاثنين؛ بين الماسك
والممسوك¹²⁷²، فمن رحمة الله تعالى علينا أنه لا يطلب منا أن نَمَسَّكَ الكتاب، بل
يطلب أن نَسْتَمَسَّكَ بالكتاب.

فإنَّ هذا المثال وإن كان من صميم مواضع الاشتقاق إلى إنَّه يدخل ضمن إطار الدلالة
الصوتية لأنَّ قولك "مَسَّكَ" بالتخفيف تختلف عن قولك "مَسَّكَ" بالتشديد، ولأنَّ
الاختلاف في الصوت يفيد معنى آخر على خلاف الأول، فالصوت هو الذي أحدث
معنى المبالغة في الارتباط، فالحجة لمن شدد أنه أخذه من: مَسَّكَ يَمَسِّكُ إذا عاود فعل
التمسَّكَ بالشيء، والحجة لمن خفف: أنه أخذه من: أَمَسَّكَ يُمَسِّكُ ودليله قوله

تعالى: ﴿أَمَسَّكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾¹²⁷³، ولم يقل مَسَّكَ¹²⁷⁴.

2- الدلالة الصرفية:

يقصد بها الدلالة التي تُستمد عن طريق الصيغ وأبنيتها، وتغيير تلك الأبنية يعني تغيير
في دلالاتها¹²⁷⁵. وسماها ابن جني بـ (الدلالة الصناعية)¹²⁷⁶.

¹²⁷⁰ - سورة الأعراف، الآية: 170.

¹²⁷¹ - ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 271/5.

¹²⁷² - ينظر: تفسير الشعراوي، 4427/8.

¹²⁷³ - سورة الأحزاب، الآية: 37.

¹²⁷⁴ - ينظر: الحجة في القراءات السبع، ابن خالوية، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة،

مصر، ط3، 1979، ص 167.

¹²⁷⁵ - ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 47.

فقد تفيد الصيغة معناً جديداً زائداً عن المعنى المعجمي، وذلك في مثل كلمة "حَرَضَ"

بمعنى حَثُّ وْحَضُّ في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٍ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى

الْقِتَالِ﴾¹²⁷⁷، فالفعل يتكون من الحاء والراء والضاد، ومنها "حَرَضَ" و "يَحْرَضُ"

ومادة هذه الكلمة معناها القرب من الهلاك، و الحَرَضُ مُحَرَّكَةً: الفسادُ في البدنِ، وفي المَذْهَبِ، وفي العَقْلِ، والرَّجُلُ الفَاسِدُ المَرِيضُ¹²⁷⁸.

ولكن هل المعنى قرب المؤمنين من الهلاك؟

ففي اللغة هناك ما يسمونه الإزالة، وهي أن يأتي الفعل على صورة يزيل أصل

اشتقاقه، عندما تقول: "قَشَّرت البُرْتُقَالَ" أي أزلت قشرتها، وكذلك قولنا: مَرَضَ

الطبيبُ فلاناً، وليس المعنى أن الطبيب قد أحضر له المرض، ولكن معناها أزال المرض؛

إذن فهناك أفعال تأتي وفيها معنى الإزالة، ويأتي معنى الإزالة مرة بتضعيف الحرف

الأوسط مثل "حَرَضَ" و"قَشَّرَ" ومرة تأتي بهمزة، فتعطي معنى الإزالة، فإذا قلت:

"أَعْجِمِ الكِتَابَ"، فمعناها أنه أزال عجمته، ولذلك نسمي كتب اللغة "المعاجم"؛ أي

التي تزيل خفاء اللغة وتعطينا معاني الكلمات، ومعنى الآية أُطْلِبُ مِنْهُمْ يَا مُحَمَّدُ أَنْ

يُزِيلُوا قُرْبَهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ بِالْقِتَالِ¹²⁷⁹.

فالتحريض كالتحضيض وهو الحث على الشيء، وذكر الزجاج وجهها آخر فقال:

«التحريض في اللغة أن يحث الإنسان غيره على شيء حثاً يعلم منه أنه إن تخلف عنه

كان حارضاً، والحارض الذي قارب الهلاك»¹²⁸⁰، وأشار بهذا الرازي إلى أن المؤمنين

لو تخلفوا عن القتال بعد حث النبي صلى الله عليه وسلم لكانوا حارضين؛ أي

هالكين¹²⁸¹.

¹²⁷⁶ - ينظر: الخصائص، ابن جني، 98/3.

¹²⁷⁷ - سورة الأنفال، الآية: 65.

¹²⁷⁸ - ينظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص 639.

¹²⁷⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8/ 4792-4793.

¹²⁸⁰ - معاني القرآن، الزجاج، 423/2.

¹²⁸¹ - ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، 198/15.

إذن فهناك حروف حين تزداد على الكلمة تزيل المعنى الأصلي لمادتها وتطرح معانٍ مختلفة، وقد عبر في هذا المعنى ابن جني فقال: «ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير العين في المثال دليلاً على تكرير الفعل، فقالوا كَسَّرَ، وَقَطَّعَ، وَفَتَّحَ، وَغَلَّقَ، وذلك أنهم جعلوا الألفاظ دليلاً المعاني، فأقوى اللفظ يجب أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما ومنكوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها ومبدولان للعوارض دونها»¹²⁸².

ونجد أيضاً دلالة الفعل "أَكَادُ" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ

أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾¹²⁸³، يقول الشعراوي: «فـ

"أَكَادُ أُخْفِيهَا"، أي أقرب من أن أسترها ولا أجعلها تظهر، ونقول: الهمزة في قوله: "أَكَادُ" هي همزة الإزالة، فيكون معنى "أَكَادُ"؛ أي أنني أكاد أزيل خفاءها بالعلامات الصغرى، وإزالة الاشتقاق تأتي إما بتضعيف الحرف الأوسط، وإما بوجود الهمزة»¹²⁸⁴.

فقد اختلف المتأولون في معنى الآية وبالأخص في دلالة كلمة "أَكَادُ"، وحملت على أكثر من ثمانية أوجه أوردها صاحب مفاتيح الغيب¹²⁸⁵، وقد قرأ ابن كثير والحسن وعاصم «أَكَادُ أُخْفِيهَا» بفتح الهمزة بمعنى أظهرها¹²⁸⁶؛ أي أنها من صحة وقوعها وتيقن كونه تكاد تظهر لكن تنحجب إلى الأجل المعلوم، والعرب تقول خفيت الشيء بمعنى أظهرته، وقرأ الجمهور «أُخْفِيهَا» بضم الهمزة، وقالت فرقة: معناه أظهرها وأخفيت من الأضداد، وقالت فرقة معناه "أَكَادُ أُخْفِيهَا" من نفسي على معنى العبارة

¹²⁸² - الخصائص، ابن جني، 157/2.

¹²⁸³ - سورة طه، الآية: 15.

¹²⁸⁴ - تفسير الشعراوي، 9244 / 15.

¹²⁸⁵ - ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 22/22.

¹²⁸⁶ - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 277/23.

من شدة غموضها على المخلوقين، وقالت فرقة "أكاد" بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها عنكم... وغيرها من الأوجه¹²⁸⁷.

فاختلاف ضبط هذه الصيغة أشكل على المفسرين معناها، وهذا هو دور الدلالة الصرفية في تعريف المعنى وتوضيح الدلالة، فالله أبهم وقت الساعة ولم يطلع عليها أحداً حتى أنه كاد أن يُخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذا أخبر بحدوثها، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه لتجزى حينها كل نفس بما تسعى من خير وشر في الدنيا والآخرة، وهذا المعنى هو اختيار المحققين¹²⁸⁸.

3- الدلالة النحوية:

هي التي تكتسبها الجملة أو الجمل عن طريق القواعد النحوية بترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعنى المراد، فالصورة التي جاء عليها التركيب اللغوي تعطي معنى فوق الدلالة المعجمية والصرفية والصوتية، وقد عبر ابن فارس عن دور الإعراب في إبانة المعاني، فقال: «الإعراب هو الفارق بين المعاني، ألا ترى أن القائل إذا قال: ما أحسن زيد، لم يفرق بين التعجب والاستفهام والذم إلا بالإعراب»¹²⁸⁹.

مما أورده الشعراوي في تغيير الحركة الإعرابية في آخر كلمة "سَلَامٌ" بالنصب وبالرفع، في قوله تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾¹²⁹⁰، وجاء سبحانه بردّ إبراهيم عليه السلام:

﴿قَالَ سَلَامٌ﴾¹²⁹¹، ونحن نلاحظ أن السلام جاء على ألسنتهم بالنصب، والرد

¹²⁸⁷ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 40/4.

- ينظر: الكشاف، الزمخشري، 73/4، وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 22/22، وينظر: معالم¹²⁸⁸ التنزيل،

أبي محمد الحسين البغوي، 267/5، وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 202/17.

¹²⁸⁹ - الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب، ابن فارس، ص 66.

¹²⁹⁰ - سورة هود، الآية: 69.

¹²⁹¹ - سورة هود، الآية: 69.

بالسلام جاء بالرفع، وقولهم: {سَلَامًا} دل على فعل يوضح التجدد، والرد جاء بكلمة {سَلَامٌ} بالرفع ليدل على الثبات والإصرار¹²⁹².

نلاحظ في هذه الجزئية دور الحركات الاعراب في تحديد المعنى المقصود من الآية، ولقد تناول المفسرون هذه النقطة وتساءلوا هل الفرق إعرابي نحوي؟ أم هناك سبب بلاغي؟ فقد ذكر البقاعي (ت: 885هـ) في الدرر أن قولهم: {سَلَامًا}؛ أي سلمنا عليك سلاماً عظيماً، وقول ابراهيم: {قَالَ سَلَامٌ}؛ أي ثابت دائم عليكم لا زوال له أبداً، فللرفع مزية على النَّصْب، لأنه إخبار عن ثابت، والنصب بتحديد ما لم يكن، فصار

مندرجاً في ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ

رُدُّوهَا﴾¹²⁹³، ثم أكرم نزلهم وذهب بفعل ما طَبَعَهُ اللهُ عليه من سجايا الكرم

وأفعال الكرام في أدب الضيافة من التعجيل مع الإلتقان¹²⁹⁴.

ففرق كبير بين سلامهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد ورده بالجملة الإسمية الدالة على الثبوت والاستمرار، فالآية: (قالوا سلاماً) مفعو لا مطلقاً لفعل محذوف (سَلَّمْنَا سَلَامًا)، وقوله: (سَلَامٌ) المرفوع مصدر مرفوع على الخبر لهتداً محذوف، وتقديره:

أمري سلامٌ، أي لكم، مثل ﴿فَصَبِّرْ جَمِيلٌ﴾¹²⁹⁵، ورفع المصدر أبلغ من نصبه،

لأنَّ الرفع فيه تناسي معنى الفعل فهو أدل على الدوام والثبات، ولذلك خالف بينهما للدلالة على أن ابراهيم عليه السلام رد السلام بعبارة أحسن من عبارة الرسل في الإكرام¹²⁹⁶.

1292 - ينظر: تفسير الشعراوي، 11/ 6549.

1293 - سورة النساء، الآية: 86.

- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 9/ 329¹²⁹⁴.

1295 - سورة يوسف، الآية: 18.

1296 - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 12/ 116..

وفي السياق نفسه يقدم الشعراوي إيجاءات لفظة "مُفْرَطُونَ" في قوله تعالى:

جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿١٢٩٧﴾ ، يقول الشعراوي: «جاءت في

كلمة "مُفْرَطُونَ" عدة قراءات: مُفْرَطُونَ، مُفْرَطُونَ، مُفْرَطُونَ، مُفْرَطُونَ، وجميعها تلتقي في المعنى؛ إذن: معنى مُفْرَطُونَ أي مُقَدِّمُونَ. ولكن إلى النار»¹²⁹⁸.

فالملاحظ من خلال هذه الآية اختلاف القراء والمفسرين في ضبط حركات كلمة "مُفْرَطُونَ"، وبالتالي كان الاختلاف في التفسير بينا في تبيان دلالة هذه الكلمة.

فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة (مُفْرَطُونَ) بتخفيف الراء وفتحها، على معنى ما لم يُسَمَّ فاعله من أفرط فهو مُفْرَطٌ، وقرأه أبو جعفر القارئ. "وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ" بكسر الراء وتشديدها، بتأويل: أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ في أداء الواجب الذي كان لله عليهم في الدنيا، من طاعته وحقوقه، مضيعو ذلك، وقرأ نافع بن أبي نعيم: "وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ" بكسر الراء وتخفيفها¹²⁹⁹، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي اختره الطبري ، وذلك أن الإفراط الذي هو بمعنى التقديم، وهو ما اختاره الشعراوي.

فمعرفة الدلالة النحوية أساسية خاصة للمشتغل في علوم الشرع، إذ لا يمكن إدراك المقصود من نص لغوي دون معرفة بالنظام الذي تسير عليه لغة العرب، وفي معرض الرد على من زهد في النحو، يقول الجرجاني: «فصنيعهم في ذلك... أشبه بأن يكون صداً عن كتاب الله وعن معرفة معانيه، ذلك لأنهم لا يجدون بداً من أن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذ كان قد علم أن الألفاظ معلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يُتَبَيَّن نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عنه، والمقياس الذي لا يعرف

¹²⁹⁷ - سورة النحل، الآية: 62.

¹²⁹⁸ - تفسير الشعراوي، 13 / 8031.

¹²⁹⁹ - ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، 14 / 263-264.

صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه وإلا من غلط في الحقائق نفسه»¹³⁰⁰.

4- الدلالة المعجمية:

هي عبارة عن المعنى الذي يستقل به اللفظ في المعاجم اللغوية أو أثناء التخاطب، وهذا غير دلالة الصرفية، فلفظ "عُفُور" مثلاً يدل على شخص متصف بالعُفْران، غير أن هذه الصيغة الصرفية تزيد معنى أزيد وهو الكثرة والمبالغة¹³⁰¹.

مثال ذلك لفظة "يَسْتَنْبِطُ" في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ

أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾¹³⁰²، فهذه الكلمة

مأخوذ من "النَّبْط" وهو ظهور الشيء بعد خفائه¹³⁰³، واستنبط أي استخراج الماء

مجتهداً في ذلك، والنَّبْط هو أول مياه تخرج عند حفر البئر فنقلت الكلمة من المحسات

في الماء إلى المعنويات في الأخبار. وصرنا نستخدم الكلمة في المعاني وكذلك في العلوم،

مثلاً تعطي الطالب مثلاً تمريناً هندسياً وتعطيه معطياته، ثم يأخذ الطالب المعطيات

ويقول بما أن كذا يساوي كذا... ينشأ منه كذا، فهو يستنبط من موجودٍ

معدوماً¹³⁰⁴، وسمي النبط نبطاً لأنهم يستخرجون ما في الأرض، الاستنباط في اللغة

الاستخراج، وهو يدل على الاجتهاد إذا عدم النص والإجماع كما تقدم¹³⁰⁵.

فدلالة الكلمة في المعجم جاءت من "نَبَطَ" التي تعني خروج الماء من البئر أول الحفر،

وصارت تقال في الفكر والمعقولات، فنقول مثلاً: استنبط الفقيه فتية إذا استخراج

الفقه الباطن باجتهاده وحواسه.

¹³⁰⁰ - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني ص 60.

¹³⁰¹ - ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، ص 169.

¹³⁰² - سورة النساء، الآية: 83.

¹³⁰³ - ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، 689، مادة "نبط".

¹³⁰⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 2481-2482.

¹³⁰⁵ - ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ابن جرير الطبري، 479/6. وينظر: النهاية في غريب

الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: محمود محمد الطناجي، المكتبة الإسلامية، (د،ت)، 8/5.

﴿لَيْنَ أَخْرَتَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

وأيضاً كلمة "احتنك" في قوله تعالى:

لَأَحْتَنِكَ بِذُرِّيَّتِهِ إِلَّا قَلِيلاً¹³⁰⁶، والاحتنك: يرد بمعنى: الأول:

الاستئصال، ومنه قولهم: احتنك الجرأد الزرع؛ أي: أتى عليه كله واستأصله، والآخر: بمعنى القهر على التصرف، مأخوذ من اللجام الذي يوضع في حنك الفرس، ويسمونه (الحنكة) وبها تستطيع أن توجه الفرس يمينا أو يساراً أو توقفه، فهي أداة التحكم فيه، والسيطرة عليه قهراً، فلاحتناك قد يكون استئصلاً للذات، وقد يكون قهراً لحركتها¹³⁰⁷، ومن المجاز: احتنك الجرأد الأرض: إذا أكل ما عليها من النبات، واحتنك الرجل؛ أي استحكم¹³⁰⁸.

فهذه اللفظة أخذت عدة وظائف دلالية في المعجم، لكن المعنى بقي ثابتاً وقاراً، ووجدناها قد اختلفت دلالتها عند المفسرين، فمعناها عند ابن عباس: لأستولين¹³⁰⁹ عليهم¹³¹⁰، ومجاهد: لأحتوينهم¹³¹⁰، وابن زيد: لأضلتهم¹³¹¹، ورأى الطبري أن المعنى متقارب؛ أي: لأستصلن ذريته بالإغواء والاضلال، ولأجتاحتهم¹³¹². إن النظام المعجمي في كل هذا يبقى مفتوحاً على كل مظاهر التغير والتجدد، بخلاف النظام النحوي وما إليه من الأنظمة اللغوية الأخرى، فإنها تظل ثابتة نسبياً، وهذا التطور ناتج من كثرة الشروح والتعليقات في المادة الواحدة، وتغير المعنى ليس بشكل

¹³⁰⁶ - سورة الإسراء، الآية: 62.

¹³⁰⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 14 / 8664.

- ينظر: تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: ضاحي عبد الباقي، مراجعة: عبد اللطيف¹³⁰⁸ محمد الخطيب، مطبعة الكويت، ط1، 2001، 125/27.

¹³⁰⁹ - ينظر: إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، اعتنى به: الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2008، ص 586.

¹³¹⁰ - ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، 14 / 654.

¹³¹¹ - ينظر: المصدر نفسه، 14 / 655.

- ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، تحقيق: عادل أحمد عبد¹³¹²

الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1995، 115/3.

فجائي وإثماً يتبدل بصورة تدريجية، فينتقل إلى معنى قريب منه، أو إلى معنى بعيد منه، حتى يصل المعنى بعيداً كل البعد عن معناها الأصلي الأول. وهذا ما رعاه الشعراوي كاشفاً المادة المعجمية من القرآن بمنهج تراثي واضح. والمتبع لتفسيره بعين لغوية حساسة يجد أنه مولع ببيان الأصل اللغوي المعجمي للكلمة القرآنية قبل تطور دلالتها، وهو يرى أن «الاشتقاقات اللفظية لا بد وأن يكون لها علاقة بالمعنى»¹³¹³.

فقد كان يجرد المعنى عن طريق رد الكلمة إلى معناها الأصلي الموضوع له، والذي تندرج تحته مجموعة غير متناهية من المعاني الجزئية والفرعية، من خلال البحث في الحروف الأصلية للكلمة، سواء عن طريق ذكر العلاقة الاشتقاقية بين الكلمات، أو عن طريق بيان ما حصل من تطور من المعنى المادي إلى المعنى المجرد.

خامساً: أنواع الدلالات:

من المعلوم أن الألفاظ مُقترنة بمعانيها، ودلالة اللفظ لا تتضح في جزء منه ما لم نستعن عليه بدلالة الجملة أو العبارة، إذ لا يمكن أن يتم التعبير عادة عن الغرض الفني بكلمة مفردة، ما لم نعرف دلالتها في أبعاد مختلفة. ومن هنا يرى اللغويون المحدثون أن الدلالة أنواع منها:

1- الدلالة المركزية:

هذه التسمية وضعها اللغويون القدامى أولاً وهي الحقيقة¹³¹⁴ أو الدلالة الحقيقية، وهي: «اللفظ المستعمل فيما وُضع له»¹³¹⁵، وقد بنى الأصوليون أحكامهم الفقهية في حقيقة الكلمة في تراكيبها المختلفة، وتحديد مدلولها من حيث حقيقة المعنى ثم من جهة المعجز، إذ إن الأصل في الاستعمال التعري من القرائن والدلائل، لأن الأصل هو الحقيقة

¹³¹³ - تفسير الشعراوي، 3168/5.

- ينظر: مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود، ص 118.¹³¹⁴

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق، شعبان محمد¹³¹⁵ إسماعيل، دار السلام، مصر، ط1، 1998، ص 95/1.

التي لا تحتاج إلى قرينة، وإنما يحتاج المجاز للعدول به عن الأصل إلى مصاحبة القرينة¹³¹⁶.

أما مفهومها الاصطلاحي فيؤسسه الآمدي على اعتبار الوضع أو الاقتران العرفي بين الدال والمدلول، ولذلك فالحقيقة كمبحث في اللغة هي من عوارض الألفاظ التي تخضع دلالاتها لتواضع عام "أولي" يخرج من حيز القوة إلى حيز الفعل. ويشرح ذلك الآمدي بقوله: «هي اللفظ المستعمل فيما وضع له أولاً في اللغة، كالأسد المستعمل في الحيوان الشجاع العريض الأعالي، والإنسان في الحيوان الناطق»¹³¹⁷.

وتنقسم الحقيقة إلى لغوية وشرعية وعرفية؛ يخضع كل قسم إلى طبيعة الواضع، فإذا كان صاحب الوضع هو اللغوي كانت الحقيقة لغوية وإذا تعارف الناس واصطلحوا حول اقتران دال بمدلول كانت الحقيقة عرفية، أما إذا كان الواضع هو الشارع، فإن الحقيقة هي حقيقة شرعية، وقد يخضع كل قسم إلى تفريع داخلي من ذلك تخصيص الحقيقة العرفية العامة ويتم بتحويل دلالة اللفظ من العموم إلى الخصوص¹³¹⁸.

ولقد أشار الشعراوي إلى أقسام الحقيقة واعتنى بقسمها اللغوي والشرعي، ونعرض في هذا المقام ما جاء في تفسيره.

أ- الحقيقة اللغوية، ومن الأمثلة التي أشار إلّيها الشعراوي كلمة "زبوراً" في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾¹³¹⁹، فالمادة كلها مأخوذة من "زَبَرَ البئر"، فعندما يقوم الناس بحفر بئر ليأخذوا منها الماء، يخافون أن ينهال التراب من جوانبها عليه فتمطر البئر؛ لذلك يصنعون لجان البئر بطانة الحجارة، وكلمة "زَبَرَ البئر" تؤدي معنى كل عملية لإصلاح البئر؛ ثم أخذ الناس هذه الكلمة في معانٍ مختلفة،

- ينظر: الذريعة إلى أصول الشريعة، الشريف المرتضي، تحقيق: أبو القاسم كرجي، طبعة طهران، 1316 ط1، 1929، 13/2.

¹³¹⁷- الإحكام في أصول الإحكام، أبو القاسم الآمدي، 46/1.

- ينظر: المصدر السابق، ص46. وينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد العال¹³¹⁸ الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999، ص77/3.

¹³¹⁹- سورة النساء، الآية: 163.

فسموا العقل "زُبْرًا" لأنه يعقل الأمور¹³²⁰، ويقال زبرة بالحجارة؛ أي رماه بها، والزبر طيء البئر بها، أي بالحجارة، ويقال: بئرٌ مزبورة، ومن المجاز جعل الزبر للعقل والرأي والتماسك¹³²¹، وفي الآية جاءت كلمة "زُبُورا" بفتح الزاي بمعنى كتاباً، وهذا الوجه هو عند أهل اللغة¹³²².

فكثير من الأحيان يبدأ الشعراوي بتبيان الحقيقة اللغوية للمفردة المراد تفسيرها، ثم يبدأ بكشف استعمالاتها ووظيفتها في السياق المقدمة فيه.

ب- الحقيقة الشرعية، استعمالها الشارع الكريم في هذه المعاني لما بينها وبين المعاني اللغوية من علاقة، فالألفاظ المستعملة في مصطلحات الشرع هي في الأصل مجازات لغوية اشتهرت فصارت حقائق شرعية، وهي اللفظ الذي استفيد من الشرع وضعه للمعنى، سواء كان اللفظ والمعنى مجهولين عند أهل اللغة، أو كان معلومين، لكنهم لم يضعوا ذلك الاسم لذلك المعنى، أو كان أحدهما مجهولاً والآخر معلوماً¹³²³.

ومن الألفاظ التي انتقلت دلالتها في العصر الإسلامي والتي خصها الشعراوي بالذكر، لفظة "الصلاة" و"الزكاة" و"رمضان" و"الحج" وغيرها من الكلمات التي التصق اسمها بالدلالة الشرعية، ثم انتقلت دلالتها من الوضع اللغوي إلى معنى آخر كثر الاستعمال فيه، ويعود ذلك لما جاء به القرآن الكريم من حمل الألفاظ لدلالات شرعية جديدة.

ج- الحقيقة العرفية، وقد عرفها السمرقندي بأنها اللفظ الذي انتقل من الوضع الأصلي إلى غيره بغلبة الاستعمال، بحيث يصير الوضع الأصلي مهجوراً وما انتقل إليه

مشهوراً¹³²⁴، مثل حمل لفظ "الدابة" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ

¹³²⁰- ينظر: تفسير الشعراوي، 2830/5.

¹³²¹- ينظر: تاج العروس، الزبيدي، 111/11.

¹³²²- ينظر: معاني القرآن الكريم، النحاس، 239/2.

¹³²³- ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، 136/1.

¹³²⁴- ينظر: ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، السمرقندي، تحقيق: عبد الملك السعدي،

السعودية 1994، 377/1.

﴿اللَّهُ الْبِكْمُ الصُّم﴾¹³²⁵، وكلمة "دَابَّة" تعني كل ما يدب على الأرض، ولكنها
 حُصِّتْ عَرَفًا بِذَوَاتِ الْأَرْبَعِ¹³²⁶، فهذه الكلمة تطلق عادة على الحيوان، وإن كانت
 تشمل الإنسان لأنه يدب على الأرض، وقد سار جل المفسرين والبلاغيين بهذا الاتجاه،
 يقول أبو حيان: «لما أخبر تعالى أن هؤلاء المشبه بهم لا يسمعون، أخبر أن شر الحيوان
 الذي يدب الصم، أو أن شر البهائم، فجمع بين هؤلاء وبين جمع الدواب، وأخبر أنهم
 شر الحيوان مطلقاً»¹³²⁷، وهي صورة معبرة عن نمط من الكائنات مصيبتها أنها غافلة،
 ولا تعقل.

ونجد في سياق آخر اعتماد الحقيقة في قوله تعالى : ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ

وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾¹³²⁸، فإذا كانت السماء تبكي فقد تعدت

مجرد الكلام، وأصبح لها أحاسيس ومشاعر، ولديها عواطف قد تسمو على عواطف
 البشر، فالآية دليل على أنها تبكي على فقد الصالحين¹³²⁹، فالشعراوي هنا يحمل الآية
 على الحقيقة، وينفى ما أورده المفسرون من إنها مجاز¹³³⁰.
 وقد قدم القرطبي في تفسيره وجهين للآية:

الأول: أنها على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه ، والمعنى
 "أَنَّهُمْ هَلِكُوا فَلَمْ تَعْظُم مُصِيبَتُهُمْ وَلَمْ يُوجَدْ لَهُمْ فَقْدٌ".

1325 - سورة الأنفال، الآية: 22.

1326 - ينظر: تفسير الشعراوي، 4633/8

1327 - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 474/4.

1328 - سورة الدخان، الآية: 29.

1329 - ينظر: تفسير الشعراوي، 6615 /11

- فسرها أبو حيان على أنها استعارة لتحقير أمرهم، وإنه لم يتغير عن هلاكهم شيء. ينظر: النهر الماد

1330 من

البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، 150/5.

الثاني: قيل في الكلام إضمار ؛ أي: "مَا بَكَى عَلَيْهِمْ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ"¹³³¹، وتبقى تأويلات المفسرين تسبح بين هذه الاختيارات، ولعل طرح الشعراوي أقرب إلى الصواب من غيره.

2- الدلالة الهامشية:

وهي أن يُفتعل معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر¹³³²، وهو ما يسمى بالدلالة الهامشية، «فَالْأَلْفَاظُ تُسْتَعْمَلُ عَبْرَ الْأَجْيَالِ وَنَتِيجَةً لِاسْتِعْمَالِهَا يُغْرَمُ أَنْاسٌ بِمَعَانِي الْأَلْفَاظِ الْهَامِشِيَّةِ، وَيَبْقَى مَعْظَمُ النَّاسِ يَشْتَرِكُونَ فِي اسْتِعْمَالِهَا بِمَعْنَاهَا الْمَرْكَزِيَّةِ، وَيَرِثُ الْجِيلُ التَّالِي مَا شَاعَ مِنْ دَلَالَاتِ هَامِشِيَّةٍ وَمَرْكَزِيَّةٍ، وَمَعَ تَوَالِي الْأَيَّامِ يَتَضَخَّمُ الْأَنْحِرَافُ، وَتَصْبِحُ الدَّلَالَةُ الْهَامِشِيَّةُ شَائِعَةً، وَيَبْدُو لِلْجِيلِ الْوَارِثِ أَنَّ لِلْكَلِمَةِ مَعْنَيْنِ أَوْ دَلَالَتَيْنِ، مَعَ أَنَّ الرَّبْطَ بَيْنَهُمَا ضَعِيفٌ»¹³³³.

وقد تكتسب هذه الدلالة هامشيتها عن طريق التطور اللغوي الذي يحدث في الألفاظ، فنجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية جديدة يستدعيها الزمان والمكان، فيبعدها الاستعمال عن أصلها بعداً كثيراً، وقد أدخل بعض المحدثين المجاز والاستعارة والكناية ضمن الدلالة الهامشية¹³³⁴.

ولقد أثبت اللغويون والبلاغيون والأصوليون أن المجاز موجود في اللغة العربية وفي القرآن الكريم، وهو انتقال وتجاوز اللفظ من دلالاته الأصلية إلى دلالة جديدة، ويرى ابن قتيبة أنه لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً؛ لأننا نقول: "نَبَتَ الْبَقْلُ،

¹³³¹ - ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 159/16

- ينظر: أبجد العلوم، صديق بن حسن الفتونجي، إعداد: عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي¹³³²

إحياء التراث- العربي، دمشق، 1978، 129/2.

¹³³³ - علم الدلالة والمعجم العربي، عبد القادر أبو شريفة- حسين لافي - داود غطاشة، دار الفكر للنشر والتوزيع ط1، 1989، ص 81.

- ينظر: مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود، ص 122، وينظر: الدلالة المجازية في¹³³⁴ الحكاية الرمزية والرمز، صبحي البستاني، الفكر العربي المعاصر، العدد: 28، بيروت، 1986، ص 13.

وَطَالَتُ الشَّجْرَةَ، وَأَيَّعَتِ الثَّمْرَةَ، وَأَقَامَ الْجَبَلَ، وَرَخَّصَ السَّعْرَ¹³³⁵، ويعلل ابن جني على أن أكثر كلام العرب مجاز فقال: «واعل م أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة»¹³³⁶.

وعند البلاغيين هو استعمال الكلمة في غير ما هي موضوعه له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع¹³³⁷، أما عند الأصوليين فإنهم يجذبون حمل الألفاظ على ظاهرها وأخذها على ما هي عليه في القرآن والسنة، وأشار إلى هذا المعنى الآمدي فقال: «فكل خطاب خاطبنا الله تعالى به أو رسوله صلى الله عليه وسلم، فهو على موضوعه في اللغة ومعهوده فيها، إلا بنص أو إجماع أو ضرورة حس، تشهد بأن الاسم قد نقله الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم عن موضوعه إلى معنى آخر، فإن وجدنا ذلك، أخذنا على ما نُقِلَ إليه»¹³³⁸. وينقسم المجاز المفرد إلى لغوي وشرعي وعرفي، مثال اللغوي لفظ "أسد"، إذا استعمله المخاطب بعرف اللغة هو "الرجل الشجاع"، ومثال عن الشرعي لفظ "صلاة" فإذا استعمله المخاطب بعرف الشرع هو "الدعاء"، ومثال عن العرفي الخاص لفظ "فعل" إذا استعمله المخاطب بعرف النحو هو "الحدث"، ومثال العرفي العام لفظ "دابة" إذا استعمله المخاطب بالعرف العام هو "الشاة"¹³³⁹. ومن صور المجاز المرسل¹³⁴⁰ التي تناولها الشعراوي نذكر:

¹³³⁵- ينظر: تلويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق، السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، 132. وينظر: العمدة، ابن رشيق، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، سوريا، 266/1.

¹³³⁶- الخصائص، ابن جني، 452 / 2.

¹³³⁷- ينظر: دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 53، وينظر: مفتاح العلوم، السكاكي، ص 589/588، وينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني، ص 94، وينظر: جواهر البلاغة، الهاشمي، ص 290.

¹³³⁸- الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، 28/4.

¹³³⁹- ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد العال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999، 78/3.

¹³⁴⁰- وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النعمة. ينظر: بغية الإيضاح، عبد العال الصعيدي، 79/3.

أ- المجاز المرسل في قوله تعالى ﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾¹³⁴¹، والحَرْث

ذاته لا يهلك، إنما يهلك ما نشأ عنه من زُرُوع وثمار، فسَمِّيَ الزرع حَرْثًا؛ لأنه ناشئ عنه، لكن لماذا سَمِّيَ الحَرْث زَرْعًا مع أنَّ الحَرْث مجرد إعداد الأرض للزراعة؟ قالوا: لِيُبَيَّنَ أنه لا يمكن الزرع إلا بَحْرَثٍ؛ لأنَّ الحَرْث إهاجة تُرْبَةِ الأرض، وهذه العملية تساعد على إدخال الهواء للتربة وتجفيفها من الماء الزائد ، لذلك سَمِّيَ الزرع حَرْثًا؛ لأنه سببُ نمائه وزيادته وجَوْدته¹³⁴² ، ويسمى الزرع حرثًا للمجاورة والتناسب، ويدخل سائر الشجر والغراسات في ذلك حملا على الزرع¹³⁴³ ، فعندما يطلق لفظ الحَرْث نفهم مباشرة أنَّ المعنى هو الزروع والثمار.

ب- المجاز المرسل (العلاقة محلية) وهي تسمية الحال باسم محله¹³⁴⁴، ونجد في تفسير

قوله تعالى ﴿وَسَّعِلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا

فِيهَا﴾¹³⁴⁵، فالآية تُحْمَلُ على المجاز، وبطبيعة الحال لن يسأل إنسان المكان أو

المباني؛ بل يسأل أهل القرية، ولم يقل الحق: (اسأل أهل القرية) لأنَّ المسَّ وُول عنه هو أمر بلغ من الصدق أن المكان يشهد مع المكين¹³⁴⁶.

ويرى الرازي أنَّ المراد هنا حذف المضاف للإيجاز والاختصار، وهذا نوع من المجاز مشهور في لغة العرب¹³⁴⁷؛ أي أرسل إلى أهلها وأسألم عن القصة¹³⁴⁸، لكن

¹³⁴¹ - سورة البقرة، الآية: 205.

¹³⁴² - ينظر: تفسير الشعراوي، 9599/15.

¹³⁴³ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 257/2.

¹³⁴⁴ - ينظر: بغية الإيضاح، عبد العال الصعدي، 87/3.

¹³⁴⁵ - سورة يوسف، الآية 82.

¹³⁴⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4116/7.

¹³⁴⁷ - ينظر: التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، 190 /18.

- ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 173/3. وجاء عن ابن عباس أنَّ المقصود بالقرية¹³⁴⁸

هم "أهل مصر"، ينظر: البحر الماد من التفسير المحيط، أبو حيان الأندلسي، 332/3.

الشعراوي في موضع آخر يرجع ويحمل الآية على الحقيقة، و يقول مع تقدم العلم

الحديث يعطينا الحق مدداً جديداً، كما قال تعالى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي

الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾¹³⁴⁹، والآن تطالعنا الاكتشافات بإمكانية التقاط صور

وتسجيل أصوات السابقين، فمثلاً يمكنهم بعد انصرافنا من هذا المكان أن يُسجّلوا
جلستنا هذه بالصوت والصورة، ومعنى ذلك أن المكان يعي ويحتفظ لنا بالصور
والأصوات منذ سنوات طويلة، وعلى هذا يمكن أن نقول: إن القرية يمكن أن تُسأل،
ويمكن أن تجيب، فلديها ذاكرة واعية تسجّل وتحتفظ بما سجّلته، ولا شك أن سؤال
القرية سيكون أبلغ من سؤال أهلها، لأن أهلها قد يكذبون، أما هي فلا تعرف
الكذب¹³⁵⁰.

فالشعراوي يقول ما يؤمن به صواباً، وقد يقدم تفسير أو تفسرين أو ثلاثة تفاسير
للمسألة الواحدة، ولم يخطئ أي رأي أو قول ممن سبقه، وهذا التنوع نجده في الآيات
التي لا يوجد فيها اتفاق بين العلماء، وهذا هو منهجه رحمه الله.

ت- مجاز مرسل العلاقة جزئية، وهي تسمية الشيء باسم جزئه كالعين في

الريئة¹³⁵¹، كإطلاق اسم الجزء على الكل¹³⁵²، وهي في قوله: ﴿وَمِنْهُمْ

الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾¹³⁵³، وهم قد عابوا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نسمي الرجل الذي يسمع كل حدث

1349- سورة فصلت، الآية 53.

1350- ينظر: تفسير الشعراوي، 8249/13.

1351- تطلق الريئة على الرقيب والجاسوس، من ربأ القوم: استطلع حركاتهم، وتاؤها للمبالغة.

1352- ينظر: بغية الإيضاح، عبد العال الصعيدي، 82/3.

1353- سورة التوبة، الآية: 61.

«أُذُن»¹³⁵⁴، فهذا مجاز مرسل علاقته الجزئية أطلقت الأذن وهي الجارحة المعروفة ،
وأردوا بها الرسول عليه الصلاة والسلام.

فالشعراوي لم يذكر مصطلح المجاز ولم يُعرفه، فمنهج عام كان يحكمه خلال تعاطيه
للآيات القرآنية التي يَحتمل صرفها عن ظاهرها أو تأويلها، وهو التحفظ في حمل
العبرة على غير ظاهرها، فكان كثيراً ما يلامس ظاهر الجملة القرآنية وينأى بها قدر
الإمكان عن المجاز، معللاً أن الأصل في الكلام الحقيقة وليس المجاز، وهذا الموقف نادى
علماء الأصول كما ذكرنا آنفاً.

ومنهج الشعراوي في التفسير هو إيصال الفائدة للمسلمين على حقيقتها وإرشاد
السالكين إلى الخير العام، دون أن يخل بالحقائق الشرعية، متجنباً التأويلات التي تهمز
المعنى ولا تثبته، وقد تخطى المجاز حدود الدائرة اللغوية إلى الدائرة الفنية، و وجوده في
القرآن الكريم لا ينكره أحد، له دلائله وشواهد، «لا وجه لمن منعه، لأنّ الواقع منه
في القرآن أكثر من أن يحصى»¹³⁵⁵، وهو وسيلة من وسائل العربية في إضافة المعاني
الجديدة، ووسيلة اللغة في الإضاءة والتنوير؛ لأنّ انتشار هذا النوع من المجاز في القرآن
دربة لأهل اللغة من جهة، ودليل على الإعجاز البياني من جهة أخرى ، وعليه فإنّ
الدلالات المتولدة من عملية المجاز تضيف إلى اللغة العربية آفاقاً رصينة في التعبير
واتساعاً في النمو اللغوي، مما يثري المعاجم بالمعاني والدلالات الجديدة.

3- الدلالة الإيحائية:

يظهر ملامح هذه الدلالة في استيعاب المثل القرآني لصيغ كلمات معينة ، وألفاظ مؤثرة
توحي بأكثر من مدلولها الظاهري، فقيمة اللفظ تتأثر بالدلالة الإيحائية ونوعيتها قوة
وضعفاً، وهي ذلك النوع من المعنى الذي يتعلق بكلمات ذات مقدرة خاصة على
الإيحاء نظراً لشفافيتها¹³⁵⁶، وتعد الاستعارة جزءاً من المجاز ولها دلالات إيحائية¹³⁵⁷.

¹³⁵⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 5246/19-5247.

- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ضبطه: محمد سالم هاشم، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995، 18/1.

¹³⁵⁶ - ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 39.

¹³⁵⁷ - ينظر: مصطلحات الدلالة العربية، جاسم محمد عبد العبود، ص 124.

ونجد في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾¹³⁵⁸، فكلمة (تَعْبُرُونَ)

مأخوذة من "عَبَرَ النهر"؛ أي: انتقل من شاطئ إلى آخر، وكأنه يطلب منهم المراد المطوي في الرؤيا¹³⁵⁹، وعَبَرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ: أَعْرَبَ وَبَيَّنَّ. وَعَبَّرَ عَنْهُ غَيْرُهُ: عَيَّى فَأَعْرَبَ عَنْهُ، وَاعْتَبَرَ مِنْهُ: تَعَجَّبَ¹³⁶⁰. فهذه المفردة تحمل في سياقها دلالات إيحائية متنوعة، وفي الآية دلت على معنى "علم التعبير"، «والعرب تقول اللهم اجعلنا ممن يعبر الدنيا ولا يعبرها؛ أي ممن يعتبر بها ولا يموت سريعاً حتى يرضيك بالطاعة»¹³⁶¹. لاحظ فالشعراوي تصرفات اللفظ وانتقال المعنى من مدلول إلى آخر، فكلمة "عَبَرَ" هي تجاوز من حال إلى حال واختصت في الآية "بأهل التأويل". وهو ما ذكره الراغب الأصفهاني في المفردات¹³⁶².

وفي سياق آخر نجد في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ

أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ

أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾¹³⁶³، فالحق يريد أن

يضرب لنا المثل الذي يوضح الصنف الثاني من المنفقين في سبيل الله ابتغاء مرضاته، وتثبيتاً من أنفسهم الإيمانية ضد النفس الشهوانية، كمثل هذه الجنة التي تُرَوَى بأسلوب رباني، فإن نزل عليها وابل من المطر، أخذت منه حاجتها وانصرف باقي المطر عنها¹³⁶⁴.

1358 - سورة يوسف، الآية: 43.

1359 - ينظر: تفسير الشعراوي، 6938 / 11.

1360 - ينظر: تاج العروس، الزبيدي، 52/12، مادة "عبر".

1361 - معاني القرآن، الفراء، 62/2.

1362 - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، 348/1.

1363 - سورة البقرة، الآية: 265.

1364 - ينظر: تفسير الشعراوي، 1157 / 2.

فقلب المؤمن المنفق مُثَلَّ بالجنة، والمشهد فيه دلالة إيجابية تنتقل بمشاعر الإنسان في الغبطة والسرور إلى عالم روحي محض يحمل بين برديه جميع مقومات الرضا من الله، والعناية بالنفس المطمئنة التي لا تأمل إلاّ الثبوت والاستقامة ... وهي على نشز من الأرض تباكرها هذه الهبات، وما يوحي ذلك من مناخ نفسي يسكن إليه الضمير¹³⁶⁵.

فاختيار اللفظ وإحلالها في الموقع المناسب لها في السياق ذاته، هو عين البيان وأساس البلاغة القرآنية، لأن لبعض الألفاظ وقعاً خاصاً يسيطر على النفوس، لا يوحيه لفظ يشاكلة لغوياً، فهو مجال الانفعالات النفسية والتأثير الداخلي للإنسان، «وكلما كانت إيجابية الكلمة عالية، كانت قيمة تلك الكلمة فنياً عالية أيضاً، والعكس بالعكس»¹³⁶⁶.

3- الدلالة النفسية:

هذه الدلالة خاصة بالملاحظين والمدققين في معاني الألفاظ، يستمدونها من خيالهم وتمدهم هذه القدرة بظلال من الدلالات لا تكاد تخطر في ذهن الآخرين¹³⁶⁷، مثلما

جاء في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ إِنَّهُ لَهُ سُلْطَنٌ عَلَى الَّذِينَ

ءَامَنُوا﴾¹³⁶⁸. وكلمة (السلطان) مأخوذة من السَّليط، وهو الزيت الذي كانوا

يُوقِدُون به السُّرج، فكانوا يضعون هذا الزيت في إناء مغلق مثل السلطانية يخرج منه فتيلة، وعندما توقد تمتصّ من هذا الزيت وتُضيء؛ ولذلك سُمِّيت الحجة سُلطاناً؛ لأنها

¹³⁶⁵ - ينظر: نظرية النقد العربي، محمد حسين علي الصَّغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1،

ص 56/55.

- الصورة الفنية في المثل القرآني- دراسة نقدية وبلاغية- محمد حسين علي الصغير، دار الهادي،¹³⁶⁶

بيروت، 1992، ص 269.

¹³⁶⁷ - ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 58.

¹³⁶⁸ - سورة النحل، الآية: 99.

تنير لصاحبها وَجَهَ الحق ¹³⁶⁹. وقيل كل دُهْنٍ عُصِرَ من حَبِّ، قال النابغة الجعدي ¹³⁷⁰:

يُضِيءُ كَضَوْءِ سِرَاجِ السَّلِيْطِ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ فِيْهِ نُحَاسًا
أي دُخَانًا دليل على أنه الزيت، لأنَّ السَّلِيْطَ له دخانٌ صالحٌ ¹³⁷¹، والسلطان الحُجَّةُ ،
والسَّلِيْطُ من الرجال: الفصيح اللسان الدَّربُ والسليطة: المرأة الصخابة ¹³⁷²، وبهذا
تشكل معناها من الملاحظة والدقة في معاني الأشياء وأصبح له حضور أدبي وعلمي
متميز.

4- الدلالة الأسلوبية(السياقية):

هي الدلالة التي يحددها العرف العام، على نحو ما تعارف عليه المجتمع في بيئته
الكلامية ¹³⁷³، إذ تتحول (الأم) على لسان البعض إلى (ماما) أو (ماي) على نحو ما
تتحول زينب إلى (زوبة) ¹³⁷⁴.

يقدم الشعراوي دلالة اللفظ "دلًا" في قوله تعالى: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ ¹³⁷⁵،

و"دلًا" مأخوذة من دَلَّى رجليه في البئر كي يرى إن كان فيه ماء أم لا، أو دَلَّى جبل
الدلو ليتزله في البئر، ومعناها: أنه يفعل الشيء مرة فمرة ¹³⁷⁶.

فيقال: أَدَلَيْتُ الدَّلْوَ وَدَلَيْتُهَا إِذَا أَرَسَلْتَهَا فِي البئر، وَدَلَوْتُهَا أَدَلُّوْهَا فَأَنَا دَالٌ إِذَا
أَخْرَجْتُهَا ¹³⁷⁷، وَمِنْهُ حَدِيثُ اسْتِسْقَاءِ عُمَرَ وَقَدْ دَلَوْنَا بِهِ إِلَيْكَ مُسْتَشْفِعِينَ بِهِ؛ يَعْنِي

¹³⁶⁹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8202 /13.

¹³⁷⁰ - ينظر: ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط1، 1998، ص 100.

¹³⁷¹ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 320/7، مادة "سلط".

- ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 95/3، مادة "سلط". ¹³⁷²

¹³⁷³ - ينظر: نظرية النقد العربي، محمد حسين علي الصغير، ص 43.

¹³⁷⁴ - ينظر: الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان،

العامّة، بغداد، 1988، ص 384.

¹³⁷⁵ - سورة الأعراف، الآية: 22.

¹³⁷⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4086 /7.

¹³⁷⁷ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 247/11، مادة "دلّ".

الْعَبَّاسَ أَي تَوَسَّلْنَا، وَهُوَ مِنَ الدَّلْوِ لِأَنَّهُ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الْمَاءِ، وَقِيلَ أَرَادَ بِهِ أَقْبَلْنَا وَسُقْنَا،
مِنَ الدَّلْوِ: وَهُوَ السَّوْقُ الرَّفِيقُ¹³⁷⁸.

فالموضع والسياق أكسب لفظه "دلاً" مفهوماً جديداً ومعناً عزيزاً، والشعراوي يعترف بأهمية دلالة السياق في تحديد المعنى، فقال: «ونعلم أن الكلمة إذا أطلقت في عدة مواضع لا تأخذ معنى واحداً، بل يتطلب كل موضع معنى يفرضه سياق الكلام¹³⁷⁹»، وهذا الرأي موافق لما نادى به علماء الدلالة، فموضوع الدلالة هو المعنى اللغوي، والمعنى اللغوي ينطلق من معنى المفردة، من حيث حالتها المعجمية ومتابعة التطورات الدلالية والتغيرات التي تأخذها في السياقات المختلفة، إذ يصعب تحديد الكلمة لأن الكلمة لا تحمل في ذاتها دلالات مطلقة، وإنما السياق هو الذي يحدد دلالتها الحقيقية¹³⁸⁰.

وبالتالي فإن أحسن طريقة لفهم معنى الكلمة هو وجودها في التركيب الذي يسهم في إبراز معناها، ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها أو تبدو مشابهة لها، بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالحيط والثقافة الذين يعبران عن دلالة اللفظ عن كلمات اللغة¹³⁸¹، والسياق ركيزة هامة في ثبات المعاني وتحديدتها.

3- الدلالة الانعكاسية:

سُميت بالانعكاسية، لأنها تأتي بعكس الدلالة المنطوقة، و «يكون السكوت عنه مخالف للمذكور في الحكم إثباتاً ونفيًا، فيثبت المسكوت عنه نقيض حكم المنطوق به، ويسمى دليل الخطاب أو لأن الخطاب دال عليه¹³⁸²». ويتضح المعنى الانعكاسي في الكلمات ذات المعاني المكروهة أو المحظورة مثل الكلمات المرتبطة بالجنس وموضع قضاء الحاجة والموت، وقد أورد الشعراوي من المحظور اللفظي كلمة "الغَائِطُ" في قوله

¹³⁷⁸ - ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك (ابن الأثير)، 122/1.

- تفسير الشعراوي، 2667/5. ¹³⁷⁹

¹³⁸⁰ - ينظر: علم الدلالة - دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، القاهرة، ص 71.

¹³⁸¹ - Voir, Linguistique Générale: R. H. Robins- une introduction, Librairie Armand Colin, Paris, 1973. p: 70- 71

¹³⁸² - إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، 522/2.

تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ﴾¹³⁸³، فقد التصقت هذه الكلمة

بالمكان التي وقعت فيه؛ أي من قضاء الحاجة في مكان غويط وهو الوطاء المنخفض من الأرض، وكانت العرب قديماً تفعل ذلك حتى لا يراهم أحد ويكونوا في ستر وأصبح لها الآن هذا المعنى القار الذي التصقت به.

وقد أظهر البقاعي (ت: 885هـ) المعنى الدلالي لكلمة الغائط بقوله: «هو المكان المطمئن من الأرض الواسع الذي يقصد للتخلي»¹³⁸⁵، فالغائط في الأصل هو المكان المطمئن من الأرض ثم كثر استعماله في غير ما ورد في اللغة إلى المكان الذي يقصد به التخلي لقضاء حاجته.

سادساً: أسباب التطور الدلالي في نظر الشعراوي:

تتم التفاسير القرآنية بدلالة اللفظة في تركيبها وسياقها، وتبحث أيضاً في التغير الذي يكتسي المفردات أثناء اكتسابها مدلولات جديدة وذلك في القديم والجديد، وأسباب التطور الدلالي كثيرة منها: المجازية واللغوية والتاريخية والاجتماعية، والأسباب الثلاثة الأخيرة «تستطيع فيما بينها أن توضح حالات كثيرة من تغير المعنى، ولكنها مع ذلك ليست جامعة بحال من الأحوال»¹³⁸⁶.

ويعد البحث في دلالة الألفاظ عامة وتطور دلالتها على جانب كبير من الأهمية، لماذا؟ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية متصلة بشؤون الحياة، والمجتمع في تغيرات عبر الزمن وبالتالي يتغير اللفظ ويتطور مصاحباً معه تغير المعنى، بالإضافة إلى التغير الصوتي الذي

¹³⁸³ - سورة المائدة، الآية: 6.

¹³⁸⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 5/ 2960.

¹³⁸⁵ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 35/6.

¹³⁸⁶ - ينظر: دور الكلمة في اللغة، استيفن أولمان، ص 157.

- وقد ذكر منقور عبد الجليل أن أبرز العوامل التي تنتظم التغير الدلالي هو الطابع الاجتماعي للغة،¹³⁸⁷ الذي يلقي بتأثيره على الطابع الذهني والفكري لدى أهل هذه اللغة، إذ تغدو المنظومة اللغوية حاملة للقيم الاجتماعية والفكرية المستجدة. ينظر: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منقور عبد الجليل، منشورات اتحاد الكتاب، سوريا، 2001، ص 223. وفي رأي "رونالد بارت" أن اللغة معرضة للتغيير والتطور بفعل الاستعمال الاجتماعي للرمز الدلالي.

يعد أكثر المتغيرات تأثيراً في اللغة، باعتبار أن اللغة نظام كلي شامل يتم فيه الصوت المعنى.

وقد أدرك الشعراوي هذا وبينه، ولاحظ أن تغير المعنى ليس سوى جانب من جوانب التطور اللغوي للألفاظ الذي يتم ضمن طبيعة اللغة الخاصة، فلا شيء ثابت أو مستقر فيها بصورة تامة، فكل صوت وكل لفظ يتم بالتغير تدريجياً، وهذه هي سنة اللغة، «وهذا التطور لا يقع اعتباطاً دون ضابط ولا نظام، بل يحدث وفقاً لاتجاهات عامة، وقوانين مطردة، فكما أن هناك ما يسمى بالقوانين الصوتية هناك قوانين المعنى¹³⁸⁸» ومن بين أسباب التطور الدلالي ما نجد:

1- رقي الحياة العقلية:

بحيث يتم انتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد، وذلك بتطور العقل الإنساني ورقيه، فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال، وانتقال الدلالة من المجال المحسوس إلى المجال المجرد يتم عادة في صورة تدريجية، ثم قد تتزوي الدلالة المحسوسة وقد تندثر، وقد تظل مستعملة جنباً إلى جنب مع الدلالة التحريدية لفترة تطول أو تقصر¹³⁸⁹. ويرى الشعراوي أن الأصل في اللغات أن تُوضع الألفاظ أولاً لمحسّات ثم تنتقل من المحسّات إلى المعنويات؛ لأنّ إلف الإنسان في أول تكوين المدركات له إنّما يكون

بالحس¹³⁹⁰. من أمثلة ذلك كلمة "حَبَطَ" في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ

أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾¹³⁹¹، وهي تستخدم تعبيراً عن الأمر

المحسوس فيقال: "حبطت الماشية"؛ أي أصابها مرض اسمه الحُباط لأنّها تأكل لونها من

- Voir, Introduction à la sémiologie, Morsly (D), Chevaldonne (F), BUFFAC (M),

Mollet (J):. O. P. U. Alger .1980. P 21

1388 - العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود، ص 206-207.

1389 - ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 162/161.

1390 - ينظر: تفسير الشعراوي، 2872/5.

1391 - سورة البقرة، الآية: 217.

الطعام تنتفخ به، وعندما تنتفخ فقد تموت، مثلما يحدث في الربيع الذي ينبت فيه من النبات الذي يعجب الماشية فتأكله فيأتيها مرض "الحباط" فتنتفخ ثم تموت¹³⁹².

فلقد أعطانا الله من هذا القول المعنى المحسوس لتشابه الصورتين؛ فالماشية عندما تحبب تبدو وكأنها نمت وسمت، والمُنْتَظَر من الأكل هو المنفعة والذي حصل هو نقيض ذلك، إنَّه نمو غير صحي إنَّه ليس شحماً أو لحماً، لكنه ورم، ولذلك قال ابن الأثير: «إنَّ الدابة إذا أصابت مرعاً طيباً فأفرطت في الأكل حتى تنتفخ فتُموت»¹³⁹³.

فنرى انتقال المعنى من المحسوس إلى المعنوي، من انتفاخ البطن بالنسبة إلى الدابة إلى وصف حبب عمل الانسان الكافر بالله غير الموحد له. وفي المعجم: إذا عمل الرجل عملاً ثم أفسده قيل حَبَطَ عَمَلَهُ¹³⁹⁴.

كذلك نجد العلاقة بين المعنى الجديد الذي اكتسبه لفظ "الغضب" و بين سلخ الشاة المعنى الحسري القديم الذي توجد بينهما علاقة مشابهة ، إذ هو وسيلة تحويل الدلالة الحسية إلى مجردة معنوية، والغضب هو سلخ الجلد عن الشاة ، وسُمِّيَ أخذ الحق من صاحبه غضباً، كأنه أخذ للجلد، ونُقل المعنى من المُحَسَّات إلى المعنويات¹³⁹⁵.

فمادة: "غ ص ب": أخذ الشيء ظلماً وبابه ضرب تقول غَصَبَهُ منه وغَصَبَهُ عليه¹³⁹⁶، وجاء في اللسان: غَصَبْتُ الْجِلْدَ غَصَباً إِذَا كَدَدْتَ عَنْهُ شَعْرَهُ، أو وبَّره قَسراً. وانتقلت مادة الغضب إلى معنى الاغتصاب، وفي الحديث: "أَنَّهُ غَصَبَهَا نَفْسَهَا: أَرَادَ أَنَّهُ وَاقَعَهَا كُرْهًا، فَاسْتَعَارَهُ لِلْجَمَاعِ"¹³⁹⁷، وهذا المعنى الأخير هو الذي شاع استعماله حتى غلب في العرف فصار الإكراه على الجماع يسمى اغتصاباً.

فلقد أضحي شغل الشعراوي الشاغل الكشف عن معنى الألفاظ وتبيان مدى تغلغل المدلولات اللغوية في حياة الناس وتصرفاتهم وأقوالهم؛ بل وفي آلتهم الصناعية

1392 - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 932.

1393 - النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، 1/ 331.

1394 - ينظر: مختار الصحاح، أبو بكر بن عبد القادر الرازي، ص 127، مادة "حبط".

1395 - تفسير الشعراوي، 5/ 2873.

1396 - ينظر: مختار الصحاح، أبو بكر بن عبد القادر الرازي، ص 437، مادة "غضب".

1397 - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 1/ 648، مادة "غضب".

والزراعية، وكيف أنه جعل المدلول اللغوي للكلمة في متناول لغة الناس الدارجة، وكيف عرفهم وأفهمهم أن معرفة اللغة والتفكير في معانيها في متناول كل منهم.

2- الأسباب الاجتماعية:

فيما يخص التطور الاجتماعي، نجد أنه في أغلب الأحيان يؤدي إلى تطور لغوي، فتموت ألفاظ وتبعث أخرى وتبدل معاني بعضها.

فقد يحدث أن تستعمل إحدى البيئات الفنية الخاصة كلمة عادية في معنى جديد ذي صيغة فنية خالصة، وربما يتبع ذلك دخول هذا المعنى الجديد إلى اللغة المشتركة بجانب المعنى القديم¹³⁹⁸، فالألفاظ العربية كما يدل البحث التاريخي، إنما كانت عرضة للتبدل الذي اقتضاه الزمان وتقلب الأحوال والنظم الاجتماعية، وما الألفاظ الإسلامية إلا لون من ألوان هذا التطور، الذي عرض للفظه العربية البدوية القديمة، فاستحالت شيئاً آخر يتطلبه الدين الجديد والبيئة الجديدة¹³⁹⁹.

وقد تحدث الشعراوي مطولاً في هذا الجانب، ونقتصر على مثال لُبنين المعنى المقصود،

ففي كلمة اليمين في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾

﴿1400﴾. فلإيمان جمع يمين، واليمين: هو الحلف أو القسم، وسُمِّيَ يميناً لأنهم كانوا قديماً إذا تحالفوا ضرب كل امرئ منهم يمينه على يمين صاحبه، وذلك لأن اليمين هو الجارحة الفاعلة¹⁴⁰¹، وقيل للحلف يمينٌ باسم يمين اليد، وكانوا يبسطون أيماهم إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا، ولذلك قال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: "ابسط يدك أبايعك"¹⁴⁰².

وفي عرف المسلمين التيمُّن: هو الابتداء في الأفعال باليد اليمنى، وإن كان الفعل منوطاً باليد، وبالرجل اليمنى وبالجانب الأيمن، والحكمة في ذلك كما أوضحه العلماء هو أنه

1398- ينظر: دور الكلمة في اللغة، استيفان أولمان، ص 158.

1399- ينظر: التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، دار الرائد للطباعة، بغداد، 1966، ص 41.

1400- سورة البقرة، الآية: 225.

- ينظر: تفسير الشعراوي، 1/975. 1401

1402- ينظر: مختار الصحاح، أبي بكر الرازي، ص 676، مادة "يمن".

من باب تكريم اليمين والتفاؤل الحسن، فإن أصحاب اليمين هم أهل الجنة، ويؤتو
 كتبهم بأيمانهم، ونورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم كما ذكره القرآن الكريم.
 وقد روى عن عائشة رضي الله عنها قالت: {كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 يُحِبُّ التَّيْمَنَ مَا اسْتَطَاعَ فِي طُهُورِهِ وَتَنَعُّلِهِ وَتَرَجُّلِهِ — هَذَا فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ} ¹⁴⁰³.
 وذكر الزجاج في معاني القرآن أن معنى الآية: هو قول الكفار للذين أضلّوهم؛ أي
 كنتم تخذعوننا بأقوى الأسباب، فكنتم تأتوننا من قبل الدين فترؤنا أن الدين والحق
 ما تضلّوننا به وتزيتون لنا ضلالتنا، كأنه أراد تأتوننا عن المأتمى السهل ¹⁴⁰⁴. وقيل
 اليمين: معناه كنتم تأتوننا من قبل الشهوة لأن اليمين موضع الكبد، والكبد مظنة
 الشهوة والإرادة ¹⁴⁰⁵، وبالتالي اكتسبت كلمة "اليمين" مدلولات جديدة بعدما كانت
 تُعبر عن ضرب الأيدي اليميني، ومن هنا نتبين دور المظهر الاجتماعي في التطور
 الدلالي للألفاظ، وهو ما ذكره الشعراوي.

3- الحظر اللغوي:

هو انتقال الكلمات في حقول دلالية مختلفة وهو ما يعرف بالتورية والمحظورات
 ويسمى بالانحراف اللغوي؛ «إذ يكون الانحراف نتيجة سوء الفهم أو الالتباس أو
 الغموض، وغالباً ما يكون محل رفض منهم، حتى لو قبلته الجماعة اللغوية وجرى على

ألسنتهم» ¹⁴⁰⁶، مثال ذلك كلمة "البراز" في قوله تعالى: ﴿بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ

بَيْتَ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ﴾ ¹⁴⁰⁷، يقال: برز أي خرج للبراز،

والبراز هي: الأرض الفضاء الواسعة، ولذلك يقول المقاتل لمن يتحداه: أبرز لي؛ أي
 اخرج من الحصن، وكان العرب سابقاً لا يقضون حاجتهم في بيوتهم، فإذا أرادوا

- صحيح البخاري، المطبعة الكبرى المبرية، مصر، باب الأطعمة باب التيمن في الأكل، 67/7. ¹⁴⁰³

¹⁴⁰⁴ - معاني القرآن، الزجاج، 302/4.

¹⁴⁰⁵ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 458/13، مادة "يَمَن".

¹⁴⁰⁶ - علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 240.

¹⁴⁰⁷ - سورة النساء، الآية: 81.

قضاء حاجتهم ذهبوا إلى الغائط البعيد¹⁴⁰⁸، وجاء من هذه الكلمة لفظ يؤدي قضاء الحاجة في الخلاء، وهذا القول ذكر في المعاجم بمعنى الظهور والخروج، والتصقت بهذا المعنى المحذور ولم تفارقه.

كذلك لفظة "فَحَشَ" في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا

عَلَيْهَا ءِآبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ

أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾¹⁴⁰⁹، يرى الشعراوي أن مصطلح

¹⁴¹⁰ "الْفَاحِشَةُ" مأخوذة من التفحش؛ أي التزايد في القبح على أي لون من الألوان وقد فحش الأمر بالضم فَحِشًا وَتَفَاحَشَ، وَأَفْحَشَ عَلَيْهِ فِي الْمُنْطَقِ أَي: قَالَ الْفَحْشَ فَهُوَ فَحَاشٌ، وَتَفَحَّشَ فِي كَلَامِهِ¹⁴¹¹.

ويقولون الفاحش: البخيل، هذا على الاتساع، والبخل: أقبح خصال المرء قال طرفة بن العبد¹⁴¹³:

أَرَى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُسْتَشَدِّ.

فهذه اللفظة "فَحَشَ" التي تعني كل شيء جاوز حده فهو فاحش، وتعدت أوجه الدلالة فيها من الشرك بالله، وكشف العورة في الطواف¹⁴¹⁴، واللواط و سبّ النَّاسِ والبغاء والزنى والوَادِ والسرقة...¹⁴¹⁵، واتصفت في الوقت الحاضر - كما يقول الشعراوي - إلى لون خاص من الذنوب، وهو "الزنا".

¹⁴⁰⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4 / 2466.

¹⁴⁰⁹ - سورة الأعراف، الآية: 28.

¹⁴¹⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 7 / 4103.

¹⁴¹¹ - ينظر: مختار الصحاح، الرازي، 452، مادة "فَحَشَ".

¹⁴¹² - ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 4 / 478.

¹⁴¹³ - ديوان طرفة بن العبد، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص34.

¹⁴¹⁴ - ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، 7 / 384.

¹⁴¹⁵ - ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 8 / 298.

4- المعنى الاصطلاحي الذي يخالف المعنى اللغوي:

ويسمى «العام المخصوص وهو ما وضع عاماً، ثم خص في الاستعمال ببعض إفراده»¹⁴¹⁶، فالكلمة على هذا لها أصل دلالي يعد بمثابة المعنى العام، إلا أن الاصطلاح يغير من هذا المعنى العام فيخصص في الصلاة المعروفة لدى المسلمين، وهي: الأقوال والأفعال المعروفة المبدوءة بالتكبير والمنتهية بالتسليم بشرائطها الخاصة، هذه هي الصلاة، اصطلاحياً¹⁴¹⁷، وإن كانت الصلاة في المعنى اللغوي العام هي: مطلق الدعاء¹⁴¹⁸.

فالكلمات كالصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها، كل هذه لها معان لغوية وجذر دلالي غير المعنى المصطلح عليه، وإلى جانب تلك المصطلحات التي لها أصل في اللغة، كانت هناك مصطلحات أخرى تعد إسلامية لم يسبق للعرب استعمالها كلفظة الإمام والخليفة وأمير المؤمنين والجهاد ونحوها¹⁴¹⁹.

ف"الصيام" هو لون من الإمساك؛ والحق يقول: ﴿فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقرِّي عَيْنًا

فِيمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ

أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾¹⁴²⁰، وهذا إمساك عن الكلام؛ إذن فالصوم معناه

الإمساك، لكن الصوم التشريعي يعني الصوم عن شهوتي البطن والفرج من الفجر وحتى الغروب¹⁴²¹.

1416- علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، هادي نهر، ص623.

1417- ينظر: تفسير الشعراوي، 4/ 2257.

1418- ينظر: المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة،

بيروت، لبنان، 1996، ص10.

1419- ينظر: أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية، عبد

القادر عبد الرحمان السعدي، دار عمار، ط1، 2000، ص311.

1420- سورة مريم، الآية: 26.

1421- ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 764.

فمصطلح "الصوم" ذو مدلول إسلامي ولا وجود له في الجاهلية بهذا المعطى؛ «فنحن نعطي اسماً كان فيما مضى اسماً لشيء آخر، ونشركه معه مشترك تماثلي للأشياء في التشبيه ومشارك تجاوزي في المجاز المرسل والكناية»¹⁴²²، وهذا ما حصل مع أغلب المصطلحات الشرعية حيث خالفت المادة اللغوية طابعها الاصطلاحي الشرعي.
سابعاً: مظاهر التطور الدلالي:

بحث علماء اللغة في أسباب تطور الدلالة وأشكالها وصورها، وأدركوا أن التطور الدلالي هو تغيير معاني الكلمات، لأنه انتقال بالكلمة من طور إلى طور¹⁴²³.

وقد أثبت العلماء أن ألفاظ العربية محكومة بعاملين:

الأول: ألفاظ حية يمكن أن تموت وتنقرض.

الثاني: ألفاظ ميتة يمكن أن تُوظف وتستعمل.

والملاحظ أن معاني الكلمات أكثر العناصر اللغوية قابلية للتغير في اللغات الإنسانية،

حيث يوجد في تطور اللغة فرق بين الصوتيات والصرف والمفردات¹⁴²⁴. وفي هذا

المقام يعلق المسدي على هذا، فيقول: «إن الحقيقة العلمية التي لا مرء فيها اليوم، هي

أن كل الألسنة البشرية ما دامت تتداول فإنها تتطور، ومفهوم التطور هنا لا يحمل

شحنة معيارية لا إيجاباً ولا سلباً، وإنما هو مأخوذ في معنى أنها تتغير إذ يطرأ على بعض

أجزائها تبدل نسبي في الأصوات والتركيب من جهة، ثم في الدلالة على وجه

الخصوص، ولكن هذا التغير هو من البطء بحيث يخفى عن الحس الفردي

المباشر»¹⁴²⁵.

¹⁴²² - علم الدلالة، بيرجيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،

1992، ص 100.

¹⁴²³ - ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية- دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، محمد المبارك، بيروت،

ص 207.

¹⁴²⁴ - ينظر: التأويل اللغوي في القرآن الكريم، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، ط 1، 2005، ص 40.

¹⁴²⁵ - اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، 1986، ص 38.

والشعراوي يقر بظاهرة التطور الدلالي في أكثر من مناسبة وإن لم يصرح به مباشرة،

وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا

ءَامِنًا﴾¹⁴²⁶، فما معنى أن يجعله بلدًا؟

يقول الشعراوي: «هناك أسماء تؤخذ من المحسات، فكلمة بلد حين تسمعا تنصرف إلى المدينة، والبلد هو البقعة تنشأ في الجلد فتميزه عن باقي الجلد كأن تكون هناك بقعة بيضاء في الوجه أو الذراعين فتكون البقعة التي ظهرت مميزة ببياض اللون، والمكان إذا لم يكن فيه مساكن ومبان فيكون مستويا بالأرض لا تستطيع أن تميزه بسهولة، فإذا أقمت فيه مباني جعلت فيه علامة تميزه عن باقي الأرض المحيطة به»¹⁴²⁷.

وقد تناول الراجب الأصفهاني لفظة "البلدة" على أنها البلحة ما بين الحاجبين تشبيهاً بالبلدة لتمدها، ولاعتبار الأثر قيل: بجلده بلد، أي: أثر، وجمعه: أبلاد¹⁴²⁸. فهذه المفردة تطورت عبر الزمن من أثر في الجلد إلى مكان متسع من الأرض المتحيز عامراً أو غامراً، وهو أيضاً الأرض مطلقاً¹⁴²⁹.
فغالباً ما نأخذ معنى بعض الألفاظ من الشائعة ثم تموت المعاني الأخرى في اللفظ ويروج المعنى الشائع فنفهم المقصد من اللفظ.

ونجد أيضاً لفظة المفلحون في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفْلِحُونَ﴾¹⁴³⁰، ما هو الفلاح المقصود في الآية؟

لقد اختار الله لفظة عليه دلالة دنيوية تقرب المعنى إلى السامع، فالمعنى العام هو الفوز، لأن كلمة "الفلاح" مأخوذ من شق الأرض للبذر، ومنه سُمِّيَ الفلاح الذي صفته شق

¹⁴²⁶- سورة البقرة، الآية: 126.

¹⁴²⁷- تفسير الشعراوي، 1/ 582.

¹⁴²⁸- ينظر: مفردات ألفاظ القرن الكريم، الراجب الأصفهاني، 64/1، مادة "بلد".

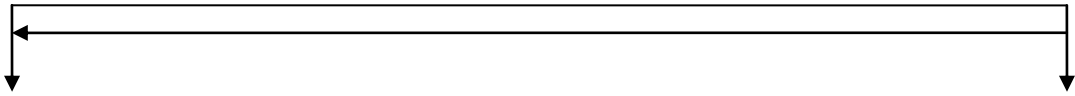
¹⁴²⁹- ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 714/1.

¹⁴³⁰- سورة البقرة، الآية 05.

الأرض ورمي البذور فيها، ومن هنا جاءت كلمة (المُفْلِحُونَ)، ليعطينا الحق جل جلاله من الأمور المادية المشهودة ما يعين عقولنا المحدودة على فهم الغيب، فيشبه التكليف وجزاءه في الآخرة بالبذرة والفلاحة، لأننا حين نرمي بذرة في الأرض تعطيك بذوراً كثيرة¹⁴³¹.

فالمفلح هو الفائز بالبغية، كأنه الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه، والمفلح - الجيم - مثله، ومنه قولهم للمطلقة: استفلحي بأمرك بالحاء والجيم، والتركيب دال على معنى الشق والفتح، وكذلك أخواته في الفاء والعين؛ نحو: فلق، وفلذاً، وفلّى¹⁴³²، وهذا رسم تخطيطي يبرز الأثر الدلالي لمادة "فلح"¹⁴³³.

(أ) دلالة أصلية حسية | فلح (ب) دلالة فرعية تطويرية
مجازية



الشق: أفلح الأرض شقها للزراعة. عنصر بلاغي تشبيه الفوز، الفلاح، الفوز، التحقق، السحور، التقوى، الحياة...

كذلك لفظة "الفاسق" في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا

الْفَاسِقِينَ﴾¹⁴³⁴، فأول شيء في الفسق أن ينقض الفاسق عهده، ويقال فسقت

الرطوبة أي بعدت القشرة عن الثمر، فعندما تكون الثمرة أو البلحة حمراء تكون القشرة ملتصقة بالثمرة بحيث لا تستطيع أن تترعها منها، فإذا أصبحت الثمرة أو البلحة رطباً تسود قشرتها وتبتعد عن الثمرة بحيث تستطيع أن تترعها عنها بسهولة¹⁴³⁵.

1431 - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/133-134.

1432 - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 1/162.

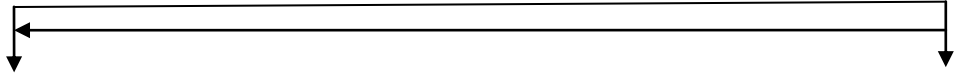
1433 - ينظر لسان العرب، ابن منظور، 2/547، مادة "فلح".

1434 - سورة البقرة، الآية: 26.

1435 - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/212.

هذا هو الفاسق المبتعد عن منهج الله، ينسلخ عنه بسهولة ويسر لأنه غير ملتصق به، وهذا التسمية منشأها اسلامي، ولم تُعرف بهذه الدلالة إلا بعد نزول المهدي النبوي، فلك ابن الأعرابي: «لم يُسمع قطُّ في كلامِ الجاهليَّة في شعر ولا كلام: فاسق ، وهذا عجبٌ، هو كلامٌ عربيٌّ ولم يأتِ في شعرِ جاهليٍّ»¹⁴³⁶ ، وهذا رسم تخطيطي يبرز الأثر الدلالي لمادة "فسق"¹⁴³⁷.

(أ) دلالة أصلية حسية | فسق (ب) دلالة فرعية
تطورية



عنصر بلاغي تشبيهه فسقت الرطبة = خرجت عن قشرتها

الفاسق الخارج عن طاعة الله فسق = خرج عن القصد = عصيان = ظلال = كفر¹⁴³⁸.

فاللفظة كانت مهجورة وغير مستعملة قديماً، وأصبحت الآن موظفة، وقد أعطتها القرآن مساحة دلالية كبيرة وحرية في الاستعمال، ومن مظاهر التغير الدلالي ما نجد:

1- التعميم الدلالي (توسيع المعنى):

هو الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام¹⁴³⁹، ويمكن تعريف التعميم آخذاً من كلام اللغويين بأنه اللفظ الموضوع وضعاً واحداً للدلالة على جميع ما يصلح من الأفراد، أو الأشياء على سبيل الشمول من غير حصر في كمية معينة، أو عدد معين، فعمومية الدلالة إذا لا تكون بالاختصار على بعض أجزائها فقط، وإنما تكون بالاشتمال على

¹⁴³⁶ - مقاييس اللغة، ابن فارس، 505/4، مادة "فسق".

¹⁴³⁷ - ينظر لسان العرب، ابن منظور، 308/10، مادة "فسق".

¹⁴³⁸ - ينظر: الكشاف، الزمخشري، 245/1، وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 367/1.

- ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 243، وينظر: العربية وعلم اللغة الحديث، محمد محمد¹⁴³⁹

داود، ص 197.

جميع هذه الأجزاء وذكرها جملة وتفصيلاً؛ أي الانتقال من معنى ضيق إلى معنى عام أوسع وأشمل.

وقد عبر أحد اللغويين عن هذا المعنى فقال: «تستعمل الكلمة التي كانت تدل على فرد مثلاً للدلالة على أفراد، أو طبقة بأسرها، فإن كلمة عربية كانت قاصرة على العربية التي تدفع باليد أو تجرها الخيل، ثم اتسع معناها فصارت تشمل السيارة»¹⁴⁴⁰، ومع أن له أثر في تطور اللغة، إلا أن «تعميم الدلالات أقل شيوعاً في اللغات من تخصيصها، وأقل أثراً في تطور الدلالات وتغيرها»¹⁴⁴¹.

مثال ذلك قول الأصمعي: «أصل الورد: إتيان الماء، ثم صار إتيان كل ورداً»¹⁴⁴². وقول ابن دريد: «النُّجْعَةُ: طلب الغيث ثم كثر فصار كل طلب انتجاعاً، والمَنِحَةُ أصلها أن يُعْطَى الرجلُ الناقةَ أو الشاةَ فيشرب لبنها ويجتزَّ وبرَّها وصوفها، ثم صارت كل عطية منيحة»¹⁴⁴³.

وقد بين الشعراوي سنة التطور الدلالي بالتفصيل والتوضيح دون لبس أو غموض،

ذلك في كلمة "الخمر" المأخوذة لغةً من الستر في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ

الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾¹⁴⁴⁴، فيقال: "دَخَلَ فلانُ خَمْرَةً"، أي في أيكة من الأشجار

ملتفة فاختبأ فيها، و"الخمار" هو القناع الذي ترتديه المسلمة لستر رأسها، وهو مأخوذ أيضاً من نفس المادة، و"خامرة الأمر" أي خالطه¹⁴⁴⁵، فهذه اللفظة "خمر" توسعت معانيها عبر الزمن وتشكلت في حقول دلالية متنوعة، وقد ورد في

1440- اللغة العربية، محمد عبد الغني المصري، دار المستقبل، عمان، 1988، ص 359، وينظر: العربية

وعلم اللغة الحديث، محمد محمد داود، ص 197.

1441- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 243.

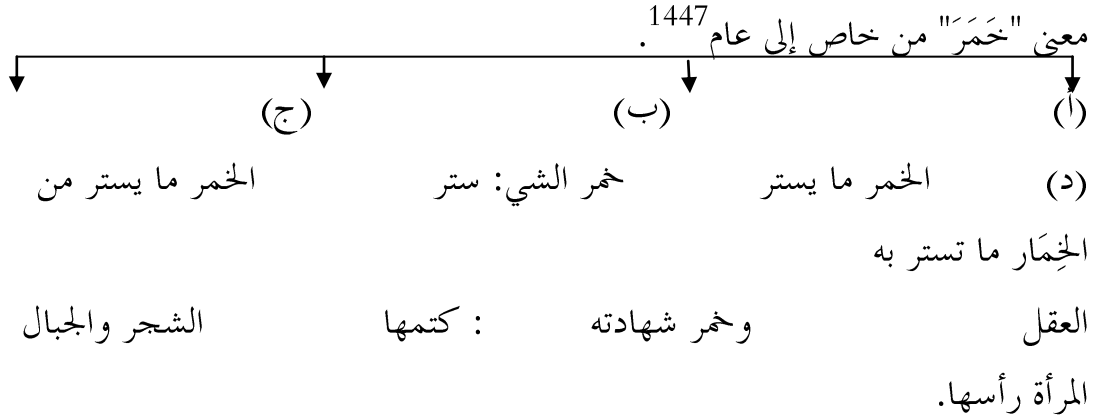
1442- الصاحبى في فقه اللغة العربية، ابن فارس، ص 112.

1443- الجمهرة، ابن دريد، حيدر آبادي الدكن، الهند، ط 1، 1935، 432/3.

1444- سورة البقرة، الآية: 219.

1445- ينظر تفسير الشعراوي، 938 / 1.

الحديث: {خَمَرُوا آيَاتِكُمْ} ¹⁴⁴⁶؛ بمعنى تغطيتها، والشكل البياني التالي يوضح انتقال



ومما جاء في تفسير الشعراوي من تطور دلالي من الخاص إلى العام لفظة "المُحَصَّنَات" المأخوذة من "الحِصْن"، وهو مكان يتحصن فيه القوم من عدوهم، ثم تطورت تلك الدلالة من ملمحها الرئيسي ألا وهو "المنع" لتدخل المجال الإنساني فتوصف بالمرأة العفيفة، والاشتقاقات التي أخذت من هذه كثيرة أوردتها على التوالي:

1- قوله: ﴿وَالْمُحَصَّنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾

﴿¹⁴⁴⁸؛ فالمحصنات هن العفيفات بالزواج ¹⁴⁴⁹، وفي قوله : ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ

عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ ¹⁴⁵⁰؛ يعني أنها عفت ومنعت أي إنسان أن

يقترب منها. والحِصَان بفتح الحاء، هي المرأة العفيفة لمنعها فرجها من الفساد ¹⁴⁵¹.

¹⁴⁴⁶ - صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء، 145/7.

¹⁴⁴⁷ - ينظر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 669/3، وينظر: معاني القرآن الكريم،

النحاس، 173/1، وينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 215/2، وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية،

292/1، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 433/3، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 340/5،

مادة "خمر".

¹⁴⁴⁸ - سورة النساء، الآية: 24.

¹⁴⁴⁹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 198/6.

¹⁴⁵⁰ - سورة التحريم، الآية: 12.

¹⁴⁵¹ - ينظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، 39/10.

2- وهنا قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ

الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾¹⁴⁵² فالمقصود بها المتزوجات، فما دامت المرأة

متزوجة، فيكون بضعها مشغولاً بالغير، فيمتنع أن يأخذه أحد. 3- وقوله: ﴿فَإِذَا

أُحْصِنَ﴾¹⁴⁵³؛ أي: تزوجن أو أسلمن.¹⁴⁵⁴

4- ويقول تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ

الْعَذَابِ﴾¹⁴⁵⁵؛ وأصل الإحصان هنا هو العفة، و توصف به الحرة¹⁴⁵⁶.

فالإسلام حصن، والحرية حصن، والنكاح حصن، والتعفف حصن¹⁴⁵⁷، وهذا المفهوم للفظـة "المُحْصَنَة" ينصرف إلى العفيفة، والحرة والمسلمة والمتزوجة، هذا وإن دل على شيء، فإنه يدل على اتساع معنى هذه الكلمة في الحقل القرآني وما تشير إليه، وقد جاء تحليل الشعراوي للآيات المذكورة آنفاً موافقاً لما ذكره جل المفسرين وخاصة من الجانب اللغوي وهو "المنع"، وهذا رسم تخطيطي يوضح انتقال المعنى من خاص إلى عام

1452- سورة النساء، الآية: 25.

1453- سورة النساء، الآية: 25.

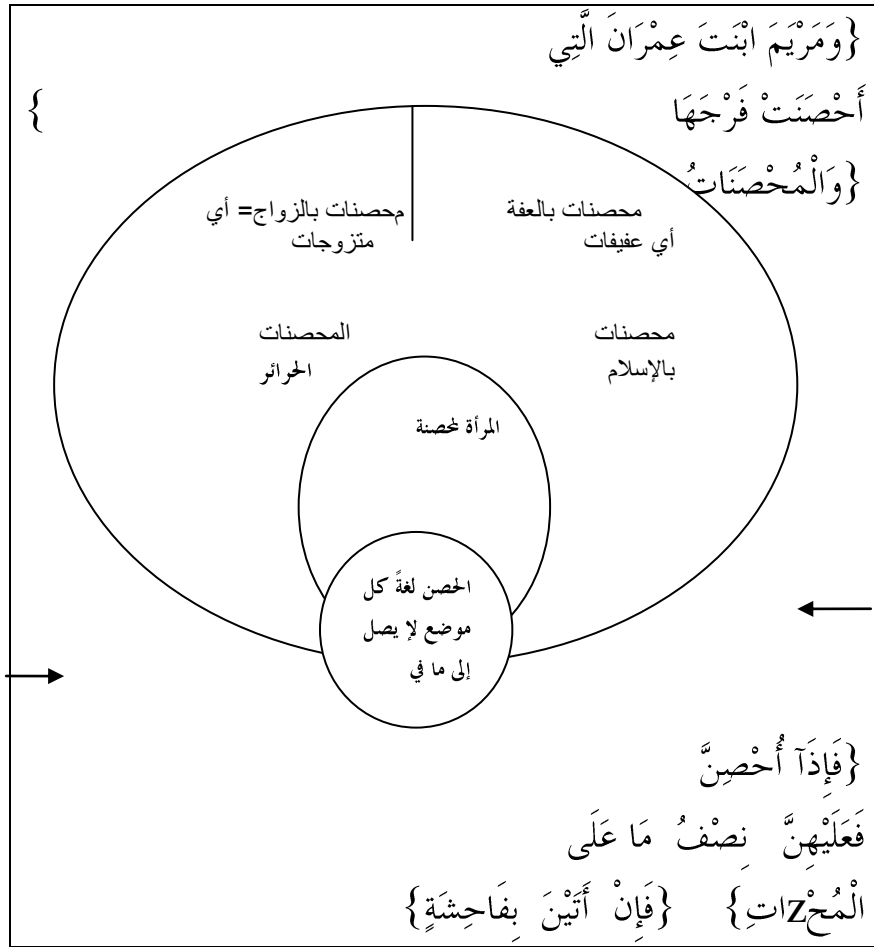
1454- ينظر: تيسير الكريم الرحمان في تفسير الكلام المنان، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، مركز صالح

بن صالح الثقافي، عنيزة، السعودية، 1987، 51/2.

1455- سورة النساء، الآية 25.

1456- ينظر: تفسير الشعراوي، ص 2110/2109.

1457- أحكام القرآن، ابن عربي، 489/1، وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 34/2.



2- التخصيص الدلالي:

وهو تحويل الدلالة من المعنى الكلي إلى المعنى الجزئي أو تضيق مجالها¹⁴⁵⁸، أي تضيق مجال استخدام الدلالة واقتصارها على شيء دون أشياء.

وقد عبر محمود السعران عن هذا المعنى فقال: «وكثيراً ما يحدث في اللغات جميعاً، أن تخصص ألفاظ كان يستعمل كل منها للدلالة على طبقة عامة من الأشياء، فيدل كل منها على حالة أو حالات خاصة، وهكذا يضيق مجال الأفراد الذين كانت تصدق عليهم»¹⁴⁵⁹، مثل كلمة "شجرة" التي تطلق على كل ما في الأرض من أشجار، فإذا تحددت دلالتها أو ضاق مجال استعمالها، قيل إن الدلالة قد تخصصت، فقولنا: شجرة

¹⁴⁵⁸ - ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 245.

¹⁴⁵⁹ - علم اللغة-مقدمة للقارئ العربي- محمود السعران، ص 283.

الصنوبر مثلاً، يستبعد آلافاً من أنواع الأشجار الأخرى، ولذلك فهي أخص في دلالتها من كلمة شجرة الدالة على العموم.

ويذكر الشعراوي المعنى الذي تطور ثم يعقب بذكر معناه قبل أن يتطور نحو قوله

تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾¹⁴⁶⁰،

و(السَّبْتُ) هو يوم السَّبْت المعروف التالي للجمعة السابق للأحد، وهو مأخوذ من

سَبَبَتَ يَسْبِتُ سَبْتًا؛ يعني: سَكَنَ وَاسْتَقَرَّ¹⁴⁶¹، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ

سُبَاتًا﴾¹⁴⁶².

فقد سُمي سبتاً لأنَّ ابتداء الخلق كان يوم الأحد إلى يوم الجمعة، ولم يكن السبت شيء من الخلق، قالوا: فأصبحت يوم السَّبْت منسبته؛ أي قد تمت وانقطع العمل فيها¹⁴⁶³، وقد جاء في اللسان أنَّ سَبَبَتُ يَسْبِتُ سَبْتًا، بمعنى سَكَنَ¹⁴⁶⁴.

ويروي الطبري في تفسيره أنهم كانوا يطلبون (بني إسرائيل) يوم الجمعة، فأخطئوه، وأخذوا يوم السبت فجعله عليهم¹⁴⁶⁵، ولم يكن هذا اليوم من ملة إبراهيم، وإنما جعله الله فرضاً عاقب به القوم المختلفين فيه¹⁴⁶⁶، وبالتالي فقد انتقل لفظ "السَّبْت" من معناها اللغوي الذي يدل على الاستقرار والسكون وخص به يوم من أيام الله المعروف.

¹⁴⁶⁰ - سورة النحل، الآية: 124.

¹⁴⁶¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 13 / 8278.

- سورة النبا، الآية: 9.¹⁴⁶²

- ينظر: المحكم و المحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،¹⁴⁶³

115/3. لبنان، ط1، 2000،

¹⁴⁶⁴ - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 37/2.

¹⁴⁶⁵ - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 14 / 400.

¹⁴⁶⁶ - ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 3 / 431.

ومن أمثلة التخصيص الدلالي لفظة "سَكْر" في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾¹⁴⁶⁷،

و"سُكَرَى" جمع "سَكْرَان" وهو من شرب ما يستر عقله، وأصل المسألة مأخوذة من السُّكْر ما سد به النهر؛ فالماء حين ينساب يضعون سدًّا، هذ السد يمنع تدفق الماء، كذلك الخمر ساعة يشربها تمنع تدفق الفكر والعقل، فأخذ من هذا المعنى، والسُّكْر هو الحُمار وهو ما يمكث من أثر المسكِر في النفس¹⁴⁶⁸، وهذا المعنى موافق لما ذكره ابن منظور، فقال: «وَسَكْرَ النَّهْرِ يَسْكُرُهُ سَكْرًا: سَدَّ فَاهُ، وَكُلُّ شَقِّ سُدٍّ، فَقَدْ سَكِرَ، وَالسُّكْرُ مَا سَدَّ بِهِ، وَالسُّكْرُ سَدُّ الشَّقِّ وَمُنْفَجِرِ الْمَاءِ، وَالسُّكْرُ: اسْمُ ذَلِكَ السَّدَادِ الَّذِي يُجْعَلُ سَدًّا لِلشَّقِّ وَنَحْوِهِ»¹⁴⁶⁹. والخطاب هنا موجه للمؤمنين بأن ينتهوا عن السُّكْر وقت الصلاة، أمَّا السكْران إذا عدم الميز لسُّكْره فليس بمخاطب في ذلك الوقت لذهاب عقله¹⁴⁷⁰.

فالانتقال الدلالي للفظ "سَكْر" التي تدل على المنع والسد، إلى التخصيص في صنف من الناس يمنعون عقولهم من التعقل، لأنَّ السكْران قد انقطع عما كان عليه من العقل، وبالتالي لا يعقل من حاضره شيء.

أيضا من التخصيص الدلالي ما نجد في كلمة "التَّوْفِي" ، فقد تدل على "الوفاة" وهو

الموت، ولكن، ألم يكن ربك الذي قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ

1467 - سورة النساء، الآية: 43.

1468 - ينظر: تفسير الشعراوي، 4 / 2257.

1469 - لسان العرب، ابن منظور، 375/4.

1470 - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 332/6.

وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ

مُسَبِّحٌ ﴿١٤٧١﴾

إِذْنَ {يَتَوَفَّأَكُم} هنا بمعنى يُنِيمُكُمْ، فالنوم معنى من معاني التوفي¹⁴⁷².
فمن معاني "التَّوْفِي" النوم، وهي ليست موتة حقيقية؛ بل هي قبض الأرواح عن
التصرف بالنوم، كما تقبضُ بالموت¹⁴⁷³، ولقد خُصَّت هذه اللفظة في الاستعمال
اليومي بالموت الحقيقية لعلبة اللفظ عند المستعملين للغة على هذا الم عني ، فاستقل اللفظ
عندهم بهذا المعنى، فإذا ما أطلق اللفظ عند هؤلاء لا ينصرف إلا لهذا المعنى.
فبعض المعاني تموت وبعضها يشيع، وقد تخصص الدلالة بعد أن كانت عامة والعكس،
وكل ذلك راجع إلى سنة التطور الدلالي¹⁴⁷⁴.
ولنا نماذج كثيرة في هذا السياق، ومنها كذلك كلمة "الرسول" التي تعني في أصلها
اللغوي أي انسان يبعث برسالة، ثم خصت دلالتها وضيقت ودلت على مجي ء الوحي
"القرآن" وأصبحت تعني "النبى"، والأمثلة طويلة.

3- الانتقال الدلالي:

يقول فنديرس: «يكون الانتقال عندما يتعادل المعنيان، أو إذا كان لا يختلفان من
جهة العموم والخصوص كما في حال انتقال الكلمة من المحل أو من المسبب إلى

¹⁴⁷¹- سورة الأنعام، الآية: 60.

¹⁴⁷²- ينظر: تفسير الشعراوي، 3672/6.

¹⁴⁷³- ينظر: زاد الميسر في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: محمد زهير الشاويش- شعيب الأرنؤوط
وعبد القادر الأرنؤوط، المكتب الإسلامي، 55/3.

¹⁴⁷⁴- وفي هذا السياق فقد قدمت الباحثة بورغدة ضاوية بحثاً قيماً تناول التطور الدلالي للألفاظ الشرعية،
حيث أبرزت مفهوم الدلالة والطرق المعتمدة في إحياء المعاني وتوالدها، وجاء البحث مدعماً بشواهد
تطبيقية من القرآن الكريم وخصت تطور الألفاظ الشرعية، ينظر: التطور الدلالي للألفاظ الشرعية في
القران الكريم من خلال سورة البقرة، بورغدة ضاوية، إشراف: سامي عبد الله الكناني، جامعة الأمير عبد
القادر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، 2006-2007، ص 17.

السبب، أو من العلامة الدالة إلى الشيء المدلول عليه... الخ أو العكس¹⁴⁷⁵، وقد ذكر أحمد مختار عمر أن التوسيع والتضييق يتم بصورة غير شعورية، أما انتقال المعنى فيتم بصورة قصدية، ولمقصداً أدبي في الأعم الأغلب¹⁴⁷⁶.

وإننا نجد الألفاظ المتطورة في هذا الجانب ترتبط عادة بالاستعارة والتشبيه وغيرها، وهذا التغير الدلالي يتم بالانتقال من الدلالات الحسية إلى الدلالات المعنوية المجازية، مثل لفظة "الأجر" فهي تدل على الجزاء في العمل المادي، ثم انتقلت لتدل على معنى ديني وإرادة الثواب من الله تعالى.

ومما تناوله الشعراوي في تفسيره ما جاء في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لَا يَعْقِلُونَ﴾¹⁴⁷⁷، فما هو مدلول كلمة "العقل" في هذه الآية؟

فالعقل مأخوذ من عقال البعير، فصاحب الحمل يُقيد ساقه بقطعة من الحبل حتى لا يجمح، ولقد جاءت كلمة العقل لتمنع الهوى لا ليحترئ الإنسان بهواه على رأيه وسلوكه المستقيم¹⁴⁷⁸، واعتقل رمحاً إذا وضعه بين ساقه وركابه، واعتقل الرجل حيساً، واعتقل لسانه إذا لم يقدر على الكلام كلاهما بضم التاء، وتعتل تكلف العقل مثل تحلم وتكيس، وتعاقل أرى من نفسه ذلك وليس به¹⁴⁷⁹.

فقد انتقل مدلول "عقل" من معنى حسي (العقال)، إلى معنى (العقل)، ثم تطورت دلالاته لتطلق على آلة التفكير (معنى مجرد ذهني) وذلك بواسطة التشبيه، كما دلت على النهي والقدرة على ضبط الأمور وهو ضد الحمق¹⁴⁸⁰. واختصاراً فإن حد العقل هو أن ينتقل الإنسان من معلوم إلى مجهول، من شاهد إلى غائب، من ظاهر إلى خفي

- اللغة، ج. فندريس، ص 256.¹⁴⁷⁵

- ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 247.¹⁴⁷⁶

1477- سورة المائدة، الآية: 58.

1478- ينظر: تفسير الشعراوي، 3247-3746/6.

1479- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص 413، مادة "عقل".

- ينظر: دراسات في الدلالة والمعجم، رجب عبد الجواد ابراهيم، دار غريب، القاهرة، 2001، ص

105¹⁴⁸⁰.

خبئ، من حاضر إلى مستقبل لم يحضر بعد أمام البصر، أو إلى ماضٍ ذهب وانقضي ولم يعد مرئياً مشهوراً...¹⁴⁸¹، والرسم التالي يوضح الانتقال الدلالي لكلمة "عَقَلَ"¹⁴⁸².

(أ) ملمح دلالي
عقل الناقاة
(ب) ملمح دلالي

المنع: الجمع
رأيه.
ر رجل عاقل: هو الجامع لأمره و

العاقل: الذي يجبس نفسه ويردها عن هواها، وسمي العقلُ عقلاً لأنه يعقلُ صاحبه التورط من المهالك.

والعقل في كلام العرب الدية، لأنَّ الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلاً، لأنها كانت أموالهم، فسميت الدية عقلاً لأنَّ القاتل كان يُكلف أن يسوق الدية إلى فناء ورثة المقتول، فيعقلها بالعقل ويُسلمها إلى لأوليائه.

ومما جاء في تفسير الشعراوي لفظة "مُقِيَّت" في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ مُّقِيِتًا﴾¹⁴⁸³، و"مُقِيَّت" من "قَاتَهُ"؛ أي أعطاه القوت فهو مقيت، بمعنى أنَّه

يعطيهم ما يحفظ حياتهم، ومعناها أيضاً: المحافظ عليهم فهو الحفيظ؛ وبما أنه سبحانه يعطي القوت ليظل الإنسان حياً، فهو مشاهد له فلا يغيب المخلوق عن خالقه لحظة، وبما أنه يعطي القوت للإنسان على قدر حاجته فهو حسيب، وبما أنه يرقب سلوك الإنسان فهو يجازيه¹⁴⁸⁴.

والشكل البياني التالي يوضح هذا الكلام.

1481 - ينظر: تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص311.

1482 - لسان العرب، ابن منظور، 458/11، مادة "عقل".

1483 - سورة النساء، الآية: 85.

1484 - ينظر: تفسير الشعراوي، 2495 / 4.

أ- ملمح دلالي ————— القوت اسم جامع لكل ما يسك الرمق من الرزق
ملمح دلالي

أقوته: أعوله والقائت: المُسكّة من الرزق. أي يحفظ
النفس من الهلاك وإذا نَفَخَ نَافِخٌ في النار: قيل له: انْفُخْ نَفْخاً قُوْتاً، وأقْتْ لها
نَفْخَكَ قَيْتَةً؛ يَأْمُرُهُ بِالرَّفْقِ وَالنَّفْخِ الْقَلِيلِ¹⁴⁸⁵، قال الفراء: الْمُقَيْتُ الْمُقَدَّرُ وَالْمُقْتَدِرُ¹⁴⁸⁶،
وذكر الزجاج: الْمُقَيْتُ الْقَدِيرُ. وقيل: إِنَّ الْمُقَيْتَ بِمَعْنَى الْحَافِظِ وَالْحَفِيزِ¹⁴⁸⁷.
إننا إذا رأينا العلماء ينظرون إلى "مُقَيْت" من زوايا مختلفة فهم جميعاً على صواب،
سواء من جعلها من القوت أو من الحفظ أو من القدرة أو من المشاهدة أو من
الحساب، وهذا سر من أسرار الانتقال الدلالي، ومن أشكال الانتقال الدلالي ما يلي:
أ- انحطاط المعنى:

فبعض الكلمات تكون سامية في دلالتها ومعناها، وبمرور الزمن يُصيها الانهيار وتفقد
مكانتها المستعملة وتوظف في غير ما وُضعت له سابقاً، وقد عبر عنها ابراهيم أنيس
بقوله: «هي إصابة لدلالة الألفاظ ببعض الانهيار أو الضعف، وفقدتها شيئاً من أثرها
أو فقدتها مكانتها بين الألفاظ التي تنال من المجتمع الاحترام والتقدير»¹⁴⁸⁸.
ونحن إذ نتناول لغة القرآن الكريم بالدرس والتحليل يجب أن نُحذِر من وصف ألفاظ
القرآن بالانحطاط أو بما شبه ذلك، وبالتالي فإن دراستنا لهذه الجزئية، هي دراسة
لاشتقاق مفردات القرآن الكريم بعيداً عن المعنى القرآني العام، وبعيداً عن السياق
المنصوتي تحته.

¹⁴⁸⁵- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 74/2، مادة " قوت".

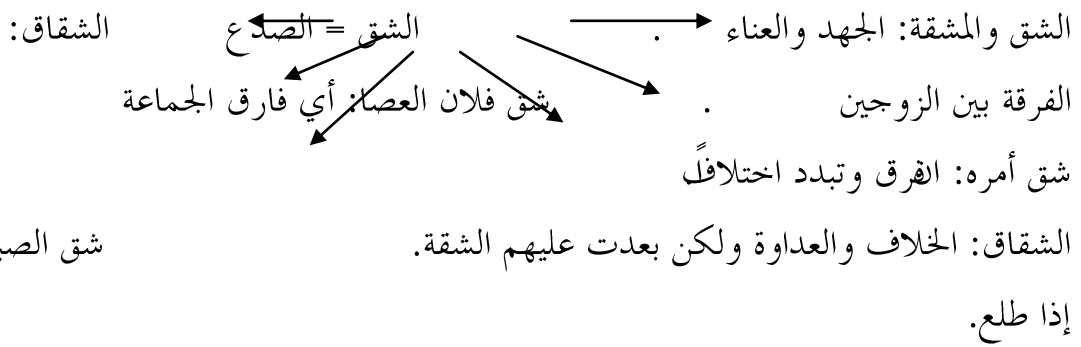
¹⁴⁸⁶- معاني القرآن، الفراء، 201/1.

¹⁴⁸⁷- ينظر: معاني القرآن، الزجاج، 85/2.

- دلالة الألفاظ، ابراهيم أنيس، ص158. ¹⁴⁸⁸

من ذلك لفظة "الشَّقَاق" في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾¹⁴⁸⁹،

وما هو "الشقاق"؟ الشَّقَاق مادته من الشَّق؛ أي أبعد شيئاً عن شيء، وشَقَقْتُ اللوح أبعدت نصفه عن بعضهما، إذن فكلمة "شِقَاقَ بَيْنِهِمَا" تدل على أنهما التحما بالزواج وصارا شيئاً واحداً، فأى شيء يبعد بين الاثنين يكون شِقَاقاً¹⁴⁹⁰.
استُخدمت المادة أولاً من المعاني الحسية، فالشق هو الصدع في حائط أو زجاج... ومن هذا الأصل أخذ الشَّق وهو العداوة والخلاف، وكأن كل واحد من الزوجين يأخذ شقاً غير شِق صاحبه¹⁴⁹¹، ومن ثم أُطلق على تلك الحالة (الشَّقَاق) لما بينهما من انفصال بعد اتصال، وهذا المعنى هو معنى مجرد انتقلت إليه الدلالة عن طريق التشبيه، والشكل التالي يبرز لنا الأثر الدلالي لمادة "شق"¹⁴⁹².



إذا طلع.
والكلمات كثيرة في هذا الجانب، التي كانت لها معنى سامي ثم عبر الزمان انحط معناها، مثل كلمة "حاجب" التي كانت لها دلالة سامية أثناء حكم العرب بالأندلس، وكانت تعني بـ"الوزير"، ثم أصبحت تدل في العصر الحديث على الحارس والبواب.
ب- رقي الدلالة:

وتعني ارتقاء دلالة بعض الألفاظ، فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى توليد الدلالات السامية، وهي «ما يصيب الألفاظ من قوة دلالية ترفع من شأنها بعد أن

1489- سورة النساء، الآية: 35.

1490- ينظر تفسير الشعراوي، 4 / 2202-2203.

1491- ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 6 / 289.

- ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة "شَقَقَ" ص 230، وينظر: لسان العرب، ابن¹⁴⁹² منظور، 181/10، مادة "شَقَقَ".

كانت تدل على معان ذات دلالة ضعيفة، وأصبحت ما عليه من دلالة قوية محترمة بين الناس وتعبّر عن الفخامة والقوة»¹⁴⁹³.

فلفظة "حَاد" قد تَسَامت ورقيت دلالتها في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن

تُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾¹⁴⁹⁴. فما

معنى "يُحَادِدُ"؟

يقول الشعراوي: «نجد في الريف أنهم يضعون علامات من الحديد تفصل بين قطعة أرض وأخرى مجاورة لها، كعلامة على الشيء الذي يفصل بين حق وحق ويسمونها حَدًّا، والذين يحادون الله هم الذين يجعلون الله في جانب وهم في جانب، وبذلك لا يعيشون في معية الله ولا ينعمون بنعمة الإيمان به»¹⁴⁹⁵.

وقد جاء في اللسان: فُلَانٌ حَدِيدٌ فَلَانٌ إِذَا كَانَ دَارِهِ إِلَى جَانِبِ دَارِهِ أَوْ أَرْضِهِ إِلَى جَنْبِ أَرْضِهِ، وَدَارِي حَدِيدَةٌ دَارِكٌ وَمُحَادَّتُهَا إِذَا كَانَ حَدُّهَا كَحَدِّهَا ، وَحَدَّدْتُ الدَّارَ أَحَدُهَا حَدًّا وَالتَّحْدِيدُ مِثْلُهُ ، وَحَدَّ الشَّيْءَ مِنْ غَيْرِهِ يَحُدُّهُ حَدًّا وَحَدَّدَهُ: مِيزَهُ ، وَحَدَّ كُلَّ شَيْءٍ: مَنَّتَاهُ لِأَنَّهُ يَرُدُّهُ وَيَمْنَعُهُ عَنِ التَّمَادِي¹⁴⁹⁶.

فالمعنى تغير وتطور من حَدِّ الأَرْضِ أَوْ الفَنَاءِ إِلَى الوُقُوفِ عِنْدَ أَوْامِرِ اللَّهِ وَعَدَمِ انْتِهَائِهَا، وَلِهَذَا يُقَالُ حَدُّ الزَّائِي وَحَدُّ القَذْفِ وَحَدُّ الرَّجْمِ... وَأَصْبَحَتْ لِهَذِهِ اللَّفْظَةِ حُضُورًا فِي تَطْبِيقِ الأحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَخَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِأَصُولِ الفِئَةِ الإِسْلَامِيَّةِ. فلشعراوي يذكر كيف ترقى الدلالة وتغيرت الألفاظ في لفظة "كَظَمَ" في قوله

تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

1493- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 158.

1494- سورة التوبة، الآية: 63.

1495- تفسير الشعراوي، 9/ 5227.

1496- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 140/3، مادة " حَدَّدَ ".

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴿١٤٩٧﴾، ونعرف أن كل الأمور المعنوية مأخوذة من

الحسيات، وأصل الكظم أن تملأ القربة، والقرب كان يحملها "السقا" في الماضي، وكانت وعاء نقل الماء عند العرب وهي من جلد مدبوغ، فإذا ملئت القربة بالماء شدّ على رأسها أي ربط رأسها ربطاً مُحكماً بحيث لا يخرج شيء ممّا فيها، ويقال عن هذا الفعل: "كَظَمَ القَربة"؛ أي مَلأها وربطها، والقربة لينة وعندما توضع على ظهر واحد أو على ظهر الدابة فمن ليونتها تخرج الماء فتكظم وتربط بإحكام كي لا يخرج منها شيء¹⁴⁹⁸.

ويقال كَظَمَ البَعير على جرتة، إذا رَدّها في حلقه، وكظم البعير والناقة كظوماً إذا لم يجتر¹⁴⁹⁹، وبهذا التشبيه والتقريب بين المعنى الأصلي والمعنى الموضوع له، نعلم دلالات المفردات كيف نشأت ومن أين استبطنت وكيف سارت مستعملة وشائعة.

والشعراوي بقوه حسه ومعرفته الدلالية والمعجمية لمعان الألفاظ، استطاع أن يقرب إلى أذهان المؤمنين هذه المعاني التي لا تعد ولا تحصى، فهذا هو منهجه الذي سار عليه في إيراد المفردات بالتمثيل والإسقاط والتقريب، كي يفهم المستمع حقيقة اللفظة وسبب وقوعها في القرآن الكريم بهذا الشكل وبهذه المعاني.

فككل اللغات؛ العربية تحظى بثبات على مستوى الأصول ومضطردة على مستوى الفروع، وهذا سبب بقائها كل هذه القرون حية متأقّة، وما أدام لها هذا العيش أيضاً تنوع مستوياتها اللغوية والاشتقاقية ومدلولاتها الاستعمالية حيناً من الدهر، ومن أبرز مظاهر تطورها أيضاً.

ثامناً: النمو الدلالي:

فقد بات من المقرر في البحث اللغوي الحديث ثبوت فكرة النمو الدلالي للألفاظ، فاللغة مثلها مثل حياة الأحياء تنمو وتتطور وتضعف، ومنها ما ينقرض، يقول حسن عون: «إنَّ الألفاظ شأها شأن الكائنات الحية قد ينقرض بعضها ويبقى البعض الآخر،

1497- سورة آل عمران، الآية: 134.

1498- ينظر: تفسير الشعراوي، 3/ 1754.

1499- ينظر: معاني القرآن، الزجاج، 496/1، وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 509/1.

وقد تتغير شحنتها الدلالية من القوة إلى الضعف وبالعكس، حسب ظروف استعمالها الخاص في الأزمنة المختلفة»¹⁵⁰⁰.

وقد أورد الشعراوي ألفاظاً تطور معناها بفضل النمو الدلالي مثل كلمة "البشرى" في

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾¹⁵⁰¹،

والبُشْرَى: من البِشْر والبشارة والتبشير، وكلها مأخوذة من البَشْرَة، وهي الجلد؛ لأنَّ أي انفعال في باطن النفس الإنسانية إنما ينضح على البَشْرَة، فإذا جئت للإنسان بأمر سارَّ تجد أثر هذا السرور على أساريره، وإنَّ جئت للإنسان بخبر سيء تجد الكدر وقد ظهر على بشرته، فالبشرة هي أول منفعل بالأحداث السارة أو المؤلمة¹⁵⁰².

وهذا الرأي موافق لما ذكره الراغب في تفسير هذه المادة. فقال: «وَأَبَشَّرَتِ الرَّجُلَ وَبَشَّرَتْهُ: أَحْبَرْتَهُ بِسَارٍ بَسَطَ بِشْرَةَ وَجْهِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ إِذَا سُرَّتْ انْتَشَرَ الدَّمُّ فِيهَا انْتِشَارَ الْمَاءِ فِي الشَّجَرِ، وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَفْظَاءِ فُرُوقٌ، فَإِذَا "بَشَّرْتَهُ" عَامًّا، وَ"أَبَشَّرْتَهُ" نَحْوَ "أَحْمَدْتَهُ" وَ"بَشَّرْتَهُ" عَلَى التَّكْثِيرِ»¹⁵⁰³.

فلاحظ انتقال لفظة "بشر" من دلالة حسية إلى دلالة معنوية، توحى ببشارة الشيء الحسن، وفي الآية هي البشارة التي تُبَشِّرُ بها الملائكة المؤمن في الدنيا عند الموت ومن معانيها أيضاً الرؤيا الصالحة والقال الحسن.¹⁵⁰⁴

كما نجد أيضاً تطور كلمة "النشوز" في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّتِي تَخَافُونَ

نُشُوزَهُنَّ﴾¹⁵⁰⁵، والنشوز من "نَشَزَ"؛ أي ارتفع في المكان، ومنه "النَشَزُ" وهو

المكان المرتفع، ولذلك فالنشاز حتى في النغم هو: صوت خارج عن قواعد النغم

1500 - دراسات في اللغة والنحو، حسن عون، معهد البحوث للدراسات الإسلامية العربية، 1969، ص 12.

1501 - سورة يونس، الآية: 64.

1502 - ينظر: تفسير الشعراوي، 6038/10.

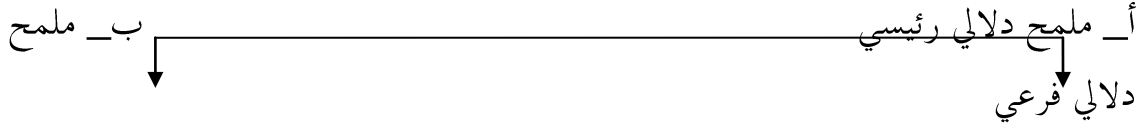
1503 - مفردات ألفاظ القرن الكريم، الراغب الأصفهاني، 62/1.

1504 - ينظر: معالم التنزيل، البغوي، 141/4.

1505 - سورة النساء، الآية: 34.

فيقولون: هذه النعمة النشاز، أي خرجت عن قاعدة النعمة التي سبقتها، وكذلك المرأة المفروض فيها أنها تكون متسامحة، فإن شعرت أن في بالها أن تتعالى فإياك أن تتركها إلى أن تصعد إلى الربوة وترتفع¹⁵⁰⁶، ومن معاني النشوز الرجوع إلى الله، فليس من يحاسبه على أعمال سواه¹⁵⁰⁷.

والشكل التالي يبين المحطات الدلالية التي اتسعت فيها هذه المدة "نشز"¹⁵⁰⁸



الارتفاع الطبيعي من الارتفاع ع. النشز = الشيء المرتفع من الأرض ↑ تجاوز الحد

النغم النشاز: صوت خارج عن قواعد النغم

نشوز المرأة: استصعبت على بعلها، ونشز بعلها عليها: إذا جفاها. فقد انتقلت هذه اللفظة من المعنى المرتفع من الأرض وأصبحت تدل على تعالي المرأة على زوجها وارتفاعها عليه وخروجها عن الطاعة. ومن مظاهر التّمو الدلالي نجد "الاشتقاق اللغوي". فمن خاصية العربية الاشتقاق، وبه يتم الرّبط بين الكلمات المتحددة في أصولها الجذرية، وبناء على عملية الاشتقاق أصبحت مفردات اللغة تشطر إلى دلالات متعددة حيث تقبل التغيير والتكيف الدلالي حسب المعطيات التي تدعوا إليه، أو حسب تأثير الحضارة والتطور الاجتماعي على مر العصور.

¹⁵⁰⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4 / 2199.

ينظر: المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل عباس حسن، دار النفائس، الأردن، ط 1، 2007، 210/1.

¹⁵⁰⁷ -

- ينظر مجمل اللغة، ابن فارس، تحقيق، زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، 1984، ¹⁵⁰⁸

869/3. وينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، ص 600، مادة "نشز".

والاشتقاق هو توليد بعض الألفاظ من بعض واتحادها في أصل واحد، وهو «نزع لفظ من لفظ بشرط مناسبتها معناً وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة»¹⁵⁰⁹.

ومن أمثلة ذلك ما نجد كلمة "عَبَد" في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ أُولَاهُمَا

بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَلِ

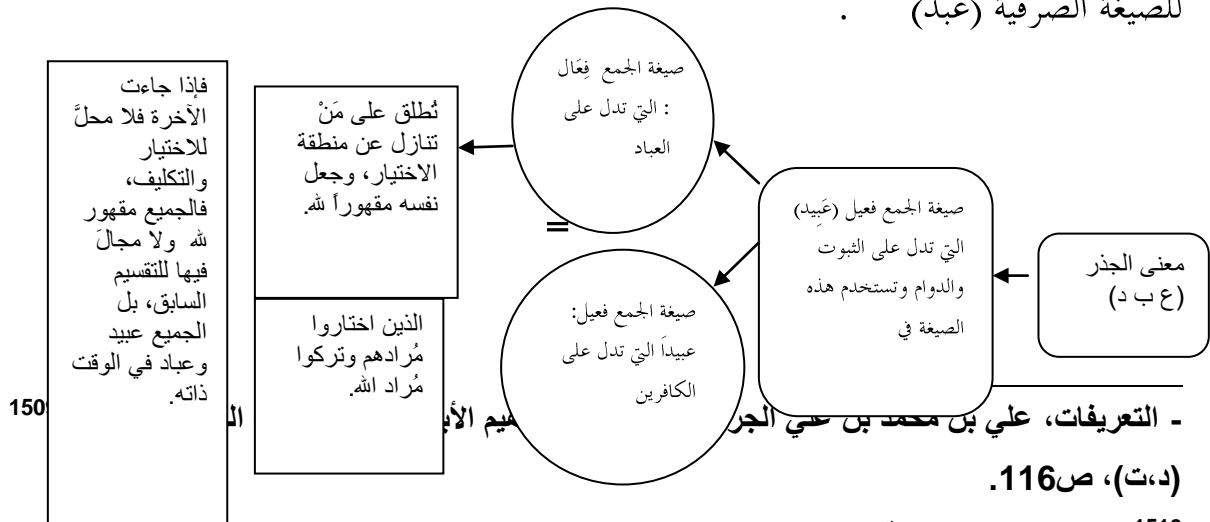
الدِّيَارِ﴾¹⁵¹⁰، فـ "عِبَاد" و"عَبِيد" كلاهما جمع ومفردهما واحد (عَبَد). فما الفرق

بينهما؟

يقول الشعراوي: «لو نظرتَ إلى الكون كله مؤمناً وكافراً لوجدتهم جميعاً لهم اختيارات في أشياء، ومقهورين في أشياء أخرى، فهم جميعاً عَبِيدٌ، ثم بعد ذلك أن نُقسِّمهم إلى قسمين: عَبِيدٌ يظلون عبيداً لا يدخلون في مظلة العباد، وَعَبِيدٌ تَسْمُو بهم أعمالهم وانصياعهم لأمر الله فيدخلون في مظلة عباد الله»¹⁵¹¹.

وعلى هذا النحو يصح أن يقال ليس كل إنسان عبدُ الله، فإنَّ العبد على هذا المعنى هو العابد، لكن العبد أبلغ من العابد، والإنسانية كلها عابدة لله، بل كل الخلائق كذلك، لكن بعضها بالتسخير وبعضها بالاختيار¹⁵¹²، والشكل التالي يبرز الأثر الدلالي

للصيغة الصرفية (عَبَدَ)¹⁵¹³.



1510 - سورة الإسراء، الآية: 05.

1511 - تفسير الشعراوي، 14 / 8353-8354.

1512 - ينظر: مفردات ألفاظ القرن الكريم، الراغب الأصفهاني، 347/1.

1513 - ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 320 / 3، مادة "عَبَدَ".



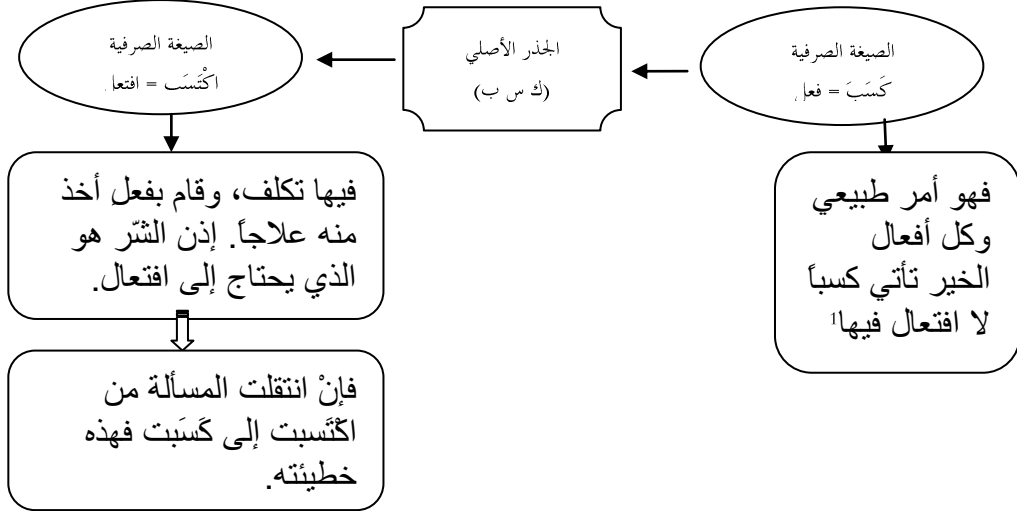
﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ﴾

ومما نجد أيضا في لفظي "كَسَبَ" و"اِكْتَسَبَ" في قوله تعالى:

نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ¹⁵¹⁴، لأنَّ

"كَسَبَ" تعني أن هناك فرقا في المعالجة الفعلية الحديثة بينهما، لأنَّ "اِكْتَسَبَ" فيها "افتعل"؛ أي تكلف وقام بفعل أخذ منه علاجاً، أما "كَسَبَ" فهو أمر طبيعي، وكل أفعال الخير تأتي كسباً لا اكتساباً، فصاحب الخير أفعاله سهلة لا افتعال فيها، أما صاحب الشر فهو الذي يحتاج إلى افتعال¹⁵¹⁵، فإن انتقلت المسألة من اِكْتَسَبَتْ إلى كَسَبَتْ فهذه هي الطامة الكبرى، ويكون قد أحاطت به خطيئته¹⁵¹⁶، فزيد حرف في لفظ فعل السيئة وانتقص حرف من لفظ فعل الحسنة، إذن فكل اِكْتَسَابٍ كَسَبٌ، وليس كل كَسَبٍ اِكْتَسَاباً¹⁵¹⁷.

وهذا شكل توضيحي يبرز الفارق الدلالي بين صيغتي "كَسَبَ" و"اِكْتَسَبَ"¹⁵¹⁸.



¹⁵¹⁴ - سورة البقرة، الآية: 286.

¹⁵¹⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/1244.

- ينظر الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 4/492، و ينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ¹⁵¹⁶ أبي زكرياء يحي الأنصاري، ص84.

- ينظر: مفردات ألفاظ القرن الكريم، الراغب الأصفهاني، 2/66، مادة "كسب".¹⁵¹⁷

- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 176، مادة "كسب".¹⁵¹⁸

مثال آخر يبرز أثر الاشتقاق في التطور الدلالي في مادة "نَزَلَ" في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ

عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ

وَالْإِنْجِيلَ﴾¹⁵¹⁹، فـ{نَزَلَ} تفيد شيئاً قد وجب عليك؛ لأنَّ التزول معناه: شيء من أعلى يتزل، إذن فللقرآن نزولان اثنان: الأول: إنزال من "أنزل". الآخر: تنزيل من "نزل".

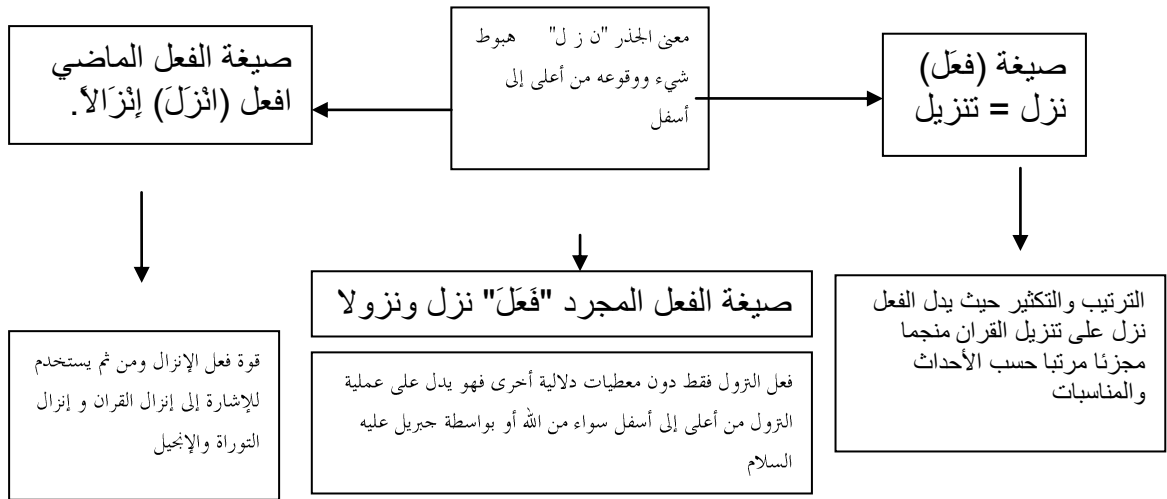
نزل من اللوح المحفوظ إلى السَّماء الدنيا، والحق قال عن القرآن: "نزل" وقال عن التوراة والإنجيل: "أنزل"، لقد جاءت همزة التعدية وجمع -سبحانه- بين التوراة والإنجيل في الإنزال، وهذا يوضح لنا أنَّ التوراة والإنجيل إنما أنزلهما الله مرة واحدة، أما القرآن الكريم فقد نَزَّله الله في ثلاث وعشرين سنة¹⁵²⁰.

فأغلب المفسرين فرقوا بين الفعلين على أساس اعتماد الزيادة الصرفية كمحوّل للدلالة، فصيغة (فَعَّلَ) تدل على المبالغة والتكثير، وهذا يناسب القرآن الكريم الذي نزل منجماً على فترة زمنية محددة بـ (23 ثلاث وعشرين سنة)، بخلاف التوراة والإنجيل اللذين نزلا دفعة واحدة، ولذا تمت المخالفة هنا في السياق التوظيفي للفعلين على إرادة المبالغة في جانب صيغة (فَعَّلَ)، وإرادة معنى التزول فقط في صيغة (أَفْعَلَ)¹⁵²¹، والرسم التالي يبين الأثر الدلالي للصيغة الصرفية لمادة "نزل"¹⁵²².

¹⁵¹⁹ - سورة آل عمران، الآية: 03.

¹⁵²⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 2 / 1263-1264.

ينظر: الكشاف، الزمخشري، 174/1، وينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 7 / 105، وينظر: أنوار¹⁵²¹ التنزيل، البيضاوي، 2 / 2، وينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 287/1. وينظر: ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيهه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، 141/1. - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 2 / 128، مادة "نزل"، وينظر: ومقاييس¹⁵²² اللغة، ابن فارس، ص 417/5، مادة "نزل"، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 656، مادة "نزل".



و خلاصة ما قلناه أن هناك أسباب وعوامل كثيرة ومتداخلة تؤدي إلى تغير في اللغات، منها الصوتية والاشتقاقية والاجتماعية والزمانية.. ومهما يكن من أمر، فإن اللغويين المعاصرون بحثوا ولا زالوا يبحثون في مترع التغيرات الدلالية، مستعينين بالمناهج الحديثة التي تستند إليها البحوث الإنسانية في كشف دلالات الألفاظ، ومن بين هذه النظريات التي ذكروا أنها تناولت التغير الدلالي: نظرية الشهرة الاجتماعية¹⁵²³، والنظرية السيكلوجية¹⁵²⁴، ونظرية الذوق¹⁵²⁵، ونظرية الأسرة المتنحية¹⁵²⁶،

يعتقد بعض الباحثين اللغويين أن شيوع لغة وانتشارها وتطورها راجع إلى شهرتها الاجتماعية،¹⁵²³ ومثال ذلك ما تشهده اللغة الانجليزية من انتشار عبر العالم، والسبب الشهرة الاجتماعية التي سبقتها الريادة الاقتصادية والحضارية. ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مومن ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، 1997، الجزائر، ص 80.

تذكر هذه النظرية أنه لا دخل للاشتقاقات اللغوية في التغير اللغوي، وإنما السبب راجع إلى نفوس¹⁵²⁴ الأفراد المتكلمين المستعملين للغة.

تعتبر هذه النظرية أن التغيرات الصوتية ناجمة عن طريق تغيرات الذوق أو الموضوعة في الكلام.¹⁵²⁵ ترى هذه النظرية أن التغير اللغوي حاصل عندما تنتحي لغة لصالح لغة أخرى، مثل: لغة المستعمر.¹⁵²⁶ الذي يفرض سلطته وثقافته وبالتأكيد لغته.

ونظرية الأمواج¹⁵²⁷، ونظرة تسهيل النطق¹⁵²⁸، ونظرية الفيزيولوجية، والنظرية الوراثة، والنظرية الجغرافية... وغيرها.

فالألفاظ قد يتغير مجال استعمالها وتطور دلالتها، ولكنها تبقى دائماً الارتباط بمعناها الأصلي ولا تحيد عنه، ولنا أن نزع أن الشعراوي أدرك هذا المبدأ وكشف تغيرات اللفظ في السياق القرآني ودلالته المتنوعة، وهذا دليل على قدرته المنهجية في التحليل وبسط الأفكار دون الإخلال بالمعنى الذي جاء به القرآن الكريم.

تاسعاً: الفروق الدلالية للألفاظ عند الشعراوي:

لقد اهتم علمائنا القدامى بظاهرة الفروق الدلالية بين الألفاظ، واجتهدوا في تبيان أوجه التقارب والتداخل بينهما، ولعل هذا الفارق ساهم في التعدد الدلالي والبياني للصيغ والتراكيب، ومن بين من اشتغل على هذا الحقل أبو هلال العسكري وابن فارس وابن الأعرابي وابن درستويه... وغيرهم الذين اعتكفوا على تبيان الخاصية الدلالية للفظ الواحد وانفرادها عن غيرها من الألفاظ، وهذا العمل في مجال الفروق اللغوية لم يكن له صلة بمجال دراسة الترادف، وإنما تعدى ذلك ليشمل معالجة التداخل والتقارب بين الألفاظ حيث «انصرف الاهتمام في الفروق إلى التحليل وشرح المعاني، وبسط المساحات الدلالية التي يحددها الرمز الخاص بها، وما هي الحدود الفاصلة بينها وبين جارقتها»¹⁵²⁹.

والجدير بالذكر أن الناس لم يعودوا يفرقون بين جملة من الألفاظ، ويستعملونها بمعنى واحد، وكل ذلك يعود إلى الجهل بمدلولاتها، كلفظة الظل والفيء أو لفظة الحمد والشكر ولفظة الذرية والخلف... وغيرها.

فحقيقة البحث في الفروق هي إزالة الإشكال بين الألفاظ المتشابهة تشابهاً يلبس فيه أحدهما عن الآخر، وقد فطن له العرب قديماً، وسموا الأشياء بمسمياتها ومدلولاتها،

ومفادها أن اللغات تنتشر على سطح الأرض كما تنتشر الدوائر المرتسمة على سطح الماء إثر -¹⁵²⁷ سقوط حجر عليه.

ترى هذه النظرية أن التغيرات الطارئة على اللغة سببها الوحيد هو ميل الأفراد إلى تسهيل عملية -¹⁵²⁸ النطق وتيسير التواصل اللغوي.

¹⁵²⁹ - علم الدلالة، فايز الداية، ص 25.

فنجد أنهم يسمون الطعام الذي يدعي له بأسماء مغايرة بحسب المناسبة التي طعم لها، إذ الطعام الذي يصنع عند العرس الوليمة، والذي عند الأملاك النقيعة، والذي عند بناء دار الوكيرة، وعند الختان الأعدار، وعند الولادة الخرس، وكل طعام صنع لدعوة فهو مأدبة¹⁵³⁰.

وغير بعيد، نجد الشعراوي لم يخرج هو الآخر عما رسمه اللغويون في دراساتهم للفروق الدلالية بين الألفاظ، إذ بين حدود المفارقة بين الألفاظ واعتبر أن كل لفظ في القرآن مستقل عن شبيهه في أداء المعنى، ومرتبطة بالسياق العام للصور والآيات القرآنية، فقال: «وأنت قد ترى بعض الألفاظ فتظن أن معناها واحد في الجملة، إلا أن لكل معنا منها ملحظاً»¹⁵³¹، ومن بين القضايا التي آثراها في تفسيره، نجد:

1- الضوء والنور:

نلاحظ هنا دقة التعبير القرآني في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ر

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾¹⁵³²، ولم يقل

ذهب الله بضوئهم مع أنهم أوقدوا النار ليحصلوا على الضوء... ما هو الفرق بين الضوء والنور؟

يقول الشعراوي: «إذا قرأنا قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ

ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾¹⁵³³، نجد أن الضوء أقوى من النور، والضوء لا يأتي إلا

من إشعاع ذاتي، فالشمس ذاتية الإضاءة، ولكن القمر يستقبل الضوء ويعكس النور، فلو أن الحق تبارك وتعالى قال ذهب الله بضوئهم لكان المعنى أنه سبحانه ذهب بما

- ينظر: كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت، الخطيب التبريزي، تحقيق: لويس شيخو¹⁵³⁰

اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1895، ص 614-615.

1531- تفسير الشعراوي، 3168/5.

1532- سورة البقرة، الآية: 17.

1533- سورة يونس، الآية: 05.

يعكس النور، ولكن قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾¹⁵³⁴؛ معناها أنه لم يبق

لهم ضوءاً ولا نوراً، فكأن قلوبهم يملؤها الظلام»¹⁵³⁵.

فهذا أسلوب لا عهد للعرب بمثله، وهو من أساليب الإعجاز القرآني، واختيار لفظ النور في قوله: "نُورِهِمْ" دون الضوء ودون النار، لأن لفظ النور أنسب، ولأن الذي يشبه النار من الحالة المشبهة هو مظاهر الإسلام التي يظهرها، وقد شاع التعبير عن الإسلام بالنور في القرآن فصار اختيار لفظ النور هنا بمتلة تجريد الاستعارة، لأنه أنسب بالحال المشبهة، وعبر عما يقابله في الحال المشبه بها بلفظ يصلح لهما، أو هو بالمشبه أنسب في اصطلاح المتكلم، كما قدمنا الإشارة إليه في وجه جمع الضمير في قوله بنورهم¹⁵³⁶.

فقد نفى النور عنهم، والنور لا علاقة له بالسمع ولا بالشم ولا باللمس، وهذا من دقة التعبير القرآني، فإذا امتنع النور امتنع البصر؛ أي أن العين لا تبصر بذاتها، ولكنها تبصر بانعكاس النور على الأشياء ثم انعكاسه على العين، وهذا هو الفارق.

2- البعث والإرسال:

فما الفرق الدلالي بين كلمة "البعث" و"الإرسال" في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُ﴾:

﴿بَعْدَهُ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾¹⁵³⁷، أجاب الشعراوي

عن هذا السؤال فذكر أن البعث إنما يكون لشيء كان موجوداً ثم انتهى، فيبعثه الله تعالى، وهذه الكلمة تشعرنا بوجود شيء، ثم انتهاء الشيء، ثم بعثه من جديد، ومثله مثل البعث في يوم القيامة، فالبشر كانوا يعيشون وسيظلون في تناسل وحياة وموت إلى يوم البعث، ثم يموت كل الخلق ليعثوا للحساب، ولم يكن من المعقول أن يخلق الله

1534- سورة البقرة، الآية: 17.

1535- ينظر: تفسير الشعراوي، 165/1.

1536- ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، 310/1.

1537- سورة يونس، الآية: 74.

سبحانه البشر، ويجعل لهم الخلافة في الأرض، ثم يتركهم دون منهج؛ أما الإرسال هو أن يتوسط مُرسل إلى مُرسل إليه، وتأتي مجرد البعث والإطلاق¹⁵³⁸.

فإنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصه دونك، ودون المبعوث إليه، كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول بعثته ولا تقول: أرسلته لأن الإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها¹⁵³⁹، وقد ذكر البيضاوي أن البعث والإرسال جاء دالاً على معنى واحد¹⁵⁴⁰، والملاحظ في سياق الآية، يدرك أن هناك فرق واضح بين البعث والارسال، وهو ما بينه الشعراوي.

3- فَأَنْظُرُ = ألم ترى/ ألم تعلم:

فقدم الشعراوي الوظيفة الدلالية لهذه الكلمات، وذلك أثناء تناول قوله تعالى:

﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾¹⁵⁴¹، فما هي القيمة الدلالية لكلمة

"أَنْظُرُ"، يقول الشعراوي: «فنحن نلفت إلى أمر حسّي، وإن وجهنا نظرنا نحوه جاء الإشعاع من المنظور إليه ليرسم أبعاد الشيء فتراه، والكلام هنا عن أمور غائبة، فهي أحداث حسية وقعت مرة واحدة ثم صارت خيراً، فإن أخبرك بما مخبر فيكون تصديقك بها على مقدار الثقة فيه، فمن رأى عصا موسى عليه السلام وهي تلقف الحبال التي ألقاها السحرة آمن بها، وبالتالي فقد آمن بما رأى، أما من لم ير تلك المعجزات فإيمانه يتوقف على قدر توثيقه لمن أخبر، فإن كان المخبر بذلك هو الله فإيماننا بتلك المعجزات أمر حتمي، وساعة يقول الحق "فَأَنْظُرُ" فمثلها مثل

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾¹⁵⁴²، وحادثة الفيل قد

حدثت في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبطبيعة الحال فسيدنا رسول الله لم ير الحادثة، ولكن الذين رأوها هم الذين كانوا يعيشون وقتها، فالخبر

1538- ينظر: تفسير الشعراوي، 10/ 6116.

1539- ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص 268.

1540- ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، 3/ 120.

1541- سورة يونس، الآية: 73.

1542- سورة الفيل، الآية: 01.

القادم من الله وإن كان غائباً عنك الآن وغير مسموع لك فخذة على أنه أقوى من رؤية العين، ولقائل أن يقول: لماذا لم يقل الحق: "ألم تعلم" وجاء بالقول: "ألم تر"، ونقول: ليدلنا الله سبحانه على أن العلم المأخوذ من الله تعالى عن أمر غيبي، علينا أن نتلقاه بالقبول أكثر من تلقينا لرأي العين»¹⁵⁴³، فـ "فَانظُرْ"؛ تعني: اعلم الأمر وكأنه مُجَسَّم أمامك؛ لأنك مؤمن بالله وكأنك تراه، وهذا الوجه الذي اختاره القرطبي، وذكر أن "ألم تر" معناها "ألم تعلم"¹⁵⁴⁴.

4- ما كان - ما ينبغي:

وكلمة "مَا كَانَ" تختلف عن كلمة "ما ينبغي" كيف؟

يقول الحق سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾¹⁵⁴⁵، فساعة نسمع "ما ينبغي لك أن تفعل ذلك"

فهذا يعني أن لك قدرة على أن تفعل، لكن لا يصح أن تفعل، ولكن حين يقال: "ما كان لك أن تفعل"؛ أي: أنك غير مؤهل لفعل هذا مطلقاً، ومثال ذلك أن يقال لفقير جداً: "ما كان لك أن تشتري فيديو"، لأنه بحكم فقره غير مؤهل لشراء مثل هذا الجهاز، لكن حين يقال لآخر: "ما ينبغي لك أن تشتري فيديو"؛ أي: عنده القدرة على الشراء؛ إذن: فهناك فرق بين نفي الإمكان، ونفي الانبغاء¹⁵⁴⁶.

فطرح الشعراوي أن "ما كان" تختلف عن "ما ينبغي" وأنها جاءت للنفي؛ أي لا يجوز للنبي ولا المؤمنين أن يستغفروا للذين ماتوا على الشرك والكفر، ولو كانوا أولي قربي، غير أن الشوكاني رأى أن الآية جاءت للنهي¹⁵⁴⁷.

¹⁵⁴³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6113/10-6114.

¹⁵⁴⁴ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 305/15.

¹⁵⁴⁵ - سورة التوبة، الآية: 113.

¹⁵⁴⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 5529/9-5530.

- ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، الشوكاني، 579/2.¹⁵⁴⁷

وقد اعتبر محمد رشيد رضا أن هذا النفي بمعنى النهي، وهو أبلغ من النهي المجرد، وهذا التعبير يسمى "نفي الشأن"، وهو أبلغ في نفي الشيء نفسه، لأنه نفي معلل بالسبب المقضي له، والمعنى: "ما كان من شأن النبي ولا مما يصح أن يصدر عنه من حيث هو نبي - ولا من شأن المؤمنين ولا مما يجوز أن يقع منهم من حيث هم مؤمنون - أن يدعوا الله طالبين منه المغفرة للمشركين¹⁵⁴⁸، وبالتالي معنى الآية يتحدد بـ "ما كان" في الآية، بدل من "ما ينبغي" والمعنيين مختلفين.

ومما نتقدم نخلص إلى أن دقة المفردة القرآنية تكمن في جملة خصائص تؤلف مجموعها سوراً حصيناً لا يمكن أن تحل محلها غيرها من المترادفات، وذلك لا يكون إلا في الكلام المعجز، بالإضافة إلى السياق الذي يحدد قيمة الكلمة في أحوال ورودها في التركيب، فللكلمة اختيار تعبيرى تدل عليه وفق السياق العام التي هي فيه، وبهذا فـ «الكلمة الحقيقية هي الكلمة في السياق»¹⁵⁴⁹؛ أي إن الكلمات لا ينظر إليها بوصفها وحدات منعزلة، بل بعلاقتها بجيرانها في السلسلة الكلامية، ومن هنا فالمفردة لا تفهم فهما صحيحاً إلا بوضعها في مجالها الدلالي الذي تنتمي إليه.

عاشراً: تعدد اللفظ وتعدد المعنى:

لا يختلف اثنان بالقول أن اللفظة وضعت لتدل على معنى، وهذا المعنى يكسبها وظيفة تعبيرية أو إبلاغية أو غيرها من الوظائف التي تؤديها المفردة في النص، والعلاقة بين المفردات تولد دلالات مختلفة من خلال تشاكلها وترابطها مع بعضها، وقد أكد ستيفن أولمان ذلك بقوله: «إن الكلمة هي مكانها في نظام من العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية»¹⁵⁵⁰، وبالتالي ينتج لنا حقل ترابطي لمجموعة من الكلمات يشترك فيها: المشترك اللفظي والترادف والتضاد.

وقد قسم سيبويه ألفاظ اللغة من حيث دلالاتها على أنواع مختلفة مختصة ومشتركة، ومترادفة حين قرر أن «من كلامهم - أي العرب - اختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين واختلاف اللفظتين والمعنى واحد، واتفاق اللفظتين واختلاف المعنيين،

¹⁵⁴⁸ - ينظر: تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، 56/11.

- التحليل الدلالي اجراءاته ومناهجه، كريم زكي حسام الدين، دار غريب، القاهرة، 95/1. ¹⁵⁴⁹

- Meaning and style- Ullman (S). Oxford. London. 1973. p31. ¹⁵⁵⁰

فاختلاف اللفظتين لاختلاف المعنيين هو نحو: جَلَسَ وذهبَ، واختلاف اللفظتين والمعنى واحد نحو: ذَهَبَ وَأَنْطَلَقَ، واتفاق اللفظتين والمعنى مختلف قولك: وَجَدْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْجِدَةِ، ووجدتُ إذا أردت وجدان الضالة ¹⁵⁵¹ « وفي هذا السياق سوف نعرض ما يتعلق بالمشترك اللفظي والترادف والتضاد.

1- المشترك اللفظي:

من القضايا المعجمية المتصلة بالمفردة القرآنية التي اهتم بها الشعراوي مسألة "المشترك اللفظي"، وهي تسمية الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: عَيْنُ الْمَاءِ، وَعَيْنُ الْمَالِ، وَعَيْنُ السَّحَابِ ¹⁵⁵²، وهو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة ¹⁵⁵³. ولقد اختلف أهل اللغة بين إثبات المشترك اللفظي ونفيه، ومن الذين أنكروا وجوده ابن درستويه (ت: 347هـ) حيث قال: وإنما اللغة موضوعة للإبارة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو أحدهما ضد الآخر، لما كان ذلك إبارة، بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجيء الشيء النادر من هذا العلل، فيتوهم من لا يعرف العلل أن اللفظ وضع لمعنيين، والسماع في ذلك صحيح عن العرب، وإنما يجيء من لغتين، أو لحذف واختصار في الكلام حتى اشتبه اللفظان، وخفي ذلك على السامع فتأول فيه الخطأ ¹⁵⁵⁴.

أما المؤيدون للمشترك اللفظي فهم أغلب أهل اللغة الذين قالوا بكثرة وروده وضربوا له أمثلة كثيرة ومنهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وسيبويه وأبو عبيدة وأبو زيد الأنصاري، وابن فارس، والمبرد، والسيوطي وغيرهم، وعللوا وقوعه إلى تعدد اللهجات وهو أن يستعمل أحد أفراد القبيلة " اللفظ لمعنى معين، ثم يستعمله آخر من

1551 - الكتاب، سيبويه، 24/1.

1552 - ينظر: الصحابي في فقه اللغة، ابن فارس، ص 65.

1553 - ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، شرح وتعليق، محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، 1992، 369/1.

- تصحيح الفصح، ابن درستويه، تحقيق: محمد بدوي المختون ومراجعة رمضان عبد التواب ¹⁵⁵⁴

المجلس الأعلى للشنون الإسلامية، القاهرة، 1998، 538/2

قبيلة أخرى لمعنى آخر، فيشتهر ذلك اللفظ بين القبيلتين مع دلالاته على معنيين مختلفين»¹⁵⁵⁵، والغالب أنهم أقرؤا بوجوده في اللغة العربية وفي القرآن الكريم. وأما عند اللغويين المحدثين فهو ما تحدث صورة لفظه، واختلف معناه، أو هو «أن تتعدد المعاني للفظ الواحد»¹⁵⁵⁶، وقد أشار الشعراوي لهذا البحث، حيث قال: «وفي اللغة شيء يسمى المشترك اللفظي فيكون واحداً ومعانيه تختلف حسب السياق ، فم ثلاثاً كلمة "قَصْرِي" لها معاني متعددة ولها معنى يجمع كل معانيها ، مرة يأتي بها الحق بمعنى فرغ أو انتهى»¹⁵⁵⁷.

ومن خلال هذه التعريفات المختلفة في اللفظ والمتقاربة في المعنى، يمكننا القول أن الاشتراك اللفظي ظاهرة من الظواهر اللغوية التي تدرج حديثاً ضمن ما اصطلاح عليه "العلاقات الدلالية"، وهو دلالة الكلمة الواحدة ذات الخصائص الصوتية والاشتقاقية على بعض المعاني المختلفة الدلالة.

فنجد في لفظة "العين" في قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ

عَيْنًا﴾¹⁵⁵⁸، تستخدم معانٍ متعددة، فإذا قلنا "سَقَى الْقَوْمَ دَوَابَّهُمْ مِنَ الْعَيْنِ" ، فللعَيْنُ هنا عين الماء، وإذا قلنا "أَرْسَلَ الْأَمِيرَ عِيُونَهُ فِي الْمَدِينَةِ" ؛ يعني أرسل جنوده ، وإذا قلت "اشْتَرَيْتَهُ بِعَيْنٍ" ؛ أي بذهب، وإذا قلنا "نَظَرَ إِلَيَّ بِعَيْنِهِ شَدْرًا" ؛ أي بَبَصْرِهِ ، إذن كلمة عين تستخدم في أشياء متعددة، ومعناها في الآية "عين الماء الجارية"¹⁵⁵⁹. فللعين ثلاثة عشر وجهاً أوردها الراغب الأصفهاني¹⁵⁶⁰، ومن الكلمات التي تدور

حول معنى واحد لفظة "الفتح" في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ

1555 - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، 385/1.

1556 - الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة الشهباء، حلب، سوريا، ط2، 1969، ص 388.

1557 - تفسير الشعراوي، 551/1.

1558 - سورة البقرة، الآية: 60.

1559 - ينظر: تفسير الشعراوي، 361/1.

1560 - ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 387/1.

جَبَّارٍ عَنِيدٍ¹⁵⁶¹، فمرة يكون المقصود بالكلمة أمراً حسيماً وأحياناً يكون الأمر

معنوياً، ومرة ثالثة يكون الفتح بمعنى الفصل والحكم، والمثل على الأمر الحسي قول

الحق: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَعَتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ¹⁵⁶²،

ومرة يكون الفتح معنوياً؛ وبمعنى سابقة الخير والعلم، كقول الحق: ﴿وَإِذَا خَلَا

بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ¹⁵⁶³.

أما المثل على الفتح بمعنى الفصل في الأمر، هو قول الحق: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا

وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ¹⁵⁶⁴، وهكذا نجد للفتح

معاني متعددة، ويطلق الفتح آخر الامر على النصر¹⁵⁶⁵.

وهو الرأي الذي جاء في الأشباه والنظائر بأن لفظة "فتح" تحمل أربعة وجوه، وهي:

القضاء، والإرسال، والنصر، والفتح نقيض الإغلاق¹⁵⁶⁶.

كما أن اللفظ المشترك يكون له أصل واحد ثم يتفرع من هذا الأصل إلى معان

أخرى، نتيجة لتطور المعنى وحاجة الناس إلى مزيد من التغيرات على سبيل المجاز أو

الاستعارة، «ولعل مصدر هذه الكثرة هو التوسع المجازي في المعنى، وتنوع المعاني

انطلاقاً من دلالة واحدة»¹⁵⁶⁷.

1561 - سورة إبراهيم، الآية: 15.

1562 - سورة يوسف، الآية: 65.

1563 - سورة البقرة، الآية: 76.

1564 - سورة الأعراف، الآية: 89.

1565 - ينظر: تفسير الشعراوي، 7462 / 12.

- ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة،¹⁵⁶⁶

الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، ص 204.

1567 - كلام العرب، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1990، ص89-90.

وأيضاً من المشترك اللفظي لفظة "آية"، ومن معانيها الأمر العجيب، وكل منا يسمع من يقول: إنها آية في الحسن أو آية في الجمال، وتطلق الآية على السّمة، لأنّ السّمة أو العلامة هي التي تلفتنا إلى الشيء¹⁵⁶⁸.



والآية هي المعجزات التي أمدّ الله بها رسله ليثبت صدقهم لقولهم في القرآن:

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ

بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٦٩﴾، وإما أن تطلق الآيات على الأشياء العجيبة في الكون مثل

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمْ أَلَيْلٌ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ

مُظْلَمُونَ﴾¹⁵⁷⁰، وقد يكون المقصود بها آيات القرآن تحمل الأحكام والتحديات

للمشركين أن يأتوا بمثلها¹⁵⁷¹. وهذا المخطط البياني يبرز اشتراك اللفظ في كلمة "آية" واختلافها في المعنى¹⁵⁷².

¹⁵⁶⁸ - ينظر تفسير الشعراوي، 795/1.

¹⁵⁶⁹ - سورة الأعراف، الآية: 132.

¹⁵⁷⁰ - سورة يس، الآية: 37.

¹⁵⁷¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 5644 / 9.

- ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي، ص، 300. وينظر: مفردات¹⁵⁷² ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، 35/1، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 282/1، مادة "آية"، وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008، 146/1، مادة "آية".

معنى أصلي: الآية
هي الشيء العجيب
اللافت للانتباه.



الحق: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ﴾

وَالْحَرْثِ¹⁵⁷³، فمُسَوِّمة من سَامَهَا يَسُوِّمُهَا، ومعنى ذلك أن لهذه الخيل مراعى

تأكل منها كما تريد وليست خيلاً مربوطة، ومُسَوِّمة تعني أن لهذا الخيل علامات،
فهذا حصان أغرّ، وذلك أدهم وذاك أشقر، ومُسَوِّمة أن تكون مروضة ومدربة وتم
تعليمها، وسائمة أي تأكل على قدر ما تشتهي لا على قدر ما نعطيهما من طعام¹⁵⁷⁴.
وهذا الرسم البياني التالي يبرز أثر التنوع الدلالي الذي حظيت به هذه المفردة "سوم"،
ودور القلب المكاني في إنشاء المشترك اللفظي.

العلاقة الدلالية بين (الْوَسْم) و(السَّوْم)¹⁵⁷⁵.



¹⁵⁷³ - سورة آل عمران، الآية: 14.

¹⁵⁷⁴ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 1314.

- ينظر: مجاز القرآن، أبي عبيدة، 89/1، وينظر: معاني القرآن، النحاس، 367/1، وينظر، المحرر¹⁵⁷⁵

الوجيز، ابن عطية، 409/1، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 53/5.

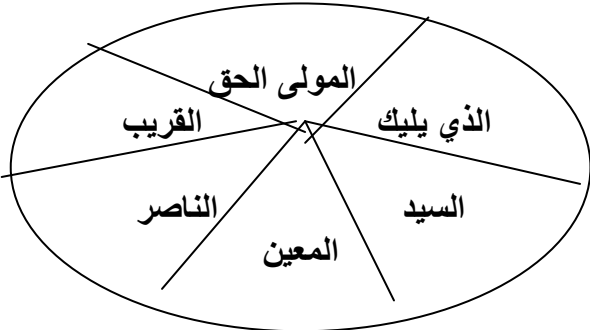
- من قولهم: رجل وَسِيم.
- والمسومة المعلمة بشيات الخيل في وجوهها من السَّيما وهي "العلامة"
- مسومة سومها الحسن - سائمة أي تأكل على قدر ما تشتهي.
- السَّمو والرفعة - مروضه ومدربة، وقيل مُعدة للجهاد.

كذلك لفظة "المَوْلَى" في قوله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾¹⁵⁷⁶

وكلمة "مَوْلَى" تعني أنه هو الذي يليك، ولا يليك إلا من هو قريب منك، وهذا القريب قد يكون منجداً لك إن حدث لك ما يفزحك وهو الذي يُعينك، وهكذا أخذت كلمة "مَوْلَى" معنى القريب، والناصر والمعين، وتطلق أيضاً على السيد حين يعتق عبده¹⁵⁷⁷.

والشكل التالي يبين التعدد الدلالي للفظ "مَوْلَى"¹⁵⁷⁸

دلالة اللفظ
"وَلَى"



وبالتالي فإن وجود المشترك اللفظي في لغة ما يفسر التطور الدلالي لألفاظها، ويؤكد أن هذا المعنى أحد اللغويين بقوله: «من التطور الدلالي ما له علاقة بالمشترك اللفظي، ك

¹⁵⁷⁶ - سورة الأنعام، الآية: 62.

¹⁵⁷⁷ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6 / 3686.

- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 141/6، مادة "وَلَى"، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم،¹⁵⁷⁸

الراغب الأصفهاني، 188/2، مادة "وَلَى"، وينظر: لسان العرب، ابن منظور، 4921/15، مادة "وَلَى".

تكون اللفظة تدل على معنى معيّن عامّ، فيتقدّم الزمن بتناسي المعنى العام، لتستعمل الكلمة في معنى خاص¹⁵⁷⁹، وهكذا تتولد الألفاظ وتتسع المعاني وتحقق الدلالة.

2- الترادف:

فلترادف ظاهرة لغوية عرفت لها أغلب اللغات، ويكاد يجمع الباحثون على وجودها في كل لغات البشر، وقد عرفت لها اللغة العربية بشكل أوسع تميزت بها عن غيرها. والترادف لغةً هو ركوب أحد خَلْفَ آخر، وَرَدَفَهُ أي رَكَبَ خَلْفَهُ، والمرتدِفُ هو الذي يركب خَلْفَ الراكب¹⁵⁸⁰، وفي الاصطلاح هو ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة وهو ضد المشترك¹⁵⁸¹.

ومن أنصار هذا الفريق كتاب "ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه" للأصمعي¹⁵⁸²، وقد أفرد ابن خالوية كتاباً في "أسماء الجنة" وكتاباً في "أسماء الأسد"¹⁵⁸³، وألف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني كتاباً سماه "الألفاظ المترادفة و المتقاربة في المعنى"¹⁵⁸⁴، وألف فيروز أبادي كتاباً سماه "الرّوض المَسْلُوف فيما له اسمان إلى ألوف" لكنه مفقود.

ومنهم من يرى أنّ العرب أوقعت اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في الكلام¹⁵⁸⁵، وإنّه لا يمتنع عقلياً أن يضع شخص واحد لفظتين على

¹⁵⁷⁹ - المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996، ص

10.

- ينظر: لسان العرب، ابن منظور، 116/114/9، مادة "رَدَف"¹⁵⁸⁰

- ينظر: التعريفات، السيد الجرجاني، ص 210.¹⁵⁸¹

¹⁵⁸² - ما اختلفت ألفاظه واتفقت معانيه، عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: ماجد حسن الذهبي، دار

الفكر، 1986.

¹⁵⁸³ - ينظر: أسماء الأسد، ابن خالويه، تحقيق: محمود جاسم الدرويش، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1989.

¹⁵⁸⁴ - الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى، تحقيق: فتح الله المصري، دار الوفاء للطباعة والنشر، 1992.

- ينظر: الأضداد، قطرب، تحقيق: حنا حداد، دار العلوم، الرياض، السعودية، ط1، 1984، ص243.

مسمى واحد ثم يتفق الكل عليه¹⁵⁸⁶، وكان ابن خالويه يفاخر بأنه يحفظ لهذا المسمى أو ذاك خمسين اسماً أو أكثر¹⁵⁸⁷.

وفريق من علماء العربية كان يتحرج من القول بترادف بعض الألفاظ في كتاب الله، فقد قال أبو العباس عن ابن الأعرابي (ت: 233هـ) «كُلُّ حرفين أوقعتُهُما العرب على معنى واحد، في كل واحد معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما غمض علينا فلم نُلزم العرب جهله¹⁵⁸⁸»، وراح ابن فارس للتأكيد على أن «الشيء الواحد يسمى بالأسماء المختلفة، نحو: السيف والمهند والحسام، والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو "السيف" وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى»¹⁵⁸⁹.

ومن بين من أنكر الترادف أبو هلال العسكري حيث نص على أن: «كل اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة، فإن كل واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الأخر، وإلا لكان الثاني فضلاً لا يحتاج إليه»¹⁵⁹⁰.

والشعراوي يتبع هذا الاتجاه الذي أنكر الترادف، ويتبع في ذلك نهج أصحاب الفروق الدلالية الذين يفرقون بين الأسماء والصفات المختلفة للشيء فيقول: «وأنت قد ترى بعض الألفاظ فتظن أن معناها واحد في الجملة، إلا أن لكل معنى منها ملحظاً، أنت تسمع مثلاً: رأى، ونظر، ولمح، ورمق، ورتنا، كل هذه تدل على البصر، لكن لكل لفظ له معنى: رمق: رأى بمؤخر عينيه، ولمح: أي شاهد من بعد، ورتنا: نظر بإطالة، وهكذا. ويقال أيضاً: جلس، وقعد، فالمعنى العام يكاد يكون واحداً

1586 - ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 405/1.

1587 - ينظر: المصدر السابق، 406/1.

1588 - كتاب الأضداد، محمد بن القاسم ابن الانباري، تحقيق، محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية،

صيد، بيروت، 1997، ص22

1589 - الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب، ابن فارس، ص55.

1590 - الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص 25.

لكن المعنى الدقيق يوضح أنّ الجلوس يكون عن اضطرار، والقعود عن قيام، كان قائماً فقعده، والاثنان ينتهيان إلى وضع واحد»¹⁵⁹¹.

أما في العصر الحالي فنجد الأدبية بنت الشاطيء فقد أنكرت الترادف¹⁵⁹²، وأيضا عبد الرحمان العك الذي قال: «إنّ مما لا شك فيه أنه ليس في القرآن الكريم من الألفاظ المترادفة أو المتواردة إلاّ وفي كل معنى مقصود يدرکه من كان ضليعاً في فقه اللغة وأسرار العربية»¹⁵⁹³.

وقد أشار أحمد أمين(ت: 1373هـ) إلى فائدة الترادف من حيث أنّه أداة جيدة لبلاغة الكتاب، وفصاحة الفصحاء، وتمكن الشعراء من نظم شعرهم وإطالة قصائدهم، مع التزام حرف الروي والقافية، ولولا وجود هذه المترادفات لما استطاعوا ذلك¹⁵⁹⁴.

ومما جاء في تفسير الشعراوي، لفظ "الصَيْب" في قول الحق: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ

السَّمَاءِ﴾¹⁵⁹⁵، والصيب هو المطر، والله يترل الماء فتقوم به الحياة¹⁵⁹⁶، والمعنى كما رآه القرطبي أنّ الصيب هو المطر، واشتقاقه من: صَابَ، يَصُوبُ: إذا نزل قال علقمة¹⁵⁹⁸:

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَمَّرٍ سَقَّتْكَ رَوَايَا الْمَزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ

¹⁵⁹¹ - تفسير الشعراوي، 3168/5.

¹⁵⁹² - ينظر: الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي، عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، ص 191.

- أصول التفسير وقواعده، خالد العك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص 271.¹⁵⁹³

¹⁵⁹⁴ - ينظر: ضحي الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط7، (د،ت)، 245/2، وينظر:

الترادف في القرآن بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، ص 121، وينظر: مباحث في علوم القرآن، نورالدين عتر، ص 202.

¹⁵⁹⁵ - سورة البقرة، الآية: 19.

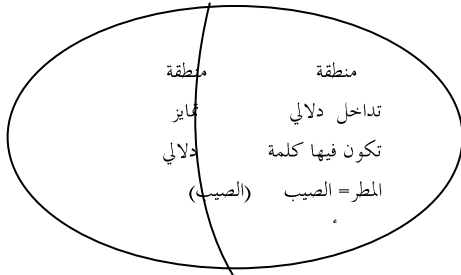
¹⁵⁹⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 177/1.

¹⁵⁹⁷ - ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، 350/1.

¹⁵⁹⁸ - ينظر: شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل، تقديم: حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت،

لبنان، ط1، 1993، 24.

وهذا شكل توضيحي يبين العلاقة الدلالية (الترادف الجزئي) بين المطر والصيب في المجال الدلالي الخاص بهما¹⁵⁹⁹.



أ- منطقة تداخل دلالي تساوي فيها دلالة الصيب والمطر بالإحالة إلى مدلول واحد، وهو الماء النازل من السماء.

ب- منطقة تمايز دلالي فيها تُفَرَّق دلالة (الصيب) عن دلالة (المطر) بزيادة معنى القوة في الانصباب والانحدار، فالمطر الصيب هو المنهمر المتدفق.

يَكَادُ الْبَرْقُ تَخْطَفُ

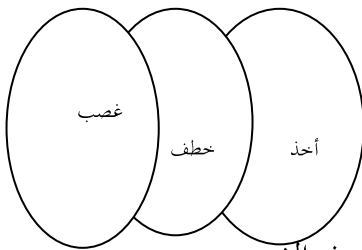
وأيضاً من الترادف لفظة "الخطف" في قوله تعالى: ﴿

أَبْصَرَهُمْ﴾¹⁶⁰⁰، فالفرق بينه وبين الأخذ والغصب واضح، فالأخذ أن تطلب

الشيء من صاحبه فيعطيه لك، أو تستأذنه، والخطف أن تأخذه دون إرادة صاحبه ودون أن يستطيع منعك، والغصب أن تأخذ الشيء رغم إرادة صاحبه باستخدام

القوة أو غير ذلك بحيث يصبح عاجزاً عن منعك من أخذ هذا الشيء¹⁶⁰¹، وهذا شكل توضيحي يبين العلاقة الدلالية بين (أخذ وغصب، وخطف)¹⁶⁰².

فالملاحظ أن الكلمات الثلاثة تشترك في المعنى العام، وتختلف كل كلمة في جذرها ومفهومها.



أ- منطقة تداخل دلالي بين الكلمات الثلاث يمثل معنى تناول الشيء.

ب- منطقة تداخل دلالي بين أخذ وخطف تحمل معنى

تناول الشيء فتحمل الملمح الزائد في خطف وهو السرعة في الأخذ.

ت- منطقة تداخل دلالي بين غصب وأخذ، وتحمل الملمح الدلالي الزائد في الغصب وهو القهر.

¹⁵⁹⁹ - ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 326/1.

¹⁶⁰⁰ - سورة البقرة، الآية: 20.

¹⁶⁰¹ - ينظر: تفسير الشعراوي، 180/1.

- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 165/1. وينظر: لسان العرب، ابن منظور،¹⁶⁰²

75/9 و 68/1 و 684/1.

وبهذا الطرح يتبع الشعراوي رأي أبي علي الفارسي والأصفهاني والمفسر الفخر الرازي، فالأصفهاني يرى أن الترادف الحقيقي هو ما يوجد في اللهجة الواحدة أما ما كان في لهجتين فليس ترادفاً¹⁶⁰³، والرازي يرى قصر الترادف على ما يتطابق فيه المعنيان بدون أدنى تفاوت، فليس من الترادف عنده السيف والصارم، لأن الثانية زيادة في المعنى¹⁶⁰⁴.

وفي معرض آخر يقدم الشعراوي للأسد أسماء كثيرة، منها: "الأسد" و"الغضنفر" و"الرئبال" و"الورد" و"القسورة" وصحيح هذه أسماء للأسد، ولكن لكل اسم معنى محدد، فـ "الأسد" هو اللفظ العام والعلم على هذا الحيوان، و"الغضنفر" هو الأسد عندما ينفش لبدته، و"الورد" هو حالة الأسد عندما يكون قد مطَّ صُلْبَه، فكل موقف للأسد له معنى خاص به¹⁶⁰⁵.

وهذا الرأي له ما يعضده هو قول أبي هلال العسكري، حيث فرق بين الألفاظ المترادفة ورأى أن كل لفظ له دلالاته الخاصة به، قد تتشابه في نسبتها إلى حقل دلالي واحد، ولكن هذا لا يعني تطابقاً تاماً في معناها¹⁶⁰⁶.

أيضاً نجد الترادف في لفظة "قضى" عند قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ

عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾¹⁶⁰⁷، فـ "لِيَقْضِ عَلَيْنَا" هنا معناها يُمَيِّنُنَا، ومعنى آخر في قوله

تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾¹⁶⁰⁸؛ أي لما انتهى الأمر ووقع

¹⁶⁰³ - ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 217.

¹⁶⁰⁴ - ينظر: لطائف في اللغة، أحمد بن مصطفى الدمشقي البايدي، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار

الفضيلة، القاهرة، (د،ت)، 17/1.

¹⁶⁰⁵ - ينظر: تفسير الشعراوي، 3/ 1779.

- ينظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص 26.¹⁶⁰⁶

¹⁶⁰⁷ - سورة الزخرف، الآية 77.

¹⁶⁰⁸ - سورة إبراهيم، الآية 22.

الجزاء، وفي موقع آخر: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾¹⁶⁰⁹، قضى الأجل

هنا بمعنى أتم الأجل ، وفي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾¹⁶¹⁰، أي

حكم وفصل بينهم ، وقوله تعالى : ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾¹⁶¹¹؛ بمعنى

أعلمنا بني إسرائيل في كتابهم، إذن "قَضَى" لها معان متعددة يحددها السياق ، ولكن هناك معنى تلتقي فيه كل المعاني، وهو قضى أي حكم وهذا هو المعنى الأم¹⁶¹².

يحرص الشعراوي على إبراز دقة المفردات في الأداء التعبيري، لأن كل مفردة لها سياقها الخاص، وقد حُملت بهذه اللفظة "قَضَى" أكثر من عشرة أوجه أوردتها الراغب في المفردات¹⁶¹³، والشعراوي يحس بقيمة اللفظة في الجملة القرآنية وفي مصداقيتها في التنوع والتعدد، فيقول: «ونحن يجب ألا نقع في الآفة التي يخطئ البعض بها، حين

يستقبلون ألفاظ العقائد على أساس ما اشتهر به اللفظ من معنى؛ فالألفاظ لها معانٍ متعددة، لذلك لا بد أن نعرض كل معاني اللفظ لنأخذ اللفظ المناسب للسياق»¹⁶¹⁴. أيضا في لفظ "وَرَاءَ" جاءت في القرآن على أربعة معانٍ: أمام، خَلْفَ، بَعْدَ، غَيْرَ. وهذا مما يُميّز العربية عن غيرها من اللغات، والملكة العربية قادرة على أن تُميّز المعنى

المناسب للسياق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ﴾¹⁶¹⁵،

وكلمة {وَرَاءَهُمْ} هنا بمعنى "أمامهم"، وتستعمل وراء بمعنى "بَعْدَ" في قوله تعالى:

1609 - سورة القصص، الآية 29.

1610 - سورة يونس، الآية: 54.

1611 - سورة الإسراء، الآية: 04.

1612 - ينظر: تفسير الشعراوي، 566/1.

- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، 42-41/2. 1613

1614 - تفسير الشعراوي، 6451-645/11.

1615 - سورة الكهف، الآية: 79.

﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ﴾¹⁶¹⁶، وتأني وراء بمعنى "غير" في قوله تعالى:

﴿فَمَنْ آبَتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾¹⁶¹⁷، وقد تستعمل

وراء بمعنى "خلف"¹⁶¹⁸ في قوله: تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾¹⁶¹⁹.

فهذه اللفظة "وراء" حملت عدة مُرادفات، وقُصد بها عدة أوجه، وقد أورد الأنباري (ت: 304 هـ) في كتابه "الأضداد" أكثر من ستة أوجه، منها: "أمامك"، "خلفك"، ويقصد به "ولد الوالد"، و"بما سوءة"، ويقصد بالورى: "دَاءٌ يُفْسِدُ الْجُوفَ"، وتعني أيضا "مقصور على الخلق..."¹⁶²⁰

يمكننا القول أن الشعراوي قد التبس عليه الموضوع نوعا ما، فمن جهة يقول أنه يجب على المسلم حين يدقق في معنى القرآن الكريم يجد أن لكل حرف في القرآن قد تم وضعه بحكمة بالغة، وأنه لا شيء اسمه مترادف، وإنما لكل لفظ معنى يؤديه لا يؤديه اللفظ الآخر¹⁶²¹، وأنه لا يوجد في القرآن بليغ وأبلغ، فكل لفظ جاء في جملة على أسلوب يتطلبه فهو الأبلغ، وكل آية في القرآن مُنسجمة كلماتها مع جملها ومع سياقها¹⁶²².

فالقول بالترادف يلزم عنه القول بوجود حسن وأحسن وبلغ وأبلغ، وهذا ما كان يرفضه الشعراوي، ومن جهة ثانية فقد سرد لنا كلمات وقع فيها الترادف من غير

¹⁶¹⁶ - سورة هود، الآية: 71.

¹⁶¹⁷ - سورة المؤمنون، الآية: 7.

¹⁶¹⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 8968/14.

¹⁶¹⁹ - سورة آل عمران، الآية: 187.

- ينظر: كتاب الأضداد، ابن الانباري، ص 304، وينظر: كتاب الأضداد، قطرب، ص 105. ¹⁶²⁰

¹⁶²¹ - ينظر: معجزة القرآن، الشعراوي، 47/1.

¹⁶²² - ينظر: تفسير الشعراوي، 709/1.

اعتراف أو محاولة التعريف بها، مثل ما جاء من النماذج الماضية أو المتبقية مثل في كلمة "القرون"¹⁶²³، وكلمة "هاد"¹⁶²⁴، وغيرها كثير.

وهذا التوجس نابع من نفسيته الحساسة اتجاه القرآن الكريم، فهو محب له وذاكر له، ويسعى دائماً لرفع مكانة القرآن بالتدقيق في المصطلحات والضبط في الشرح والقول، ويتحاشى التنظير والقياس عليه، فهذا القرآن لا يشبهه أي نص آخر، لأنه متزل من رب العالمين.

3- التضاد:

تناول الشعراوي مسألة "التضاد" بشكل أقل عما تحدث به عن مسألتي المشترك اللفظي والترادف، ولا أدل على ذلك أن حضور التضاد أو الأضداد جاءت ضئيل نسبياً، ويزداد تضاداً في قلة استخدامه بين الكتاب وعدم شيوعه بين الأدباء¹⁶²⁵. والتضاد أن يُطلق اللفظ الواحد على المعنى وضده¹⁶²⁶، وهو فرع من المشترك اللفظي¹⁶²⁷، إلا أن اللفظ من الأضداد له معنيان أحدهما نقيض الآخر، أي أن الاختلاف بينهما اختلاف تضاد لا اختلاف تغاير، كما هي الحال في المشترك اللفظي¹⁶²⁸. فمن سنن العرب في كلامها أن يسموا المتضادين باسم واحد نحو «الجون» للأسود و«الجون» للأبيض¹⁶²⁹.

فالأضداد ظاهرة أثبت حضورها في اللغة العربية على اعتبار أن الألفاظ محدودة والمعاني غير محدودة، فأفاضوا في معرفة أسبابها ومظاهرها وشواهدا، ومن هؤلاء سيوييه (180هـ)، وقطرب (206هـ)، والأصمعي (215هـ)، وابن السكيت

¹⁶²³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 5782-5781/9.

¹⁶²⁴ - المرجع السابق، 4379/6.

- ينظر: التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، نور الدين المنجد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1625
1999، ص 16.

¹⁶²⁶ - ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ص 191.

¹⁶²⁷ - ينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 387/1.

¹⁶²⁸ - ينظر: فقه اللغة العربية، كاصد الزبيدي، منشورات جامعة الموصل، 1987، ص 125.

¹⁶²⁹ - ينظر: الصاحبى، ابن فارس، ص66.

(244هـ)، وأبو حاتم (255هـ) ، وابن الأنباري (327هـ) ، وأبو الطيب اللغوي (351هـ)، وابن فارس (395هـ)، وابن سيده (458هـ) وغيرهم. أما المنكرون للأضداد فهم قلة، وقد قال فيهم أبو بكر الأنباري في مقدمة كتابه: «ويظن أهل البدع والزيغ والازراء بالعرب أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم وقلة بلاغتهم وكثرة الالتباس في محاوراتهم»¹⁶³⁰، وعلل السيوطي سبب إنكار هؤلاء للأضداد في أنهم كانوا ينظرون إلى الأضداد على أنه من المشترك اللفظي، فقال: «مفهوما اللفظ المشترك إما أن يتباينا بأن لا يمكن اجتماعهما في الصدق على شيء واحد كالحيض والطهر فإنهما مدلولوا القرء لا يجوز اجتماعهما لواحد في زمن واحد أو يتوصلا فيما أن يكون أحدهما جزءاً من الآخر كالممكن العام للخاص أو صفة كالأسود لذي السواد فيمن سمي به»¹⁶³¹.

والشعراوي يرى وجود التضاد في العربية وأثبت أيضاً وجوده في القرآن الكريم، إذ

هو ينشط الذهن، فنجد في لفظ "وَرَاءَ" في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ مَلِكٌ

يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾¹⁶³²، وِرَاءَهُمْ هنا بمعنى أمامهم¹⁶³³، وقد ذكرها

الآمدي (ت:370هـ) على أنها في الأصل من الموراة والاستتار، فما استتر عنك فهو وِرَاءَ، خلفك كان أم قدامك¹⁶³⁴.

¹⁶³⁰ - تصحيح الفصح، ابن درستويه، 359/1.

¹⁶³¹ - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، 387/1.

¹⁶³² - سورة الكهف، الآية: 79.

¹⁶³³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6869/11.

- ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، تحقيق: السيد¹⁶³⁴

182/1. أحمد صقر وعبد الله المحارب، دار المعارف ومكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1991، ص

من التضاد ما نجد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ

فِيهَا﴾¹⁶³⁵، وهذه اللفظة {تَوَلَّى} تحتل معنيين: التولي وهو الانصراف

والإعراض، ومعنى الولاية¹⁶³⁶، فيجئ "تولى" في الآية بمعنى: غَضَبَ وأنف في نفسه
عنك يا محمد¹⁶³⁷.
↓
وهذا الشكل يبين
الانعكاس الدلالي للفظ "وَلَّى"¹⁶³⁸.

ب- (تولى). بمعنى

معنى عام قرب ودنى (الولاية)

أ- (تولى). بمعنى أقبل

انصرف

وأعرض.

أيضاً لفظة "قَسَطَ" في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾¹⁶³⁹، والقِسْطُ هو

العدل من قَسَطَ قِسْطًا، وأما قاسط فهي اسم فاعل من قسط قِسْطًا وقَسُوطًا أي جار
وعدل عن الحق، والقاسطون هم المنحرفون والمائلون عن الحق والظالمون¹⁶⁴⁰، وقد
اتفقت أغلب المصادر على أن "قَسَطَ" تعني جار، و"أَقْسَطَ" تعني عدل، ومنها أعطى
الفعل "قَسَطَ" المعنيين المتضادين: جار وعدل¹⁶⁴¹.

¹⁶³⁵ - سورة البقرة، الآية: 205.

¹⁶³⁶ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 866.

- ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية الاندلسي، 280/1، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،¹⁶³⁷

384/3.

¹⁶³⁸ - ينظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، 6/ 141، مادة "ولى".

¹⁶³⁹ - سورة الأعراف، الآية: 29.

¹⁶⁴⁰ - ينظر: تفسير الشعراوي، 4106/7.

- ينظر: الأضداد، لأصمعي وللجستاني ولابن السكيت، نشر: أوغست هفتر، المطبع الكاثوليكية،¹⁶⁴¹

بيروت، لبنان، 1912، ص 19.

مثال آخر لفظة " اشترى " في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ

أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾¹⁶⁴²، إذن كلمة "شَرَى" لها معنيان، لغة: إما أن تكون

بمعنى "باع"، وإما أن تكون بمعنى "اشترى"، والسياق والقرينة هما اللذان يحددان المعنى

المقصود منهم¹⁶⁴³، قال الأصمعي شراه ملكه بالبيع، وأيضاً باعه، فمن الشراء بمعنى

البيع في الآية المذكورة، أي يبيعها¹⁶⁴⁴، وقال مثل ذلك ابن قتيبة في تفسير غريب

القرآن¹⁶⁴⁵، والنحاس في معاني القرآن¹⁶⁴⁶.

أيضا لفظة "أمة" في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ

﴿و"الأمة" قد يُراد بها الجماعة من الناس، ويُراد بها أيضاً الرجل الجامع لكل

صفات الخير¹⁶⁴⁸، كما قال الحق في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ

كَانَ أُمَّةً﴾¹⁶⁴⁹، أي أنه كان معلماً للخير، أو جامعاً لخصال الخير، أو عالماً بما

علمه الله من الشرائع، وقيل: أمة بمعنى مأموم، أي يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير كما

¹⁶⁴² - سورة البقرة، الآية: 207.

¹⁶⁴³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 1/ 874. وفي 11/ 6896.

¹⁶⁴⁴ - ينظر: الأضداد، للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت، ص59.

- ينظر: تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: صقر السيد أحمد، دار الكتب¹⁶⁴⁵

العلمية، بيروت، لبنان، 1978، ص 80-81.

¹⁶⁴⁶ - ينظر: معاني القرآن، النحاس، 1/ 152.

¹⁶⁴⁷ - سورة يوسف، الآية: 45.

¹⁶⁴⁸ - ينظر: تفسير الشعراوي، 13/ 8270.

¹⁶⁴⁹ - سورة النحل، الآية: 120.

قال تعالى ¹⁶⁵⁰: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۗ قَالَ إِنِّي

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۗ﴾ ¹⁶⁵¹.

وما علل به الشعراوي وقوع التضاد أن بعض الكلمات قد تأتي بصيغة تحمل فيها

المعنيين أحدهما ضد الآخر، مثل كلمة "حَمِيد" في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ ذُو حَمِيدٍ

مُجِيدٍ﴾ ¹⁶⁵²، وكلمة "حَمِيد" من "فَعِيل"، وتَرَدُّ على معنيين: إما أن تكون بمعنى

فاعل مثل قولنا: "الله رَحِيمٌ" بمعنى أنه رَاحِمٌ خلقه، وإما أن تكون بمعنى مفعول؛
كقولنا: "قَتِيلٌ" بمعنى "مَقْتُولٌ" وبالتالي: فكلمة "حَمِيدٌ" هنا تأتي بالمعنيين معاً: "حَامِدٌ"
لمن يطيعه طاعة نابعة من الإيمان، والله "مَحْمُودٌ" ممن أنعم عليهم نعمه السابعة ¹⁶⁵³.
ويبقى موضوع المشترك اللفظي والترادف والتضاد بين تجاذبات الباحثين والمختصين،
ولعل الشعراوي واحد من هؤلاء الذي سار بمنهج واضح بين شواهد كل مبحث مما
ذكر وعلل ذلك من القرآن الكريم، وإن كان لم يذكر أقوال العلماء والمفسرين في
هذه المسائل، وهذا يدلنا أن الرجل ضليع بمسائل اللغة ومواضيعها، وهو ما جعله يقدم
على ميدان التفسير بمنهج لغوي رزين، ماسك بأدوات اللغة من صوت ونحو وصرف
ودلالة مبيناً للناس سر هذا القرآن الكريم ومعجزاته الخالدة على مر السنين.

¹⁶⁵⁰ - سورة البقرة، الآية: 124.

- ينظر: الوسيط في التفسير، الواحدي، 90/3، وينظر: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي، ¹⁶⁵¹
107/20، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 130/10، وينظر: زاد الميسر في التفسير، عبد الرحمان بن
علي بن محمد الجوزي، 503/4، وينظر: روح المعاني، الألوسي، 249/14، وينظر: فتح القدير،
الشوكاني، 230/3.

¹⁶⁵² - سورة هود، الآية: 73.

¹⁶⁵³ - ينظر: تفسير الشعراوي، 6565/11.

ومن يتأمل تفسيره يجده قد امتاز بهذا الحس اللغوي المرفف، وعقلية ثاقبة ونظرة
شاملة لقضايا اللغة كافة، فلا تفوته كبيرة ولا صغيرة إلا وذكرها وبيّن رأيه فيها،
وهذا الأمر يؤيده كثرة كتاباته وشروحاته التفسيرية التي جاءت شاملة ووافية للغرض.

الخاتمة:

لعل من المسلم به أن كلام الله أعلى مستوى من الفصاحة والبلاغة والإعجاز، ولهذا الشأن عكف المفسرون على استخراج ما فيه من أسرار ربانية ودلائل كونية وإرشادات تربوية، وكان لمفسرنا محمد متولي الشعراوي نصيب من هذا، إذ أقبل عليه بروح متوقدة وعزيمة نفاذة واشتياق لا ينطفئ .

فلقد منحه الله فكراً ثاقباً ومنّ عليه بعقيدة راسخة، وهيا له اكتساب ثقافة مُتشعبة الأطراف؛ وهذه عوامل كلها عملت في تكوين منهجه لفهم كلام الله، فهو يقدم المادة للقارئ والمستمع بعيدة عن التقعر في الألفاظ، وبعيدة عن الجفاف في المعاني، بحيث يتقبلها القلب والعقل معاً.

فيبدأ في تفسيره للآيات تفسيراً يقوم على وحدة الموضوع أولاً، ومعطيات اللغة ثانياً، ومسلمات العقل ثالثاً، وهذا هو منهجه العام من أول سورة إلى آخر سورة.

وقد كانت علوم اللغة حاضرة ماثله أمامه، من صوت ونحو وصرف وبلاغة وبيان، فيرتفع بالآية المفسرة من بداية نطقها واشتقاقاتها إلى نهاية دلالتها ووظيفتها في الآية وفي السياق العام، كاشفاً في ذلك ملامح الإعجاز في كل جزئية، وفي كل مبحث لغوي يذكره، وتعد هذه الطريقة هي عين "المنهج اللغوي" الذي ارتضاه الشعراوي، وعمل به وأفاده في تبيان مقاصد الشرع ومرامي الآيات ومضمونها، ومن خلال الفصول التي عرضناها خلّصنا إلى مجموعة من النتائج نجملها فيما يلي:

1- رأى الشعروي أن الكلمة القرآنية تتمتع بكل عناية واهتمام منذ لحظة الانتقاء إلى لحظة التوظيف النصي، ولهذا نهج منهجاً فريداً في إبراز هذا الانتقاء، مراعيّاً أبعادها - أي الكلمة - الصوتية والصرفية والبلاغية، ثم تتبع حالاتها في السياق والتركيب.

2- يعتمد الشعراوي في منهجه اللغوي على "المسكوت" في طرحه لقضايا اللغة، فلا تدفق لمصطلحات اللغة من نحو وصرف ودلالة وبيان، وهذا المنهج سار معه طوال مراحل التفسير، فيعالج القضية اللغوية دون تسميتها بمصطلحها اللغوي الشائع، وخاصة في أبواب "البلاغة"، وما على السامع أو القارئ إلا فهم المسألة بما يمتلكه من معرفة لغوية ذاتية.

3- اهتمامه بالمستوى الصوتي للقرآن الكريم، وبالمناسبة الحاصلة في فواتح السور وانسجامها مع مضمون السورة، كما اهتم بأثر الفواصل القرآنية ودورها في أداء الفهم وصيانة المعنى، وحاول تذوق المعنى الذي يليه الجرس الصوتي للفظة المفردة، وبيّن تناسب الحروف والألفاظ والجمل مع السياق القرآني.

4- في طرحه للمسائل الصرفية والنحوية، اعتبر الشعراوي أن هذين العلمين نشأ لخدمة القرآن الكريم وبيان معانيه، وليس العكس؛ أي - وجب أن نرجع بقواعدنا إليه، لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى القواعد المخالفة لنحكمها فيه - أي لا يمكننا تحميل الآيات القرآنية التعليقات النحوية والصرفية التي لا تخدم الموضوع، بحيث يجب أن نعمل على جعل علوم اللغة أول مستوى من مستويات التفسير، كما نجده لا يُعيب مذهباً أو قولاً أو فكرةً، وإنما يقدم رأيه اللغوي في هدوء، دون إلغاء الغير.

5- نجده يتبع الطريقة البصرية في معالجته لقضايا النحو والصرف، وينكر على الذين يقولون بزيادة الحروف في القرآن، كما يذكر أنه لا يوجد ما يسمى بـ "نيابة بعض الحروف عن بعض" وقال أن كل حرف في القرآن جاء لمزية خاصة به.

6- أعطى للسياق دوراً كبيراً في تحديد المفاهيم، إذ هو المفتاح لفهم الحقائق الشرعية والوقائع القرآنية، وعمل على تدليل وتطويع اللغة للتفسير، وتحليل الألفاظ وربطها بمعانيها، سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة، حتى أجهه ذلك إلى الاستطراد والتوسع في شرح الآية الواحدة توسعاً عظيماً.

7- تعرضه للفظ في الآيات المحكمة عرضاً لا يختلف عما عرفته العرب في معاني ألفاظها، ففسر اللفظ القرآني بمتلقيه من العرب، ووسع استشهاده اللغوي بأشعار القدماء والمحدثين، وحلل من خلال تفسيره الأداء الوظيفي للمفردات القرآنية، وتتبع تطورها وتغيرها الدلالي وحالات استعمالها وسكونها ووظيفتها في المعجم.

8- نراه يقف أمام النص وقفة عقلية يجهد فيها ذهنه مستنبطاً المعاني منقياً عنها، ويأتي بمعنى الآية بأكثر من وجه تفسيري، كما أنه يجول بعقله في النص القرآني باحثاً عن تآلف معاني ألفاظ الآية الواحدة وتأخيها.

9- يتعدى الشعراوي العناية بنسق الآية المعنوية إلى نسق القرآن المعنوي كله، فالمعاني القرآنية كلها تتجاوب في نسق متراس، وقد وظف ثقافته المتنوعة ورياضته العقلية في تشقيق معنى الآية القرآنية إلى أكثر من وجه تفسيري.

10- أبرز الآيات القرآنية التي تعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني والمادي المحسوس المشاهد، والتوسع في معنى التصوير فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل وتصوير بالتمثيل.

11- نبه إلى أن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، كما أنه القاعدة الأولى للبيان وأنه الطريقة التي يقرب بها الله المشاهد الغيبية ويبرزها مشاهد منظورة يستوعبها العقل الإنساني.

12- اهتمامه بقضايا البلاغة والبيان، لأنها أدوات الفهم والإرشاد والإعلام والهدي، واعتماده على الحقيقة وإنكاره لبعض صور المجاز، إذ يعتبر أن القرآن في مطلقه يعالج الواقع والمباشرة، ولا يحتاج إلى صور مجازية إلا فيما نذر.

15- اهتمامه بأسلوب التقديم والتأخير في القرآن، وأنه وسيلة في إرساء الأخبار البلاغية والبيانية، وأنه سر من أسرار الإعجاز.

16- نفيه للتكرار، إذ ينكر على الذين يرمون القرآن بوقوع التكرار، فلو وُجد التكرار في القرآن لرده فطاحلة البيان والفصاحة والخطاب أثناء نزوله، لأن التكرار القصص والأحداث تتضارب فيه المعطيات والحديثات، ولكن القرآن بعيد عن هذا، وقد تلقفه أهل الصناعة والبيان، وأقروا بعجزهم وقالوا إنه كلام رب العالمين.

17- وضح دور القصة في البيان القرآني، ونبه إلى أن القصة في القرآن ليست عملاً فنياً درامياً في طريقة عرضه وإدارة حوادثه، وإنما من أهدافها تثبيت الرسول صل الله عليه وسلم ولثبات الوحي والرسالة، وأوضح أنها تجمع بين الغرض الديني والغرض الفني، وأن الجمال الفني أداة مقصورة للتأثير الوجداني الديني، فالفن والدين صنوان في أغوار النفس وكوامن الحس.

18- جعل من الدعوة أدباً وجعل الأدب وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية؛ أي جعل من الأديب داعية ومن الداعية أديباً، فخرج من الدعوة التقليدية الوعظية التي تعتمد على الأداء الصوتي والقوالب والصيغ المحفوظة إلى حد الاندماج بينه وبين

مستمعيه، وذلك عن طريق التواصل الشفوي والوجداني، لأنَّ امتلاك ناصية الكلمة بمعطيات الأدب وامتلاك القدرة على الارتقاء والتحليق بمعطيات الروح المتحررة، هو معيار التمايز بين دعوات الفقهاء ودعوات الأدباء، بل هو معيار التوفيق ونجاح الداعية، فالأولون يخاطبون في المتلقي عقله لا غير، والعقل قد يصحوا وقد ينام، أما الآخرون ومنهم -الشعراوي- يخاطبون في المتلقي عقله ووجدانه وبين حالي الخطاب لا بد أن يظفروا به، وأن يستولوا عليه، وهذا هو الداعية الموفق وهذه هي الدعوة الناجحة.

هذه جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لمنهج الشعراوي في التفسير القرآني، فإنَّ أصبنا فمن الله وحده، وإنَّ أخطانا فمن أنفسنا ومن الشيطان، والله الموفق لما يحبه ويرضاه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- 1-أبجد العلوم، صديق بن حسن القنوجي، إعداد : عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة والإرشاد القومي لإحياء التراث- العربي، دمشق، 1978.
- 2-إتحاف السادة المتقين، الزبيدي، طبعة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، 1994.
- 3-الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق : مركز الدراسات الإسلامية، السعودية، 1426هـ.
- 4-أحكام القرآن، محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، تخرّيج : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 5-أدب الكاتب، ابن قتيبة، محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- 6-الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، بيروت، ط1، 2001.
- 7-ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1998.
- 8-إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق، شعبان محمد إسماعيل دار السلام، مصر، ط1، 1998.
- 9-أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق: أحمد عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت.
- 10-الاستثناء في التراث النحوي والبلاغي، كاظم ابراهيم كاظم، عالم الكتب، لبنان، بيروت، ط1، 2000.
- 11-الاستغناء في الاستثناء، شهاب الدين القرافي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1986.
- 12-أسرار العربية، الأنباري، تحقيق، محمد بهجة البيطار، مطبوعات الجمع العلمي العربي، دمشق.

- 13- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، ملا علي القاري، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1985.
- 14- أسرار النحو، شمس الدين أحمد بن سليمان، تحقيق : احمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2002.
- 15- إشارة اللغة ودلالة الكلام، موريس أبو ناصر، منشورات وتوزيع مختارات، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
- 16- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل بن سليمان البلخي ، تحقيق : عبد الله محمود شحاتة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- 17- الاشتقاق والتعريب، عبد القادر المغربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط3، 1947.
- 18- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة فحضة، مصر.
- 19- أصول التفسير وقواعده، خالد العك، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
- 20- الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1988.
- 21- الأصول في النحو، بن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1969.
- 22- الأضداد، الصغاني، نشر أوغست هفتر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 23- الأضداد، قطرب، تحقيق: حنا حداد، دار العلوم ، الرياض، السعودية، ط1، 1984.
- 24- الأضداد، للأصمعي وللجستاني ولابن السكيت، نشر : أوغست هفتر، المطبع الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1912.
- 25- أضواء على خواطر الشعراوي ومنهجه في تفسير القرآن، محمد أمين إبراهيم التندي، مكتبة التراث، الإسلامي، القاهرة، ط1، 1990.
- 26- الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرقي، عائشة عبد الرحمان، دار المعارف.

- 27- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد يوسف، المكتبة العصرية، بيروت، 2002.
- 28- الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، عبد الحميد هندأوي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2004.
- 29- إعجاز القرآن البياني، صلاح الخالدي، دار عمار، عمان، ط1، 2000.
- 30- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، القاهرة، ط3، 1928.
- 31- إعجاز القرآن، أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.
- 32- إعجاز القرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1964.
- 33- الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره، عبدالغني محمد بركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1989.
- 34- الإعجاز في نظم القرآن، محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1978.
- 35- إعراب القرآن، أبي جعفر النحاس، اعتنى به : الشيخ خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2008.
- 36- الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحق: أحمد محمد قاسم، ط1، القاهرة 1976.
- 37- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، ابن السيد البطليوسي، تحقيق : مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية، 1996.
- 38- الأمالي ابن الشجري، هبة الله بن علي بن محمد، تحقيق : محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1992.
- 39- الأمالي، البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- 40- الأمالي، السيد المرتضي، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1957.
- 41- الإمام الشعراوي مفسراً وداعية، أحمد عمر هاشم، بدون طبعة، مطبعة أخبار اليوم، القاهرة.

- 42-الإمام المجدد محمد عبد الله دراز، إعداد: أحمد العسال، مكتبة الإيمان للطباعة النشر والتوزيع.
- 43-الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلائي، تحقيق : حمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث، ط2، 2000.
- 44-أنوار التترييل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، إعداد : محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط.1
- 45-البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- 46-بحوث لغوية، أحمد مطلوب، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1987.
- 47-بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تخريج: أحمد بن شعبان بن أحمد، مكتبة الصفا، القاهرة، ط1، 2005.
- 48-البديع، ابن المعتز، تحقيق، كراتشوفسكي، لندن، 1935.
- 49-براعة الإمام في تحليل بعض حروف القرآن، حلمي عبد المنعم صابر، مكتبة الشروق، القاهرة، 1999.
- 50-البرهان في توجيه متشابه القرآن، محمود بن حمزة الكرمانى، تحقيق : أحمد عز الدين وعبد الله خلف الله، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المصورة، مصر، 1991.
- 51-بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد العال الصعيدي، مكتبة الآداب ، القاهرة، 1999.
- 52-بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي و الجرجاني، تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف القاهرة، مصر، ط3، 1976.
- 53-البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخناجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998.
- 54-التأويل اللغوي في القرآن الكريم، دراسة دلالية، حسين حامد الصالح، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005،

- 55- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تحقيق : علي محمد البجاوي، منشورات عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، القاهرة.
- 56- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق : أحمد حبيب القصير، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، 1957.
- 57- تجديد الفكر العربي، زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة، 2004.
- 58- تحرير التحبير، ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق: حفي محمد شرف الدين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، 2003.
- 59- التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ط1، 1984.
- 60- تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي، أبي العلا محمد المبار كفوري، إشراف : عبد اللطيف عبد الوهاب، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بدون تاريخ.
- 61- التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- 62- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزى الكلبي، ضبطه : محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1995.
- 63- التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى، إعداد : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 64- تصريف الأسماء والأفعال، فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط2، 1994.
- 65- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر، ط16، 2002.
- 66- التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، نور الدين المنجد، دار الفكر بدمشق، ط1، 1999.
- 67- التطبيق الصرفي، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2004.
- 68- التطبيق النحوي، عبد الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط2، 1999.

- 69- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1983.
- 70- التعريفات، الشريف الجرجاني، تحقيق: علي بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1988،
- 71- التفسير البسيط، الواحدي، تحقيق: محمد بن صالح بن عبد الله الفوزان، الرياض، السعودية.
- 72- تفسير الشعراوي، مراجعة: أحمد عمر هاشم، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، 1991.
- 73- التفسير العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، ط2، 1999.
- 74- تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، القاهرة، ط2، 1947.
- 75- تفسير القرآن الكريم، بين القدامى والمحدثين، جمال البناء، دار الشروق، مصر، ط1، 2007.
- 76- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، السعودية، ط1، 2008.
- 77- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981.
- 78- تفسير غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: صقر السيد أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1978.
- 79- تفسير مجمع البيان، الطبرسي، تقديم: محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1995.
- 80- جامع البيان في تفسير القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، حيزة، ط1.
- 81- الجامع لأحكام القرآن، أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.

- 82-الجدول في إعراب القرآن و صرفه و بيانہ، محمود الصافي، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط3، 1995.
- 83-الجني الداني في حروف المعاني، الحسين بن قاسم المرادي، تحقيق، فخر الدين قباوة و محمد نديم فاضل، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط2، 1983.
- 84-حاشية الصبان، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، تحق : طه عبد الرؤوف سعيد، المكتبة التوفيقية، مصر، بدون تاريخ.
- 85-الحجة في القراءات السبع، ابن خالوية، تحقيق : عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط3، 1979.
- 86-حروف المعاني وعلاقتها بالحكم الشرعي، دياب عبد الجواد عطا، دار المنار للطباعة والنشر، القاهرة، 2000.
- 87-الخصائص، ابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت.
- 88-دراسات في اللغة والنحو، حسن عون، معهد البحوث للدراسات الإسلامية العربية، 1969.
- 89-الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق : أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.
- 90-الدرر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر، المهندسين، مصر، ط1، 2003.
- 91-دعوني وربّي- الأيام الأخيرة من حياة الشعراوي - إبراهيم حسن الأشقر، دار الروضة للنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
- 92-دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، ط3، 1986.
- 93-دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تعليق : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- 94-دور الكلمة في اللغة، ستيفين أولمان ، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب، ط3، 1972.

- 95-ديوان أبي العتاهية، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، لبنان، 1986.
- 96-ديوان أبي نواس برواية الصولي، تحقيق، بهجة الحديثي، دار الرسالة، بغداد، 1980.
- 97-ديوان امرئ القيس، عبد الرحمان المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2004.
- 98-الذريعة إلى أصول الشريعة، الشريف المرتضي، تحقيق: أبو القاسم كرجي، طبعة طهران، ط1، 1929.
- 99-رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، دار عمار، الأردن، 2003.
- 100-روح المعاني، محمود شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- 101-شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، ابن الناظم، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 102-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، تحقيق : محي الدين عبد الرحمان، دار التراث، القاهرة، ط20، 1980.
- 103-شرح أبيات مغني اللبيب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق : عبد العزيز رباح، وأحمد الدقاق، دار المأمون، دمشق، ط1، 1973.
- 104-شرح التسهيل، ابن مالك، تحقيق: عبد الرحمان السيد ومحمد بدوي المختون، دار هجر، ط1، 1990.
- 105-شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبدالله الأزهرى، تحقيق : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 106-شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، تحقيق : يحيى بشير مصري، الإدارة العامة للثقافة والنشر، ط1، 1996،
- 107-الشعراوي تحت قبة البرلمان، محمد المصري، طبعة دار الأحمدي، بدون تاريخ.

- 108-الشعراوي وحديث الذكريات، محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، القاهرة.
- 109-الصحاح، الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990.
- 110-الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، 1981.
- 111-الصوت اللغوي في القرآن الكريم، محمد الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- 112-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف، مصر، 1914.
- 113-عالم عصره في عيون معاصريه، محمد يس جزر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 114-العربية، يوهان فك، ترجمة: عبد الحليم النجار، مطبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، 1951.
- 115-العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، عبد الواحد حسن الشيخ، مطبعة الإشعاع الفنية، ط1، 1999.
- 116-علم الجمال اللغوي، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995.
- 117-علم الدلالة - دراسة وتطبيق، نور الهدى لوشن، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، القاهرة.
- 118-علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، فايز الداية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988.
- 119-علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1993.
- 120-علم الدلالة، أحمد مختار عمر، مكتبة العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982.

- 121- علم الدلالة، أف آر بالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992.
- 122- علم الدلالة، بيرجيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1992.
- 123- علم اللغة وفقه اللغة، تجديد وتوضيح، عبد العزيز مطر، قطر، 1985.
- 124- علم اللغة، حاتم صالح الضامن، مطابع التعليم العالي، بغداد، 1989.
- 125- علم اللغة، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1987.
- 126- علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.
- 127- الفاصلة في القرآن، محمد الحسنوي، دار عمار ط2، عمان، 2000.
- 128- الفاضل في اللغة والأدب، العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، طبعة الهيئة المصرية.
- 129- الفتح المبين في طبقات الأصوليين، عبد الله المراغي، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
- 130- فقه اللغة العربية وخصائص العربية - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط5، 1972.
- 131- فقه اللغة العربية، كاصد الزبيدي، منشورات جامعة الموصل، 1987.
- 132- فقه اللغة في كتب العربية، عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، 1997.
- 133- فقه اللغة وأسرار العربية، الثعالبي، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2، 2000.
- 134- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988.
- 135- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط2، 2002، 605/7.
- 136- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، اشراف، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.

- 137- القول الفصل بين كلام الله وكلام البشر، محمد العفيفي، المكتبة العصرية، الكويت، بدون تاريخ.
- 138- الكشاف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1، 1998.
- 139- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، مكتبة القدس، 1932.
- 140- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، 2008.
- 141- الكشاف عن وجوه القراءات السبع وعللها و حججها، مكّي بن أبي طالب الأندلسي، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، 1974.
- 142- كلام العرب، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1990.
- 143- لسان العرب، ابن منظور، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ.
- 144- اللسانيات وأسسها المعرفية، عبد السلام المسدي، المطبعة العربية، تونس، 1986.
- 145- اللسانيات واللغة العربية، عبد القادر الفاسي الفهري، منشورات عويدات، بيروت، 1986.
- 146- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1972.
- 147- لطائف في اللغة، أحمد بن مصطفى الدمشقي البايدي، تحقيق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة.
- 148- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، نادية رمضان النجار، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، 2004.
- 149- اللغة، ج. فندريس، تر: عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، مكتبة الانجلومصرية، 1950.

- 150- لمسات بيانية في نصوص التتريل، فاضل السامرائي، دار عمان، عمان، ط2، 2001.
- 151- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000.
- 152- المحرر الوجيز، ابن عطية، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- 153- المحكم و المحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 154- مختار الصحاح، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، لبنان، 1989.
- 155- مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص، رولان بارث، ترجمة: منذر عياش، مركز الإنماء الحضاري، باريس، ط1، 1977.
- 156- المدخل إلى علم أصول الفقه، معروف الدواليبي، مطبعة جامعة دمشق، ط3، 1959.
- 157- المرآة المقعرة، عبد العزيز حمودة، مطابع الوطن، الكويت، ط1، 2001.
- 158- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق : جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
- 159- مشكل إعراب القرآن، مكي بن حموش، حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1984.
- 160- المعاني الثابتة في الأسلوب القرآني، عامر فتحي أحمد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.
- 161- معاني الحروف، الرماني، تحقيق، عرفان بن سليم العشاء، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- 162- معاني القرآن، الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1988.
- 163- معاني القرآن، الفراء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983.

- 164-معاني القرآن، النحاس، تحقيق : محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 1988.
- 165-معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988.
- 166-معجزة القرآن، متولي الشعراوي، دار أخبار اليوم، ط1، 1993.
- 167-معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- 168-معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب، سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2002.
- 169-المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، 1945.
- 170-مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، بدون تاريخ.
- 171-المفردات، الراغب الأصفهاني، دار النشر و دار القلم، دمشق.
- 172-المفسرون مدارسهم ومناهجهم، فضل عباس حسن، دار النفائس، الأردن، ط1، 2007.
- 173-مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم (ابن تيمية)، تحقيق : عدنان زرزور، دمشق، ط2، 1972.
- 174-ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، تحقيق : سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
- 175-من أسرار التعبير في القرآن، عبد الفتاح لاشين، دار المريخ، الرياض، 1982.
- 176-من بلاغة القرآن الكريم، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 2005.
- 177-مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، 1986.
- 178-مناهل العرفان، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، القاهرة، ط3، 1999.

- 179- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر وعبد الله المحارب، دار المعارف ومكتبة الخانجي، ط1، 1991.
- 180- ميزان الأصول في نتائج العقول في أصول الفقه، السمرقندي، تحقيق : عبد الملك السعودي، السعودية، 1994.
- 181- النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، 1984.
- 182- نتائج الفكر في النحو، السهيلي، تحقيق: محمد البنا ، دار الاعتصام ، القاهرة ، 1984.
- 183- النحو العربي نقد وتوجيه، مهدي المخزومي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 1964.
- 184- النحو والدلالة- مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، محمد حماسة عبد اللطيف، مصر، 1983.
- 185- نظام التكرار في البناء الصوتي، طالب محمد إسماعيل، وعمران إسماعيل فيتور، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007.
- 186- النظام القرآني، سبب النيلسي، مكتبة بلوتو، ط2، 2003.
- 187- نظرية النقد العربي، محمد حسين علي الصّغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- 188- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.
- 189- النظم القرآني في تفسير الكشاف للزمخشري، درويش الجندي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1969.
- 190- النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق : عادل الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- 191- النهر الماد من البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، تحقيق : عمر الأسعد، دار الجليل للطبع والتوزيع، بيروت، ط1.

- 192-الهمع في شرح الجوامع، السيوطي، تحقيق : أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- 193-الوجيز في فقه اللغة، محمد الأنطاكي، مكتبة الشهباء، حلب، سوريا، ط2، 1969.
- المجلات والمقالات العلمية:
- 194-الأهمية التاريخية للشيخ الشعراوي، عبد العظيم رمضان، جريدة الأهرام، العدد: 125، يونيو. 1998.
- 195-الجرس والإيقاع في التعبير القرآني، كاصد ياسر حسين الزيدي، مجلة آداب الرافدين، كلية الآداب، جامعة الموصل، العراق، العدد: 9، 1978.
- 196-حياة الشعراوي، محمود مهدي، جريدة الأهرام، العدد: 90، 1998./06/26
- 197-الدلالة المجازية في الحكاية الرمزية والرمز، صبحي البستاني، الفكر العربي المعاصر، العدد: 28، بيروت، 1986.
- 198-الشيخ الشعراوي شاعراً، محمد عبد المنعم خفاجي، مجلة الأهرام، العدد: 741، 1998/6/23.
- 199-الكلمة القرآنية وخصوصية استعمالها، زهير غازي زاهد، مجلة ينابيع، عددان : 29-30 / 1430.
- 200-مجلة المصور، مناظرات بين الشيخ الشعراوي وحسين مؤنس، العدد: 2983، 1981/12/11.
- 201- مقال بعنوان: "مظاهر الدلالة الصوتية"، لمحمد حسين الصغير على الموقع الإلكتروني <http://www.tebyan.net> التالي:
- 202-مراجعة حديث نبوي شريف في موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء السعودية على الموقع الإلكتروني التالي: <http://alifta.org/Fatawa/FatawaDetails>
- البحوث الأكاديمية:

203-البحث اللغوي عند ابن قيم الجوزية، إدريس بن خوي ، أ.د.صفية مطهري ،
جامعة وهران السانبا، 2012/2011، رسالة دكتوراه (مخطوط).

204-التطور الدلالي للألفاظ الشرعية في القرآن الكريم من خلال سورة البقرة،

بورغدة ضاوية، إشراف: سامي عبد الله الكناني، جامعة الأمير عبد القادر، كلية

الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، 2006-2007، رسالة ماجستير (مخطوط).

205-الدلالة عن الراغب الأصفهاني من خلال المفردات في غريب القرآن، المغيلي

خدير، إشراف أ.د. صفية مطهري، جامعة وهران السانبا، 2009-2010، رسالة

دكتوراه (مخطوط).

206-المنهج اللغوي عند أبي حيان الأندلسي من خلال تفسيره "البحر المحيط"، عبد

الله غزلان- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط - 1998، رسالة دكتوراه

(مخطوط).

المراجع الأجنبية:

-Element de linguistique generale, Andre Martine, 207
ARM and colin, paris.1980.

-Introduction à la sémiologie, Morsly (D), 208
Chevaldonne (F), BUFFAC (M), Mollet (J): O. P. U.
Alger .1980.

Larousse: Dictionnaire de la langue Francaise,E 209 -
.littré.Paris.1994.

Linguistique Générale-R. H.Robins:une 210-

Traduction de -introduction, Librairie Armand Colin,
Simone Delesalle et Paul Guivarch, Paris , 1973

-Meaning and style- Ullman (S). Oxford. London 211
.1973

فهرس الموضوعات:

الإهداء:

كلمة شكر:

مقدمة:.....أ-ز

مدخل: قضايا المنهج واللغة في تفسير الشعراوي:.....3-63

أولاً: التعريف بالإمام محمد متولي الشعراوي:.....3

1- مولده:.....3

2- حياته العلمية:.....5

3- شيوخه:.....7

4- مؤلفاته:.....10

5- الشعراوي الشاعر:.....12

6- وفاته:.....13

ثانياً: المنهج واللغة.....14

1- تعريف المنهج:.....14

أ- لغة:.....14

ب- اصطلاحاً:.....15

2- منهج البحث اللغوي عند المفسرين:.....17

3- مسائل اللغة في التفسير:.....22

ثالثاً: نظرة عامة في تفسير الشعراوي:.....28

- 1- مصادر التفسير عند الشعراوي: 32.....
- أ- المفسرون: 33.....
- ب- المعاجم العربية: 36.....
- ت- الأحاديث النبوية: 38.....
- ث- الشعر العربي: 39.....
- 2- منهجية الشعراوي في التفسير القرآني: 42.....
- رابعاً: التفسير اللغوي عند الشعراوي: 51.....
- الفصل الأول: المستوى الصوتي وإعجازه في تفسير الشعراوي: 65-146.....
- أولاً: حقيقة الإعجاز في القرآن الكريم: 66.....
- 1- الخطابي: 66.....
- 2- الرماني: 67.....
- 3- الباقلائي: 78.....
- 4- الجرجاني: 70.....
- 5- الرافعي: 74.....
- 6- سيد قطب: 76.....
- 7- محمد عبد الله دراز: 77.....
- 8- الإمام الشعراوي: 78.....
- ثانياً: أسس الإعجاز اللغوي عند الشعراوي: 79.....
- 1- دقة اللفظ القرآني: 79.....

- 2- التمثيل الكاشف: 81.....
- 3- مراعاة أحوال جميع المخاطبين وطبقاتهم: 83.....
- 4- الانتقال بين أنواع الكلام دون شعور بذلك: 84.....
- 5- تحدي الله البشر بنفس الحروف والكلمات: 85.....
- ثالثاً: رؤية الشعراوي للإعجاز الصوتي: 87.....
- رابعاً: فواتح السور القرآنية عند الشعراوي: 90.....
- خامساً: الكلمة القرآنية وخصوصية استعمالها في نظر الشعراوي: 100.....
- 1- مناسبة تكرار الصوت: 103.....
- 2- التجانس الصوتي في توثيق المعنى: 107.....
- 3- تكرار الكلمة: 113.....
- سادساً- أثر الفواصل القرآنية في التركيب الصوتي: 118.....
- 1- تكرار الجملة: 120.....
- 2- بنية الفواصل حسب نظم الآيات: 123.....
- أ- التمكين: 123.....
- ب- التصدير: 126.....
- ت- التوشيح: 126.....
- ث- الايغال: 127.....
- 3- اختلاف الفواصل الأخيرة: 127.....
- 4- جملة التذييل: 130.....

- سابعاً- تناسب الحروف والألفاظ والجمل مع السياق القرآني: 133
- 1- دقة التعبير بالحرف في السياق: 134
- 2- ملائمة اللفظ للسياق: 137
- 3- تناسب السور والآيات: 142
- الفصل الثاني: المستوى الصرفي في تفسير الشعراوي: 149-204
- أولاً- الصيغ الصرفية: 150
- 1- دلالة أوزان الأفعال: 150
- أ - الفعل الثلاثي المجرد: 150
- صيغة "فَعَلَ": 150
- صيغة "فَعُلَّ": 151
- صيغة "فَعِلَّ": 152
- ب- الفعل الثلاثي المزيد بحرف واحد: 153
- صيغة "أَفْعَلَ": 153
- ت- الفعل الثلاثي المزيد بحرفين: 154
- صيغة "أَفْتَعَلَ": 154
- ث- الفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف: 155
- صيغة "اسْتَفْعَلَ": 155
- 2- المصدر: 157
- فَعْلَان: 157

158.....	– فُعَالٌ:
160.....	– مُفَاعَلَةٌ:
161.....	– تَفَعَّلَ:
162.....	ثانياً-الصيغ الصرفية بين الأفراد والتركيب:
162.....	1- الأفراد والتنثية:
165.....	2- الأفراد والجمع:
171.....	3- صيغ الأفعال:
173.....	ثالثاً: أبنية المشتقات:
174.....	1- اسم الفاعل:
177.....	2- اسم المفعول:
180.....	3- الصفة المشبهة:
184.....	4- صيغة المبالغة:
187.....	5- اسم التفضيل:
192.....	6- اسم الزمان والمكان:
197.....	رابعاً- مسألة الاشتقاق:
208-281.....	الفصل الثالث: المستوى النحوي في تفسير الشعراوي:
209.....	أولاً: الشعراوي نحويًا:
214.....	ثانياً: مسائل النحو في تفسير الشعراوي:
215.....	1- الأسماء:

- أ- الفاعل: 218.....
- ب- الاستثناء: 220.....
- 1- الاستثناء المتصل: 221.....
- 2- الاستثناء المنقطع: 222.....
- 3- الاستثناء المفرغ: 224.....
- ت- التمييز: 228.....
- 2- الأفعال: 231.....
- أ- بناء الفعل للمعلوم: 232.....
- ب- بناء الفعل للمجهول: 235.....
- 3- أسماء الأفعال: 238.....
- أ- اسم الفعل "هَلُمَّ": 238.....
- ب- اسم الفعل "أَفِ": 239.....
- 4- النواسخ: 240.....
- أ- دلالة الفعل "كان": 240.....
- ب- الفعل "كاد": 242.....
- 5- أسلوب الشرط: 243.....
- 6- حروف المعاني: 249.....
- أ- حروف النصب: 250.....
- 1- "إن" واستعمالاتها: 250.....

- 252..... 2- "أنى" ومعناها:
- 254..... 3- "لن" ومعناها:
- 255..... ب- معاني حروف الجر:
- 255..... 1- معنى "الباء":
- 257..... 2- معنى "رب":
- 259..... 3- معنى "من":
- 261..... 4- معنى "اللام":
- 263..... ت- معاني حروف العطف:
- 263..... 1- دلالة الواو العاطفة:
- 264..... 2- دلالة الفاء على الترتيب:
- 266..... 3- دلالة "ثم" على الترتيب:
- 268..... ث- معاني حروف الزيادة:
- 269..... 1- مجيء "ما" الزائدة:
- 270..... 2- مجيء "اللام" الزائدة:
- 273..... ج- حروف التنفيس:
- 274..... ح- حروف التفسير:
- 276..... خ- نيابة بعض حروف الجر:
- 276..... 1- مجيء "عن" الجارة بمعنى "من":
- 279..... 2- مجيء "اللام" الجارة بمعنى "عن":

380-284	الفصل الثالث: البحث الدلالي في تفسير الشعراوي:
286	أولاً: أهمية المعنى في التفسير:
290	ثانياً: دلالة الألفاظ عند الشعراوي:
293	ثالثاً: اتجاهات التغير الدلالي في تفسير الشعراوي:
302	رابعاً: علاقة الدلالة بالمستويات اللغوية:
303	1-الدلالة الصوتية:
304	2-الدلالة الصرفية:
307	3-الدلالة النحوية:
310	4-الدلالة المعجمية:
313	خامساً: أنواع الدلالات:
313	1- الدلالة المركزية:
316	2- الدلالة الهامشية:
321	3-الدلالة الإيحائية:
323	4- الدلالة النفسية:
324	5-الدلالة الأسلوبية (السياقية):
325	6-الدلالة الانعكاسية:
326	سادساً: أسباب التطور الدلالي في نظر الشعراوي:
327	1- رقي الحياة العقلية:
329	2- الأسباب الاجتماعية:

- 331..... الحظر اللغوي: 3-
332..... المعنى الاصطلاحي الذي يخالف المعنى اللغوي: 4-
334..... سابعاً: مظاهر التطور الدلالي:
1- التعميم الدلالي (توسيع المعنى)..... 337
2- التخصيص الدلالي: 340
3- الانتقال الدلالي: 344
أ- انحطاط المعنى: 346
ب- رقي الدلالة: 347
ثامناً: النمو الدلالي: 349
تاسعاً: الفروق الدلالية للألفاظ عند الشعراوي: 356
1- الضوء والنور: 357
2- البعث والإرسال: 359
3- فانظر - ألم تر - ألم تعلم: 359
4- ما كان - ما ينبغي: 360
عاشراً: تعدد اللفظ وتعدد المعنى: 362
1- المشترك اللفظي: 362
2- الترادف: 368
3- التضاد: 375
الخاتمة: 382-385

390-386..... المصادر والمراجع:

395-391..... فهرس الموضوعات